بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ⓒ دار ابن حزم للنشر والتوزيع ١٤١٨هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الظاهري، أبو عبد الرحمن بن عقيل
كيف يموت العشاق - الرياض
... ص ، .. سم
ردمك ١ - ٢٤ - ٧٩٥ - ٩٩٦٠
١- المقالات العربية - السعودية ٢- الأدب العربي - مقالات ومحاضرات
٣- الحب في الأدب العربي أ- العنوان
ديوي ٠٨١،٥٣١ ١٨/٠٤٥٨
ديوي ٠٨١،٥٣١
رقم الإيداع: ١٨/٠٤٥٨
ردمك : ١-٢٤-٧٩٥-٩٩٦٠

الطبعة الأولى
١٤١٨هـ / ١٩٩٧م

دار ابن حزم
للنشر والتوزيع
تلفاكس: ٤٦٢١٥٤٢
ص ب: ٢٢٥٦٦ - الرياض: ١١٤١٦

كيف يموت العشاق ؟!

[هذا الكتاب فلسفة لعلل يُقال إنها من آثار الغرام ٠٠ كما أنه استعراض للقصص الغرامي بين الأدب الفصيح والأدب العامي، وبيان لقدرة الحكواتي النجدي على نسج الأسطورة]

ألفه

أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري

(محمد بن عمر بن عبد الرحمن بن عبد الله العقيل)

ـ عفا الله عنه ـ

دار ابن حزم

[في هـذا الكتـاب أخبـار غراميـة عـن قيـس وليلى ٠٠ وعشاق بني عذرة ٠٠ وبشـر الأسدي وهنـد الجهنيـة ٠٠ وأبـي زيـد وعليـاء٠٠وفهد الشعلان وقوت ٠٠ والدجيما والوليعي٠٠ وغيرهم٠

وأحـوال العشـاق بين العلـم والروايـة التاريخيـة والأسطـورة] ٠

فهرس إجمالي

اسم الموضوع

[مما أضر بأهل العشق أنهمُ

هووا وما عرفوا الدنيا وما فطنوا

تفنى عيونهمُ دمعاً وأنفسهم

في إِثْرِ كل قبيح وجهه حسن

تَحمَّلوا حَمَلَتْكُمْ كل ناجية

فكل بينٍ عليَّ اليوم مؤتمن

ما في هوادجكم من مهجتي عوض

إن مِتُّ شوقاً ولا فيها لها ثمن

أبوالطيب المتنبي]

بسم الله الرحمن الرحيم

الاستفتاح والمقدمـة

أفضل ما أبتدئ بـه حمد الله عز وجل بما هـو أهلـه ، ثـم الصلاة على محمد عبده ورسوله خاصـة ، وعلى جميـع أنبيائـه عامـة ، وبعـد :

عصمنا الله وإياك من الحيرة ، ولا حملنا ما لا طاقة لنا بـه ، وقيض لنـا من جميل عونـه دليلاً هادياً إلى طاعتـه ، ووهبنا من توفيقه أدباً صارفاً عن معاصيـه ، ولا وكلنا إلى ضعف عزائمنا ، وخور قوانا ، ووهاء بنيتنا ، وتلدد آرائنا وسوء اختيارنا ، وقلة تمييزنا ، وفساد أهوائنا (١) .

أما بعد : فقد كان الأدب أول معارفي قبل الحلم ومنذ نعومة أظفـاري .

وأقصد بالأدب الأسطورة الخرافية المدوَّنة كالتغربة الهلاليـة ، وسيرة عنترة ، والزير سالم ، والمقداد والمياسة ، وأجزاء من ألف ليلة وليلـة .. ولم أطـق متابعة هذه الأسطورة حتى النهاية .

فكان لي تمرُّس بالأسطورة منذ الطلب .

---

(١) هذا استفتاح الإمام أبي محمد ابن حزم - رحمه الله تعالى - لكتابه طوق الحمامـة .

وكان سمري في صغري في قريتي عن الشعر العامي والسباحين والأخبار المحققة ، فكان لي بأدب العامة تخصص ٠

ولما أشرفت على البهو الذهبي لعلم الأدب بعد اليفاع أشرفت على طوق الحمامة وتابعت أدب العشاق ٠

ولما طعنت في الكهولة أو أوشكت على الشيخوخة حننت إلى أدب الطفولة واليفاع ، فكنت ألامسه بالتحقيق والبحث على هامش ثقافتي في أويقات كلالي الذهني ، ومر على ذاكرتي أخبار العشاق في الأدب العامي النجدي ، وتلذذت بأشعارهم ، ورأيت القوم يتلذذون بها ، ولا يخالجهم الشك في قصص قتالىٰ الغرام كما لايخالجهم الشك في كل ما يُتلىٰ عن بني هلال ٠

وذكر الأستاذ محمد الحمدان أن الراوية الشمري رضيمان بن حسين الرضيمان معنيّ بجمع أخبار أولئك القتالى (٢) ٠

ونشر الراوية إبراهيم اليوسف بعض أشعارهم وأخبارهم بمجلة اليمامة ، وزودني بأوراق لم ينشرها بعد ٠

قال أبوعبدالرحمن : ولم يفتني من أخبارهم إلا أخبار ابن حماد راعي حرمة ، وتفاصيل أخبار الدجيما ، وعبدالسلام الذي أشار إليه الشاعر القطري ابن عبدالوهاب ٠

وقد جرت عادة شعراء الفصيح والعامية على تعداد المولهين والعشاق

---

(٢) ديوان السامري والهجيني ص ٤٤ ٠

قبلهم ليسوغوا عشقهم ، وربما اكتفى أحدهم بذكرواحدٍ شهيرٍ سَبَقَهُ .

قال ابن دويرج عن عموم المولهين :

ما يعرف الهوى الا نمر بن عدوان ودغيم الظلماوي

وقت يوم ان الهوى سلعة وكل في نفيس الثمن يشريها

قطّفَوا زاهي النوّار في وقت مضتى والدهر متساوي

لين كل قضى شفه وكل قال هاي دوك يا باغيها

وقال محيسن الهزاني :

قبلي عرار قالوا الناس مجنون

مع ذا واظن اني بطرياه أوحيت

وقال ابن غازي الشمري :

قبلي فهيد من هوى قوت قد مات

مودع على خيل المعادي معاصير

وقال ابن سبيل :

لو ان ما بي بالغصون الوريقة

غدن بيض كنهن المشريق

أخاف من موت بليا حقيقة

مثل الدجيما ما طرد به ولا سيق

ولقد شطرهما أبو ماجد فقال :

(لو ان ما بي بالغصون الوريقة)

الناعمات المثمرات المغاديق

سـرى بهـن سم الهلاك بدقيقـــة

(وامسـنّ بيض كنهـن المشاريـق)

(أخـاف من مـوت بليا حقيقـــة)

أصـير مضـراب المثـل للعشاشـيق

يقـال مـات وفات من هـو عويقـه

(مثـل الدجيمـا لا طرد بـه ولا سيق) (٣)

وقال شاعر معـاصر وهـو عـايض أبـو بطيـن العتيبـي مـن أهـل عفيف بروايتي عـن أبي عفـاس مطلـق بن عبيـد بـن سعيـد الشـمري أميـر الدفينـة سابقـاً :

الهـوى قـد ذبـح لـه شمـري

الدجيمـا علـى موتـه شهـود

صـاحبي قـال لـي وقـلـت لـه

بالخفيـة تبـادنّ السـدود

وقال حسن بن مقيبل الدجيمـا وهـو شاعـر معاصـر :

والله اني من هوى صاحبي عمري خطير

والدجيما جدنا من هوى الزينات مات

وقـال سويلم العلـي :

وطـرد الهـوى ما فيـه منقـود ادراه

من دور بشـر ليـا عزيــز ابن خالـه

---

(٣) مظلـوم ص ١٣٠ .

بشـــر مــن الزهـاد وادنــت منايـــاه

وعزيــز ذاق المـوت باسبـاب خالــه

ولا ليم قبلي نمر عدّت سوايـــاه

وابن ربيعـــة يــوم تذكـر فعالـــه

ومحمــد القاضـي ومحسـن وشـــرواه

ومجنـون ليلـى يــوم صلّـع هبالـــه (٤)

وقـال الدغيـري بـن غـازي :

قـلب الخريصي تقـل بـه نـــار كيــر

عسـى يصيـر لهرجتـه عندهم نـوح

يا حيف كيف الزوبعـي والدغيــري

يلعب بهم غـرو تـلا جـل شرشـــوح

وقـال ساكـر الخمشـي :

عســـاك من عـواده اللـــي تعــــوده

اللي سقـاني ذبّلـه في ضحى العيــد

الجــادل اللـي كــن زمـــة نهـــوده

نبــت الزبيدي في محاجـر جليعيـد

مـن خلقـت الدنيـا وبنيـت عمــوده

والبيـض في كيـد الهوى كيدهن كيـد

---

(٤) ديـوان سويلـــم العـلي ص ٦٢ ٠

نمـر على وضحـا قصيده شهـوده

ومن غيهن عينت عليا وابا زيـد

ولـد الخفاجي راح وامـه تـذوده

غـدن بقلبـه بالمنـى والتواعيـد

يبي يوري مـع هـل الخيل جـوده

واخّـر لنـا قصـر الاخيضر وعربيد(٥)

وقال الأمير سعود بن عبدالرحمن السديري يجيب متوجداً :

يا علـي ضربت درب المهلكيـة

مـا دريت ان الهـوى درب صعيب

الهـوى ذبـح رجـال صيرميـة

وآخريـن عقولهـم راحـت عزيـب

عـان فعلـه بالهواويـة طميـة

شالهـا مـن دارهـا يـم الذويبـي(٦)

---

(٥) شاعر من نجد ص ٢٦٥ ، وانظر قطوف الأزهار ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

(٦) ذكر لي معالي الأمير أسطورة عامية تزعم أن طمية رحلت من مكان بعيد من أجـل العشـق .

ووجدت في بلاد القصيم ٤/١٤٩٦ عن أبي عبيد الله السكوني خرافة عربية تزعم أن طمية الجبل زوجة لجبل عكاش ، وفي ذلك يقول شاعر الفصيح :

تزوج عكـاش طميـة بعدمـا

تأيـم عكـاش وكـاد يشيـب

وقال محمد بن قاسم الفيحاني القطري المعروف بابن عبدالوهاب :

يا عذولي لا تلمني يا غشيم
عن محمد كف عذلك والملام
ما سمع سالم ولا طاوع سليم
بالهوى والحب يرجمهم رجام
والهوى قبلي تلف عبدالرحيم
واستجار من الهوى عبدالسلام
واستغاث من الهوى راعي القصيم
وابتلى الناعي على ديم الخزام
صابني ما صابهم حتم وحتيم
يا ولد عيسى ولا عنه انهزام(٧)

وقال :

مشيت بما مشى راعي الحريق
وابن لعبون والحزب العتيق
تخاووا واركبوا بحر غميق
بْلا بلد ولا معهم سناد

(٧) التحفة الرشيدية ٢/٢٧٦ ، وقد كتب الدكتور فضل بن عمار العماري عن الحب العذري بين عروة بن حزام في نونيته وقاسم الفيحاني بمجلة الدارة السنة ١٦ عدد ٢ ص ١١٧ - ١٣٥ .

لحاهــم غيهــم وازووا نشـــــــاش
علـى جمـر الغضـا راحـوا مواشـــي
تـراهــم بالهــوى دوم غواشــــــي
يعضـــــون الابهــــام بكـــل وادي
وابـن عشبـــان من قبـلـي مهـــاوي
دوى بـــه مـن غـرام الحـــب داوي(٨)

وقـال زبـن بـن عميـر عن جيـل المحبيـن :

يسمـى دور محسن والدجيما وابن لعبون
مكنت اتلاه والا فاولـه قـد فـات عني

وقـال الدجيمـــا :

أنا لي موتة اغدي بها غدية ولد باخوت
على جال المنقى كل طرقية يمرونـه

وقـال هـويشـــل :

طـونـي وقـبلي مـن طـونـــــــــــــه
علـى عصـر ابـوزيـد الهـلالـــــــي
ولا ســج محســن دونهنـــــــــــة
ولا ذكـــر ابن لعبـون ســــــــالِ

---

(٨) ديوان شعـــراء من الجزيـرة العربـية ١/٢٩ - ٣٠ .

صـويتٍ سمعتـــه واحسبنــــــه

دنيـن الجــرس والا الريـــــال (٩)

وقبلهم قـال المجنــون :

عجبــت لعـــروة العــذري أمسـى

أحـاديثـــاً لقـــوم بعـــد قـــوم

وعـروة مـــات موتـــاً مستريحـــاً

وهـــا أنـــذا أمـــوت بكـل يـــوم (١٠)

وقـال أيضـا :

وفي عروة العذريّ إن مــت أسوة

وعمرو بن عجلان الـذي قتلت هند

وبي مثــل ما ماتــا بــه غيـر أننـي

إلى أجــل لــم يأتني وقتـــه بعــد

وقـال جميـل :

فمـــا وجـدت وجـدي بهـا أم واحــد

ولا وجـد النـ ـي وجدي على هند

ولا وجـد العذري عـروة إذ قضـى

كـوجدي ولا من كان قبلي ولا بعدي

---

(٩) بيـن الغــزل والهــزل ص ١٥١ ٠

(١٠) ذم الهــوى ص ٣٠٢ ٠

وقال الأحوص :

فعروة سن الحب قبلي إذ شقي
بعفراء والنهدي مات على هند

وقال كثير :

وأصبحت مما أحدث الدهر خاشعاً
وكنت لريب الدهر لا أتخشع
وعروة لم يلق الذي قد لقيته
بعفراء والنهدي ما أتفجع

وقال جرير :

هل أنت شافية قلباً يهيم بكم
لم يلق عروة من عفراء ما وجدا

وقال العباس بن الأحنف :

ما إن صبا مثلي جميل فاعلمي
حقا ولا المقتول عروة إذ صبا
لا لا ولا قبلي المرقش إذ هوى
أسماء للحين المحتم والقضا

وقال عكرمة الأعرابي :

أصابني داء قيس وعروة وجميل
فالجسم مني نحيل وفي الفؤاد غليل (١١)

قال أبوعبدالرحمن : ولقد أحببت أن أحقق المتعة الأدبية بنشر أخبار وأشعار عشاق العامية النجدية مع ربط ببعض قصص العشاق

---

(١١) ذم الهوى ص ٢٦٢ .

من أهل العربية الفصحى ، أو الربط بشيئ من شعرهم ، أو الربط بشيئ من دراسات فلاسفة الغرام .

كما أحببت تحقيق المتعة العلمية بدراسة أحوال العشاق بين الحقيقة والخيال ، فحققت في **الباب الثالث** أن الموت المجاني خرافة ، ذلك أن العشاق يموتون ، ويبقى وجه ربك ذي الجلال والإكرام ، وكل حي إلى نفاد وإن لم يكن عاشقاً !! .

وإنما أنكرت أن يكون موتهم مجانياً يقول لهم الحبيب : لا .. أو أنا عنك مشغول !! .

فيقول أحدهم: هاهنا انتهى أجلي ، وحضر داعي الرحمن ، ثم يشهق ويموت !! .

ولكن الشيئ الذي لا أستطيع إنكاره ما حققه الأثبات الأئمة عن معاينة أو عن رواية من يوثق به .

فمصير العشاق عند هؤلاء الأثبات على خمسة أنحاء :

١ - عاشق يعتصم بربه ويتداوى بالمباح فيعود إليه عقله ويستقيم سلوكه .

٢ - عاشق يظفر ببغيته وينعم بالوصل ، أو محب غير عاشق ينعم بالوصل فيموت غرامه ، لأن الحب إذا نكح فسد .

٣ - عاشق لم ينعم بالوصل ، واستعذب بكاءه ، وأجهش للتوباد فاختلط فكان مجنون غرام .

٤ - عاشق لا يموت رخيصاً ، ولكنه لا يُمتَّع بصحته بل

يوافيه الأجل بعد سنين من الهم والنحول والضنى ٠

٥ - عاشق يموت بشهقة ،وهذا لاوجود له عندهم إلافي الخيال ، فهو وجود فني لاموضوعي يتظرفون به ، وليس وجوداً موضوعياً ٠

قال أبوعبدالرحمن : ولقد عقد ابن الجوزي الباب التاسع والثلاثين من كتابه ذم الهوى عن الآفات التي تجري على العاشق من المرض والضنى والجنون ، وذكر في هذا الباب آفات أخرى كالخرس والاستمرار على البكاء ٠

ومن بداية الباب الثاني والأربعين إلى نهاية الباب الثامن والأربعين ذكرمن قتل نفسه ، أو قتل معشوقه ، أو قتل غيره ٠٠كما ذكرمن زنى بمحارمه أو كفر ٠٠ كل ذلك بأسباب العشق والشغف ٠

قال أبوعبدالرحمن : ولا ينكر في عالم الشهادة أن يبلغ المحب خبر وفاة صديق أو قريب أو حبيب (ويكون الخبر مفاجئاً) ، فيموت ، أو يشل ، أو يغشى عليه ٠

وموت المعشوقة المفاجئ يُحدث شيئاً من تلك الأحداث ٠

ولكن هذه الأحداث غير محتملة لمجرد موت الحبيب غير المفاجئ أو هجره ٠

وهناك عباد ونساك ومتصوفة يروي لهم التاريخ عجائب ٠٠ يصعقون فيموتون بشهقة ، أو يغمى عليهم فيفيقون بعد عناء ومعالجة ٠

وذلك عندما يسمعون آية أو حديثاً أو كلمة حكيمة ، أو يُحرّكون

بموعظة ، وهؤلاء حققت أمرهم في كتيبي « خشوع الصحابة رضوان الله عليهم » ٠

أما أهل الهوى على الأنحاء الخمسة المذكورة آنفاً فقد عالج أحوالهم هذا الكتاب في **البابين الثاني والثالث** ٠

وأما **الباب الأول** فثلاثة مداخل من مكملات البحث جعلت **الأول** إطلالة على كتب التراث التي بحثت أحوال العشاق ، وجعلت **الثاني** عن فلسفة حوك الأسطورة عند الحكواتي النجدي ، لأنني وجدت كثيراً من الأخبار من باب الأساطير ٠

وجعلت الثالث بعنوان : **كيف يموت العباد** ، لأنني من خلالهم تنبهت إلى مسألة موت العشاق ٠

وبما أن مصير كل مخلوق من الأحياء إلى ممات فقد جعلت عنوان الكتاب : **كيف يموت العشاق** ؟ ٠

ولم أجعله عن نهاية العشاق التي تسبق الموت كالجنون والنحول ، لأن العنوان مثير أولاً ، ولأننا نتتبع حال العاشق إلى حين موته لنرى هل مات معافى من الهوى بسلو أو وصل ، أم أنه مات على آفة من آفاته ؟ ٠

قال أبوعبدالرحمن : ولقد تبرع معالي الدكتورغازي القصيبي بطباعة هذا الكتاب على حسابه فأرسل لي المبلغ مسبقاً ٠٠ كما تعهد في محفل بلندن أن يتبرع بتكاليف ترجمته إلى الإنجليزية ٠٠ وبدا لي أن أضاعف حجم الكتاب لمعارف استجدت لدي ، واستغرق ذلك أربع

سنوات ، فتوسعت بالمبلغ الذي أرسله الدكتور ؛ لأمرِمعيشيٍّ ألمَّ بي ..
على أن يكون طبع الكتاب دَيْناً في عنقي متى واتت الظروف ، وأنى
لها أن تواتي من كان مشقوق اليد مثلي !! .

ولما علم صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بقصة الكتاب
تحمل تكاليف طبعه ، وقال : أنا مكمل لغازي ، والحال واحدة ..
فشكراً شكراً للشاعرين السريين ، وجزاهما الله خيراً .

ويبدو لي أن هذا الكتاب فريد في موضوعه ، والله الموفق
والمعين .

كتبه

أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري

- عفا الله عنه -

الرياض/سلطانة / دارة داوود ١١/١٢/٥/١٢ ١٤١٢هـ
وجرت المعاودة والإضافة بعد ظهر يوم الإثنين
٢١/١/١٤١٦هـ في المكان المذكور .

ثم بدأت معاودته بالتهذيب والإضافة
في الليلة التي صبيحتها يوم السبت
الموافق ٢٦/٧/١٤١٧هـ بنفس المكان .

الباب الأول : ثلاثة مداخل :

المدخل الأول : أجمع كتاب عن المحبين : (أسواق العشاق للبقاعي) وما كتب في معناه .

المدخل الثاني : عوام نجد وتوليد الأسطورة .

المدخل الثالث : كيف يموت العباد ؟ .

[قال أبوبكر محمد بن داوود الظاهري : أنشدني أبوالعباس أحمد بن يحيى النحوي لامرأةٍ من الأعراب :

أرى الحب لا يفنى ولم يفنه الألى
أحبوا وقد كانوا على سالف الدهر
وكلهم قد خاله في فؤاده
بأجمعه يحكون ذلك في الشعر
وما الحب إلا سمع أذن ونظرة
ووجبة قلب عن حديثٍ وعن ذكر
ولو كان شيئ غيره فني الهوى
وأبلاه من يهوى ولو كان من صخر

الزهرة ١/٤٥ - ٤٦]

المدخل الأول :

أجمع كتاب عن المحبين (أسواق العشاق للبقاعي) وما كتب في معناه :

مؤلف « أسواق الأشواق من مصارع العشاق » بحرمن بحور العلم ، وهو الإمام الجليل أبوالحسن إبراهيم بن عمربن حسن الرُّباط الخرباوي البقاعي الشافعي توفي سنة ٨٨٥هـ ، وعمره ستة وسبعون عاماً تقريباً .

ترجم له السخاوي ترجمة مطولة مظلمة (١) منتنة ، وتجنى عليه وفسَّقه ، ويأبى الله إلا أن يكون من عدول هذه الأمة وأئمتها .

والسخاوي على فضله وجلالته لا يسمق إلى ذروة البقاعي .

إلا أننا رأينا على مدار التاريخ علماء أجلاء ينال بعضهم من بعض ، ويقذعون .. بسبب المعاصرة ، والتنافس في العلم ، أو الدنيا ، أو اختلاف الرأي .

ولهذا كانت القاعدة عند النقاد أن لا يقبل قول الأقران بعضهم في بعض .

وكان بين السخاوي والبقاعي منافسة وتنابذ وردود .

ولقد شهد بفضل البقاعي كتبه النفيسة التي بين أيدينا ، وزكّاه ذوو

---

(١) الضوء اللامع ١ / ١٠١ - ١١١ .

العلم والفضل من أمثال فقيه أهل اليمن الشيخ محمد بن علي الشوكاني(٢)، ومؤرخ الحنابلة الشيخ أبي الفلاح عبدالحي بن العماد(٣)، وأفاد كلاهما بأن البقاعي بلي بمقلدين أنكروا عليه النقل من التوراة والإنجيل في تفسيره الجليل – الذي طبع في حيدر آباد الدكن – ، وأنكروا عليه تكفيره لابن عربي الصوفي وابن الفارض ، فقبل التحدي وتصدى للرد عليهم وفيهم كبار أهل عصره، ولهذا فرح السخاوي بديوان شعر جمع في هجاء البقاعي وتناسى ما قيل فيه من مدائح ٠

ورام بعض المالكية الحكم بتكفير البقاعي ليستبيح دمه في وقت استبيحت فيه الدماء بغير حق ، وإنما هو التقليد ،والتزمت ، والاستنباطات الفرعية البعيدة ٠

وقد ندد الشوكاني بهذه الظاهرة لدى فقهاء المالكية ، ولو تتبع تاريخهم في الأندلس والمغرب منذ حل مذهب مالك محل مذهب الأوزاعي لرآى الكثير من أحداث ضحايا الأفكار ٠

كما أن ابن خلدون أشار إلى خصيصة تفسر بها هذه الظاهرة ٠

وقديماً غص بهم الشيخ الإمام أبو محمد ابن حزم حتى فلج بالحق مِقْوَلُه، فظهرت كتب الحديث، وانتشر فقه السلف ، وخسئت كتب الفروع التقليدية ٠

---

(٢) البدر الطالع ١ / ١٩ – ٢٢ ٠

(٣) شذرات الذهب ٣٣٩/٧ – ٣٤٠ ٠

لهذا الإمام كتب كثيرة مفقودة ذكرها المترجمون .

وطبع « نظم الدرر في تناسب الآيات والسور » .

و « مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور » .

و « سر الروح اختصره من كتاب الروح لابن قيم الجوزية » .

و « مصرع التصوف » .

ولا يزال مخطوطاً من كتبه غيرَ أسواق الأشواق الكتبُ التالية :

« عنوان الزمان في تراجم الشيوخ والأقران » .

و مختصره « عنوان العنوان » .

و « الباحة في علمي الحساب والمساحة » .

و « أخبار الجلاد في فتح البلاد » .

و « بذل النصح والشفقة للتعريف بصحبة ورقة » .

و « جواهر البحار في نظم سيرة المختار» .

و « مسودة تاريخه » .

و « مختصر في السيرة النبوية والثلاثة الخلفاء » .

و « القول المفيد في أصول التجويد » (٤) .

و « النكت الوفية » (٥) .

و « النكت والفوائد على شرح العقائد للسعد التفتازاني » (٦) .

---

(٤) أفدت من الأعلام للزركلي ١/٥٠ و ١٠ / ٧ - ٨ و ١١ / ٨ .

(٥) فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف العامة في بغداد ١/٣١٧-٣١٨ .

(٦) المصدر السابق ٢ / ٢٥٤ .

قال أبوعبدالرحمن: بمكتبتي رف خاص بما طبع مما ألفه الأسلاف عن فلسفة الحب وأخباره ، وليس من بينها كتاب «أسواق العشاق» للبقاعي ، وما أظن المحققين أهملوا نشره إلا لتوهم بعضهم أن الكتاب مجرد اختصار لكتاب السراج المعروف بـ « مصارع العشاق » .

وكتاب المصارع مطبوع .

والواقع أن هذا الكتاب أحفل وأجل كتاب أُلف عن أخبار الحب والمحبين ، وهو أكثر من اختصار ، بل هو تهذيب وترتيب وإضافة جليلة نفيسة كما سيأتي بيانه .

سأعرف به - إن شاء الله - من خلال صورة النسخة التي لدي ، وهي نسخة الخزانة الملكية بالرباط رقم ٣٣٢٤ .

وذكر بروكلمان من هذا الكتاب نسخة رئيس الكتاب مصطفى رقم ٧٤٥ ، ونسخة بشير أغا رقم ٥٥٢ (٧) .

قال أبوعبدالرحمن : وقد قام داوود الأنطاكي باختصاره ، وتهذيبه ، وترتيبه ، والإضافة إليه ، وسمى عمله « تزيين الأسواق بتفصيل أسواق العشاق » وطبع عدة مرات آخرها طبعة المطبعة الأزهرية المصرية سنة ١٣٢٨هـ .

قال أبوعبدالرحمن : كتاب البقاعي كتاب حافل ، وفيه تحقيقات وتخريجات يفرح بها العلماء ، ونشره ضروري ، وهو داخل في

---

(٧) انظر مقدمة ريتر لمشارق أنوار القلوب ص هـ .

باب الأهم لا سيما أنـه لـم يطبع قـط ٠

تقع نسخة الخزانة الملكيـة بالربـاط فـي ٤٠٠ ورقـة ، ويقـع فـي الصفحة ٣٣ سطراً بمقاس ١٧,٥ × ٢٣,٥ سم فهو كتاب ضخم جـدّاً إذا خدم تحقيقه خرج في ثلاثـة أسفـار ضخـام ٠

كتبت سنة ٨٧٦هـ أي فـي حيـاة المؤلـف بقلـم علـي بـن محمـد المنظراوي بخط نسخي جيـد واضـح ٠

ترجم في المقدمة لصاحب الكتاب الأصل ابن السراج نقـلاً عن وفيات الأعيان ، وعن مرآة الزمان ، ثـم انتـقد المصارع من النواحي التالية :

١ - أن السراج يذكر في الباب غير ما بوب عليـه ٠

٢ - أنـه يذكـر من الحكايات ما يُمج أو لا يتـشوق إليـــه ٠

قال أبوعبدالرحمن : هـذان يتعلقان بتهذيب الكتاب ٠

٣ - أنـه فرق بعض الحكايـات ٠

قال أبوعبدالرحمن : هـذا يتعلق بترتيب الكتـاب ٠

٤ - أنـه بحاجـة إلى تـتميم بنوادر الأخبار ولطائف الأشعار ٠

قال أبوعبدالرحمن : هـذا مسوغ البقاعي في الإضافة إليـه ٠

لقـد قام البقاعي بتهذيبه واختصاره وترتيبـه والإضافة إليـه ٠

وفيما يتعلق بالإضافة ضـم إليـه جميع كتـاب الواضـح المبيـن (٨)

---

(٨) في ذكـر من استشهد من المحبين للحافظ علاء الدين أبي عبدالله مغلطاي ٧٦٢هـ

لمغلطاي ، وجميع حكايات كتاب شيخه الشهاب المعروف بـ «منازل الأحباب ومنازه الألباب » (٩) .

وأضاف إليه من غيرهما أيضاً ، فحفل كتاب البقاعي بمصادر نادرة ، وجعل كتابه في مقدمة وعشرة أبواب على هذا النحو :

١ - **المقدمة** : في رسم العشق وحَدهٌ .

٢ - **الباب الأول** : في مصارع محبي الله جل وعلا .

وفيه فصل عن عجائب المحبين من عشاق الحور العين .

٣ - **الباب الثاني** : في مصارع عشاق الجواري .

وفيه فصل عن تعفف بعض المحبين .

٤ - **الباب الثالث** : في عشاق الغلمان .

قال أبوعبدالرحمن : بئس والله هذا النوع من العشق ، وهو مما طرأ على واقع العرب بلا ريب .

٥ - **الباب الرابع** : عن السلو .

٦ - **الباب الخامس** : عن الوصال .

٧ - **الباب السادس** : عن الفساق من العشاق .

٨ - **الباب السابع** : في الغدر والهجر .

٩ - **الباب الثامن** : عن عشاق الجن .

---

(٩) لشهاب الدين أبي الثناء محمود بن فهد ت ٧٢٥ هـ .

١٠ – **الباب التاسع** : عن عشق الطيور والأشجار ٠

وفي مباحثي عن مسائل غرب – إن شاء الله – سأتناول تعذيب غربان النوى من هذا الفصل ٠

١١ – **الباب العاشر** : في الشارع الجامع لما يلحق بالمصارع ٠

وجعله ثلاثة فصول على هذا النحو :

أ – **الحكايات المستطابة الخالية عن ذكر العشق والصبابة ٠**

ب – **في المجون ٠**

ج – **الأشعار الخالية عن النوادر والأخبار ٠**

وروى مصارع العشاق بإسناده إلى مؤلفه ، وانتظم الإسناد زينتي العلماء الموفق ابن قدامة وابن حجر العسقلاني ٠

قال أبوعبدالرحمن : من الكتب المؤلفة في معنى كتاب البقاعي الكتب التالية :

١ – إرشاد اللبيب إلى معاشرة الحبيب ، لأحمد بن محمد بن علي ابن فليتة اليمني [٧٣١هـ] ٠

منة نسخة بدار الكتب المصرية ٠

٢ – رسالة العشق والنساء ، للجاحظ [٢٥٥هـ] طبع عدة مرات ٠

٣ – الزهرة للإمام محمد بن داوود الظاهري [٢٩٦هـ] طبع الجزء الأول في مطبعة الأدباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٣٥١هـ ، وصورته مكتبة المثنى ٠

وصدر الجزء الثاني عن وزارة الإعلام في العراق سنة ١٩٧٥م ٠

درس الزهرة الجواري في كتابه « الحب العذري » ، والدكتور مصطفى عبدالواحد في كتابه « دراسة الحب » ٠

٤ - اعتلال القلوب ، لأبي بكر محمد بن جعفر السامري الخرائطي [٣٢٧هـ] منه نسخة في دار الكتب المصرية ، وأخرى في مكتبة غوطا ، وثالثة في مكتبة أولو جامع في بروسة ٠

وعلى طريقته كتاب « المحبة والشوق والأنس والرضى» لابن حبان البستي ٠

٥ - المصون في سر الهوى المكنون ، لأبي إسحاق الحصري [٤١٣هـ] ، ولدي صورة من إحدى نسخه الخطية ٠

٦ - طوق الحمامة ، للإمام ابن حزم [٤٥٦هـ] طبع مختصره باللغة العربية فقط ما ينيف على خمس عشرة طبعة ٠

ولا يعرف له نسخة كاملة ٠

درس الطوق الجواري في كتابه « الحب العذري » ، والدكتور زكريا إبراهيم في كتابه « مشكلة الحب» ، والشاروني في كتابه « الحب والصداقة» ، والدكتورمصطفى عبدالواحد فيكتابه «دراسة الحب» ، والدكتور الطاهر مكي في كتاب خاص ٠

قال أبوعبدالرحمن : وقد أشرت إلى من كتب عن الطوق في

السفر الرابع من كتابي «ابن حزم خلال ألف عام» الـذي صـدر عن دار الغـرب الإسـلامي ببيـروت ٠

٧ - مصارع العشاق ، للسـراج [٥٠٠هـ] ٠

طبعته الجوائب سنة ١٣٠٢هـ ، ثـم طبـع فـي مجلدين ببيروت سنة ١٣٧٨هـ ، وقـد درسـه الدكتور مصطفى عبدالواحد ٠

٨ - عطف الألف المألوف على اللام المعطوف ، لأبي الحسـن علي بن محمد الديلمي من أهل القرن الرابع والخامس ٠

ومنـه نسخة في مكتبة (توبينغن) بألمانيا ، وهـو علـى طريقـة أهل التصوف ٠

وقد طبع في القـاهرة سنة ١٩٦٢م بتحقيق ج - ك ٠ فاديـه ٠

٩ - ذم الهوى ، لابن الجوزي [٥٩٧هـ] ٠

طبع بمطبعة السعـادة سنة ١٣٨١هـ ٠

وقـد اختار منـه محمود مهدي إستانبولي ضميمة نشرها بعنـوان « أسرار العشاق » ٠

١٠ - روضـة العاشـق ونزهـة الوامـق ، لأحمـد بـن سـليمان الكسائي الشافعي [٦٣٥هـ] ٠

منه نسخة في مكتبة السلطان أحمـد الثـالث في طوب قابي سراي في إستانبول برقم ٢٣٧٢ ٠

١١ - دمعـة الشاكي ، للصـفدي منـه نسخـة بمكتبـة الأوقـاف ببغداد كمـا في فهرسها ١٧/٣ ٠

١٢ - جمحة النهى عن لمحة المها ، لمحمد بن إبراهيم الفيروزآبادي [٦٤٢هـ] ٠

منه نسخة في مكتبة ولي الدين بإستانبول ، وهو على طريقة أهل التصوف ٠

١٣ - نسل الأسرار وسر الأسكار، للفيروزآبادي المذكورآنفاً توجد منه نسخة في المكان المذكورآنفاً ٠

١٤ - مشارق أنوار القلوب ومفاتيح أسرار الغيوب ، لابن الدباغ الأنصاري [٦٩٦هـ] نشر بعناية هـ ٠ ريتر وطبعته دار صادر ودار بيروت سنة ١٣٧٩هـ ٠

قال أبوعبدالرحمن : هذا في حب أهل التصوف ، وقد تعقبت جنونه وحماقاته في كتابي « هكذا علمني ورد زورث» الذي نشرته مؤسسة تهامة ٠

١٥ - منازل الأحباب ومنازه الألباب ، لشهاب الدين أبي الثناء محمود بن فهد [٧٢٥هـ] ٠

قال ريتر : توجد منه نسخ كثيرة ، وأهمها أيا صوفيا رقم ٤٣٠٧هـ ٠

قال أبوعبدالرحمن : وقد أورد مادته البقاعي في « أسواق العشاق » ٠

١٦ - روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، لابن قيم الجوزية [٧٥١هـ] ٠

طبع بمطبعة الترقي بدمشق سنة ١٣٤٩هـ على نفقة الملك عبدالعزيز رحمه الله ٠

وقد درسه يوسف الشاروني في كتابه « الحب والصداقة » ٠

١٧ - الواضح المبين في ذكرمن استشهد من المحبين ، للحافظ علاء الدين أبي عبدالله مغلطاي [٧٦٢هـ] طبع القسم الأول منه في الهند ، وأورد مادته البقاعي ٠٠ منه نسخة بمكتبة فاتح برقم٤١٤٣ ، وشهيد علي برقم ٢١٦٠ ٠

ولديَّ صورة من هذا الكتاب ، ولعلها تسنح فرصة للتعريف به ٠

١٨ - ديوان الصبابة ، لأحمد ابن أبي حجلة [٧٧٦هـ] طبع بهامش تزيين الأسواق (١٠) ٠

١٩ - روضة التعريف بالحب الشريف ، للسان الدين ابن الخطيب [٧٧٦هـ] ٠

طبع بدار العهد الجديد ، وصدر عن دار الفكر العربي سنة ١٣٨٦هـ ٠

وهو على طريقة أهل التصوف ٠

وله « عمل من طب لمن حب » منه نسخة بمكتبة الأسكوريال ٠

٢٠ - تزيين الأسواق ، لداوود الأنطاكي [١٠٠٨هـ] وقد مضى التعريف بطبعته ٠

---

(١٠) منه نسخ خطية كما في فهرس الأوقاف ببغداد ٣ / ١٨ ؛ وفهرس قاسم الرجب ٣ / ٢٠ و ٢٦ ٠

٢١ – نشوة السكران من صهباء تذكار الغزلان ، لمحمد صديق حسن خان [١٣٠٧هـ] .

طبع بالمطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٣٣٨هـ .

٢٢ – المحب والمحبوب والمشموم والمشروب ، للشاعر السري ابن أحمد الرفاء الموصلي [٣٦٢هـ] .

طبع الجزء الأول ، وهو كتاب« المحبوب» بتحقيق الدكتور حسين الحسني ط م دار الرسالة سنة ١٤٠٢هـ الطبعة الأولى .

وتناول قضية الحب تأريخاً ، أو دراسة واستنباطاً ، أو هما معاً بعض المعاصرين من أمثال : أنيس منصور في كتابه « من أول نظرة » ، وأحمد عبدالستار الجواري في كتابه « الحب العذري نشأته وتطوره » ، والدكتور محمد حسن عبدالله في كتابه « الحب في التراث العربي » ، وإبراهيم عبدالحميد في كتابه « قصص العشاق النثرية في العصر الأموي » ، وصادق جلال العظم في كتابه « في الحب والحب العذري» ، والدكتور محمد غنيمي هلال في كتابه «الحياة العاطفية بين العذرية والصوفية » ، والدكاترة زكي مبارك في كتابه« مصارع العشاق » ، وعبداللطيف شرارة في كتابه « فلسفة الحب عند العرب » ، وموسى سليمان في كتابه « الحب العذري » ، والدكتور مصطفى عبدالواحد في كتابه « دراسة الحب في الأدب العربي » ، ويوسف الشاروني في كتابه « الحب والصداقة » .

ودرس الحب من ناحية فلسفية الدكتور زكريا إبراهيم في كتابه « مشكلة الحب » .

وتُرجمت نصوص أجنبية من أمثال « مائدة أفلاطون » لمحمد لطفي جمعة ، و« الحب والغرب » لديني دي رجمون ترجمة د . عمر شخاشيرو ، و« تاريخ الحب » لمارسيل ننير ترجمة إبراهيم المصري .

ومن الكتب التي نظنها مفقودة كتاب « منية المحبين وبغية العاشقين » للشيخ مرعي بن يوسف [١٠٣٣هـ] .

و« صَبابات المغاني وصُبابات المعاني » .

قال أبوعبدالرحمن : والحب ركن ركين في كتب الأجناس الأدبية والموسوعية ، ودراسات الشعر الغزلي ، وتراجم العشاق ، وقضايا التصوف ، وكتب الفلسفة ، وما كتب في أخبار الجواري والنساء .

وهو أعظم قضايا الشاعر والمغني والقاص والروائي وكاتب النوادر .

* * *

[ولقيــت في حُبِّيْـكِ مـالـم يلقـــه

في حــب لـيـلى قيسهـا المجنـــونُ

لكنني لـم أتَّبِـعْ وحـش الفــــــلا

كفـعــال قيـــس والجنـــون فنـــون

عن مشارق أنوارالقلوب للأنصاري

ص ٩٨]

المدخل الثاني :

عوامٌ الجزيرة وتوليد الأسطورة :

الشعر ديوان العرب لأنهم كانوا أميين ، وكانوا رجال شعر وخطابة ، وكانوا يحفظون الشعر ، ولم يكونوا أهل كتاب ٠

حينئذٍ جعلوا الشعر سجلاً لحياتهم يدونون فيه أخبارهم وخلجاتهم وحكمهم وأمثالهم السيارة ٠

وكل ما يعدّه العربي فضيلة يرد في شعره فخراً أو توصية ٠

وكل ما يعدّه رذيلة يأتي في شعره هجاءً وتعييراً ، أو تنفيراً وتحذيراً ٠

لهذا كان الشعر ديوان العرب ، ولهذا كان العربي يأخذ من الشعر برهانه على أن ذلك الأمر فضيلة أو رذيلة ، ذلك أن الحكمة تلتمس من الشعر دائماً ٠

وكانوا أيضاً يأنسون بالأسطورة لأن شاهدها من الشعر، مثل هذه الأبيات التي رواها الفراء عن النعامة :

مثل النعامة كانت وهي سالمة
أذناء حتى زهاها الحين والجبن
جاءت لتشري قرناً أو تعوضه
والدهر فيه رباح البيع والغبن

فقيـــل أذناك ظلـم ثـمـت اصطلمـت
إلـى الصمـــاخ فـلا قـــرن ولا أذن [1]

وأصحـاب المحـاضرات والرقـائق يؤلفـون كتبهـم ، ويجعلـون براهينهم من القرآن والسنة والشعر وأقوال حكماء الأمم وفلاسفتهم •

وفي عصور الأمية العامية بنجد أصبح العامي يهتدي بالشعر في معرفـة الأخـلاق ، ويهتدي بــه علـى صـدق الأخبـار، فـإذا وجـدت القصة ومعها قصيدة ، فتـلك القصيدة شاهد صحـة ، لأن الشعر إنتاج ثمين وإعجاز موهبـة ، فلا يُتصـور من شاعر أن يقول شعراً يتخلى عنـه لأبطال قصة ينتحلها !! •

وكلما كان الشعر جيداً كـان أدل على صـدق القصـة •

والبرهان الشعري عنـد أهـل المنطق برهان تخييلي لأن الشعراء يضخمون العواطف ، ويغرقون في الخيال ليعذب شعرهـم •

فالمنطق لاحظ الجانب العاطفي والخيالي فـي وصـف برهـان مـا بأنـه شعـري •

ويكـاد يكون الشعر برهاناً حقيقيّاً عنـد العربي بالـذات لأن الشعر ديوان حكمته يـوم كان أميّـــاً •

وعنـد أهـل نجـد أساطير يحوكون بعضها تسمى سباحينَ ، وأكثـر ما يتعلل بها العجائز ،ويستفتحونها بقولهم : سبحان هاك العالي في سماه •

---

(١) مقاييس اللغـة ٢٩٩/٣ •

ولايشكون في أنها كذب ، وفيها شعر نجدي إلا أنه ضعيف ميت •

ومن نماذجها ما ورد بكتاب « أساطير شعبية » للأستاذ عبدالكريم ابن جهيمان •

وهذه السباحين ليست محل عناية هذا البحث إلا ما جاء من باب المقارنة ، لأنها عند المتلقي والسامع معاً من باب الأسطورة •

وإنما موضوع هذه الدراسة الأساطير التي تساق لأشخاص تاريخيين حقيقيين ، وتتناقلها الدهماء على أنها تاريخ حقيقي •

وفي قمة ذلك القصص والأشعار المنسوبة لبني هلال برواية العوام من أهل نجد (٢) •

قال أبوعبدالرحمن: وكل حدث هلالي ، وكل شعر هلالي بعامية أهل نجد ليس له وجود كما هو في التاريخ الحقيقي ، أو الأسطورة المدونة بلهجات البلدان العربية لاسيما لهجة المغرب ، أو الرواية الشفوية في الأقطار الأخرى : فهو صياغة أسطورية نجدية ، ذلك أن مصادر السيرة الهلالية وأدبها محصورة في تواريخ أهل العلم كابن خلدون ، ونسخ الأسطورة المدونة ، والرواية الشفوية المتجددة •

والصياغة النجدية تلتمس مصادرها في التالي :

١ - نص تاريخي محقق •

---

(٢) لي كتاب عن بني هلال الحقيقة وبني هلال الأسطورة غير الكتاب الذي نشر بمشاركتي للدكتور عبدالحليم عويس ، بينت فيه أسطورية الرواية العامية النجدية ، ونشرت ومازلت أنشر بعض مواده بجريدة الجزيرة •

٢ - أسطورة مدونـــة ٠

٣ - روايـة شفويـة أقـدم من الروايــة النجـدية ٠

فيكون الحكواتي النجـدي نقـل التاريخ أو الأسطورة بلهجـة نجدية ، وربما حوّر وزاد ونقص ٠

فإذا عدمت هـذه المصـادر تعيـن أن يكون عمل الحكواتي النجدي محصوراً في التالـي :

أ - ابتداع الحـدث والشعــر ٠

ب - تلفيق عملـه من أشعـار أو أحـداث أو أساطيـر (وإن لـم تكـن هلاليـة) عـن عمـد ٠

جـ - روايـة شعر أو حدث تاريخي أو أسطوري لغير بني هلال على أنـه لبني هـلال عن وهـم وخطأ ، أو اعتقـاد بأن كـل شـعر عامي قـديم هلالي كما يسمي العرب الفصحاء كل قديم عاديّاً نسبة إلى عاد ، ولأن الرواية الهلالية النجدية الشعرية حددت مثـالاً في الأذهان للشـعر الهلالي قافية ووزناً ولغة تقـرب من الفصيح ، فيشتبه الأمر على النـاقل النجدي ، فيحسب كل شعـر بهذه الصفة شعراً هلاليّاً ٠

إن الحكواتي النجدي متعلماً وعامياً يجيـد صنع القصــة وشـاهدها من الشعـر والمثـل ، ويختلـق النكتـــة ٠

وقـد يبتدع كـل ذلـك ابتداعاً كما في أغلب السباحيـن ٠

وقـد يحـوِّر مأثـوره ، ويتصرف فيـه ، ويختلق منـه أسطـورة ٠

ومأثـوره إمـا نقـل ثـابت موثــق مـن شعــر وغـيره ، وإمـا نقــل

موهّن أو مقطوع بكذبــه ، فيولـد الأسطورة مـن الأسـطورة كمعظـم القصص الشعبي والشعر العامي النجدي لسيرة بني هـلال .

ولا يشترط أن يكون المأثور بعيد العهد جدّاً فهذه مويضــي البرازيـة حديثـة العهـد عاصرت الإمــام فيصل بن تركي ، ومحمد بن عبداللــه بن رشيد فصاغ الحكواتي النجدي من شعرها أسطـورة حجول .

وهذا نمر بن عدوان من أعيان آخــر القرن الثـالث عشر الهجري ، فحاك الحكواتي مـن فجيعتـه فـي وضحـاه أسطورة موجزهـا أن نمـراً نفسـه ذبح زوجته وضحاء يحسبها حائفاً ، وساعد على ذلـك أن نمـراً عمق المأساة بشعره الكثير .

قال أحمد شوحان عن هذه الأسطورة: « للعدوان أعداء كثيرون ، ولنمر منهم خاصـة أعداء لا يحصون ، وقد كـان يملـك فرسـاً أصيلـة صنع لها قيـداً من الذهب الخالص وجعل مفتاح القفل لـدى زوجة وضحا لثقته بهـا ومكانتها منـه .

وقد كانت تلك الفـرس أمنيــة كل لـص وفـارس ، ومطمـع كل صعلوك وغازٍ ، لـذا وهب أعداؤه لمـن سرقها من نمر أن يملؤوا خرجها لـه ذهباً ، لذلك كان نمر لاينام إلا وبارودتـه محشوة وجاهزة ومبسوطة بجانب فراشـه خوفاً من مباغتة العدو له أو مداهمة اللصوص داره .

وفــي يـوم مـن الأيـام نسيت وضحـا الفـرس بـلا تــقييد ، وفــي منتصف الليل تذكرت الفرس فقامت من فراش زوجها بهدوء وبــطء ، ثـم ذهبت إلـى الفـرس وأخــذت تدخل يديهـا فـي الـزرد ، وفـي هــذه

الأثناء استيقظ نمـر من نومـه ، فنظرفشاهـد شخصاً ما بين يـدي الفرس ، ولم يفطن لوضحا ، فظن أن لصاً جاء يفك قيدها ليسرقه ، فحمل بارودته وصوبها نحـو الشخص ، ثـم قدح زنادها ، فـانطلقت الحشوة نحو وضحا ، فانقلبت وقالت لـه : لقد قتلتني يا نمـر ٠

قـام نمرمولولاً باكياً نادماً على خطئه ، لكن الندم لم ينفعه إذ ماتـت وضحـا ودفنهـا ٠

لكن نمـراً لم يدفن حبه ووداده معها ، بل جن جنونـه ، واختـل توازن شـعوره ، وطـاش صوابـه ، وعـانى بسـببها مـا عـانى ، ونظـم القصائد الكثيرة حتى قيل : إنـه قد تزوج تسعين امرأة بعد ذلك كل واحدة منهن اسمها وضحا من بنات شيوخ القبائل ، ولم تكـن واحـدة منهن كوضحـا الأولى إن صحت الروايـة !! ٠

وقد تناقل الناس والشعراء كثيراً من شعره ، وكان أبنـاء وادي الفرات والبادية يحفظون هذه الأشعار ويتناقلونها » (٣) ٠

قال أبوعبدالرحمن : لم يذكر الحاتم أسـطورة قـتل نمـر لزوجتـه خطأ ، بل ذكر وفاتها فحسب قضـاء وقـدراً ، وليس فـي شـعر نمـر الصحيح ما يـدل على هذه الأسطورة ، بـل فيها ما ينفيها وهو قوله :

---

(٣) ديوان نمـر ص ١٨ – ١٩ ، وتابعـه إبـراهيم السليمان الطـامي فـي ديوان من الشعر النبطي المختـار ١ / ١٥٦ ٠

قال أبوعبدالرحمن : قصـة الفـرس هـذه مشهورة عند الحكواتيـة بنجـد ، وعليهـا شواهـد شعريـة منسوبـة إلى نمر لا تصـح ٠

البارحة يا عقاب يوم القمر غاب
بليلــة العيــد السعيد الجديــــد
عيد سعيد في ضحى العيد لي طاب
حاضر وناظر في معايد وديــدي(٤)
من عيدنا هذا طفر قلبنا وشـاب
صار أتعس الاعياد يا عقاب عيدي
أمر جرى لي بالمقادير واسباب
غصب عنِي يا عقاب ويش عاد بيدي
محبوبي اللي قد سقاني شهد ذاب
ارياح من فحفاح سوق البريــد (٥)
يا عقاب انا جيت المحلة من غياب
نبهتهم يا عقاب وايا العبيــد (٦)
سايلتهم عن صاحبي وين هو غاب
قال استمع يا نمر ما هو بعيــد
زاير هله يا نمر بالسايح ذيــاب
سريـــع يلفـي والمحبة تزيــد (٧)

---

(٤) في الأصل : بمعايد ٠٠ بضحى العيد ٠٠ والمعنى : طاب لي العيد من أجل حبيبي (وديدي) أحضره وأنظر إليه ٠

(٥) في الأصل : محبوبي اللي انا سقاني شهد أصفا ذاب ٠

(٦) في الأصل : كنت غياب ٠٠ نبهت الخدم ٠

(٧) في الأصل : بسايح ذياب ٠

وانظر دراسات في الفولكلور الأردني ص ١٢٠ و ١٢٢ ٠

وأدركت في قريتي قصصاً ونكتاً تعزى إلى بعض الأفراد ، وهي بفصها ونصها بكتب التراث كـ ((البصائر والذخائر)) التي ذكرت نكتة : ((إن صدقت رؤياك مطرنا بكذا ...)) .

وليست هذه النكت من البدهيات فتقع وقع الخاطر على الخاطر كما يقع الحافر على الحافر .

فتيقنت أن عبدالرحمن السبيعي - رحمه الله - هو الذي قرأها وركبها وأشاعها .

قال أبو عبدالرحمن : ومن الأساطير المركبة على أعيان تاريخيين أسطورة حجول وخروف ، أو حجول وبهلول .

والواقع قبل الأسطورة أن لمويضي البرازية أختاً اسمها بَنًّا ، وقد فخرت بنًّا بزوجها تمدحه وتعرّض برخاوة زوج أختها مويضي فقالت :

شوقي غلب شوقك على هبة الريح
ومحصل فخر الكرم والشجاعة
ركاب شوقي كل يوم مشاويح
وإذا لفى صكوا عليه الجماعة [٧]

يا البيض شومن للرجال المفاليح
لا تقربن راعي الردى والدناعة

فأجابتها أختها مويضي تقول :

ما هو بخافيني رجال الشجاعة
ودي بهم بس المناعير صلفين

---

(٧) ركاب شوقي : شوقي يركب .

أريد مندس بوسط الجماعة

يرعى غنمهم والبهم والبعارين

وإذا نزرته راح قلبه رعاعة

يقول يا هافي الحشا ويش تبغين ؟

وان قلت له هات الحطب قال طاعة

وعجل يجي بالقدر هو والمواعين

لو اضربه مشتدة في كراعه

ما هو يشاكيني ولا الناس دارين (٩)

قال أبوعبدالرحمن : سمعت عن نساء رجاليّات لم يتزوجن ، وأنفن أن يُسْترحلن ٠

وأما مويضي فقد تزوجت ، ولكنها كانت تفد على الأمراء وتسامر الرجال ، وتناظرهم ،وكانت هي ونورة المريحية ممن يفد على محمد ابن رشيد ٠٠ ومويضي صاحبة الحوارمع محمد ابن رشيد حول شارب يُخرج منه وشارب يُجلس عليه ، وقد غلبته ٠

أما الشاعر ابن سبيل فقد غلبها ببيتين أولهما :

ولّي عجوزٍ يا مال الجزّار

شهب ملاغمها من البيدا

ولمويضي وزميلتها أمثال في تاريخنا الفصيح كاللاتي يفدن على معاوية بن أبي سفيان ٠

---

(٩) من البادية ٩٧/٧ ، وانظر شاعرات من البادية ١٩٧/١ – ١٩٨ ، وكنز الأنساب ص ٥١٢ ط ١١ ٠

ومن قصصها في مجلس ابن رشيد أنها غلبت بعض الشعراء عندما طلب ابن رشيد ارتجال أبيات آخرها « آكلـه » !! (١٠) .
فقالت :

ما حليله وليد سرح بالذويد
ما حلا يوم ياتي منداك لـه (١١)
ما حلا رمية الصيد يم الغميل
غافل مادري وين مرماك لـه (١٢)
ما حلا كزة الدين يم العميل
ما تعني عميلك ولا جاك لـه (١٣)
ما حلا لمسة الردف فوق السرير
مع صلاة الفجر مد يمناك لـه (١٤)
يالعتيبي لعبنا وجاك الذيب
كز الرمح مندوبنا جاك لـه

قال أبوعبدالرحمن : الشطر على وزن فاعلن أربع مرات ، وهذا الوزن تأتي عليه بعض ألحان الرد .

قال أبوعبدالرحمن : والزوج الذي يكون في الطاعة يليق بزعامة مويضي .

---

(١٠) في أوراقي الخاصة – ولا أعلم الآن من ناولني تلك الأوراق – أن عتيبياً كان ضيفاً عند موضي ، فوعد بإعطاء رمحه من يقول أبياتاً نهاية كل واحد منها : آكلـه .
(١١) في أوراقي : ما حلالك .. يقبل منداك لـه .
(١٢) الغميل : الأرض المطمئنة ، والشيئ المتراكب بعضه على بعض ، وكل ما حبس نفسه بشيئ فوقه ، والنصي البالي المتراكب .
وفي أوراقي : ما حلا رمية العيس وسط الشعيب
(١٣) في أوراقي : ياتي عميلك .
(١٤) الفنون الشعبية ص ١٩٠ – ١٩١ ، وفي أوراقي :
ما حلا تلة الخيطلي الجديل .. تالي الليل قلطت ..

والأسطورة جاءت مرة بعنوان : حجول وخروف على هذا النحو :

كان حجول خريتاً ، وكان قاسياً على زوجته ، فعيل صبرها وطلبت الطلاق ، ولم يوافق حتى علم منها طموحها إلى أي الرجال ؟ ٠

فاختارت رجلاً اسمه خروف كان راعياً عندهم ، وكان جاهلاً ناقص العقل ٠

فطلقها ورضيت بخروف لفراغه للفراش ، وفراغ قلبه من الأعبــــاء ٠

وجزع حجول أن فضلت عليه خروفاً ، وكان أمير القوم وعقيدهم ٠

وفي إحدى الغزوات ألزم حجول خروفاً بالغزو مع أن الرعاة لا يغـــزون !! ٠

وجعله نائباً عنه في رئاسة القوم !! ٠

ولرداءة تدبيره أمر قومه بإهراق الماء وإفراغ القرب ، لأنهم قريبون من المورد ، إلا أنه ضل الطريق بعد ذلك ، فعرَّض القوم لمهلكـــة ٠

فاقترح حجول أن يرجع خروف إلى أهلهم يخبرهم ، وأعطاه قليلاً من الماء كان قد احتفظ به ٠

فلما وصل إليهن لبسن السواد إحداداً ، وبلَّغهن وصية حجول ، وهي هذا الشعر :

إذا جيـــت اهلنــــا يا خـــروف

قـل العـــرب هلكـوا ظمـــوا

دليلتهـــم وانـــــا حجـــــول

إلـى ما القمـر غشـــاه نـــوا

اصددهــن واوردهــن دحـــول

بلا علامـات ولا رجـوم تسـوًى[1]

فعرفن أنـه مضحوك عليـه ، وحثين على رأسـه التراب ، وعـاد القوم سالمين بقيادة حجول ، فَبُدّل الحداد بأفـراح .

وملأ حجـول قميص خروف من العيش ، وصـب مـن المـرق ، وقـال : يا خروف إن زوجتك تحب هــذا .

فأتى خروف زوجته يخرخر على ساقيه وفخذيـة المرق والزاد ، لكنها لم تبال وكتبـت لحجـول مـا جعلـه ييـأس منهـا ، ثـم ذَكر أبيـات مويضي على قافيتي العين والنون بوصل الهاء في الأولى .

إلا أنـه أوردها مكسرة الوزن غير محققة الرواية ، وهـي تحويـر لأبيات مويضـي الواقعيـة (١٥) .

وأما الأبيات على الفاء والواو فمـن وضـع الحكواتـي ، والشـطر الذي فيـه كلمة خروف شاذ القافيـة ، والأبيات مكسرة .

ووردت برواية أخرى مقاربة إلا أن بطل القصة بهلول وليس خروفاً .

ولـم ترد أبيــات مويضــي البرازيـة ، وإنمـا وردت أبيـات حجـول لبهلول كالتالـي :

---

(١٥) انظـر نزهـة النفس ١/٥٤ - ٥٦ .

دليلهـــا وأنـــا حجـــــــول
الـى مـن القمــر غطـــاه نـــــوا
أوردهــــا علـــى دحــــــــول
لا ضلــع ولا رجـــم مســـــوى
والـــى منـــــك لفيـــت يا بهلــول
فقل ترى القوم في المظمى تلوى(١٦)

قال أبوعبدالرحمن : الأبيـات مختلـة الـوزن ٠

والبهلول معروفة قصصه الفصيحة في الأدب ، وهو في العامية بمعنى المغفَّـــل ٠

ووردت قصة حجول بصيغة ثالثة فقال علي الصفراني : « في إحدى القبائل كان يوجد رجل ثـري أعطاه الله أنواع الخيرات ، ولم ينجب إلا ابناً واحداً اسمه محماس كان لـه عم ، وعنده بنات تزوجت إحداهن محماساً ،فلما توفي والد محماس ورثه في المال والخصال الحميدة ، بل تعداه في خصلة الكرم حتى اشتهر صيته ، وأخذ إذا نـزل هو وعمه أرضاً يسابقهم في نصب خيمته على الطريق ليكون هو الأول في إكرام الضيوف ، ولـم يحدث أن تعداه الضيوف إلى بيت عمه إلا بعدما يكون قد أكرمهم هو أولاً ٠

وفي ليلة شديدة البرودة غزيرة الأمطار ، وبعد عناء لقيه محماس استرخى في الليل وداعب النعاس عيونه فغلبه النوم ٠

---

(١٦) أساطير شعبية ٢/٢٣١ - ٢٤٠ ٠

وفي حالة نومه مرضيوف بالقرب من بيته، وتوجهوا إلى بيت عم محماس الذي أشعل النار، وأخذ صوت النجريدوي عالياً مما جعل محماساً يستيقظ من نومه مذعوراً ، وسأل محماس زوجته التي هي بنت عمه عن الذي عند والدها ، فأخبرته أنهم ضيوف مروا من أمام بيتهم ، وسخرت من محماس بأنه يدري عنهم ، ولكنه تجاهلهم بأنه نائم؟! .

فأسرع محماس إلى بيت عمه ونادى عمه ، وطلب منه بأن لا يسوي القهوة إلا هو من عنده ، فلبى عمه طلبه ، وأخذ محماس يعمل القهوة ، فلما انتهت القهوة وقدمت للضيوف تناول محماس ربابته ، وتمثل بهذه الأبيات :

يا كم سمي للمناعير زلفيت
جوف الصحن بين النشامى تداس
وحسبي عليك الله ان كان عنهم اغضيت
الا بعد عيني دخلها النعاس
لكن روحي طالقة مدور البيت
حلفت ما راسك يواسد لراسي

فلما سمع عمه هذه الأبيات من محماس فهم أن محماساً وزوجته التي هي بنته حصل بينهما خلاف أدى إلى طلاق بنته من محماس ، فقام من فوره إلى محماس ، وأقسم عليه أن يتزوج بنته الثانية فتزوجها (؟ ؟ ؟ !) .

قال أبوعبدالرحمن : أما انتظروا فوات العدة حتى لا يجمع بين الأختين ؟ ! .

أما من جهة زوجة محماس الأولى التي طلقها فقد تزوجت برجل بخيل كان محماس يشتري منه الغنم التي يذبحها لضيوفه ، وفي إحدى الليالي كان عند محماس وليمة كبرى ، فأتى هذا الرجل البخيل يطلب عشاء له ولزوجته ، ولعدم وجود أوانٍ فقد حمل عشاءه في طرف ثوبه ، وأتى إلى زوجته وهو يحمل العشاء في ثوبه ، فسألته من هو الذي أعطاك هذا العشاء ؟ .

فقال : محماس .

فتمثلت بهذه الأبيات التي تمدح بها محماساً ، وتتأسف عما مضى منها ، وتسخر من زوجها البخيل » (١٧) .

ثم ذكر ثلاثة أبيات من قصيدة مويضي على قافيتي العين والنون بوصل الهاء في الأخيرة .

قال أبوعبدالرحمن : قصة محماس وأبياته على التاء والسين مما ضرب تحت المقفزية (١٨) .

ويلاحظ اعتماد الحكواتي على معاني أبيات مويضي ، إذ وجد فيها أوصافاً لزوج له قصة مجهولة بعثها الحكواتي بخياله ، أو كان يعرف واقع القصة المحدود فطول ذيوله بالخيال القصصي .

---

(١٧) من البادية ٨٤/٦ – ٨٥ ، وانظر الكنوز الشعبية ٨٤/٤ – ٨٥ .

(١٨) كان أحد الصاغة الفضلاء الصلحاء يصنع عملة نحاسية متداولة سابقاً نقش عليها ((ضرب في مسقط)) فكان ينقش ((ضرب تحت المقفزية)) ، وهي نخلة في حوش داره ، فانطلت على الخاصة أشهراً .
وإنما أراد المزاح والتنكيت ، لا تزوير العملة .

والحكواتي الثاني يسمع بأسطورة الحكواتي الأول فيحوّر الأسطورة وكأنه يقول: ذلك المحكي أسطورة ، وأما الحقيقة فهي حكايتي هذه ٠

قال أبوعبدالرحمن : وحاول الضويحي أن يجر الأسطورة إلى الواقع فقال : « حجول من شجعان الرجال ومن أعرف الناس بالطرق حتى ضرب به المثل فقيل فلان حجول ، ويقول حجول عن نفسه :

دليلتهم وانا حجول
لا غطا المرقاب نوا
أصدرهم وأوردهم دحول
بلا علامة أو رجم مسوى

وكان ابن رشيد لا يرحل إلا وهو معه ، وكانت مويضي زوجة حجول فلم يكن ملتفتاً إلى ما تريده النساء ، وكانت جميلة وصاحبة لسان ، فترافعت هي وحجول الذي أبى أن يطلقها إلى أحد الأشخاص ، فذكر حجول أنه لم ينقص عليها من اللبن والتمر والسمن والبرشيئ ، فلما انتهى أجابته :

حتيش لو حطيت فتخة وباكور
مع جوخة تكسي قطاة العبية
اقطك وسمنك كنه الشري ممرور
لا طاب مقلوعك فعوّد عليه

ثم طلقها بعد ذلك حيث تأكد عدم رغبتها فيه ، فتزوجت بعده ابن عمها واسمه خروف فأشبع رغبتها وارتاحت معه ٠

قالوا : وكان مغفلاً فلم ينقص حبه عند مويضي ، وتذكرت حجولاً» ٠

ثم ذكر الضويحي أبيات مويضي على قافيتي العين والنون بوصل الهاء في الأولى (١٩) .

قال أبوعبدالرحمن : أما ضرب المثل بحجول في معرفة الطرق والمجاهل فلا أعلمه .

وأما البيتان على قافيتي الراء والياء بوصل الهاء فحري أنهما صحيحان حقيقيان .

وحري أن تكون المرافعة صحيحة أيضاً .

وأما بيتا حجول ، وتسمية الزوجين حجولاً وخروفاً فحري أن يكون ذلك مأخوذاً من الأسطورة .

وكما يحور الحكواتي النجدي الواقع إلى أسطورة : يضيف إلى الأسطورة أسطورة كما في قصتي بشر وعزيز ابن خال أبي زيد الهلالي اللتين ذكرهما سويلم العلي السهلي بقوله :

وطرد الهوى ما فيه منقود اَذْراه
من دور بشر ليا عزيز ابن خاله
بشر من الزهاد وادنت منايـــاه
وعزيز ذاق الموت باسباب خاله

أما قصة بشر فتأتي - إن شاء الله - في الحديث عن عشاق يموتون بشهقة في **الفصل الأول من الباب الثالث** .

---

(١٩) الفنون الشعبية ص ١٢٨ - ١٢٩ .

وأما قصة عزيز فأصلها الأسطورة الهلالية التي دونت بعد ابن خلدون ، حيث ذكرت أن أبازيد حن إلى علياء بنجد بعدقتل الزناتي خليفة، فأبى قومه مرافقته من المغرب إلى نجد سوى ابن أخته عزيز .

قالت الأسطورة : « فحينئذٍ قام الأمير عزيز القوم وفارس وحامي الميدان الذي شهد له الأقران بالحرب في بطايق الجولان ، وهو ابن خالد بن شيحا أخت أبو زيد .. وأبوه قتل في مصر بتغريبة بني هلال بواقعة الملك فرمند ، ورُبِّي عند أمه في حمى أبو زيد حتى اشتدت أوصاله ، وراقت أحواله فصار فارساً عظيماً هابته الفرسان في الحرب والطعان .

وكان ابن سبع عشرة سنة أمرد لانبات بعارضيه ، وكان يضع برقعاً على وجهه خوفاً من النساء تَطْرحُ من حسنه .

فتقدم أبو زيد وقال له يا خال أنا رفيقك لنجد ، وكذلك يونس قال أنا معك يا عم لنجد .

ففرح أبو زيد واستبشر وأيقن ببلوغ الوطن وفي ثاني الأيام ودعوا أهاليهم وجدُّوا في قطع الروابي والآكام مسافة تسعين يوماً ، وفي اليوم الحادي والتسعين وصلوا الصحراء وأرضاً قفرة خالية من الماء فحرقهم الظمأ من شدة الحر في ذلك البر .

ففي اليوم الثاني نظروا من بُعدٍ بئرَ ماءٍ له علامة بتلك البيد ، فقصد يونس ووجد دلواً وحبلاً على جنب البير وأراد صعوده فانقطع وسد البير ، فهمّ عزيز القوم بالنزول فمنعه أبوزيد

وقال له : هذا بئر مملوء من الحشرات المؤذية فدعونا نسير إلى أن يفرجها الله تعالى ٠

فقال يونس : لابد من النزول إلى البئر لأني صرت على تلف من كثرة العطش ٠

فقال أبو زيد : إن الروح ما هي حشيش(٢٠) حتى يتلف موضعها ، والحشرات المؤذية لا يعرفن لا أميراً ولا سلطاناً ٠

فقال يونس : دعك من هذا الكلام ما أحد ينزل إلا أنا ولو أشرب كأس الحمام ٠

فقال له أبو زيد : افعل مرادك فحينئذٍ أخذ الحبل ونزل إلى البير ، فلأجل نفوذ القضاء والقدر راح الدلو وهم بالصعود ، فخرج عليه من جانب البئر ثعبان أزرق اللون شنيع المنظر وضربه بفخذه ، فلما استحس يونس بضربة الثعبان غاب عن الوجود ، وزعق بصوت ارتج منه ذلك المكان ، فغاب الثعبان عن عيونه ، وكان أبو زيد واقفاً على جانب البئر ، فقال : مالك يا يونس ، وما جرى عليك ؟ ٠

فقال له : لدغني ثعبان في هذا المكان ، فحينئذٍ نهض لخارج البئر وحس أن قلبه قد احترق بنار السعير ، وشكا حاله لأبو زيد وعزيز ، فنزلت دموعهم حرقة عليه » (٢١) ٠

---

(٢٠) من أمثال العامة بمدينة شقراء التي يتندر بها أهل القرى المجاورة : العمر ما هو بقتة يحصد ثم ينبت ! ٠

(٢١) تغريبة بني هلال ص ٣٢٩ - ٣٣٠ ٠

ثم ذكرت قصيدة أبوزيد في هذه المناسبة ، وذكرت أن وصولهم إلى مضارب عليا صادف زواجها من نوفل فارس الجعبر ، وذكرت أنها بنت حسن الجعبري وزوجها السابق أبوزيد زحلان دريدي ٠

واتفق أبو زيد مع عجوز على أن تُلْبِس عزيزاً ثياب بنتها ليصل إلى عليا فيخبرها بقدوم فارس أحلامها ٠

فذهبت عليا مع العجوز إلى أبوزيد ، وجلس عزيز مكان علياء ٠

قالت الأسطورة : « وأما ما كان من عزيز فإنهم بعد ذهابهم أخذ يستنظر قدوم العريس وبينما هو يفكر بهذه الأفكار إذ دخل عليه الأمير نوفل ولاقاه وأخذ يكلمه وجلس بجانبه ومد يده إليها فنفرت منه وقالت : ليست هذه أفعال العرب يا قليل الأدب ٠

فقال ما هذا السبب حتى تبادريني بهذا الكلام يا نخبة العرب الكرام ؟ ٠

فقالت له : اعلم أن العروس لها على العريس نقوط ، وأنا اليوم الذي أخذني أبوزيد أعطاني ألف دينار وأنت تكون أميراً وابن أمير ٠ ويا حيف أبخل من تنجير [٢٢] ٠

فلما سمع منها ذلك صار الضياء في وجهه كالظلام ، وقفز واقفاً على الأقدام ، وأراد أن يضربها بالحسام ، فقامت العروس ومسكت العريس ورفعته على زندها وضربت به الأرض ، وكادت تدخل طوله بالعرض ، وأوثقته بالحبال ، وربطته بالعمود تقتضي الوبال ٠

---

(٢٢) لعل الأصل « طنقير » وهو العبد ٠

وهو يذوق العذاب الأليم إلى أن أصبح الصباح العليم ، فأطلقت سبيله ودام على هذه الحال يأتي الظلام طمعاً بالوصول ، ولا اطّلع أحد على أمره إلى اليوم الرابع » (٢٣) ٠

وبقية القصة تذكرها قصيدة عزيز ٠ قال :

« يقول الفتى عزيز ما جرى

له ودموع عيني زايدت سكايب

ونيران قلبي كلما أقول تنطفي

يزيد لها جوا الضلوع لهايب

من الغرب قد جينا حقيقا بلا خفا

لنجد العذية طالبين المكاسب

فقدنا الفتى يونس وكان رفيقنا

من بعده ما أظن نبلغ مآرب

وأتينا إلى نجد العذية وأرضها

وجدنا بها الأفراح من كل جانب

وقالوا عرساً دايراً في بلادنا

عروس الأمير نوفل من القرايب

فقلنا من هي العروس واسمها

قالوا عليا راخيات الذوائب

---

(٢٣) التغريبة ص ٣٣١ - ٣٣٢ ٠

لما سمع أبو زيـد القول أضـرب

وعـادت في قلبـه يزيد لهايـب

لبست مثـل عليـا وذهبت لعندهـا

وعرّفتـها بحالـي كـل الطلايـب

فلمـا عرفتني بسرعـة قـد أتـت

لعنـد الأسمـر شيـخ العرايـب

ولبسـت ملبوسهـا بلا خفـا

وتزاينـت بزينـات ام العصايـب

أتانـي نوفـل عنـد مغرب الضحى

يريد وصالـي كالنسـا يـا عرايـب

ربطتـه على العامود وحدي بهمتي

ودعيتـه للصبـح يقضـي العذايـب

وفي ثـاني الأيـام أتـاني بلا خفـا

فادعيته على الأرض مرمي غايب

وفي رابـع الأيـام اتـاني على ثقـا

ضربني بشيش الدم يا ابن الحسايب

ضـربني فياليـت أنـا ضربتـه

ثني، علي بشيـش مـن السـم دايـب

جـرح القديم يا خالي ضامني (م)

جرح الجديد يشد عليك العصايب

وقد اخبرتك يا هـــلال سلامـــة

هيـا بنـا نرجـع لأرض المغـارب»(٢٤)

وفي طريقهم مات عزيز من السم،وقال قصيدة قبيل موته منها :

« وان سألـوك يـا خالـي قـول لهـم

غدا رهيـن المـوت تحـت الترايـب»(٢٥)

أما الحكواتي النجدي فيذكر أن بين أبيزيد وعلياء حبّاً وحرماناً بسبب بُعْدِ الديار، وبسبب أن المتحابين المشهور أمر حبهما لايقترنـان بالزواج في عرف العـرب .

فزوجت من غير ابن عمها فاستطاع أبو زيـد بمعاونـة مـن ابـن أختـه عزيز الذي حضر الزفاف فـي زي امـرأة أن يلتقـي مـع حبيبتـه ويفضي أحدهما إلى الآخر بشجونه في عفة وصيانة .

واستطاع عزيـز أيضـاً أن يجلـس فـي فـراش عليـا كأنـــه هــي فصارع الزوج ودرأ عن نفسـه . قال الأستاذ أبو سهيل عبدالكريم ابن جهيمان : « أما ما كـان مـن عزيـز مـع زوج عليـا فقـد دخـل الـزوج وحاول مع الزوجة بمختلف الوسائل أن ينال منها ما يريـد الرجل مـن المرأة ولكنه لم يستطع ، لأنـه وجد أمامه قريناً قويـاً لا تليـن لــه قنـاة ولا يفتر لـه عـزم ، وصارع الزوج وبـذل كـل مـا يسـتطيعه مـن قـوة ولكنـه لـم يفـز بطائـل .

---

(٢٤) التغريبـة ص ٣٣٣ .
(٢٥) التغريبـة ص ٣٣٥ .

فلما فتر عزمه وخارت قواه خرج من الغرفة كأنه سيقضي حاجة .

ووجد عجوزاً من أقاربه وشرح لها الوضع وأخبرها عن ظنه بأن الذي أمامه رجل لا امرأة وسألها عن الحل .

فقالت له العجوز : اقطع واحدة من جدائل شعرها واجرحها مع كفها الأيمن ، فإن كانت أنثى لم يضرها ذلك ، وإن كانت رجلاً مات من هذه الجرح ، لأن عرق الأكحل المميت يكون موجوداً في اليد اليسرى من المرأة وفي اليد اليمنى من الرجل .

وهكذا حصل ، فقد رجع الزوج المقهور وقطع إحدى خصل شعرها ، وجرحها في يدها اليمنى مع عرق الأكحل أو الشريان المميت ثم انتحى جانباً ونام .

وجاءت عليا مع طريقها الذي سلكته في رواحها وتسللت إلى أن دخلت على عزيز فقام معها وأخبرها بما جرى ، وقال لها ليس أمامنا إلا أن نقطع إحدى خصل شعرك ، وأن نجرحك في يدك اليمنى حتى لا ينكشف أمرنا ، وقال شعراً :

مدي يمينك يا مليحة نجرحه
من خوفتي تزري علينا القرايب

ومدي الجديلة يا عزيزة نقطعه
لا ينكشف من سرنا كل جانب

لا هوب بغض لك ولا مكرهية
لكننا ندرا حكايا الزلايب

فمدت عليا يدها فجرحها في يدها اليمنى ، وأخذ خصلة من شعرها فقطعها •

ولبس عزيز ثياب الرجال وربط جرحه الذي كان ينزف دماً وذهب مسرعاً إلى خاله فشدوا الرحال متوجهين إلى أهلهم بعد أن بلغوا كل ما أرادوه وفوق ما أرادوه فقد حصل اللقاء ، وأفضى كل من الحبيبين بما في نفسه إلى حبيبه ، وصار الوعد والعهد على أن العقبى لهما ، ولم يبق إلاأن يُجِدُّوا في السيرليصلوا إلى أهلهم سالمين ، ودهش أبو زيد بضروب الصبروالشجاعة والرأي الأصيل التي تتجلى في ابن اخته الشاب » (٢٦) •

وتمضي القصة إلى أن أبازيد خاف من منافسة عزيز له ، وأنه احتال عليه لينزل بئراً ليسقيا قربهما ، وأنه كان يرشق عليه الماء متظاهراً بأنه من غيرقصد ليبتل جرحه ، وأن عزيزاً أمر بأن يُحْفَر له قبر وكتب وصيته بهذا الشعر :

أوصي على غر غرير من الصبا

يلعب مع الصبيان وابوه غايب

أحذرك أنا يا خال عن ضربة العصا

أو نزرة تدعي قليبه حطايب

---

(٢٦) أساطير شعبية ١/١٨٦ – ١٨٨ •

وقولوا لبنت أمي تغطى١ وتستحي

لا جوا لها الوراث فوق النجايب

وقولوا لبنت العم ترحل لأهلها

حرم عليها اليوم شوف الحبايب

فلما انتهى هذا الكلام أسلم الروح لبارئها ، وكان كل شيئ جاهزاً فغسله خاله وطيبه وكفنه ثم دفنه فلما سوى التراب على قبره رشه بماء قربته ثم وضع على القبر فتخة عزيز وجوخته وعقر راحلته عند قبره ، وذلك لأنهم يعتقدون أن الإنسان إذا بعث بعثت معه هذه الأشياء فيستعملها في ذهابه إلى المحشر، وعندما أتم هذه الأمور أنشد شعراً :

دفقت على قبر الهلالي قربته

وما ماها غدا يسيح من كل جانب

وحطيت على قبر الهلالي جوخته

وتركتها تذري عليها الهبايب

وحطيت على قبر الهلالي فتخته

في موقع يشوفها كل صاحب

وعقرت على قبر الهلالي بكرته

وخليتها تعتب حوالي النصايب (٢٧)

---

(٢٧) أساطير شعبية ١/١٨٩ - ١٩٠ .

قال أبوعبدالرحمن : تميز الحكواتي النجدي بجودة الشعر ، وجعل أبا زيد سبباً مباشراً في موت عزيز غيرة منه ، وجعل أبا زيد وعلياء عشيقين لا زوجين ، وجعل أبا زيد يرحل وحده لم تصحبه علياء ولم يحسم قصتها مع زوجها نوفل •

قال أبوعبدالرحمن : وأبو زيد (سواء أكان واقعاً أم أسطورة) فهو من رجال التغريبة ، وأهل التغريبة عرب فصحاء لم يفسد شعرهم فيكون نظماً بالعامية ، وعهدهم وقت التغربة بنجد بعيد جدّاً فليس لهم بها علاقة بحبيبةٍ يسمح سنها أن تكون معشوقة ، ولم يعد أحد من عامة أهل التغربة إلى نجد فضلاً عن قادتهم ، وإذن فالقصة أسطورة •

ومن أصداء المأثور الشعبي - واقعاً أو أسطورة - في القصص النجدي ما ذكر في الكتاب المنسوب خطأً لابن المجاور الدمشقي عن قصة سقاء استنقذه فارس عربي بعد جوع وهلكة وأنزله عنده في بيت شعر ، فصار الفارس يغدو للصيد والسقاء تحت رعاية الزوجة أياماً •

فلما صح السقاء وتعافى راود المرأة عن نفسها وقدنهته مراراً ، فلما لم يرتدع أدارت كتافه وشدته في جوار كلب عندها •

واستشهد ابن المجاور لذلك ببيتين من الشعر لم ينسبهما لأحد ، وهما :

ففيهن من تسوى ثمانين بكرة

وفيهن من تسوى عقال بعير

وفيهن من لا بيض الله وجههـــا

إذا قعدت بين النســـاء بزيــــــر(٢٨)

فهذا شعـر على بحر الطويـل ، والعاميـة في كلمـــة واحـدة هـي « تسـوى » بمعنى تساوي •

بيـد أن البيتين اليوم من قصيدة عاميـة طويلـة تنسب لدليـان (٢٩)

---

(٢٨) تاريخ المستبصر ص ٢٢٥-٢٢٧ والكتاب لمؤلف لايزال مجهولاً اسمه وعصره ، وإنما عرف أنـه ابن" لمحمد بن مسعود بن علي بن أحمدبن المجاور البغدادي النيسابوري ، وأنـه عاش في حضرموت ، (ويحتمل أنـه من رجال القرن العاشر) • ونسب الكتاب لأبي الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد بن المجاور الشيباني الدمشقي المتوفى سنة ٦٩٠ هـ •
وليس لـه بيقين وإنما كان ينقل عنـه •
وقد كتبت عنه في السفر السابع من كتابي ديوان الشعر العامي ، وذكرت مافيـه من أدب العامة وأسمارهم •

(٢٩) أوردها ابن خميس في كتابه من القائل ٣/٥١٤ - ٥١٥ وسماه عبد الغالبيات سالم ومطلعها :

يقول عبد الغالبيـــات ســالـــم

ينـود ومـن غر النعـاس ينـــود

والشطر الأول منكسر ، ويستقيم بتصغير العبد إلى عبيد •

وفي بعض الروايات « الدغلبيات » ويستقيم الوزن بها وبالغالبيات معاً •

وأورد منها الصقري بيتين في كتابه نوادر الأشعار ص١٦٥ولم ينسبهما لقائل :

وفي أوراقي ولا أدري عمن كتبتـه : ورد أول بيت هكذا :

يقـول دليـــان عبد الفاضلـــي

أول ما لمس الوشـــام بعـــــود

==

عبد ابن فاضل ، إلا أنها بقافية الدال أرويها عن الشيخ منديل الفهيد هكذا :

وايق على الما يا مشيط بن فاضل
عسى على الما يا مشيط ورود (٣٠)

عليه بنات البدو يلعبن حوله
وينسفن في وسط الغدير جعود (٣١)

== قال أبوعبدالرحمن : يستقيم بضم لام يقول ، وتنوين دليان ، وتصغير عبد ، وإدخال باء الجر على أول وكسر اللام منها ٠

وعند ابن خميس زيادة :

اخذت في عمري ثمانين راجع
وثمانين ما قلب لهن نهود

والبيت مختل الوزن ، ويستقيم بقوله :

أخذت على عمري ٠

أو مدى عمري ٠

وثمانين في الشطر الثاني بلا واو ٠

وقلب بتشديد اللام ، وتشديد نون لهن ٠

وفي أوراقي : « وعشرين ما قلب لهن » ٠

وبعد هذا البيت عند ابن خميس البيت الذي سيأتي :

يا عم واثر البيض فيهن تنافل ٠

(٣٠) لم يرد هذا البيت عند ابن خميس ٠

ويستقيم بواو العطف هكذا : « ووايق »، ويستقيم بدونها عند من يصحح الثلم ٠

وبإبدال « عسى » بـ « لعل »، وبتنوين طاء مشيط في الشطر الثاني ٠

(٣١) لم يرد عند ابن خميس ، ويستقيم وزنه بنطق عربي بتحريك هاء عليه ، وتحريك واو البدو ، وتسكين باء يلعبن مع تحريك النون ، وحذف الواو من ينسفن مع تشديد سينها ٠

ولا درى ان العبد في جذع سدرة

مضف على راسه ذوابة عود (٣٢)

لكن راس العبد بين نهودها

جناح غراب في سنام قعود (٣٣)

يا عم واثر البيض فيهن تتافل

كما الخيل فيها سبق وقعود (٣٤)

فيهن من تسوى ثمانين بكرة

وفيهن من ترخص بقيد قعود (٣٥)

---

(٣٢) لم يرد عند ابن خميس ويستقيم هكذا :
(ولم يدر أن العبد ٠٠ ٠٠) بتشديد فاء مضف ، وتسكين هاء راسه ، وتحريك تاء ذوابة ٠

(٣٣) لم يرد عند ابن خميس ، ولم يأذن لي الشيخ منديل في روايته ، وإنما نسخته من أوراقه ٠
ويستقيم الوزن هكذا :
كأن رويس العبد ٠٠٠ إلخ ٠

(٣٤) يستقيم بواو قبل (يا عم) وتشديد باء سبق وتنوين قافها ٠
وعند ابن خميس :
يا عم واثر العذارى نفايل
عواتق جميلات وبيض خدود
والشطر الأول منكسر ٠

(٣٥) يستقيم هكذا :
ففيهن من ٠٠٠ إلخ ٠

==

وفيهن من تضوي ويضوي العنـــا
وفيهن من تنحى العنـــــا بعــود (٣٦)

وفيهن جنـــات تداعج نهورهـــا
وفيهـن نيـران بغيــــر وقـــود (٣٧)

== وعند ابن خميس :
منهن من تسوى ثمانيـن بكـــرة
ومنهــن من تســوى عقــال قعـود
وعند الصقــري كرواية ابن خميس في الشطر الأول ، وكرواية منديل في الشطر الثاني ، إلا أنه قال : ومنهن ٠

(٣٦) عند ابن خميس :
ومنهن من تضوي ويضوي لها الغنى
ومنهــن مـن تنحى الغـنى بعـــود
فمن ناحية المعنى فهما روايتان متساويتان من ناحية الترجيح ٠
ومن ناحية الوزن فرواية ابن خميس أصــح ٠

(٣٧) ورواه ابن خميس والصقري ٠
وعند ابن خميس زيادة هذين البيتين :
ومنهن من هي هـرّة مستهـــــرة
كنـه هـزيـر النـار بالوقـــــود
ومنهن من تاكـل الصـاع مثنـي
كبيـرة جنـوب وبالمقام تتـــــود
والشطر الثاني من البيت الأول منكسر، ويستقيم هكذا : كأن هـريرالماء عند الوقود ٠
ويستقيم البيت الثاني بتشديد نون مثنى وفتحها ، وتسكن تاء كبيرة وتحول إلى تاء مفتوحة ، وتحذف الواو من كلمة (وبالمقام) ٠

ومنهـا :

عيالـي مـع البـدو عرفـت وسمهـم
ثمانين بكـرة واربعيـــن قعـــود (٣٨)

عيـالي لا بانـوا عرفنـا اشباههـــم
عيالـي قطمـان الخشـــوم فهـود (٣٩)

وكـم واحـد يعـزل ابـوه وهـو لنـا
عليـه الليالـي المظلمـات شهـــود

قال أبوعبدالرحمن : وفي روايــة :

« جنــاح غـراب فوق راس سنـود » ·

وأظن أن الشيخ إبراهيم العثمان حدثني بأنها للغاضري عبد بنـي غاضـرة ·

قال أبوعبدالرحمن : لا نعرف من هـو الغاضري ، ولا من هــو عبد ابن فاضل ، ولا من هـو مشيط بن فاضــل ·

ولا نعلم عن الحادثــة شيئا إلا مـا يتمثـله السـامع استنباطا مـن القصيدة ·

وإنما المحتمل أن القصيدة من الأدب الشفهي المتوارث ، وأنها من الأدب النجدي قبل القرن السابع الهجري ، وأن مؤلف الكتاب المنسوب لابن المجاور الدمشـقي سـمع هـذا الأدب العـامي الشـفهي فـدون منـه بيتيـن لأجـل الشـاهد ، وأن الرواية في نجـد حورت وبدلت وأخلت بالوزن ، وأن كل رواية

---

(٣٨) هـذا البيت وجميع ما بعده لم يرد عند ابن خميس ، وهـو من الشعر الداعر ولم يأذن لي الشيخ منديل بروايته ·· ثم نشـر القصيـدة بالجـزء السابـع من كتابـه ص ٦٠ - ٦١ ·
ويستقيم الوزن بجمع كلمـة الوسـم هكذا : وسـومهم ·
وفي أوراقي : يـا غـول يا ملقح ثـمانين بكـرة ·

(٣٩) يستقيم هكذا : الى بانوا ··· شبوههم ··· أقاطيم الخشوم ·
وفي أوراقي : فتخـان قطمـان الخشوم فهـود ·

على بحر الطويل (أو يَسْهُلُ تحوير نطقها إلى البحر الطويل) هي الأصح ٠

ويحتمل أن بيتي ابن المجاور على الراء من الأدب الشعبي الشفهي في عهده ، ثم اقتبس شاعر نجدي عامي أحد البيتين في قصيدته الدالية ٠

وورد في روايات القصيدة أن الشاعر من عبيد آل غالب ، وفي رواية أنه من عبيد غاضرة ٠

ووجد في التاريخ ما يجمع بين غاضرة وغالب ، وهو أن غاضرة حي من بني غالب بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن (٤٠) ولا يعلم في عصور العامية قبيلة باسم غاضرة ٠

وهذا يؤكد أن القصيدة عامية في عصور الفصحى تنطق نطقاً

---

(٤٠) انظر عن القبائل المسماة غاضرة معجم قبائل العرب لكحالة ٨٧٤/٣ ، وانظر قصة عبد الدغالبة بسياق آخر في كتاب السير والملاحم الشعبية العربية ص ٨٢ – ٨٩ وسماه عبيد الغالبة ٠
وفي القرن الثاني وجد علم غاضري لفقت حوله أساطير ٠٠ قال الأستاذ عبدالسلام محمد هارون في تعليقه على الحيوان للجاحظ ٢٤١/٥-٢٤٢ : الغاضري من أصحاب الفكاهة والنادرة لا يعرف إلا بهذا الاسم ٠٠ وفي الأغاني ١٠١/١٧ : « كان الغاضري لقيطاً منبوذاً لا يعرف له أب » ٠
وفيها : « كان الغاضري مندر أهل المدينة » ٠٠ أي الذي يطرفهم بالنوادر ٠
وكان معاصراً لأشعب الطماع أحد أبطال الفكاهة ، وكانت بينهما في ذلك الفن منافسة شديدة ٠ وقد مات أشعب سنة أربع وخمسين ومئة كما في الأغاني ٨٣/١٧ ٠
وفي عيون الأخبار ٥٢/٢ : « أبو حاتم : عن الأصمعي : عن نافع قال : كان الغاضري من أحمق الناس ، فقيل له : ما حمقه ٠
قال : قال لي مرة : البحر من حفرة ؟ ٠٠ وها حفر فأين نبيثته ؟ ٠٠ أترى أمير المؤمنين يقدر على أن يحفر مثله في ثلاثة أيام ؟ » ٠
وقد صنع في أخباره كتاب من كتب أحاديث البطالين ، لا يعرف من ألفه ٠٠ انظر ابن النديم ٤٣٥ وانظر بعض أخباره في البخلاء ١٧٧ ، والأغاني ١٣٢/٥ وأمالي القالي ٢ : ٢٤٢ ٠

فصيحاً يقيم وزنها على البحر الطويل ، ويكون جمهور العامية في اللحن من ناحية الإعراب نحواً ، وتقل العامية في المفردة .

وعلى هذا يكون الدغلبيات تحريفاً للغالبيات ، ويكون التعبير بالغالبيات والغاضريات من باب التناوب في التعبير عن معنى واحد لأن الغاضري غالبي ، ولأن الغالبي غاضري بدلالة الكل على الجزء ، أو الانتساب للجد الأبعد .

وكون اسمه سالماً لا يمنع من كون دليان لقباً له .

وفي كتاب « السير والملاحم الشعبية العربية » لشوقي عبدالحكيم قصة وشعر عبدالغالبة بسياق آخر على أنه ملك من الملوك وأن قصته من الفولكلور الروسي .

وله أيضاً قصيدة حائية أملاها على الشيخ منديل ، ونقلتها أيضاً من أوراقه .

وأوردها الضويحي في كتابه (٤١) وسماه سالماً عبدالدغالبة ، وخصص بأنه عبدُ كبيرِهم ، ووصفه بالذكاء والحنكة وشدة البأس والحيافة (سرقة الخيل) وأنه يبيعها بدون علم عمه .

وأنه في إحدى حيافاته اختبأ في العشب فرأى بنتاً جميلة تغتسل فوصفها لعمه (مولاه) بالقصيدة المذكورة .

أما الشيخ منديل فيرى أن البنت بنت لعمه ، أو زوجة ، أو قريبة له .

---

(٤١) أوردها ابن يحيى في لباب الأفكار ١/١٢٢ ، ووردت في الفنون الشعبية ص ١٣٣ – ١٣٤ ، وأورد منها ابن خميس أربعة أبيات في كتابه من القائل ٤/ ٢٦٥ .

وهذا هو نص القصيدة :

يقـول عبـد الغالبيـات سالـــــــم

اكنهـا بالصـــــدر ثـم تبــاح(٤٢)

تبـاح علـى مثـل المهـا عامريـــة

خدلجـة حشـو الثـياب رجـــاح(٤٣)

حبلـت لهـا بالعقــل انــا ومحمــد

شريـق ولا اوريـت لها جنــاح

ويردن من المظمى ويصدرن كالقطا

وياطــن وعــور والـدروب سماح

---

(٤٢) هذه روايـة منديل وهـي روايـة ابن يحيى إلا أنـه قال : مـلاح ٠
وسماه عبد الغالبيـات سـالـم ٠
وعنـد الضويحي :
يقـول عبـد الدغلبيــات سالــم
يكنـه على ما في الضمير ثم يبـاح
وهكذا ورد عند ابن خميس إلا أنـه قال: الغالبيات ٠٠الضميريباح -بدون ثم- ٠
وعند ابن يحيى : عبد الغالبيات يكن ما بالصـدر ثم ٠
والـوزن منكسـر إلا في روايـة ابن خميـس ٠
ويجوز في الظن أن يقال : لم يجد الضويحي فـي قبـائل جيلـه النجديـة قبيلـة باسم غاضرة أو غالب فجاء بالدغلبيات لقربها رسماً ونطقاً من الغالبيـات ٠
قال أبوعبدالرحمن : بيد أن الأسطورة التي استجد العلم بهـا مـن كتـاب السير والملاحم لشوقي عبدالحكيم بينت أنه عبد الغالبة، فبان أن لنطق العامة فـي نجد أصلاً أسطوريّاً ٠

(٤٣) هـذه روايـة منديـل والضويحي إلا أن الضويحي قـال :
يكنـه على مثــل ٠٠ الثـياب مـــلاح ٠
وفي أوراقي : اكنهـا لمثـل المهـــا ٠

الا يـا عـم ليتـني تحتهـن يا طنني
لـو كنت بيـن اقـدامهـن رمـاح(٤٤)
ساقيـن سـاق الله عـزا مـن يلومني
دراريـج مـوز هزهـن ريـاح(٤٥)
وفخذين يـوم تجلـي السراويل عنهـا
كمـا تجلى عـن بعض الزبـار رياح(٤٦)
وردفيـن كالحزقيـن في بيـت تاجـر
يبيـع غلا ما هـو يبيـع سمـاح(٤٧)

---

(٤٤) هـذا البيـت والبيتان اللـذان مـن قبلـه مما تفـرد بـه ابن يحيـى ٠
والبيـت منكسـر
(٤٥) هـذه إحـدى روايات منديـل ٠
وفـي أوراق لـه أخـرى هكـذا :
سـاقيـن سـاق عـزا من يلومنـي ٠
وعنـد ابن يحيـى : لام اللـه ٠
وفي أوراقي : واعزي لمـن هـو يلـوم دراج ٠
وعنـد ابن ضويحي : سـاق اللـه عـزي ٠
ويستـقيـم البيـت بإضافـة واو أول البيـت : « وسـاقيـن » وتشـديد النـون مـن « هـزهـن » ٠
(٤٦) تفـرد بـه ابن يحيى ٠
وهـو مختـل الـوزن ٠
(٤٧) هـذه روايـة منديـل في موضـع إلا أن القـاف المثـنـاة كتبت فاء موحـدة ٠
وفي موضـع آخـر : وردت بالـراء المهملـة والفـاء الموحـدة ٠
وفي الشطـر الثـاني : ما قـط بـاع سمـاح ٠ ==

نـــوب ينشــرهـا ونـــوب يكنهـــــا
وبيعــه غلا مـا قــد بـــاع سمـاح(٤٨)

نهديــن كالرمانتيـــن بصــــــــدره
مـا مـز ثمرهـــن الجنيـن وصـاح(٤٩)

== وكلتـا الروايتيـن مستقيمتـا الـوزن بإيــراد واو العطف قبل فخذيـن •

وعنـد الضويحي وابن خميس :

وفخذيـن تتجـال السراويل عنهـــا
كما انجال عن بعض الزبارتين رياح

والشطـر الأخيـر منكســر •

وعند ابن يحيى وردت حزقين بالفاء ، وورد الشطر الثـاني هكـذا : ينشرها للبيع كـل صبــاح •

وكل من سوى ابن يحيى ورد عنـده : فخذين – بـدل ردفيـن – •

وفي أوراقي : يبيع بالغالي ما هـو بيـع ، والحزقين سلك الحريـر •

(٤٨) تفــرد بــه ابـن يحيى •

(٤٩) هــذه روايـة منديـــل •• وفي روايتـه الأخـرى : بصـدرهـا •

وكلتا الروايتين مستقيمتا الـوزن بـواو العطف قـبل نهديـن وما مـر تنطق بحـذف الألف وتشـديد الـراء هكذا : ممــر •

وهكذا وردت روايـة الضويحي بـواو قبـل نهدين إلا أنـه قال : ما بعـد مزهـــن الجنين وصــــاح •

ويستقيم الوزن بحـذف ألـف ما بعـد وتسكين عيـن بعد وتحريـك دالهـا •

وعنـد ابن يحيى : ==

عين الوحـــش لامرهـا الكحل كنها

جنـــاح غــراب لا استـقـل وراح (٥٠)

وراس يغـذى يـــوم قضـــه كنـــه

اذيـــال خيـــــل ذارهـــن صيـــاح (٥١)

== ونهديـن كتفاحتيـن بصدرهـــــا

مالهـج منهـــن الجنيـــن وصـــاح

وفي أوراقي :

ونهـدينها رمانتيـن بصـــــــــدره

ما بعـــد مزهـــن الجنين وصـــاح

(٥٠) لـم يروه الضويحي ولا ابـن يحيـى :

والـوزن يستقيم بـواو قبل كلمـة عيـن ، وتسكين حـاء وحـش ، وتسكين حــاء الكحل وتحريك لامهـا ، وتشـديد لام استقل ٠

وفي أوراقي : كنـه لا تـقـــل ٠

(٥١) هـذه روايـة منديل ، ولـم يـروه الضويحي ٠

ويستـقيم الـوزن هكـذا :

٠٠٠٠٠٠٠٠٠ قضــة كانـــــه

ذيـول خيـول ذارهـــن صيـــــاح

وفي أوراقي : ذيروهـن بصيـــاح ٠

وعـنـد ابـن يحيـى :

وراس يسقـى بالدهـــن لكنــــه

معـــارف خيـــل ذارهـــــن ٠٠٠

والورك يـا ورك مهـرة عربيــــة
تمايـز عـن متنهـا الجـلال وطــاح (٥٢)
وبطـن لبيب لـب البريسـم بطيتـه
وثـلاث عكايـــا كلهـــن مـــلاح (٥٣)
وعينين يا عمي إذا لجلجـت بهـنّ
سهـا القلب عما في اليديـن وطاح (٥٤)
والخشـم سلـــة سيـف بيـد نــــادر
سلــــه مـــن بيـــن القبايـــل ولاح (٥٥)

---

(٥٢) لم يروه منديل ، وهذه روايـة الضويحي ٠
ويستقيم وزنـه هكـذا :
وورك كـورك مهرة عربيــــة
تمايــز عـن متنـه جلال وطاح
وعند ابن يحيى :
ووركيـــن وركـــي مهـــــــرة
٠٠٠ تمايــــز عنهـــــــــا

(٥٣) تفرد بـه الضويحي ٠
ويستقيم الوزن هكـذا :
لـب بريسم (بسكون بـاء لـب وتخفيفها وسكـون ميـم بريسـم) ٠٠٠ ثـلاث (بدون واو قبلها) مـع تشديد نـون كلهـن ٠
وفي أوراقي : البريسم بطينــه ٠
وعند ابن يحيى : والبطن كما طي الحرير بلبه ثلاث ٠

(٥٤) تفرد بـه ابن يحيى والضويحي ٠
وعند ابن يحيى : يا عم الى لجلج بها سها ما بين اليدين ٠

(٥٥) تفرد بـه ابن يحيى ٠

ومـا بعـد هـذا البيت وصلـه ابن يحيى بقـول العبـد •

وقال الضويحي : إن عم العبد أطرق قليلاً ثم قال :

وصفتهـا يـا العبـد بـس كليمـة

ان جبتها والا فراسـك طـاح (٥٦)

فقـال العبـد :

تشـابـه لكـدري القطـا املـط القفـا

انـا مـن مثـلي عليـه شحـاح (٥٧)

---

(٥٦) هـذه روايـة منديـل ، وفي روايتـه الأخرى :

وصفتهـا يا عبد بـس بكلمـة

ان جبتهـا والا ان راسك طـاح

وعنـد الضويحـي :

كملتـهـا يـا عبد لـولا كليمـة

ان قلتهـا والا تـرى راسك طـاح

ويستـقيم الـوزن هكـذا :

ووصـفـتها يالعبـد لـولا كليمـة

فـان قلتهـا والا فراسـك طـاح

بحـذف همـزة إلا ، وبتحريك الكـاف مـن راسـك •

وعنـد ابـن يحيى : وصفتها •• لـولا كليمـة ان قلتهـا والا راسـك •

(٥٧) هـذه روايـة منديـل •

وعنـد الضويحي :

وفـرخ كمـا فـرخ القطا املط القفـا

مـن بيـن فخذيـن علـي شحـاح

والشطـر الأول في الروايتيـن مستـقيم •

ويستـقيـم الثـاني بـواو قبـل مـن ، وبتنويـن نـون فخذيـن ، وبتشـديد يـاء علي•

ومثل روايـة الضويحي روايـة ابـن يحيى إلا أنـه قـال: هذاك مثـل فرخ القطـا املط •

شحاح على ولد الـردي مـا ينولهـا

والا انـت ومثلك ما عليـه شحــاح (٥٨)

وقـد يقـول الشـاعر قصيـدة ويكـون لهـا قصـة واقعيـة أو قصــة يدعيها الشاعر أو يضيف إليها ثم تتحول بعده إلى أسطورة ، ويصاغ حدث لا تـدل عليـه القصيـدة بذاتهـا ٠

خـذ المثــال مـن هـذه القصيدة لشـاعر عجمي يذكـر صحبتــه للذئب فيقـول :

تخـاويـت انــا والذيــب سرحــان

دعيتـــه بامـــان اللـــه وجـــاني

لقيتــه خــوي يقضــي الشـــــان

ندبتــــه علــى المرقــب شفانـــي

عشيــة رقينـــا رجــم سمحــــان

رفيــــع الــدرج زيــــن المبـانـي

في لايحــه تسعيــن فنــــــان

وثـمانيـــن عبــــد طمطمـــاني

ولبنــــه زمـــرد هـــو ومرجــان

وطينــــه زبــــاد وزعفــــران

---

(٥٨) تفرد بـه منديل وابـن يحيى ٠
ويستقيم الشطر الثاني هكــذا :
وأنـت ومثلك مـا عليـه شحــاح
وعند ابن يحيى : يشح بهن والله على ولد الردى والا انت والله ما عليك ٠

أنـا اللي فـرى كبـدي مسيـان
مـع فرجـة لـه يـوم بـان
عشيـري إذا هـب الهـوى لان
كمـا لان عـود الخيـرزان
عشيـري مواعـدني بحقـران
أنـا كيـف أسـوي لاجفانـي ؟
عشيـري لبس لـه ثـوب سبهان
يجـر الهـوى جـر السوانـي (٥٩)

قال أبوعبدالرحمن: هذا الخطاب للذئب على منهج قول فهيد السكران:

---

(٥٩) أورد الأبيات ابن ضويحي في الفنون الشعبية ص ٣٥ ، وقال : وقصتها مع قصص بدون قصائد ۰

ثم صورها الشيخ ابن خميس كغيرها من المصادر لتكون مادة من كتابه من القائل ٤/١٦٥ - ١٦٦ ، وقال : وقصتها مع قصص بدون قصائد ، ولم يعز إلى كتاب الضويحي ، والقارئ لا يعرف أي قصص بدون قصائد يعني ۰

أما الضويحي فيريد موضعاً آخر من كتابه ، حيث أورد ثلاثة أبيات من القصيدة مع القصة ص ١٦٧ - ١٦٨ ۰

وانظر بعض المتشابه ص ١٣٢ ، والقصيدة في موضوعها محاكاة لقصيدة الفرزدق التي مطلعها :

وأطلـس عسـال وما كـان صاحبـاً
دعوت بنـاري موهنـاً فأتـاني

وعادة شعراء العامية التخيل ، وادعاء الحوار مع الحيوانات والطيور كما تجد نماذج عديدة من ذلك في كتاب الفنون الشعبية للضويحي ، وكما في حوار صقر النصافي للذئب ، وكما في قول بعضهم :

يـاذيب لا تاكـل ذراعي والاكتـاف
انـا خويـك والعـرب هملونـي

انظر ديوان الرشيدي ص ٢١٢-٢١٣ ، والفنون الشعبية ص ٢٠٢-٢٠٣ ، والشعر النبطي لطلال السعيد ص ٩٣ - ٩٤ ۰

يا من لقلب هيضه من شكا له

ذيب عوى في مستقلات الاقذال (٦٠)

ذيب عوى واصبحت اجر العوا له

انا بجال وابغث الجلد في جال (٦١)

انا على رجم طويل قباله

يقنب وانا انثر ساخن الدمع همال (٦٢)

يا ذيب بالله ما تسوي جماله

بالله تعيَّن وين منزال من زال (٦٣)

الصاحب اللي ولعن في دلاله

وقت مضى لي يعتني لي بالاوصال (٦٤)

ثم حلف باللي مرس جباله

ما شاف من دون الشفا زايل زال (٦٥)

فالشاعر العجمي يعوي كما يعوي الذئب على المرقب الذي يتنفس على قنته العشاق ، فهما خويان في العواء هذا الجوعه ، وهذا لولوعه .

---

(٦٠) في رواية السدحان : ذيب عوى له في طويلات .
قال أبوعبدالرحمن : وتخريج هذه القصيدة بالجزء السابع من كتابي ديوان الشعر العامي .. في المجموع الذي به شعر فهيد السكران .

(٦١) في اللباب : وانا اصبحت أجر .
وهو منكسر .

(٦٢) تفرد به ابن يحي .

(٦٣) عند ابن سدحان : بالله ما عينت .

(٦٤) تفرد به ابن يحيى .

(٦٥) عند ابن سدحان : وانه حلف باللي يصرم حباله ما شفت .

قال أبوعبدالرحمن : أبقى الضويحي القصيدة كما هي بدون تصرف ، ولكنه حاك حولها قصة لاتدل عليها ، أوروى ماسمعه من الحكواتية فقال : « بَيَّتَ رجلٌ سرقةَ بَيْتٍ من بيوت العرب القاطنين في البر ، ولما مشى في الطريق ونزل ما شعر إلاوالذئب عنده ، فحاول إبعاده فلم يستطع وظل عنده .

ومن عادة الذئب الغدر .

ولما رأى الأعرابي أن الذئب معه لا محالة أعطاه باقي عشائه فأكله الذئب ، ولما رحل رحل معه الذئب ، وحينما قرب من العرب الذين صمم الأعرابي على سرقة إبلهم أناخ راحلته حتى إذا جن الليل جاء ليجد منهم غفلة فلم يجد ونحّته كلاب الحي فرجع إلى راحلته قد أيس منهم .

وكان الذئب عند الراحلة ، فلما رأى صاحبه قد عاد مفلساً انطلق (والرجل يرى هذا المنظر) وما هي إلا ساعة حتى رأى الرجل الإبل قد أقبلت وعددها عشرون ، فوقفت عنده ، وبحث عمن جاء بها فوجده الذئب قد عمد إلى بو (وهو جلد ناقة صغيرة يحشى ثم يوضع أمام أمه فتظل سالية بذلك تظن أنه ولدها) ولما حمل الذئب البو وهو خفيف قامت النوق وراءه وتبعته .

فسار الرجل بالإبل ومعه الذئب ، ولما قرب من القرية عقر له ناقة وسلخها ثم ترك الذئب يأكل منها ، ولما دخل البلد نادى فيه أن له صاحباً في السفر وتهدد من يقتله ، وضمن لأهل القرية أنه

لا يعتدي عليهم ، وكان فيهم رجل أبى إلا قتله فقتله ، فقام الرجل وقتل قاتل الذئب » (٦٦) .

وقبل الضويحي الأستاذ عبدالكريم الجهيمان أورد القصة بسياق مقارب بصياغته الأدبية المعروفة ، ولكن القصيدة وردت محورة ليكون فيها بعض الدلالة على القصة الأسطورة .

وهذا هو نص الأبيات عند أبي سهيل ابن جهيمان :

تخاوينا أنا والذيب سرحان
ودعيته يوم انا شفته وجاني
وعطيته من طعامي بعض ما زان
واستانس الذيب وكل زادي بأمان
خوي في الخلا من خير الاخوان
الى تعلى على المرقب شفاني
أسري ويسري معي ما هوب كسلان
واصبح ويصبح قريب من مكاني
وعديت أبي صيدتي من جيش عربان
وهو عدا صوبهم أبراه ويبراني
ورجعت خايب وهو قد عاد ربحان
يا حي يوم لقيته والتقاني (٦٧)

قال أبوعبدالرحمن : القصيدة محاكاة لقصيدة الفرزدق الفصيحة ، والقصة أسطورة .

---

(٦٦) الفنون الشعبية ص ١٦٧ - ١٦٨ .

(٦٧) أساطير شعبية ٣٦/٣ - ٣٧ .

وتدل الأسطورة على أن صانعها نجدي بالكلمات التي فيها من أمثال وأسجاع وأشعار بلهجة نجدية مثل سبحونة الشاة المتجنسة ورد فيها :

تفـــوا علـــى لحـــيتي
مـا طعت شـــور مريتي
يدينـــي مـــــع مكيـــتي (٦٨)

وقد يكون الدافع لصنع الأسطورة شهوة إطلاق المثل واستملاح العبارة التي اختيرت لـه مثـل : على هامان يا فرعون ؟ ! (٦٩) .

قال أبو عبدالرحمن : والكتاب الوحيد في السباحين كتاب الأستاذ عبدالكريم الجهيمان ، وليس كل كتـاب أبـي سـهيل أسـاطير، بـل فيـه قصص واقعية كثيـرة (٧٠) .

ومن القصص ما يرتفع بـه عن الأسطورة والسبحونة إلى الخبر لأنه مأثور عن أناس معروفين إلا أنه خبر يحتمل الصدق والكذب ، ويحتمل أن يكون مصنوعاً في حكم السبحونة صنعة بطـل الحدث أو غيره إلا أنـه يظل خبراً تاريخيّاً لأنـه عن معلوم وليس فيـه بُعدٌ خيـالي .

مثـال ذلـك قصـة رميزان مع الشريـف .

قال لـه الشريف في أحد الأعوام : ما هو أحسن الطعام يا رميزان ؟ .

---

(٦٨) أساطير شعبية ٤٦/٣ ، وانظر ص ٤٨ و ٤٩ .

(٦٩) أساطير شعبية ٣ / ٥١ ، ومثله اسكت وإلا انسدحت ٢٦٨/٢ – ٢٦٩ على أن الأمر في النهاية رؤيا ، والرؤيـا قد تـدعى[١] فتكون مكذوبـة ، ويحتمل أن يكون في حكم ذلك عبارة جـال الركيـة ولا جـال ابن غنام ٣٦٤/٢ – ٣٦٥ .

(٧٠) انظر على سبيل المثـال أبو عبـاة وشريكـه فـي البئـر ٣٥٠/٣ – ٣٥٢ وقصـة انـوه زبـاد ٣٠٧/٢ – ٣٠٨ .

فقال رميزان : قرص البر يا سيدي !! .

وقال له في العام الآخر : بأيش يا رميزان ؟ .

فقال : بالسّمن يا سيدي (٧١) .

فإذا عدم النقل الموثق بقيت مرجحات تقربها من الواقع أو تبعدها .

ويمنع من صحتها أن الشريف حاكم ورميزان زعيم ، فلو صحت لكانا فارغين من الأعباء لغير خطير .

ولم تجر العادة بتقطيع السؤال والجواب خلال عامين لتكون القصة دالة على ذكاء .

ومن القصص والأشعار التي تحتمل الصحة أو يحتمل ترجح صحتها قصة المهادي وقصيدته (٧٢) ، فالقصة إلى الصحة أقرب وإن تعددت صيغها ، وأصل القصة مذكور في القصيدة .

وأما القصيدة فلا يتطرق الشك إلى ثبوتها .

وقد ضرب المثل بصبر المهادي كما في قول اللميع :

صبرنا ما يصبره كوده المهادي

شايف خملة صديقه له سنينا

يوم شاف الجار بالنسوان عادي

حذر الخفرات من علم يبينا

---

(٧١) أساطير شعبية ٣/١٨٤ - ١٨٦ .
(٧٢) أساطير شعبية ٣/٢٠٣ - ٢١٢ .

ومثل ذلك قصة عفارم عفارم عفارم فيتساوى الاحتمالان في ثبوتها (٧٣) ٠

والراوية والحكواتي النجديان ينقلان واقع الشعر وأحداثه بتحويرلفظي يجعله يطابق اللهجة العامية النجدية ٠

ويصدق هذا على أي شعر هلالي بلهجة أهل نجد عرف ثبوته تاريخيّاً فيكون نقلاً واقعيّاً للواقع التاريخي ، أو عرف تدوينه في الأسطورة فيكون نقلاً واقعيّاً للأسطورة ٠

ويصدق هذا على الشعر الهلالي العامي في تونس وما حولها ، لأن صناع الأحداث في القرن الخامس عرب فصحاء أقحاح ، وإنما نقل الأحفاد سيرتهم في عصر ابن خلدون وقُبيله بلهجة عامية ٠

والراوي العامي في نجد حكواتي يحول لغة غيره إلى لهجته هو ٠

ومثل الراوي والحكواتي في نجد الراوي والحكواتي في الأقطار المجاورة ٠ قال شفيق الكمالي عن عموم العوام : « ويعرفون قصة ليلى والمجنون ، وقد روى لي أحدهم أبياتاً للمجنون قيس بن الملوح يخاطب بها ورداً :

أسايلك بالنبي يا زوج ليلى
بجنح الليل كم قبلت فاها

---

(٧٣) أساطير شعبية ١/١٢٤ – ١٢٩ رواها عن الشيخ محمد الهويش ٠
قال أبوعبدالرحمن : رويتها أنا والشيخ الهويش عن الوالد عمر رحمه الله ٠

وهذا البيت واضح أنه تحريف لبيت المجنون :

بربك هل ضممت إليك ليلى
بجنح الليل أو قبلت فاها

وقد رويت لي قصة عن عاشق آخر اسمه رميم وقالوا إن سبب تسميته بهذا الاسم راجع إلى أنه كان يضع في عنقه حبلاً رمة ، وهذه الشخصية هي شخصية ذي الرمة الشاعر المعروف ، ولكن تقادم الزمن أدخل عليها هذا التحريف وهذه الزيادات على ما أعتقد »(٧٤) .

قال أبو عبدالرحمن : تحوير السيرة التاريخية إلى أسطورة شعبية ، **وتحويل أدبها الفصيح إلى لغة سواد الأمة** وهي العامية يقرب العامي من موروث الأدب الفصيح خطوة .

فسيرة عنترة والمقداد وبني هلال مأثور شعبي أشرفت عليه العامة بالسماع من تلاوة المنشد .

وأضافوا هم سيراً شعبية ، فعندهم : وش يدري الثور إني عنتر ، والله يحلل الحجاج عند ولده .

ولا يعرف تاريخياً أن للحجاج ابناً تأمّر فكان ظالماً كأبيه ، وربما وجدت بادرة تاريخية للابن فعظمت بجانب أفعال أبيه ولو مبالغة .

وذكر أبو الفرج الأصبهاني في « الأغاني » ، وابن قتيبة في « المعارف » ، وابن خلكان في « الوفيات » أن ثلاثة أشخاص شاعت أخبارهم ولا حقيقة لهم ، ولا وجود لهم في الدنيا ، وهم مجنون ليلى ، وابن القرية ، وابن أبي العقب .

---

(٧٤) الشعر عند البدو ص ٤٨ ، وفي كتابي عن فصيح العامية ذكرت شيئاً من النقل التاريخي المحرف عند العوام .

قال أبوعبدالرحمن : هذه مجازفة ، والمعقول أن أخبارهم دخلتها الأسطورة والمبالغة ٠

وقبل عوام نجد نقلت روايات كانت شفهية من شعر المجنون ، وهي في الواقع من التحوير الذي يراد منه إشراك العامة في التذوق ، وإليك هذه النماذج :

أبوس تراب رجلك يا لويلي
ولولا ذاك لم أدع المصابا
وما بوسي التراب لحب أرض
ولكن حبٌ من وطئ الترابا (٧٥)

وفي رواية أخرى :

أبوس تراب أقدام لليلى
ولولا ذاك لم أدعى مصابا
وما بوسي التراب لحب أرض
ولكن حب من وطئ الترابا
جننتُ بها وقد أصبحت فيها
محباً أستطيب بها العذابا
ولازمت القفار بكل أرض
وعيشي بالوحوش نما وطابا (٧٦)

فهذا تحوير لقوله الصحيح :

أمر على الديار ديار ليلى
أقبل ذا الجدار وذا الجدارا

---

(٧٥) بسط سامع المسامر ص ٢٢ ٠
(٧٦) المصدر السابق ص ٩٠ ٠

وما حب الديار أهاج وجدي

ولكن حب من سكن الديارا

وإذا هونوا من شأن شخص قالوا : لو انك عمي قماري •

فهم عرفوا قماري من أمراء مصر، وهو قماري الحموي(٧٧) •

إن الأحداث الهلالية وآدابها وأخبار قيس وليلى وبقية مأثور الأجيال كل ذلك يتحول بالنقل إلى نجد من التاريخ أو الأسطورة فيحولها الحكواتي النجدي من تاريخ إلى أسطورة ، أو من أسطورة مغربية إلى أسطورة نجدية •

وهكذا شأن الرواية الشفوية إذا تحولت من بلد إلى بلد كالنسخة الخطية من الكتاب إذا توالى على نسخها من نسخة إلى نسخة نساخ جهال ، فإن كل نسخة تبعد عن أختها خطوات حتى تكون آخر نسخة كتاباً آخر •

وهكذا أيضاً يكون الشعر النجدي ذاته إذا تجاوز الجزيرة ، فإن الرواة يتلاعبون به ويحولون واقعه إلى أسطورة •

خذ هذا النموذج : تقول قمرا الدعجانية المرهوصة :

يا قلب يا للي من هوى زيد مطروق

طرق الحديد مليـن بالضويا

أمسيت قلبي في وأصبحت مسروق

وثورت في قلبي عميل وعيا

---

(٧٧) انظر عنه النجوم الزاهرة ٢٢٢/١٠ ، حوادث سنة ٧٤٨ هـ •

يفدى عشيري كل برقـــاً على روق

واللـي بعيـد الـدار واللـي هنيـــا

ويفداه من يركب على الخيـل بعروق

مـع خيـل ابـن هندي وخيـل المحيا

ويفداه من يمشي علىالأرض من فوق

واللي يشوفون القمـر والثـريـــا

ويفـداه حضـر لجوا العصـر بالسوق

هـذا كلامـي واسمعوا مـا عليـــا (٧٨)

قال أبوعبدالرحمن : هـذا نـــوع مـن التوجـد كقـول وضحـا العبداللـــه :

اهلـي مـع اهلـه كلهـم فـدوة لــه

يفـدونـه الفرسـان واهـل المناحي(٧٩)

وقالت غزيـل التميميـة :

يفـدا عشيـري عــرب مدهـــوس

وعويشـــــة والجـداعيــــن

---

(٧٨) من الباديـة ٨٧/٧ ، ثـم أخذهـا الأستـاذ الـرداس بمقـدمتها ونشرهـا بكتابـه شاعـرات من الباديـة ٤٦/١ – ٤٧ ولـم يحل إلى المصـدر ، ونشـرت في نـوادر الأشعـار ص ١١١ .

(٧٩) شاعرات من الباديـة ٥٨/١ .

غليـــم يكســـب النــامــــوس

ويكثــــر الهيــــل بالصيـــن (٨٠)

وقال شليويح العطــاوي :

يفدا عشيـري مـن عظامـه تشــله

من البدو.واللي يلبسـون الحـداري

ومن عرض مـا يفـداه غـوج نتله

وقطعاننـــا ومثـنـديات المــــزاري

وابـن رشيـد الشمـري فـدوة لـــه

مـودع فراقيـن البدايـــد وقـــاري

الشيــخ يدمــح لــه ثمانين زلــــة

والــلاش مانــي عن زرايــاه داري

ولما سمع الأمير محمد العبدالله الرشيد بهذه القصيدة قال :

يـا طارش خبـر شليويـح قـل لـــه

قـل له يوجهي عـن خطا كل زاري

لا عــاد قــرم وكــل رس يدلــــه

وبالقيـظ يتعب حافيـات السمــاري

واللــه ما لومــه لـو فدانـي بخلــه

يـا كـود جـار لـه من الـود جـاري

(٨٠) شاعرات من الباديـــة ١/٢٠ - ٢١ .

عمهوجـة قلـب الهـواوي تسلـه

سـل السـلوك المبهمـة بالابـاري

إلا أن الروايـة الأردنيـة أفسـدت شـعر قمـراء وحولتـه إلـى أسطـورة ، وذلك بروايـة شـخص يقـال لـه أبـو منصـور محمد بـن منصـور ، وقـد نشر روايتـه عيسى الجراجرة ، وهـذاموجزها : فـي عصر يـوم من أيـام القرن المنصرم نـادى منـادي الشيخ ابـن عيـد في أطراف الباديـة وصحراء الجزيـرة العربيـة الشمالية بأنـه لا يجوز لأحـد أن يحب أحداً أكثر مـن حب شيخ القبيلـة ابـن عيـد وإلا نـال جـزاءه ؟ ! .

وبمـرور الأيام كـاد الناس ينسون النداء وبلغ الشيخ أن زيـداً مـن الناس يحب حبيبته عليا حبّاً فـوق حب الأميـر ؟ ! .

وأحضـروا إلى الشيخ فأبيـا أن ينزعا عن حبهما ، وأبيـا أن تكـون محبتهما دون حبهما للشيـخ ؟ ! .

وكان زيـد قـد تجـاوز الخمسـين إلا أن الشـيخ ابـن عيـد أعجـب بملامحه الرجولية وبجمال الفتاة وتمثـل فيها بشعر لشاعر عامي اسمـه مفلح المبيضين ، وهـو مـن شـعراء جنوب الأردن وشـعرٍ آخـر لـه أيضاً مطلعـه :

ضامـر تقـول بكـرة حـرة

وطولهـا كذا عـود ريحـان ؟ ! .

قال أبوعبدالرحمن : وبقيـة الأبيات على الحـاء ؟ ! .

وحبسهما الشيخ وهددهما لعلهما يتراجعان عن الحب ؟ ! .

إلا أنهما لم يتراجعا وامتنعا عن الأكل وبعد ثلاثة أيام أطلت على الشيخ من أعلى القصر تقول :

يا زين قلبي من هوى زيد مطروق
طرق الحديد ملوياته الضويا
افدي عشيري بكل بيضاضنى روق
وافدي غريب الدار هلي هفيا
وافديه بمن ركب السلايل والعروق
من خيل ابو هندي وخيل المحيا
وافديه بنجم معتلي بالسما فوق
وافديه بمن شاف القمر والثريا
وافديه بحضران تمشي مع السوق
وابن عيد اللي على الحكم عيا
اواه على نفسي حاربت كل ما اذوق
على عشير كان لي ما تهيا

ثم ألقت بنفسها وماتت في الحال ، وصرخ حبيبها زيد ومات ، ولحق الشيخ ابن عيد مرض من جراء ذلك بعد مدة قصيرة .

قال لافض فوه وأعيذه بالله من كل حاسد : « الرواة يذكرون فيما يذكرون أن المحبين والشيخ قد جرى دفنهم في ساحة القصر ، ويرى الزائر للمكان قبر الشيخ وهو قبر كبير يظهر الاهتمام في

بنائه يتوسط قبرين صغيرين ، يبدوعليهما الإهمال هما المحبان ، وهكذا فرق الشيخ بين الحبيبين حيّاً وميتاً » (٨١) .

قال أبوعبدالرحمن : كسر الراوي الشعر ، وجعل الحبيبة عليا وهي قمرا ، وجعل زيداً اسماً حقيقياً وهو رمز ، وسحب الشاعرة العتيبية من سرة نجد إلى كبد الشمال ، وجعل ابن رشيد ابن عيد ، وأمات الشاعرين في الحال وأتبعهما بالأمير بعد مدة ، وكأنهم يعلمون بموته فجعلوا مكانه بين قبري العاشقين ليفصل بينهما .

وجعل الشيخ يغار من حب الرجال للنساء أكثر من حبهم له ، فسبحان خلاق العقول ! .

ولو كان الخيال فعالاً هاهنا لضحك النجدي بملء شدقيه وطرب لعبقرية الكذب ، ولكنه هاهنا يتقزز من إفساد الشعروسذاجة الخيال .

والغبطة للمجلة العراقية الفصلية المتخصصة ؟ !! .

وعن تحوير الشعر العامي النجدي إذا شرق أو غرب عند ذوي لهجات أخرى أوردت في كتابي عن الشعر العامي نماذج من تغيير للنص ، ومن نسبة الشعر إلى غيرقائله كقصيدة القاضي في القهوة ، والهجينية المنسوبة للملك عبدالعزيز التي مطلعها :

وردوهن هيت واخطاه الدليلة
والموارد غير هيت مقضبات

---

(٨١) مجلة التراث الشعبي في عدد لم يذكر رقمه ولا تاريخه صدر عام ١٤٠٤هـ على جميع غلافه صورة صدام ص ٣٠٥ - ٣١٠ ، ويميز هذا العدد أنه ألحق به ملف خاص عن الحرف والصناعات الشعبية في العراق .

وقصيدة جحيش السرحاني التي مطلعها :

قال الذي يقرا بليا مكاتيب
يا للي تقرون العمى من عناكم

وقول غانم اللميع :

ساهر بالليل ما جاني نوادي
من ظلايعم شيخ جراهن علينا (٨٢)

ومثل ذلك قصيدة صالح السكيني التي مطلعها :

البارحة ما امرحت والدمع سفاك
واعزتا لك يالعيون السهارى

وقد نسبها المنشد الأردني إلى العبد الخيبري ، وحرف لهجتها وأخل بوزنها ، وقد فصّلت ذلك في تحقيقي لشعر السكيني .

ومثل ذلك تركيبه أسطورة على قصيدة أبودباس ، وجعله شيخ قبيلة ، وجعله من عنيزة ! .

وهناك شاعرة من البادية مجهولة رثت أهلها ووجهت الخطاب لمملوك أهلها فقالت :

هنيكم يا هل القلوب المريحة
مالوم عيني لو جرى دمعها دم
ابكي هلي اهل الدلال المليحة
اخواني اللي لا بغوا لازم تم

---

(٨٢) انظر كتابي ديوان الشعر العامي ٢٢/٤ - ٢٣ ، وانظر دراسات في الفولكلور الأردني ص ١٠٩ عن تحوير وإفساد قول ابن عبدالكريم :

خمسة عشر فنجال لحنيف صبيت .

يـا العبـد هذي مـن حكايا الفضيحـة

خل السهر لـي وانت يا العبـد قم نم

مـن اول نامـــر تجـي بالذبيحـــة

واليوم يا عصرالندم صرت لي عم(٨٣)

إلا أن الأسطـورة حورتها وأضـافت إليهـا نظمـاً عاديّــاً ميتــاً ، وموجـز الأسطورة أن العبد اغتصب مولاتـه واتخذها زوجـة بعـد أن قتـل أباها وزوجها وأبناءها فقـالت :

يـا طـول ماني عمــة لـك صبيحـة

واليـوم يا عبد الخطا صرت لي عم

---

(٨٣) من البادية ٩٩/٧ ، وكون الشعر على قافيتين وعلى لحن المسحوب دليل على أن الشاعرة قريبة العهد ، لأن الشعر أصبح على قافيتين منذ محيسن الهزاني ٠

قال أبوعبدالرحمن : ثم وجدتها في لبـاب الأفكـار ١٢٥/١ منسوبة إلى عبطا البجادي من أهل الحايط ، ونصهـا :

يـا ونتي لو هي بضلـع تبيحــــه

لو هي بقصر يعلم الله تهــــدم

والا فهـو جـرح دوى فيـــه ريحــه

والا قريـص زج فيــه الحنش ســم

هنيكـم يـا اهــل العقــول المريحـــة

مـا لوم عينــي لـو جرى دمعها دم

ابكـي هلـي هل العلـوم المليحــــــة

هـل السيــوف اللي لعافيظهــن دم

يـا فريــج هـذي مـن حكايـا الفضيحـة

خل السهر لي وانـت يا العبد قـم نم

من اول يا فريــج عمـك مليحــــة

واليوم يـا عبد الخطا صرت لي عم

يــوم انت بالمجزر تجـر الذبيحــــة

ويـديـك مـن جـر الذبايـح بهـن دم

ومن أول في السوق تشري الذبيحة
لاسيادك اللي كل ما دبروا تم
لأهل العطايا والدلول المليحة
وأهل السيوف اللي لعابينها دم
ماتوا بغدر العبد لاقى[1] فضيحة
وراحوا لرب يكشف الهم والغم
ارجيه يرحم طايح في مطيحه
ويشفي غليلي في أسود الخال والعم
ياخوي ذخري في الليالي الشحيحة
هو بعد أبوي الأب والأخ والأم (٨٤)

وقال العبد قبل أن يقتل :

حبلت لغراب البين من عام الاول
وعيا غراب البين ياطا الكفايف (٨٥)
وبغيت أصيده بالتفق وانتبه لي
وطار بوبرها في شويره لفايف

---

(٨٤) أساطير شعبية ٣١٥/٢ ٠

(٨٥) في رواية : حبلت لغراب الجول ٠٠ والكفايف حبالة تسمى طبلة وضاروباً ٠٠
قال ابن دويرج في مناسبة مشابهة :
المس غراب الجول واثره هديفة
طار على آكل ثناديه نيات
قال الأستاذ القويعي في كتابه تراث الأجداد ٢٨٩/٢ - ٢٩٢ : جاء لهذه الأداة ذكر في الشعر الشعبي مثل قول ابن جعيثن وهو هنا يكني عن الدنيا :
أشوف ما احد من غثاها سالم
كل بوجهه مفقع ظاروبها
والظاروب يتكون من الأدوات التالية :
١ - عصا من الأثل القوي بطول المتر تقريباً ٠
٢ - عصا أخرى بطول ثمانين سنتيمتراً تقريباً ، وتكون ذات رأس مدبب وهذه يسمونها المزوار ٠
٣ - الطبلة ٠
==

وعرفـت يا عمــار انــك تجيـنـي
وأنــا لاجي ما بين الاضلاع خايـف
واليـوم أنـا حصلت ما كنت أريـــده
ودنيـاي بعـده مـا عليهـا حسايــف

== ٤ - قطعة من القماش لتغطيـة الطبلة بما يناسب حجمها .
٥ - فخ كبير يعد من كرب النخل أو من عذوقها بحيث يكـون الاختيـار قريبـاً من شكل نصف الدائـرة .
٦ - حبل من المطاط « خنزيـر» يكون بطـول يتنـاسب وحجم الفخ .
٧ - خرزة كبيرة ، ويأخذونها من عظم ساق الضـأن أو المـاعز لا فـرق المهـم اختيار العظم ذي الشكل الأسطواني كي يؤدي الغرض المطلوب .
٨ - حبـل من القماش المبروم « مقطيـة » بطـول يتـناسب وحجـم الظـاروب ، وهـذا الحبل لا بـد وأن يختار بعنايـة لأنـه يتوقـف عليـه جودة هـذه الأداة ، إذ إن هـذا الحبـل هـو ما يمسك بالطـائر ويعيقــه ، لأنـه يوضـع علـى هيئـة تكاك .
والغـرض مـن الظـاروب هـذا لصيـد الطيـور الكبيــرة كـالكروان والدرجـلان والحمام وما هـو بحجم هـذه الطيور ، وكلها تصـاد أثنـاء النهـار ما عـدا الكروان فيتم صـيده أثـنـاء الليـــل .

وطريقـة الصيـد بالظاروب :

أ - يقوم الصياد بدفن هـذه الأداة .

ب - يثبت على جانبيـه عودين الواحـد بطول عشرة سنتيمترات تقـريباً ، وكـل مـن هذيـن العوديـن يثبـت بـأعلاه دودة صفـراء تسمى بالسـرو بتشـديد السـين ، ووجدتها في المعجم تسمى بالدحاس وجمعهـا دحـاييس ، والهـدف منهـا لإغـراء الطـائر وشـد انتباهـه للاقتـراب من الظـاروب .

جـ - يقـوم الصياد بحمايـة الظاروب ببعض من العيدان والحجارة ، أو بهما معـاً من جميع جوانبـه ، وذلك بطريقـة فنيـة تسمى « خـراز» بحيـث لا يـدع للطـائر إلا طريقـاً واحـداً فقط للوصول إلى الظاروب كي يضمن صـيده .
وقبل أن يصل الطـائر إلى تناول هـذه الوجبـة التي أعـدت لـه يكـون قـد وضـع نفسـه في مكمن الخطر مما يجعل الظاروب يطبق عليــه ، وكلمـا حـاول الفكـاك فإنـه يزيـد الخناق على نفسـه حتى يأتي صاحبـه لينعم بصيده وهـو فـي غايــة الفـرح ، ومن ثـم يعد الظاروب لصيـد آخـر وهكـذا .

يا طـول ما وسدت راسي ذراعـه

ويـا طول ما مزيت ذيـك الشفايـف

وافعـل بعبدك بعـــد ذا ما تـورّى[١]

الايـام هـــذا طبعها في الطوايـف

يــوم على الاضــداد نـــار لظيـــة

ويوم على الاخوان هموالعرايف(٨٦)

قـــال أبـــو سهيل عن الفتـــاة وأخيهـا وقبيلتهـا بعد قتـل العبد :

« وعـاش الجميع في سبات ونبات، ورزقوا الكثير من البنين والبنات ، وحملت وكملت ، وفي أصيبع الصغير دملت !! » (٨٧) .

قال أبوعبدالرحمن : ويقـال : تمـت ، وانفتحت ثـم انصمت..

وليس ضعف المستوى الشعري قاعدة ، ولكنه ظاهرة أغلبية فقد يكون الشعر جيداً كهذه المقطوعـة :

احـذرك عـن عـود كبيـر قـد انحنى

يمـوت وعيلاتـه عليـــك صغـــــار

ولا تاخـــذي يا جهـم شحيح بمالـــه

يمـرك عيـــد ومـــا عليـــك خـــدار

ولا تاخذي يا جهم غرير من الصبا

يزيـــدك عنــــد القاعــدات حقـــار

---

(٨٦) أساطيرشعبيـــة ٣١٧/٢ .

(٨٧) المصـدر السابق ص ٣١٨ .

ومثـل ذلك من جهـة الضعف الفني الشعر الوارد في ٣٥٦/٢ ضمن سالفـة شيخ القبيلة مع زوجتـه الخائنـة ، و ٣٨٨/٢ ضمن سالفة دويد أم الذبـان ، و٢٨٧/٤ في سبحونـة بنت التاجر وابن السلطان .

ولا تاخـذي يا جهـم الا مجـــرب

رمحــه نهـار الكاينـات كســـــار (٨٨)

بيـد أن عناصر القصة إما من خيـال لا تحتملـه العـادة المشـاهدة ككـون الفتى جـلال صاحب الشعر عشق من وصف موجز قبل الرؤيـة ٠

وإما على وفق أسلوب قصصي كثر استعمالـه حتى كان مبتذلاً ، وهـو أنـه تغرب إلى مضارب قومها واشتغل عاملاً سائس خيل فأغـار القـوم علـى أهلهـا فهزمـت قبيلتـه فركـب الفـرس وجنـدل الواحـد تلـو الآخـر حتى كان أولى الناس بعشيقته جهـم ٠٠٠ إلـخ ٠

وفي كتابي عن العجمان أشرت إلى كثير من التحيـل الذي دخل شعـر راكـــان (٨٩) ٠

قـال أبوعبدالرحمن : راجعت الصفحات الشـعبية فـي جرائدنـا المحلية ، وقـد استهلكوا فيها كتب الشيخ منديل وغيره وبرامـج الباديـة في الرياض والكويت والإمارات وبعض كتبي ، فاضطر بعض شـباب الصفحات الشعبية إلى وصل الرواية بالضرب تحت المقفزيـة ٠

وبعضهم يصنع بيتـاً يلحقـه بالقصيـدة ليغطي أخذه عن غيـره ، وليدعي روايـة جديـدة ٠

ومن الضرب تحت المقفزيـة ما هـو لغرض شريف سببه الـورع

---

(٨٨) أساطيـر شعبيـة ٢٢٣/١ ٠

(٨٩) وانظـر أيضـاً كتابـي ديـوان الشعـر العامي ٢٢/٥ - ٢٥ ٠

ومتانة الدين ، وعلى هذا النحو شيخنا أبو محمد منديل الفهيد كان يعدّل البيت أو يحذفه أو يضيف إليه •

عانيت ذلك لما كان يملي علي ، وذلك تورعاً من غزل مكشوف ، أو إساءة إلى قوم أو إثارة لنعرة •

ومن إضافاته حفظه الله :

قلته على المزح والتوصيف
تفضاة بال عن الضيق
على النقا مبسمي ما شيف
ما فتشوه العشاشيق

أوردهما بدل قول الشاعرة :

لو يذبحونن هلي بالسيف
والله لاعطيه من ريقي

وقالت شاعرة :

يا حلو رص الروح للروح من روح
متوالفين كلهم لا بلينا
مالي بتفطين المحبين مصلوح
بالذكر والا عن كذا مادرينا

فأضاف الشيخ منديل :

لو كان باب العشق للناس مفتوح
ندرى شرفنا مع رجال علينا

وكان أبو محمد منديل يذيل القصص بأبيات من شعره تختصر العبرة من القصة ٠

وقد انطلى الأمر على بعض الباحثين فظن أن القصائد من الشعر القديم المأثور ٠

فلما نشر الشيخ منديل شعره أفصح عن اسمه فعلم الناس أن الشعر شعره ٠

ولهذا سمعت الشيخ حمد الجاسر يتألم مراراً من التصرف في الرواية ، ويعلن غسل يده من الاعتماد على كثير من الرواية ٠

قال أبوعبدالرحمن : ولست أرى ذلك ، لأن الرواية باقية ، والرواية تصحح الرواية ٠

وأما الشيخ فعذره رهافة حسه الديني والاجتماعي ٠

حدثني إبراهيم بن يوسف أنه في مجلس ضم سماحة شيخنا عبدالله ابن حميد -رحمه الله- ، والشيخ العبودي ، والشيخ منديلاً ، وأن شيخنا العبودي سأل سماحة الشيخ ابن حميد عن حكم التغيير في الشعر ؟! ٠

فأفتى بالجواز مع الفضيلة إذا كان ذلك لمصلحة تخص الشاعر أو تعم مجتمعه ٠

ولا يزال شيخنا منديل متمسكاً بهذه الفتوى مذكراً بها مستشهداً الحضور عليها ٠

ومن الضرب تحت المقفزية ما يكون بتحوير الشعر وتحريفه لتأليف قصة كهذا البيت :

القلب مصموع وبالكف قاطـوع

ما هي حكايا رقصتك يا بو هادي

جعله المارك - رحمه الله - (٩٠) لعبدالله بن رشيد ، وذكر قصة مخترعة لأبوهادي يتظاهر بالرقص وهو يريد الاغتيال .

وتابعه الدكتور السلمان لاسيما أن المناخ صالح لقبول القصة ، لأن محاولة الاغتيال جرت لعبدالله كما ذكرذلك ضاري في نبذته ، ولأن عبدالله قال :

يوم أنهم عجزوا عَنِي بالغيالـة

شبوا لنار الحرب بالقيظ صوال (٩١)

قال أبوعبدالرحمن : قصة أبوهادي أسطورة مختلقة لاعتبارين :

أولهما : أن أهل نجد لا يعرفون هذا النوع من الغدر .

وحيلة الرجل رقصات شعبية ، وليست مجالس الكبراء يومها تعمر بمثل ذلك ، وليسوا يأنسون لرقص الرجال إلا ما كان إيقاعاً في فن العرضة الحماسية .

---

(٩٠) المارك - رحمه الله - من أعظم أبناء عصره نبلاً وشهامة ، وله من أصدقائه مواقف مشرفة .
وتصحيحي لرواية ما لا أثر له في مكانة الأستاذ رحمه الله في قلبي ، وفي قلوب كثير غيري .

(٩١) الأحوال السياسية في القصيم ص ١٣١ ، وأصل القصة أسطورة في شيم العرب ١/١٧٤ - ١٨٢ لفهد المارك رحمه الله ، وذيل بها حمد الجاسر على نبذة ضاري بن فهيد ص ٩٨ - ٩٩ ، وأوردها الدكتور العثيمين في كتابه نشأة إمارة آل رشيد ص ٧٠ ، ٧٧ ، وبينت اختلاقها في السفر الثاني من كتابي ديوان الشعر العامي ٢/٢٢٥ - ٢٢٨ ، وأوردها الدكتور العثيمين في الطبعة الثانية من كتابه عن آل رشيد ص ٢٤٥ ولم يتنبه إلى زيفها .

وقصة أبو هادي المنتحلة مغامرة فدائي ، لأنه إذا قتل ابن رشيد في مجلسه وهو يتظاهر بالرقص فسيقتل لا محالة ٠

وأهل نجد لا يعرفون هذا النوع من الفداء ، وإنما يصل إلى غريمه علناً ويتماسكان حتى تكون العقبى لأحدهما ٠

وثانيهما : أن القصيدة لعبيد العلي الرشيد ، وليست لعبدالله ، وإنما حرفت تحريفاً يجعلها لعبدالله ويجعلها تساند القصة المزعومة ، وهو تحريف يخالف المصادر كالتحفة الرشيدية ، ويخالف الرواية الشفهية ٠

وإليك بيان ذلك من جهتين :

أ - عند المارك :

القلب مصموع وبالكف قاطوع

ما هي حكايا رقصتك يا بو هادي

والصواب :

وزانت من الباري على السيف بسنوع

ما هو قصيد وردحته يا ابن هادي

وفي رواية أبو بطين بكتابه من عيون الشعر الشعبي :

ما هو قصيد ودهبجة يا ابن هادي

قال أبوعبدالرحمن : يعني شيخ قحطان محمد بن هادي ، وله به علاقة كما في قوله من قصيدة أخرى يخاطب أحد الأتراك :

يا بيه انا لكروش ما اعطي ولا ابيع

قبلك طلبها فيصل وابن هادي

ب - عند المارك :

اخو عبيد الى هبـا كل مسبوع

اسهر الى نامت عيون السراد

وهذا التحريف من أجل جعلها من شعر عبدالله ٠

والصواب :

انا عبيد الى هبا كل مسبوع (٩٢)

قال أبوعبدالرحمن : وأختم هذا المدخل بمأثور من الأدب العامي والقصص الشعبي يورد على أنه تاريخ واقعي وعندي أنه من الوضع والتنحيل ٠

وعن تنحيل الشعر وانتحاله كتبت كليمة بجريدة الجزيرة أدرجتها تحت عنوان ضرب تحت المقفزية ، لأنه ثمة تماثل بين الكذب في الرواية والضرب تحت المقفزية ٠

والقصة أننا في الصغر وأيام أعباء القرية نتعامل بعملة نحاسية تعرف بالبياز يظهر أنها مسكوكة في عمان ، لأنه ممهور عليها : ضرب في مسقط ٠

وأذكر أن أبناء القرية من شروق الشمس إلى غروبها يهبون زرافات ووحداناً يعاونون الصديق والقريب ببناء بيته أو حفر قليبه أو نزحها من نتن وشبهه ٠

ولا يأخذون كراء سوى الممالحة في وجبة بعد العصر أو وجبتين ٠

(٩٢) نشر هذا البحث عن الضرب تحت المقفزية بجريدة الجزيرة عدد ٦٥١٢ في ١٤١١/١/١٦هـ ٠

أما الصبيان فيشاركون في لحاء الخوص من العسبان لتسقف بها البيـوت وتكون أجرتهم بيزات تبلغ إلى ربع وثمـن ٠

وكلها مـن عملـة : ضـرب في مسقط !! ٠

وربما كان نقدنا من نوى التمـر نشتري بـه مـن بعـض العجـائز بيضـاً مسلوقاً في قهوة البن مصفراً بتولها ٠

وللنوى قيمة عندهن يرضحنه لمنائحهن من البقـر ٠

وبعض الأذكياء من أهـل القـرى يغسل النوى لفائـدتين :

أولاهما : الاستفـادة من الغسيل يضاف إلى« نفيعة » البقـر والغنم ٠

وأخراهما : أنـه يزل ولا يلتصق ببعضه ، فيكون الكيل أقـل ٠

وبعضهم يشتري النوى من البـدو ثـم يبيعـه ثـانيـة لهـذا الغـرض ٠

وكان أحـد الصـاغة من ذوي الفضل والورع والديانة وطهارة القلب يحب العبث والدعابـة كثيراً ، فصنع بيزات على عـدد الأصابع ومهر عليها (ضـرب تحت المقفزيـة) وهي نخيلة في حوشـه (ساحـة داره) ٠

وظلـت مدة تزاحم بيزات مسقط حتى لفت النظر إليهـا صـانعها نفسه ٠

هكـذا تقـول الرواية الدارجـة المتواترة واللـه أعلـم ٠

واليوم صـار يضـرب تحت المقفزيـة كثير من الشعــر العـامي ، وينحل مجاهيل مختلقين كما ينحل مشهورين هـم منــه بـراء ، وينشـر في صحفنا المحلية لا سيما جريـدة الريـاض ٠

ومما نشر بالصفحات الشـعبية بجرائدنـا المحليـة فـي يـوم الأحـد ١٤٠٩/٥/١٦هـ قصيـدة مصنوعة لشاعرة مصنوعة اسمها عنوة تقـول :

بالمعركــة ابوك يا عيـــد طشـــوه
مـح سطـت بـه مـن يديـن المعـــادي
وتقـــول :
يا عيد شـاور ابـن براك لاحـــدت
شيـخ النشامى للنشـامى زبــــــون
وهي من النظم العادي خلي من المعنى أو الرنيـن .
ونشر بالرياض عـدد ٧٥١١ قصـة مصنوعـة ، ومطلع أبياتها :
الــى بـدا نجـم اليمـن قمـت اخيلـــه
وحاربــت ممـا شفـت باقـي رقـادي
ومن الضـرب تحت المقفزية هـذا الشعر لجاريـة فضحت بـه سر مولاتها عند مولاها :
كريـم يـا بـرق عقبنــا علـى الاهــل
تلقـى النعـام الـدرع فيـه طفـــــوح
ويـا حـر قلبي مـن فراق الحبايـــب
زوجـي وطفــل لا يجـــي ويـــروح
وما يستوي رجلين رجل علـى الشقا
ورجل علـى جــال الفـراش سـدوح
ولا يستوي طفليـن طفـل علـى أمـه
وطفـل يعاجـى، ما بقـي لـــه روح
لـو كـــان مـي ودعتـــنـي سدهـــا
مـا كنـت أنـــا يـا مي للسـد بيـوح
لكــــن مي خربـــت لـي بيـــتي
وحطـت بقلبـي سـاطيات جـروح
والكيــد ما ينجــح بـدنيـاه صاحبه
وكـم كايـد كيد ولطم راسه الصـوح (٩٣)

---

(٩٣) أساطيرشعبية ٣٥٦/٢ ، وقصة وأبيات ٦٣/١ .

ومن الضرب تحت المقفزية سباحين تتلى على أنها من قصص العرب ولها أسانيد (٩٤) وبعض أبطالها يزعم أنه على الحياة قصة غريب الشلاقي الذي اختطف حبيبته وديدة من قومها ، وهو جار عندهم وتزوجها زواجاً شرعياً ودفع مهرها ، وبعد سنين وقع أهلها في أسره وكان الفريقان غزاة ولم يعرفوه وعرفهم ومن عليهم ٠٠٠إلخ ٠

وقال عندما أحب وديدة مخاطباً أختها ضحية :

هلا هلا فيك يا ضحية

يا ليت أخيتك من حيي (٩٥)

ودي وديدة شلاقية

ودي ولا السود متهيي (٩٦)

وتكون القصة أسطورة بمعرفة الجميع ، ويكون الغرض توليد النكتة كضيف هرب مصدقاً بأن صاحب البيت يخصي ضيوفه ، وقد لحق صاحب البيت الضيف (لما أقنعته امرأته بأنه سرق الأرانب) وهو يقول : يا ولد واحدة فقط (يعني الأرانب) ٠

والضيف يقول : إن لحقتني فخذ الثنتين (يعني الخصيتين)(٩٧) ٠

قال أبوعبدالرحمن : وتروى على نحو آخر ٠

---

(٩٤) انظر من شيم العرب ١/٢٤٧ و ٢٤٨ ٠

(٩٥) حيي : أي ليتها تكون من أسرتي (المارك) ٠

(٩٦) شلاقية يقصد فخذ قبيلته الأدنى المدعو بالشلقان ٠٠ متهيي : أي متيسر (المارك) ٠

(٩٧) ديوان الرشيدي ص ١٤٢ ٠

قال أبو عبد الرحمن : ويضرب تحت المقفزية مايفسر به نشأة بعض القبائل حيث يجهل الناس تفاصيل حياة القبائل منذ ستة قرون فأكثر ٠

ويستدل على النحل بضعف الشعر ، والبعد عن الواقع ، وعدم اشتهار الرواية على النطاق العام ٠

من ذلك قصة رشيد جد الرشايدة ٠٠ قيل كان له ابنان هما ذياب وبنانية وسبع بنات ، وكانوا ساكنين تحت عيون المدينة المنورة ، وكان رشيد يرعى إبله في وادي الحمض شمال المدينة ٠

فجاء أولاد من قبيلة أخرى يريدون إذلال القبيلة بسرقة عفاف البنات ٠

وانتهت القصة باحتيال أخيهن من الأم ذياب في إدخال الأولاد البيت ثم إسقاطه إياه عليهم وذبحه لهم واحداً بعد واحد ٠

ولما عاد الوالد وبلغه الخبر قال :

نزلنا بحد الراس الابيض من الدير

بزمان تحقق فيه كل الامانيه

نرعى مساس الدار والدار دارنا

من راس القرى شرق الى ظلع أبانيه

جنوب من المغرب قليب حفرتها

رديدها يطلع على من سانيه

حرّث لها شداد حتى وقع بها

عليها سمين الأرض يا ذياب بانيه

وعقبني وانا غايب على أهلي جماعة

لكن عندهم في غيبتي ما كفانيه

وتشاوروا بالأخذ والقطع والدنس

ونفوسهم صارت على غير دانيه

ويعيش ذياب في غيابي يسدني

وأنا أحسبه ما يسدني إلا بنانيه

ساعة وصلت البيت شفته مطرح

ولقيت حدر البيت روس الثمانيه

والله لو ما صار شي فعل بهم

لا قول والدته من الغير زانيه (٩٨)

فقال ذياب يقارض أباه :

عينيك يا من قال بالفعل هدني

هدة نمر ما هي فعول الحصانيه

جونا رذال الناس يبون عرضنا

ما يدري ان العرض له حال ثانيه

يبي يحبل الناس لكن حبلت به

هو يحسب انه بالمرام يخفانيه

رامت عليه الأرض من عقب هيجته

حسبت ولد الثور قبل يحسانيه

---

(٩٨) ديوان الرشيدي ص ١١ ، وصور وأشعار بني رشيد ص ٩٤ – ٩٥ .

ضربتـه بشلفـاكـن وصفـه اليامضى

لميـع بـرق ومـن حقـوق الامزانيــه (٩٩)

وقال الشيخ منديل : « كان لأحدهم من أبناء البادية مملوكة ولـهـا طفل ، وفي أحـد الأيام رجعت من غنمها لحاجة فوجدت عند زوجــة عمهـا رجلاً، فظنت الزوجة أن المملوكــة سوفتخبر عمهـا ، فـألحت عليه أن يـبيـعها لعدم صلاحيتها ، فسرى بها ليلاً وتـرك ولدهـا وهـي لا تدري ما الخبر ، فرأت الـبرق لائحــاً أمامهـا ، فقالــت أبياتـاً عـرف منهـا ما تشيـر إليـه ، فرجع بها وتركهـا عند راحلتـه وتسلل لبيتــه ، فوجـد ما أشارت إليـه رأي العين ‥ فقـتـل الرجل وجعلــه فـي عـدل من ضمن عفش الزوجة المطلقـة ، فسـأل أهلهــا عـن هـذا العـدل ، فقالت : حشيـة عرعير ‥ فصــارت مثــلاً مـع النـاس ، وتبيـن لأهلهـا خيانتها ، وربطوها بين جمليـن فراحـت نصفيـن ، وذلـك مـن حـرص العرب على البعـد عن العار ، وهـذه أبيـات المملوكــة :

كريـم يـا بـرق عقبنــا علـى أهلنـــا

جعلــه علـى دار الـغَـريْـر يلــــــوخْ

لا عـود اللـه نكستي مـن رعيتـــــي

يومـي نكســت ابغـى غـدا وصبــوخ

(٩٩) انظرديوان الرشيدي ، ص ٩-١٢ ‥ والشطرالأخير منكسر ‥ ومـن الضـرب تحت المقفزية أبيات في كتاب من شيم العرب ٢٧٥/٤ ، وكذلـك الأبيـات فـي ١١٨/٣ ، ١٤٢ و١٨٤/٢ .

ما يستوي طفلين طفل على امه

وطفل ايعاجى' ما بقالــه روخ

ما يستوي غرسين غرس امهمل

وغرس على عد وماه يفوخ

ولا يستوي رجلين رجل على الشقا

ورجل على جال الفراش سدوخ

يا ويلنا من طبلة السوق باكر

هذا يساومني وذاك يروخ » (١٠٠)

ومن الضرب تحت المقفزية هذه القصة ، قال الشيخ منديل :

« وهذه قصة قديمة يرويها لنا ذعار بن مشعان القبع الدغيبلي يذكر شيخ قبيلة قديم عنده زوجة اسمها السكوت ٠٠ بقيت سنين لم تدرب عليه ، ولم يعلم غايتها هل هي راضية عنه أو تتركه ؟ ٠

وحاول منها الاطلاع على مقدار الحب فلم يفلح ، فشكا أمره إلى طاعنة سن كبيرة فقالت : أقضب داب واجعلها على بطنك كأنك ميت حتى تكتشف غايتها ٠

وفعلاً رأوا الداب على بطنه ، وأخبروها ، فصاحت ، وقصدت بالحال ، وذكرت خصاله٠ مسندة الخطاب إلى ولد له منها اسمه زيد :

يا زيد رد الزمل باهل عبرتي

على ابوك عيني ما يوني هميلها

---

(١٠٠) من آدابنا الشعبية ٢/٣٩ ٠

عليت كم من مجرم حلت دونه

بالسيف والا حيلة تستحيلها

وعليت كم من سابق عقت جريها

بعود القنا والخيل حامي جفيلها

وعليت كم من هجمة قد شعيتها

صباح والازعتها من مقيلها

وعليت كم من جادل في غيا الصبا

تمناك يا عذب السجايا حليلها

سقاي ذود الجار لا غاب جاره

وخو جارته لا غاب عنها حليلها

لا مدخل عينه لشقان ثوبها

ولا سايل عنها ولا مستسيلها

وحين فرغت من الجواب نهض فرحاً بمحبتها له وهي في حسرتها ، لأنها بينت ما تكن قبل ، فخجلت وهربت منه لأهلها ، وحاول عودتها فأبت ، وأقسمت أن لا تكلمه حتى يتكلم الحجر ، فرجع للعجوز الأولة ، وقال : حيلتك لي نفعت وضرت •

فقالت : نسوي حصا مع بعضها (وهي الرحاء ، وقيل إنها من أوائل استخراج الرحاء) ، وحين ما عملوها ، وتكلمت تراجعت عن رأيها الأول » (١٠١) •

---

(١٠١) من آدابنا الشعبية ١٩٤/٢ - ١٩٥ •

وقال الشيخ منديل : - وهي مما ضرب تحت المقفزية ، والشيخ منديل إنما يروي - « كانت فتاة من فخذ السويلمات من عنزة تسمع بفارس من السبعة من عنزة لشجاعته وكرمه ، وكانت في سن الزواج ، وكثر خطابها لجمالها وهي ترفض الزواج حتى ترى هذا الفارس المذكور لتحظى به زوجاً .

وفي يوم اجتمع به قبيلة عنزة بما فيهم أهل البنت وأهل الفارس على موضع يسمى حصيبا والقرينين بين العراق وسوريا ، وكانت هذه الفتاة مع مجموعة من النساء يجمعن الأرطى لدباغة جلودهم بعيداً عن العرب ، وكانت تسأل عن هذا الفارس خفية كل من رأته وحده ، ومر على النساء هذه احد عابري السبيل ، فسألته عن فلان ، فقال : أعرفه .

قالت : أسألك بالله .

قال : أنا البارح ضيف عنده .

فقالت : سأودعك أمانة توصله ما أقول لك ، وتكتم السر ، ثم أعاهدك أنا أنني لم أره ، وإنما ذكره على البعد يصلني فأحببته ، وأنا رفضت الزواج من جميع الخطاب .. إذا له رغبة في فليأت للخطبة لأراه قبل الزواج في هذا المكان لعودتنا لعدة مرات لجمع الأرطى .

ومن قوة وفاء هذا العابر وصدق صداقته للفارس المذكور ترك حاجته التي هو يسعى إليها ، ورجع لصديقه ، وبات عنده ، وأعطاه الخبر ، وقال : إنني لم أر أجمل منها .

ومـع الأسف أنـه لم يسألها عن اسمهـا ، ولا عن اسم أهلها لظنـه أنهم سيجدونها في المكان نفسـه ٠

وفي صباح اليوم الثـاني ركبا قاصدين المحـل ، وعنـد وصولهـم وجـدوا أن العرب قـد شدوا من مكانهم لظروف طارئـــة ، وعلمـوا أن النساء لا تروح إلــى المكـان المذكـور حسـب الشـديد ، فسـأل الفـارس صديقـه : هـل سألتها عن أهلهـا ، أو اسمها ؟ ٠

قال : شغلني جمالهـا عن سؤالهـا ، وهي أودعتني هـذه الأبيات :

بالله عليك احفظ خفى الوصيـــــة

وداعتـــك والعلـم بالــــك يـبـيـــنِ

ذالـي سنيــن مـن خطبنــي معيـــة

مـا اريـد كـود اللي مديحـه يجيـنِ [١٠٢]

وابـديت مكنونـي لراعـي المطيـــة

للـي يريـد القـلـب شوفـــه بعينـــي

ان صــاب قلبـــه مثـل ما كـان فيــه

لا بـاس لـو جريـت خـاف الونيـــن

وان كـان مالـه يمنــا قـيـد نيـــــة

جـــداي عبراتي وفــرك اليـديــــن [١٠٣]

---

(١٠٢) معيــة : آبيــة ٠٠ وأصلها معييـه من عيا بمعنـى أبى ٠

(١٠٣) يمنــا : جهتنا ٠٠ قيـد نيـة : نيـة تقيـده ٠٠ جداي : جـدواي ٠

وعندما سمع أبياتها زاد عليه الأسف الشديد ، فأخذ يبحث بين أسلاف الشديد بأصوات رفيعة يسألون عن بكرة وضحا مفقودة لعلها تسمع أن تتعرف عليهم ٠٠ والعرب في طريقهم مسرعين ولو رأتهم لا تقدر أن تفيدهم شيئاً ، فابتدأ يلوم صديقه كيف لم تسألها ، أو أخفيت عني هذا الخبر المؤذي للعنا والندم بدون فائدة ؟ ٠

فأجاب صديقه الفارس بما يلي :

ليتك كميت العلم الاول عليه

والا عرفت الذاهبة يا ضنيني

يا شيب عيني والتفرق نوية

مدري على يسراي والا يميني

والا مع اللي غربوا للغضيّة

والا مع اللي شرقوا حادرين

سببت فيه علة باطنية

ما ظننتي تمحى طوال السنين » (١٠٤)

ومما ضرب تحت المقفزية ما رواه الشيخ منديل ٠٠ قال :

« وهذه قصة بنت من البادية الذين يقطنون الدوادمي ٠٠ كانت عند عمها يتيمة ، فزوجها لابنه صقر (وكان هذا الابن ما اتضح له فعل) ، ونساء العرب لا تعجب بالزوج إلا بأفعاله ٠٠ لا تريد

---

(١٠٤) من آدابنا الشعبية ٢/٩٤ - ٩٥ ٠

العيش فقط ، أو النظر ، بل إنها زهدت في حياتها مع المذكور الذي لا يذكر له ذكر تعتز به ، فقالت يوماً لعمها :

يا عم طلقني من ابنك كما أنه

رقود الضحى ما هو لعيني يشوقها

فقال العم لابنه : طلقها (وأقسم عليه) ٠٠ فطلقها رضا لوالده ونفسه متعلقة بها ٠٠ وكانوا في مصيفهم على الدوادمي ، وكان هناك تاجر مشهور بالكرم ، ويبيع على البادية بالتأجيل ، وقد امتلأت بطونهم له معروفاً ، وكانوا يجلونه ويحترمونه كثيراً ، فسمع التاجر عن البنت وخطبها ، فأجابوه ، وعندما أرادوا الارتحال من الدوادمي (في سنة الزواج أو بعدها) تذكرت البنت مرابع البادية ، وطلع نجم صقر بالغزوات ، فصعدت بالسطح ، وتمثلت بهذه الأبيات ، ومن الصدف أن أبو بكر العنقري زوجها الثاني كان يسمعها :

يا شيب عيني من قعودي بقرية

ومن بيقران ربطها في حلوقها

يا عنك ما سيرت فيها لجارتي

ولا سيرت رجلي لبيعات سوقها

هني بنات البدو يرعن بقفرة

ريح الخزامي والنفل في غبوقها

شوفي لعيني للبيــوت هدمــت

والزمل شــالوا غالي القش فوقها

شفي بهــم صقر تباريه عنــدل

ربيقيــة در العربــا علوقهــا

أيضــاً الى شـدوا تباريه هجمــة

حـم الذرا ما يحلب الا شنوقهــا

فأجابها زوجها أبوبكر العنقري :

روحــي مني لصقــر عطيـــة

عطيــة عنقري مالها من يعوقهـا

فأجابته معتذرة منه وأنها تتسلى ولا تريد غيره أحد :

يـا أبو بكر ما للنفس عنكم تخيـر

ميـر ان زوعات البوادي تشوقها

فأصر على طلاقها ، وعلى حماية كلامه شيمة عنقرية ، فشد لها أحد الجمال ، وأعطاها ما تحتاجه ، ومشى بها لأهلها ، ومشت معهم ، وبقيت الكلمة عنقرية مثلاً مع العموم •

وبعد أن أخذها صقر مرة ثانية ، وأراد العنقري أن يختبر طيبتهم ووفاءهم معه لما أسدى عليهم من الجميل •• وفي إحدى السنوات انتحوا بعيداً طلباً للمرعى ، فركب راحلة وقد شوهها بالدهن لتكون بعين الرائي جرباء ، ولبغض العرب للجرب لإذهابه مالهم في اعتقادهم ، ومتنكراً بصفة الضعف وقلة ذات اليد ، وقد

سار حتى وصلهم ، وعندما أقبل على بيتهم عرفته زوجتــه ، وقـالت لصقـر : هـذا أبو بكر ٠

فأراد أن ينيخ بعيــره بعيــداً عـن مـراح الإبـل خوفــاً عليها مـن العـدوى ، فقال لـه صقـر : تقـدم ٠

قال أبو بكر : أنـا خايف على إبلكم ٠

فقال صقـر : الله يحييك أنت وراحلتك إن ما أخذها البيت تأخذها عيوننــا ٠٠ أنـت صـاحب المعـروف الأول ، فبــادروا بالنبــأ الطلــق والإكرام والإجلال ، وسألـه صقـر عن حالـه لما يعرف عن تجارتـه ، فقال : الدنيـا هكـذا تميل على من أراد الله عليــه نقصــاً ٠٠ أنـا مـالي غـدوا بـه البوادي ، وبقيت على هـذه الحال ، وتذكرِتكم لأعرفكم عـن مـا حــل بــي ٠

فقال : أهلاً ومرحباً نحن وما نملك لـك ، فأعطـوه عـدداً كبـيراً من الإبـل منهم الكثير والباقي من أقــاربهم ، وطلـب منهـم أن يعينـوه على إيصالها إلى مقـر إقامتـه فأرسلوا معـه من أولادهم من يســاعده ، وعنـد وصولـه حمل الإبـل طعاماً وردّهـا عليهـم ، وشـكر لهـم حسـن صنيعهم وهكـذا يحصل الاختبـار بين النـاس » (١٠٥) ٠

قال أبوعبدالرحمن : وورد الاستشهاد بجملـة « عطيــة عنقـري » في أسطورة أخرى ذكرها الشيخ منديـل فقــال : « تزوج بشرحسنـاً ،

---

(١٠٥) من آدابنـا الشعبيـة ٢/٧٠ - ٧١ ٠

وطابت لياليهم بحسن الصحبة لما فيها من حسن الخلق ·· وله زوجة أخرى ، وكانت والدته تحب الزوجة الثانية ، وفي أحد الأيام غاب عن الحي بشر ، وعند عودته أخبرته أمه أنها رأت عليها رجلاً ، وأقسمت له بالله أنها رأت رجلاً على بطنها صغير الهامة كبير العمامة (وهي تقصد ابنه منها) ، وهي قد ألبسته شماغ والده ، وأجلسته على بطنها لمداعبته ، وأوهمته بهذا اليمين أنها بارة بيمينها ·

وعند ذلك كره قتلها بالحي والفضيحة ، وسرى بها ليلاً وأطال المشي بدون راحة لمدة ليلتين ويوم ، وبعد ذلك قرب من منازل القبيلة المعادية لهم ، فأناخ آخر الليل للمبيت والراحة فنامت بعد تعب ، وتركها في مكانه راجعاً إلى أهله ، فلما أصبحت عرفت أنه يريد هلاكها ، فاتجهت إلى أقرب المنازل إليها ، ولجأت إلى صاحب بيت منهم ، وادعت أن رجالها قد ذبحوا ، وأخذ مالهم ·· وبقيت عندهم مدة ، ولكنهم رأوا منها حياءً كثيراً ، وأوصافاً جميلة ، فخطبها ابن حمرون أحد زعماء القبيلة (وهي من بوادي العراق) ، وتزوجها ، وكانت متخذة اللثام بصورة مستمرة حتى عند الأكل ، ولم يروا فمها إطلاقاً طيلة إقامتها عندهم ، وهي مشترطة هذا الشرط على الزوج ·

أما والدة بشر فقد أصيبت بمرض يمكن أن يكون عقوبة ظلمها لهذه العفيفة الشريفة (وهو مرض يشبه السرطان بدأ

بأصبعها وصار يقطع منها كل عضو ثم يسري بما يليه بعد القطع) ، وقالت لبنتها وبشر يسمع : يا ابنتي هذه عقوبة ظليمتي بحسن ٠

وعند ذلك عرف أنها مظلومة فركب يلتمسها ، فأدركها بعد تعب طويل ، وضاف زوجها ابن حمرون ، وكان بشر كثير البكا قليل الأكل فشكا ابن حمرون حالة الضيف على حسن بقوله :

يا حسن عيا يا كل الزاد ضيفنا

هيا جميع نشتكي لبكاه

فأجابته :

خير الملا عندي بشر ما بكيته

وباقي الملا لوِ مات ما ننعاه

وعندما رأته عرفته فقال لها :

يا حسن يا حسينة الدل طالعي

عليَّ ابن حمرون يهوز عصاه

فقالت :

امنع عنه يا حامي الخيل بالقنا

عسى جميع الحاضرين فداه

فقال بشر :

يا حسن وش تجزين من جاك عاني

من الغرب وخلا والديه وراه

فقالــت :

اجـزاه انــا في حبــة مــن ذبلــي

من اشــافي مـا شافهــن حـــذاه

وهي قصدها تغضب زوجها ابن حمرون لأجل الخلاص منـه ، فغضب ابن حمرون وقـال :

مـن عافنـا عفنـاه لـو كـان غـالـي

ومـن جـذ حبلـي ما وصلت رشاه

روحـي منــي لبشـــر عطيـــــه

عطيـــة عنقـري ما يريـد جــزاه

فطلقها ابن حمرون شيمة عندما عـرف أمرهم السابق ، ورجع بها بشر ، وفي وصولهم طلبت والـدة بشر السماح منها وأن تحللها عن الظليمـة السابقة ، وحين رأت عظم ما رأت عليها سامحتها ، وعافاها اللـه عما فيها ، وهذا من نتائج الظلم والبهتان » (١٠٦).

وكذلك شعرشاعردويد أم الذبان وقصتها من الضـرب تحت المقفزيـــة :

« يا طفيـلات الريـم يا شـرد المهــا

ساليكم بـرب العرش ويـن تلفـون

---

(١٠٦) من آدابنا الشعبية ٦٦/٢ - ٦٧ ، وقصة وأبيات ٢٢٩/١-٢٣٠ .

قالن طفيلات المها بصوت واحد

يسمعه من هو بالهوى مفتون

نلفي على شهم كريم مجرب

لا طلبت الاشياء عليه تهون

لو تطلبه باعز شيى عنده

يقول تم وما تبي مضمون

هذاك أخو وضحا قوي العزايم

اللي له الطولات حيث يكون)) (١٠٧)

والحكواتي النجدي يتمثل الملاحم التاريخية والأسطورية فيحولها إلى أدب قومه ، وربما خلط عامداً لإثراء حكايته بين وقائع تاريخية وأسطورية لتشكيل حديث واحد كما سنرى من تلفيق بين أسطورة جحا وحروب مهلهل .

وقد رويت عن محمد بن مانع وغيره من ذوي طيب معشر وحلاوة محضر من الشبارمة بسميرا آخر عام ١٤١٢هـ من يسرد قصة كليب ومهلهل ، فيذكر أن مهلهلا كان يتظاهر بالجنون ، وأن كليباً يصاليهم الحرب .

---

(١٠٧) أساطير شعبية ٣٨٨/٢ .

ومرة استشار كليب أخاه مهلهلاً في الزواج ، فقال مهلهل : أحذرك عن الهمس ، والدنس ، والبرص ، وبيت القطاعة ، وانحش عن درب الفرس !! .

وكان جساس قتيل كليب في قليب ، فقال أبو جساس :

يا جساس تلفح بك شمرة
واسمع عندكم ربة صياح
عساك يا وليدي ما غترته
وراعي الغتر مكسور الجناح

فقال جساس :

لا والله الا يا ابيي غتر
ولولا الغتر ما جينا صحاح
مار ترى الزير ولد الزير
مثلك ما يجفل الى سمع صياح

وقال الأب :

ترى اقشر ما جرى بي عمر ابوك
قولة : « عافية » عقب الصياح
وترى احلى ما جرى بي عمر ابوك
منازى الخيل بالقاع السماح

وترى احلى ما جرى بي عمرابوك

تنازى عن علابيه الرماح

وروي عن الحكواتي النجدي قول مهلهل وهم في حرب :

اراكم في وجاوج واشتراك

وانا بينكم عدي غريبا (١٠٨)

وقال رجل من قوم جساس :

جعلنا يا فتى أكل جملكم

والدم من جنب الجمل ينزف خضيبا

فقال مهلهل :

جملكم يا فتى ما يا كل جملنا

الا نيم والا في قاعة قليبا

وبعد ذبح كليب أخذ مهلهل يدرب مهاره ، وأما بنات كليب فأخذن يطفئن النار ، وعندما مر عليهن قالت إحداهن :

ألا يا عم يا عمي مهلهل

ألا يا عم يا عم الهوان

ألا يا عم وان ذليت منهم

فانا يا عم شد لي الحصان

---

(١٠٨) عدي : أعد - بصيغة المبني للمجهول - .

وحـط القطـر والقطـراز فوقهـم
تـنـازى عـن قطاهـا القطــرزان [109]

فقـال مهلهـل :

أنـا عمـك وانـا عمـك مهلهـــل
أنـا عمـك ما انا عـم الهـــوان
لكـن الهـوش بي راسي يجــوش
جـوش القـدر يطمنـه ثمـــان

فصـارت كل واحـدة تأتي بحـزم الحطب وظلـوا يوقـدون النـار ثلاثـاً ، وكل ما أرسل قوم جساس أناساً لإطفـاء النار أوقـد بهم مهلهـل حتى جـاء الأميـر ، فقـال :

أخــذك اللـه خذنـي عن كليــب
أميـر خـذ القضـا بـه دوك اميـرا

فقـال مهلهـل :

أخــذك اللــه ما تســوى كليــب
ولا تســوى خنيصره الصغيـــرا
ولا تسـوى من الحشــوان حاشــي
كبيـر البطـن مدعــول صغيـــرا

وقـال مهلهل بعـد أخـذه بثـأر أخيـه :

ليـت القبــر يبلــج عــن كليــب
يشـوف الطـرد بـوادي سميـــرا

---

(١٠٩) القطـراز والقطرزان مما لا يعلمـه إلا الحكواتي ٠

يميـن ذريـــع ويســـــار غســـــل

وبـوادى الـدوح لا اكتـال الزحيـرا

أنـــــا اودع نثـرهــم مــن واردات

إلـى الكتــلا كمــا حب الشعيــــرا (١١٠)

أنـا اقـــول لــــك لا تعتـرضنـــي

إلى شفـت الاشقـر بي مغيــــــرا

لكـن اذنيـــه في فاعـوس راســـــه

مثـل الافـلام وباريهـم بصيـــــرا

ليــا مني لكدتــه واطـــرد بــــــي

كــن الغــوج رمانِي ببيـــــــــرا

وسـمعتُ ألغــازاً بسبـع مـن المـاعز ليس لهن قـرون ، وجمـل أوضـح ليس لـه سنون ٠

يـراد بنات نعش والقمـر ، ونسيت الشيئ الذي كنى به عن ذلـك ، وإنمـا رووا تعليـق والـد جسـاس على اللغـز بقولـــه :

علــوم تضحـــك السِّفَّيْــــه منهـــا

وتبكـي من عواقبهـا رجـــــــــال

قال أبو عبدالرحمن : بمثل هذا صنع الحكواتي النجدي المتأخر بالشعـر العامي أسطورة بني هـلال ، وإن كان في العناصر ماهو تاريخي صحيح ٠

---

(١١٠) الكتـلا : جبل أسمـر يسيـل إلى سميـرا ٠

وأورد الأستاذ السويدا أسطورة جساس وكليب على أنها من أخبار بني هلال فقال : « وهناك روايات في منطقة حائل لقصائد تنسب لبني هلال سواء ما كان منها يتحدث عن الحروب التي جرت بينهم في سميراء البلد الأثري العريق قاعدة بني أسد وما حولها جنوب شرق حائل ، حيث ينسب إلى شاعرهم قوله .. قال جساس :

خذاك الله خذني عن كليب

أمير في مكانه ولد اميرا

فرد عليه المهلهل :

خذاك الله ما تسوى كليب

ولا تسوى خنيصره الصغيرا

ولا تسوى من الحشوان حاشي

كبير البطن مدعول صغيرا

لو ينباج القبر عن كليب

ويشوف الطرد في وادي سميرا

يمين غسل يسار واردات

بواد الدوح تسمع له زحيرا

أنا أقول لك لا تعترضنى

ليا شفت الأشقر بي مغيرا

كن اذنيه بفاعوس راسه

أقلام قصب حاذيهن بصيرا

وقال والد جساس :

يا جساس تلفح بك شمرة

وحوالي بيوتكم نسمع صياح

يا علك يا وليدي ما غدرته

وراع الغدر مكسور الجناح

فرد عليه جساس :

لا والله يا بوي غدرته

ولولا الغدر ما جينا صحاح

ترى الزير ولد الزير مثلك

ما يجفل ليا سمع الصياح » (١١١)

وعن هدف الحكواتي قال الدكتور عبدالمجيدزراقط: « فالقصص الشعبي ينتمي في نشوئه وتطوره إلى فترة متأخرة من تاريخ الأدب العربي نقدر أنها فترة العصرين المملوكي والعثماني ، إذ جاء هذا الفن ليلبي من ناحية أولى على لسان القاص أو الحكواتي حاجة اجتماعية للتسلية يتطلبها أبناء المدينة الناشئة في سهراتهم وجلسات سمرهم ، فيستمعون إلى قصص موضوعه الحب والغرام يُلقى بأسلوب سردي ركيك ومسجع يتخلله شعر يقرب بلغته الفنية من العامية والبساطة •

وليعبر من ناحية ثانية عن هموم الناس المتلقين وأحلامهم

---

(١١١) الألف سنة الغامضة من تاريخ نجد ص ٣٢٨ - ٣٢٩ •

في قصص غرامي يطرحها ويحققها، وربما تم ذلك بأسلوب رمزي وغير واع كما نرى في قصة جريح الهوى على سبيل المثال (١١٢) التي تشير إلى سيطرة فئة من المماليك ممثلة بالعبيد على البلاد ممثلة بزهر الورد ، وتحكمهم بها ، وإلى ركون أبناء البلاد ممثلين بجريح الهوى ، إلى الخشوع المؤدي للموت الذي لا ينقذهم منه سوى منقذ قوي عادل ، ممثل بالقاضي ، يعيد البلاد إلى أهليها » (١١٣).

* * *

المدخل الثالث :

كيف يموت العباد

قال أبوعبدالرحمن : ثبت أن زرارة بن أوفى - رحمه الله تعالى - شهق ومات .

وقال الإمام أبو محمد ابن حزم : « وبلغنا عمن شهق من خوف الله تعالى ومحبته فمات » (١) .

---

(١١٢) انظر عشاق العرب ص ٣٦٥ - ٣٨٣ .

(١١٣) المصدر السابق ص ٦ - ٧ .

(١) مداواة النفوس ضمن رسائل ابن حزم ٣٦٩/١ . وعن أخبار من شهق فمات انظر أسواق العشاق ورقة ٣٨-٤٢ عن حلية الأولياء ، وابن أبي الدنيا ومغلطاي والسراج وانظر المستدرك ٤٩٤/٢ - ٤٩٥ .

وتحدث أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي عمن شهق فمات أو غشي عليه ، فذكرأن عمربن الخطاب - رضي الله عنه - سمع رجلاً يقرأ ﴿ **إن عذاب ربك لواقع ماله من دافع** ﴾ [سورة الطور / ٧ - ٨] فصاح صيحة خرَّ مغشيّاً عليه فحمل إلى بيته فلم يزل مريضاً شهراً .

وذكر أن الشافعي أغمي عليه لما سمع قارئاً يقرأ ﴿ **هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون** ﴾ [سورة المرسلات / ٣٥ - ٣٦] .

وذكر أن عليَّ بن الفضيل بن عياض سقط مغشيّاً عليه لسماع التلاوة .

وذكرموت أبي جهير الضرير البصري (٢) وهو يقرأ على صالح المري ، وذكر موت زرارة بن أوفى ، ولم يسند هذه الأخبار ، ولم يحلها إلى مصادرها (٣) .

قال أبوعبدالرحمن : ما ذكره من صياح عمر وغشيه يتنافى مع ما ذكره - وما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية أيضاً - من سلامة الصحابة من هذه الحال كما سيأتي في سياق كلامه .

ورويت عن عمر-رضي الله عنه- هذه الحادثة بأخبار لاتصح وليس فيها صياح أو غشي .

---

(٢) ورد في كشف القناع للقرطبي باسم أبو جهين ، وقال محقق الكتاب : لم أعثر له على ترجمة .

(٣) كشف القناع عن حكم الوجد والسماع ص ١٨٤ - ١٨٥ .

قال ابن كثير: « قال الحافظ أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثنا أبي : حدثنا موسى بن داوود : عن صالح المُرّي : عن جعفر بن زيد العبدي قال : خرج عمر يعس المدينة ذات ليلة فمر بدار رجل من المسلمين فوافقه قائماً يصلي فوقف يستمع قراءته فقرأ ﴿ **والطور**﴾ حتى بلغ ﴿ **إن عذاب ربك لواقع ما له من دافع** ﴾ .

قال قسم ورب الكعبة حق !! .. فنزل عن حماره واستند إلى حائط فمكث مليّاً ثم رجع إلى منزله فمكث شهراً يعوده الناس لا يدرون ما مرضه رضي الله عنه (٤) .

وقال الإمام أبو عبيد في فضائل القرآن : حدثنا محمد بن صالح : حدثنا هشام بن حسان : عن الحسن : أن عمر قرأ ﴿ **إن عذاب ربك لواقع ما له من دافع** ﴾ فربا لها ربوة عيد منها عشرين يوماً » (٥).

وأخرج أحمد بن حنبل في الزهد عن مالك بن مغول قال : قرأ عمر ﴿ **والطور وكتاب مسطور في رق منشور**﴾ .

قال : قسم ... إلى قوله : ﴿ **إن عذاب ربك لواقع** ﴾ فبكى ثم بكى حتى عيد من وجعه ذلك (٦) .

---

(٤) إذن كيف عرف جعفر بن زيد علة مرضه ؟ ! .

(٥) تفسير ابن كثير ٦/٤٣٠ .

(٦) الدر المنثور للسيوطي ٦/١١٨ .

قال أبوعبدالرحمن : مرة كان القارئ رجلاً ، ومرة كان القارئ عمر ٠

ومرة صاح وخر مغشيّاً عليه ، ومرة حمل إلى منزله ، ومرة استند إلى حائط ومضى إلى منزله ٠

ومرة بكى فحسب ٠

ومرة عيد شهراً ، ومرة عيد عشرين يوماً ، ومرة عيد من وجعه فحسب ٠

قال أبوعبدالرحمن : فإن صح أن للقصة أصلاً فهي عن حال الصحابة -رضوان الله عليهم - المعهودة من البكاء والخشية ٠

قال أبوعبدالرحمن : وأما زرارة بن أبي أوفى أبو حاجب العامري قاضي البصرة - رحمه الله - فقد سمع عدداً من الصحابة وحدث عنهم ٠

صحح الذهبي سبب وفاته سنة ٩٣هـ وأنه كان يصلي بالناس الفجر في مسجد بني قشير فلما قرأ ﴿ **فإذا نقر في الناقور**﴾ [سورة المدثر / ٨] خرَّ ميتاً (٧) ٠

---

(٧) سير أعلام النبلاء ٥١٦/٤ ٠٠ **قال أبوعبدالرحمن** : يكون مات فجأة بمصادفة تلاوة هذه الآية الكريمة ٠ وأعلم من مات ساجداً ، ومن سقط من الصلاة وغشي عليه ثم مات في غير حال تلاوة مثل محمد بن مطر وسليمان بن علي من جماعتي أهل شقراء رحمهما الله ٠ ولهذا عبر ابن سعد عن وفاة زرارة فقال : مات فجأة سنة ٩٣هـ ٠
قال أبوعبدالرحمن : ولم يزد على ذلك ٠

وأسند أبو نعيم الخبر إلى عون بن ذكوان وبهز بن حكيم وكلاهما شاهد عيان (٨) .

وأبو بشر صالح بن بشير المري القاص من وعاظ أهل البصرة عابد ضعفوه في رواية الحديث .

قال عفان : كان شديد الخوف من الله كأنه ثكلى إذا قص .

وقال ابن عدي : قاص حسن الصوت عامة أحاديثه منكرة ... أتي من قلة معرفته بالأسانيد .

وقال ابن الأعرابي : كان الغالب على صالح كثرة الذكر والقراءة بالتحزين .

ويقال : هو أول من قرأ بالبصرة بالتحزين .

ويقال : مات جماعة سمعوا قراءته .

توفي سنة ١٧٢هـ أو ١٧٦هـ (٩) .

وقال أبو نعيم : « حدثنا محمد بن أحمد بن عمر : حدثنا أبي : حدثنا عبدالله بن محمد بن عبيد: حدثنا عبدالرحيم بن يحيى الديلمي : حدثني عثمان بن عمارة : عن صالح المري . قال : قدم علينا ابن السماك مرة فقال : أرني بعض عجائب عبادكم ؟ .

فذهبت به إلى رجل في بعض الأحياء في خص له فاستأذنا عليه فدخلنا ، فإذا رجل يعمل خوصاً له فقرأت ﴿ **إذ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون** ﴾

---

(٨) حلية الأولياء ٢/٢٥٨ .
(٩) سير أعلام النبلاء ٨/٤٧ .

فشهق الرجل شهقة فإذا هو قد يبس مغشيّاً عليه ، فخرجنا من عنده وتركناه على حاله ؟ ٠

وذهبنا إلى آخر فاستأذنا عليه ، فقال : ادخلوا إن لم تشغلونا عن ربنا ، فدخلنا فإذا رجل جالس في مصلى له فقرأت ﴿ **ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد** ﴾ فشهق شهقة فبدر الدم من منخره ثم جعل يتشحط في دمه حتى يبس ! ٠

فخرجنا من عنده وتركناه على حاله حتى أدرته على ستة أنفس كل يخرج من عنده وهو على هذه الحالة ، ثم أتيت به السابع فاستأذنت فإذا امرأة له من وراء الخص تقول : ادخلوا ، فدخلنا فإذا شيخ فانٍ جالس في مصلاة فسلمنا فلم يعقل سلامنا ، فقلت بصوت عالٍ : إن للحق غداً مقاماً ٠

فقال الشيخ : بين يدي من ويحك ؟ ٠

ثم بقي مبهوتاً فاتحاً فاه شاخصاً بصره يصيح بصوت له ضعيف حتى انقطع ٠

فقالت امرأته : اخرجوا عنه فإنكم ليس تنتفعون به الساعة ٠

فلما كان بعد ذلك سألت عن القوم ، فإذا ثلاثة قد أفاقوا وثلاثة قد لحقوا بالله عز وجل ٠

وأما الشيخ فإنه مكث ثلاثة أيام على حالته مبهوتاً متحيراً لايؤدي فرضاً فلما كان بعد الثلاثة عقل » (١٠) ٠

---

(١٠) حلية الولياء ١٦٩/٦ – ١٧٠ ٠

قال أبوعبدالرحمن : هاته حكايات عن قاص لا يقرها شاهد الواقع والحال ٠

وقال أبو نعيم أيضاً : « حدثنا عبدالله بن محمد بن جعفر : حدثني عبدالله بن عبدالوهاب : عن محمد بن زكريا : حدثنا الحسن ابن حسان : قال : كنا يوماً عند صالح المري وهو يتكلم ويعظ ، فقال لرجل حدث بين يديه : اقرأ يا بني ٠

فقرأ الرجل :﴿ **وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع** ﴾ فقطع عليه صالح القراءة فقال : وكيف يكون للظالمين حميم أو شفيع والطالب له رب العالمين ؟ ! ٠

إنك والله لو رأيت الظالمين وأهل المعاصي يساقون في السلاسل والأغلال إلى الجحيم حفاة عراة مسودة وجوههم ، مزرقة عيونهم ذائبة أجسامهم ، ينادون : يا ويلاه يا ثبوراه ٠٠ ماذا نزل بنا ، ماذا حل بنا ، أين يذهب بنا ماذا يراد منا ؟ !! ٠

والملائكة تسوقهم بمقامع النيران ، فمرة يجرون على وجوههم ويسحبون عليها منكبين ، ومرة يقادون إليها عنتاً مقرنين من بين باكٍ دماً بعد انقطاع الدموع ، ومن بين صارخ طائر القلب مبهوت ٠

إنك والله لو رأيتهم على ذلك لرأيت منظراً لا يقوم له بصرك ، ولا يثبت له قلبك ، ولا يستقر لفظاعة هوله على قرار قدمك ٠

ثم نحب وصاح يا سوء منظراه ••• ويا سوء منقلباه ••• وبكى وبكى الناس (١١) •

فقام شاب به تأنيث فقال : أكلُّ هذا في القيامة يا أبا بشر؟•

قال : نعم والله يا ابن أخي ، وما هو أكبر من ذلك !! •

ولقد بلغني أنهم يصرخون في النار حتى تنقطع أصواتهم فلا يبقى منها إلا كهيئة الأنين من المدنف •

فصاح الفتى : إنا لله ••• واغفلتاه عن نفسي أيام الحياة •• ويا أسفي على تفريطي في طاعتك يا سيداه •• وأسفاه على تضييع عمري في دار الدنيا !! •

ثم بكى واستقبل القبلة ثم قال : اللهم إني أستقبلك في يومي هذا بتوبة لك لا يخالطها رياء لغيرك ، اللهم فاقبلني على ما كان مني واعف عمّا تقدم من عملي وأقلني عثرتي وارحمني ومن حضرني ، وتفضل علينا بجودك أجمعين يا أرحم الراحمين ، لك ألقيت معاقد الآثام من عنقي ، وإليك أنبت بجميع جوارحي صادقاً بذلك قلبي ، فالويل لي إن أنت لم تقبلني ، ثم غلب فسقط مغشيّاً عليه ، فحمل من بين القوم صريعاً يبكون عليه ويدعون له (١٢) •

---

(١١) **قال أبوعبدالرحمن** : إذا كانت دروس الوعاظ والصلحاء بهذا النحيب والتخويف وغض النظر عن المبشرات فسيدخل الهلع في قلوب العامة الذين يحضرون الدرس على طول السنين •

(١٢) **قال أبوعبدالرحمن** : ابتهال هذا الشاب دليل على حضور قلب ، ودليل على تعلقه بالرجاء فكيف صرع ؟ ! •

وكان صالح كثيراً ما يذكره في مجلسه يدعو الله له ويقول : بأبي قتيل القرآن ·· بأبي قتيل المواعظ والأحزان ، فرآه رجل في منامه فقال : ما صنعت ؟ ·

قال : عمَّني بركة مجلس صالح فدخلت في سعة رحمة الله التي وسعت كل شيئ ·

قال : وكنا في مجلس صالح المري فأخذ في الدعاء فمر رجل مخنث فوقف يسمع الدعاء ووافق صالحاً يقول : اللهم اغفر لأقسانا قلباً ، وأجمدنا عيناً ، وأحدثنا بالذنوب عهداً ·

فسمع المخنث ، فمات ، فرئي في المنام فقيل له : ما فعل الله بك ؟ ·

قال : غفر الله لي ·

قيل : بماذا ؟ ·

قال : بدعاء صالح المري ··· لم يكن في القوم أحد أحدث عهداً بالمعصية مني ، فوافقت دعوته الإجابة فغفر لي » (١٣) ·

وقال أبونعيم أيضاً : «حدثنا أبي : حدثنا أبو الحسن : حدثنا أبو بكر : حدثنا محمد بن الحسين : حدثنا أحمد بن إسحاق الحضرمي · قال : سمعت صالحاً المري يقول : للبكاء دواعٍ بالفكرة في الذنوب ، فإن أجابت على ذلك القلوب ، وإلا نَقَلْتَها إلىَ الموقف

---

(١٣) حلية الأولياء ٦/١٦٥ - ١٦٧ ·

وتلك الشدائد والأهوال ، فإن أجابت وإلا فاعرض عليها التقلب بين أطباق النيران •

قال : ثم بكى وغشي عليه وتصايح الناس » (١٤) •

وقال : « حدثنا إبراهيم بن محمد : حدثنا عبيدالله بن جرير بن جبلة : حدثني عمي عباد بن جريروغيره مَن المشايخ : قال : كنا نجلس إلى صالح المري فكان أول ما يبتدئ فيقول : الحمدلله ، فإذا أعين الناس قد سالت » (١٥) •

قال أبوعبدالرحمن : وقال نذير حمدان في تحشيته على سير أعلام النبلاء : « القاص هو الواعظ الذي يجلس إلى الناس فيذكرهم بسرد قصص النبيين والصالحين ، وشرحها بأسلوب مشوق محبب ، واستنباط العبر منها ، وفي ذلك عبرة لمعتبر ، وعظة لمزدجر ، واقتداء بصواب لمتبع •

وهو عمل سائغ يثاب عليه فاعله إذا كان المتصدي له عالماً بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ يتحرى الصدق في مروياته ، ويحترز عن إيراد القصص الخرافية، والأحاديث المكذوبة ، والحكايات التي

---

(١٤) حلية الأولياء ١٦٧/٦ •• **قال أبوعبدالرحمن** : هذا نموذج لقيام القصاص بتطبيع الناس على الحزن والقنوط •

(١٥) الحلية ١٦٨/٦ •• **قال أبوعبدالرحمن** : لذلك التطبع أصبح البكاء عادة قبل المواعظ !! •

تناقض ما جاء في كتاب الله وحديث رسوله ﷺ » [١٦] .

قال أبوعبدالرحمن : ومن الشرط أيضاً أن لا يحمل الناس على القنوط .

وأما ابن فضيل فقال عنه أبو نعيم : «حدثنا محمد بن علي : حدثنا أبو يعلى الموصلي : حدثنا عبدالصمد بن يزيد . قال : سمعت إسماعيل الطوسي يقول : بينا نحن ذات يوم عند الفضيل [١٧] مغشياً عليه ، فقال الفضيل : شكر الله لك ما قد علمه منك .

قال : وسمعت إسماعيل الطوسي أو غيره قال : بينما نحن نصلي ذات يوم الغداة خلف الإمام ومعنا علي بن فضيل فقرأ الإمام ﴿ **فيهن قاصرات الطرف** ﴾ فلما سلّم الإمام قلت : يا علي أما سمعت ما قرأ الإمام ؟ .

قال : ما هو ؟ .

قلت : ﴿ **فيهن قاصرات الطرف** ﴾ و ﴿ **وحور مقصورات في الخيام** ﴾ .

قال : شغلني ما كان قبلها ﴿ **يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران** ﴾ » [١٨] .

---

(١٦) سير أعلام النبلاء ٤٦/٨ - ٤٧ (حاشية) .

(١٧) **قال أبوعبدالرحمن** : في العبارة نقص ، ولعل تمامها : فسقط علي (يعني ابن فضيل بن عياض) .

(١٨) حلية الأولياء ٢٩٧/٨ - ٢٩٨ .

وقال الذهبي : « قال إبراهيم بن الحارث العبادي : حدثنا عبدالرحمن بن عفان : حدثنا أبو بكر بن عياش . قال : صليت خلف فضيل بن عياض المغرب وابنه علي إلى جانبي ، فقرأ : ﴿ **ألهاكم التكاثر**﴾ فلما قال : ﴿ **لترون الجحيم** ﴾سقط علي على وجهه مغشيّاً عليه ، وبقي فضيل عند الآية .

فقلت في نفسي : ويحك أما عندك من الخوف ما عند الفضيل وعلي ، فلم أزل أنتظر عليّاً ، فما أفاق إلى ثلث من الليل بقي .

رواها ابن أبي الدنيا : عن عبدالرحمن بن عفان .. وزاد وبقي فضيل لا يجاوز الآية ، ثم صلى بنا صلاة خائف ، وقال : فما أفاق إلى نصف من الليل .

قال ابن أبي الدنيا : حدثني عبدالصمد بن يزيد : عن فضيل بن عياض قال : بكى علي ابني ، فقلت : يا بني ما يبكيك ؟ .

قال : أخاف ألا تجمعنا القيامة .

وقال لي ابن المبارك : يا أبا علي ما أحسن حال من انقطع إلى الله ؟ ! .

فسمع ذلك علي ابني ، فسقط مغشيّاً عليه .

مسدّد بن قطن : حدثنا الدورقي ، وحدثنا محمد بن نوح المروزي : حدثنا محمد بن ناجية قال: صليت خلف الفضيل ، فقرأ: ﴿ **الحاقة** ﴾ في الصبح ، فلما بلغ إلى قوله :﴿ **خذوه فغلوه** ﴾ غلبه

البكاء فسقط ابنه علي مغشياً عليه .. وذكر الحكاية » (19) .

وقال الذهبي: « أنبأني المقداد القسي : أخبرنا أحمد بن الدبيقي : أخبرنا أبو بكرالأنصاري : أخبرنا أبو بكرالخطيب : أخبرنا أبو الحسن بن بشران : أخبرنا علي بن محمد البصري : سمعت أبا سعيد الخراز: سمع إبراهيم بن بشاريقول : الآية التي مات فيها علي بن الفضيل في الأنعام ﴿ **ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد** ﴾ [سورة الأنعام / 27] مع هذا الموضع مات وكنت فيمن صلى عليه ، رحمه الله » (20) .

وقال أبونعيم : « حدثنا أبو بكر بن مالك : حدثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل : حدثني الحسن بن عبدالعزيز الجروي : حدثنا محمد ابن أبي عثمان . قال : كان علي – يعني ابن الفضيل – عند سفيان بن عيينة يحدث سفيان بحديث فيه ذكر النار ، وفي يد علي قرطاس في شيئ مربوط فشهق شهقة وقع ورمى بالقرطاس (21) – أو وقع من يده – فالتفت إليه سفيان وقال : لو علمت أنك ههنا ما حدثت به .

فما أفاق إلا بعد ما شاء الله » (22) .

---

(19) سير أعلام النبلاء 8/443 – 444 .
(20) المصدر السابق 8/446 .
(21) هكذا في الأصل ، ولعل الصواب : فشهق شهقة فوقع ورمى .
(22) حلية الأولياء 8/298 وسير أعلام النبلاء 8/445 .

وقال : « حدثنا أبو محمد بن حيان : حدثنا عمر بن بحر قال : سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول : سمعت أبا سليمان يقول : كان علي بن فضيل لا يستطيع أن يقرأ القارعة ولا تقرأ عليه » (٢٣) .

قال أبوعبدالرحمن : الذيفي القرآن الكريم من الثناء على أهل السماع المبارك أنهم مأمورون بالإنصات والسماع ، وأنهم يخرون للسجود ، وتفيض أعينهم من الدمع ، وتوجل قلوبهم ، وتقشعر جلودهم .

وفيه عكس ما يجلب الغشي والموت ويحقق الإيمان ، لأن الإيمان معرفة وطمأنينة لا يكون معها الصياح والغشي والموت .

من ذلك قوله تعالى : ﴿ **وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون** ﴾ .

جاء هذا بعد السياق عن وجل القلوب ، ومن زاد إيمانه وتوكل على الله لا يموت خوفاً .

وجاء في الأخرى : ﴿ **فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون** ﴾ وليس مع البشرى غشي أو موت .

وقال تعالى : ﴿ **ألا بذكر الله تطمئن القلوب** ﴾ وقال تعالى بعد أن ذكر قشعريرة الجلد: ﴿ **ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكرالله** ﴾ .

ولم يذم الله من لم يغش عليه عند سماع القرآن ، أو لم يضطرب ، أو لم يمت .

---

(٢٣) حلية الأولياء ٢٩٩/٨ وسير أعلام النبلاء ٤٤٥/٨ .

وإنما ذم المعرضين كأنهم حمر مستنفرة ، الصادين عن السماع استكباراً، والصادين عن تعقل معانيه لو قدر أنهم سمعوا الكلمات .

ونهى عن قسوة القلوب المنافية للخشوع ، وقد بينت معنى الخشوع في كتيب « البكاء المبرور » وهو شيئ غير الاضطراب والموت والغشي .

قال أبوعبدالرحمن : وربما قال قائل : أينهى الإنسان عن الموت أو الغشي أو الاضطراب أو الصياح وذلك أمر قهري ؟ !! .

قال أبوعبدالرحمن : إن تسبب ذلك عن سلوك غير شرعي يصل إلى حد الوجد الصوفي والاصطلام فمن المحقق أن وراء ذلك وسطاء من الجن يخيلون لذوي الشطح بأضواء وأنوار وملامح وأصوات على أنها الحق جل جلاله ، أو عن الحق ، أو على أنهم ملائكة نورانيون .

فيكون ما صدر عن غيرالشرعي غير شرعي .

وقد يتسبب ذلك عن تطبع بأن لايستحضر الإنسان إلا آيات العذاب ، ويستحوذ على قلبه أن النجاء غير محقق إلا للأنبياء ومن يلي درجتهم ، ثم يعظم له الشيطان سيئاته فيزداد خوفه ويكاد يتحقق بأن مصيره مصير أهل البوار .

فما تسبب عن ذلك من موت أو غشي أو اضطراب أو صياح فهو غير شرعي ، بل هو خلاف الشرع ، لأن المؤمن مطلوب منه الجمع بين الخوف والرجاء ، والموازنة بين عمله وبين ما هو

مطلوب منه شرعاً ، وهذا هو محاسبة النفس ، وتجديد التوبة كما مر في صدر هذا الفصل عن أحوال أهل السماع المشكور ٠

والذي يصعق أو يموت لم يحقق الإيمان القلبي الصحيح الذي يحصل به البشرى والتوكل وزيادة الإيمان واطمئنان القلب ٠

والفاصل في ذلك قوله تعالى : ﴿ **تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم** ﴾ ولم يعقب القشعريرة يبوس الجلد أو كسر القلب بالموت أو الغشي ، وإنما يعقبه الاستعداد للتقبل إذ قال تعالى : ﴿ **ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله** ﴾ ٠

ويجب اليقين بأن الغشي والصياح والاضطراب والجنون والموت ليست مطالب شرعية ، لأن المطلوب الخشية والخشوع والبكاء ولين القلب والقشعريرة ٠

وعلى هذا فأصحاب تلك الأحوال ليسوا أكمل حالاً من الصحابة رضوان الله عليهم ٠

ومن ثم فأصحاب تلك الأحوال لا يكونون قدوة ، ويبقى الخلاف هل هم معذورون فيما وصلوا إليه من عجز عقلي أو جسمي أو موت أم لا ؟ ٠

ويكون القول بعذرهم مرهوناً بإمكان وقوع هذه الأحوال دون يأس وقنوط وتصور عذاب محقق ٠

ويمنع من إمكان وقوع هذه الأحوال دون يأس محرم أن تعادل الخوف والرجاء والجد في العمل ومحاسبة النفس والطمع في رحمة

الله وشهود المؤمن في نفسه آثار الحياة الطيبة في الحياة الدنيا لا ينتهي بالعبد إلى صياح أو غشي أو جنون أو موت ٠

ولا أستثني من هذا المنع إلا احتمال غلبة الوسواس بتحقق العذاب وفقدان الأمل فحينئذٍ تقع الحال ولا يكون صاحبها متبعاً ٠

والأحوال المستحدثة ذكر ابن تيمية – كما سيأتي في كلامه – أن بعض السلف أنكرها لبدعيتها ٠

وحكى عن الجمهور عدم الإنكار إذا كان سبب هذه الأحوال غير محظور ٠

قال أبو عبدالرحمن : الشرط في هذه الواقعة متصور عقلاً لا واقعاً ، لأن تلك الأحوال إنما تكون عند تغليب الخوف والوعيد وفقدان البشرى والطمأنينة والتطبع على الحزن والوجل ٠٠ وهذا سبب غير محمود شرعاً ٠

ويدلك على تغليب اليأس ما مر في أخبار من شهق فمات كتعلق بعضهم بقوله تعالى : ﴿ **يرسل عليكما شواظ من نار**﴾ حيث شغلته عن قوله تعالى : ﴿**حور مقصورات في الخيام** ﴾ ٠

قال أبو عبدالرحمن : وأكثر ما ذكر عن الموت بشهقة حكايات ٠

فإن صح منها شيئ فهو دليل على أن الحزن يقتل إذا بلغ نهايته ٠

وهؤلاء تدربوا على الحزن بوعاظ قصاص يقرأون بالتحزين كصالح المري ، ويكثِّفون جانب التخويف ، ولا يبشرون فيذكرون جانب الرحمة ، مع غلبة اليأس والقنوط عند السّميعة ٠

وفي تعليقاتي على أخبار صالح المري المذكورة آنفاً بعض الإضاءات •

قال أبوعبدالرحمن : وتمييز حال الصحابة عن أحوال من بعدهم قرره القرطبي وتابعه ابن تيمية •

ومما يضاف إلى كلامهما - لنكون منه على ذكر - قول أبي العباس أحمد بن عمر القرطبي بعد أن ذكر خشوع الصحابة -رضي الله عنهم- ، ثم ذكر حال من جاء بعدهم ممن يغشى عليه أو يشهق ويموت : « غيرأنهم قد أفرط على بعضهم الواردات ، فألحقتهم بالأموات ، وربما صعق بعضهم صعقات منكرات ، أوجبت لهم غشوات » (٢٤) •

قال أبوعبدالرحمن : وسجل هذه الظاهرة شيخ الإسلام ابن تيمية فقال عن سماع الذكر الحكيم : « وهذا السماع له آثار إيمانية من المعارف القدسية والأحوال الزكية يطول شرحها ووصفها ، وله في الجسد آثار محمودة من خشوع القلب ، ودموع العين ، واقشعرار الجلد ، وهذا مذكور في القرآن ، وهذه الصفات موجودة في الصحابة •

ووجدت بعدهم آثار ثلاثة : الاضطراب والصراخ ، والإغماء ، والموت في التابعين •

---

(٢٤) كشف القناع عن حكم الوجد والسماع ص ١٨٤ •

وبالجملة فهذا السماع هو أصل الإيمان ، فإن الله بعث محمداً ﷺ إلى الخلق أجمعين ليبلغهم رسالات ربهم فمن سمع ما بلغه الرسول فآمن به واتبعه اهتدى وأفلح ، ومن أعرض عن ذلك ضل وشقي)) (٢٥) .

قال أبوعبدالرحمن : ما حدث من الاضطراب والإغماء والصراخ والموت يرد عليه التساؤلات التالية :

١ - ما صح هل سببه الخوف من الله ؟ .

٢ - ما صح مما سببه الخوف من الله فهل ذلك النوع من الخوف مأمور به أم لا ؟ .

وهل هو مقتضى الموعظة من الشرع أم عن تطبُّع وتعيين مناخ يهيؤه القصاص ؟ .

أي هل نحن مأمورون بالتطبع على الحزن والخوف حتى لا نشعر إلا بمصير أهل البوار ؟ ! .

ومن ثم فهل يكون المدرَّب على الإغماء إلى الموت مأجوراً أجرين ، أو معذوراً وله أجر ولا يكون أسوة ، أم مأزوراً ؟ .

إن تحقيق أجوبة هذه التساؤلات عماد التبصر في خشية الصحابة وصعق أناس جاءوا بعدهم والله المستعان .

---

(٢٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٥٦٢/١١ .

وفهم من كلام الشيخين القرطبي وابن تيمية أنهما لا يصححان دعاوى الموت بالشهقة والغشي في عهد الصحابة رضوان الله عليهم .

قال أبوعبدالرحمن : وقد وردت في ذلك نصوص لا تصح .

قال أبونعيم : «حدثنا أبي : حدثنا أبو الحسن بن أبان : حدثنا أبو بكر بن عبد : حدثنا شعبة بن أبي سليمان الواسطي : حدثني محمد ابن يزيد بن خنيس : عن عبدالعزيز بن أبي رواد قال : لما أنزل الله على نبيه محمد ﷺ ﴿ **يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة** ﴾ [سورة التحريم / ٦] قرأها رسول الله ﷺ [ذات يوم على أصحابه فخر فتى مغشيّاً عليه فوضَع النبي ﷺ] (٢٦) يده على فؤاده فإذا هو يتحرك (٢٧) ، فقال : يا بني قل : لا إله إلا الله .. فقالها ، فبشره بالجنة .

فقال أصحابه : يا رسول الله لمن هذا ؟ .

قال : أما سمعتم قوله ﴿ **ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد** ﴾ » (٢٨) .

---

(٢٦) ما بين القوسين زيادة يقتضيها السياق من أسواق العشاق ص ٣٨ / ب الذي نقل عن أبي نعيم .

(٢٧) في الأصل : يحرك .. والتصحيح من أسواق العشاق .

(٢٨) حلية الأولياء ٨/١٩٥ .

قال أبوعبدالرحمن : هذا خبر لايصح ، وبين رسول الله ﷺ وابن أبي رواد ثلاثة أجيال ٠

قال البقاعي : « وذكره المنذري في أواخر كتابه الترغيب في فضل الخوف ، وقال رواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد ٠٠ كذا قال ٠٠ انتهى قول المنذري ٠

وذكره الحافظ مغلطاي من عند ابن أبي الدنيا وروى بسنده إليه قال : حدثني حسين بن يحيى : حدثني حازم بن حبلة : عن [٢٩] أبي نضرة العبدي : عن أبي سيار : عن الحسن : عن حذيفة -رضي الله عنه- قال : كان شاب على عهد النبي ﷺ يبكي عند ذكر النار حتى حبسه ذلك في البيت ، فذكر ذلك للنبي ﷺ فأتاه فلما نظر إليه الشاب قام إليه فاعتنقه وخر ميتاً ٠

فقال ﷺ: جهزوا صاحبكم فإن الفرق من النار فلذ كبده ، والذي نفسي بيده لقد أعاذه الله منها ٠ من رجا شيئاً طلبه ومن خاف شيئاً هرب منه » [٣٠] ٠

قال أبوعبدالرحمن : لو لم يكن هاهنا إلا عنعنة الحسن وإرساله لكفى ٠

---

(٢٩) في الأصل : بن أبي ٠٠ وأبو نضرة المنذر بن مالك ٠

(٣٠) أسواق العشاق ٣٩/أ ٠

وقال الحاكم: «أخبرنا أبوعبدالله محمد بن عبدالله الصفار: حدثنا أبوبكر بن أبي الدنيا : حدثني محمد بن إسحاق بن حمزة البخاري : حدثنا أبي : حدثنا عبدالله بن المبارك : أنبأنا محمد بن مطرف : عن أبي حازم (أظنه عن سهل بن سعد) أن فتى من الأنصار دخلته خشية من النار، فكان يبكي عند ذكر النار حتى حبسه ذلك في البيت .

فذكر ذلك للنبي ﷺ فجاءه في البيت ، فلما دخل عليه اعتنقه الفتى وخر ميتاً .

فقال النبي ﷺ : جهزوا صاحبكم فإن الفرق فلذ كبده .

هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » (٣١) .

قال أبوعبدالرحمن : ابن مطرف وثقه الجّمهور ، وقال ابن حيان في الثقات : يغرب (٣٢) .

وأبو حازم هو سلمة بن دينار أبو حازم الأعرج الثمار المدني القاص .

ولم يسمع أبو حازم من أحد من الصحابة -رضوان الله عليهم- غير سهل -رضي الله عنه- ، وهو عابد ثقة (٣٣)، وأبوحازم - رحمه الله - لم يحقق في هذا الإسناد أن روايته عن سهل .

---

(٣١) المستدرك ٤٩٤/٢ ، وتابعه الذهبي .

(٣٢) تهذيب التهذيب ٤٦١/٩ - ٤٦٢ .

(٣٣) تهذيب التهذيب ١٤٣/٤ - ١٤٤ .

ومن قبل عبدالله بن المبارك في هذا الإسناد يحتاج إلى مراجعة .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « السماع الذي أمر الله به ورسوله ، واتفق عليه سلف الأمة ومشايخ الطريق هو سماع القرآن ، فإنه سماع النبيين ، وسماع العالمين ، وسماع العارفين ، وسماع المؤمنين .

قال سبحانه وتعالى :﴿ **أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً** ﴾ [سورة مريم /٥٨] . وقال تعالى : ﴿ **إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً** ﴾ [سورة الإسراء / ١٠٧ – ١٩] .

وقال تعالى : ﴿ **وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين** ﴾ [سورة المائدة / ٨٣] . وقال تعالى : ﴿ **إنما المؤمنون الذين إذا ذكرالله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقّاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم** ﴾ [سورة الأنفال / ٢ – ٤] . وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **وإذا قرئ**

القرآن فاستمعوا لـه وأنصتوا لعلكم ترحمون ﴾ [سورة الأعراف / ٢٠٤]. وقال تعالى : ﴿ **وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قُضي ولوا إلى قومهم منذرين** ﴾ [سورة الأحقاف / ٢٩] .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكرالله** ﴾ [سورة الزمر/٢٤] . وقال سبحانه وتعالى : ﴿**الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ..**﴾ [سورة الزمر / ١٨] . وهذا كثير في القرآن .

وكما أثنى سبحانه وتعالى على هذا السماع ، فقد ذمّ المعرضين عنه ، كما قال : ﴿ **وقالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون** ﴾ [سورة فصلت / ٢٦] . وقال : ﴿ **والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صمّاً وعمياناً** ﴾ [سورة الفرقان / ٧٣] . وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **فما لهم عن التذكرة معرضين ، كأنهم حمر مستنفرة** ﴾ [سورة المدثر / ٤٩ - ٥٠] . وقال سبحانه : ﴿ **ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه ...**﴾ [سورة الكهف / ٥٧] . وقال : ﴿ **إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون** ﴾ [سورة الأنفال / ٢٢ - ٢٣] . وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **وإذا تتلى عليه آياتنا ولّى مستكبراً كأن لم يسمعها**

كأن في أذنيه وقراً ، فبشره بعذاب أليم ﴾ [سورة لقمان / ٧] .

وهذا كثير في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وإجماع المسلمين يمدحون من يقبل على هذا السماع، ويحبه ويرغب فيه ويذمون من يعرض عنه ، ويبغضه)) (٣٤) .

وقبل ابن تيمية استشهد القرطبي - رحمهما الله جميعاً - بهذه الآيات ، وبقوله تعالى : ﴿ **فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون** ﴾ [سورة التوبة / ١٢٤] .

قال أبوعبدالرحمن : ففيه مع الخوف رجاء ومع الروع بشرى.

واستشهد القرطبي بقوله تعالى : ﴿ **ألا بذكر الله تطمئن قلوب الذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ [سورة الرعد / ٢٨ - ٢٩] .

وقد قدم القرطبي للنصوص التي ساقها بقوله : ((اعلم وقانا الله وإياك بدع المبتدعين ونزغات الزائغين أن سماع رسول الله ﷺ وأصحابه إنما كان القرآن ، فإياه يتدارسون ، وفيه يتفاوضون ، ومعانيه يتفهمون .. يستعذبونه في صلواتهم ، ويأنسون به في خلواتهم ، ويتمسكون به في محاولاتهم ويلجأون إليه كما أمروا ، وإذا قرأوه تدبروا واعتبروا ، فأحلوا حلاله ، وحرموا حرامه ، واقتبسوا أحكامه .. يتخلقون بأخلاقه ، ويعملون على وفاقه علماً منهم بأنه طريق النجاة ونيل الدرجات ... وتلاوته أفضل العبادات ،

---

(٣٤) مجموع الفتاوى ٥٨٧/١١ - ٥٨٩ .

وأجل القربات ، فإنه حبل الله المتين ، والصراط المستقيم ، الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق على كثرة الرد ٠٠ من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم ٠

هكذا قاله من عليه الصلاة والسلام والتسليم ، وكان لهم عند سماعه من الأحوال ما قاله ذو الجلال : ﴿ **الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون** ﴾ [سورة الأنفال / ٢])) (٣٥) ٠

ثم ساق بقية النصوص ٠

قال أبوعبدالرحمن : لم نؤمر بالتطبع على الغشي والاضطراب والانغلاق على الزواجر وآيات الخوف حتى يستحوذ على القلب أن عذاب النار واقع لا محالة ، فيكون المصير الغشي أو الصياح أو الاضطراب أو الجنون بعد التطبع على الحزن ٠

بل حذرنا من قسوة القلوب وضدها الخشوع ٠

قال تعالى : ﴿ **ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون** ﴾ [سورة الحديد / ١٦] ٠

---

(٣٥) كشف القناع عن حكم الوجد والسماع ص ١٧٩ ٠

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية عن سماع الصحابة – رضوان الله عليهم– : «وهذا سماع له آثار إيمانية من المعارف القدسية والأحوال الزكية يطول شرحها ووصفها ، وله في الجسد آثار محمودة من خشوع القلب ، ودموع العين ، واقشعرار الجلد ...

وقد ذكر الله هذه الثلاثة في القرآن ، وكانت موجودة في أصحاب رسول الله ﷺ الذين أثنى عليهم في القرآن ، ووجد بعدهم في التابعين آثار ثلاثة : الاضطراب ، والاختلاج ، والإغماء أو الموت ، والهيام ، فانكر بعض السلف ذلك (٣٦) .

وأما جمهور الأئمة والسلف فلا ينكرون ذلك ، فإن السبب إذا لم يكن محظوراً كان صاحبه فيما تولد عنه معذوراً .

لكن سبب ذلك قوة الوارد على قلوبهم ، وضعف قلوبهم عن حمله فلو لم يؤثر السماع لقسوتهم كانوا مذمومين (٣٧) ، كما ذمّ الله الذين قال فيهم : ﴿ **ثم قست قلوبهم من بعد ذلك** ﴾ وقال : ﴿ **ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ، ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل ، فطال عليهم الأمد ، فقست**

---

(٣٦) بقية العبارة : إما لبدعتهم وإما لحبهم .

قال أبوعبدالرحمن : ولم أعرف ما المقصود من حبهم الذي يكون سبباً لإنكار السلف عليهم ، فتجاوزت العبارة وتوقعت أن في الكلام تطبيعاً .

(٣٧) **قال أبوعبدالرحمن** : عكس القسوة الخشية والخشوع والبكاء لا الأحوال المستحدثة .

قلوبهـم ، وكثير منهـم فاسقــون ﴾ »(٣٨) ٠

وتكلم شيـخ الإسلام عن هذه الأحوال في موضع آخرفقـــال : « فالأحوال التي ترد على العباد وأهل المعرفة والزهـاد ونحوهم ممـا توجب زوال عقـل أحدهم وعلمــه حتـى تجعلـه كـالمجنون والمولــه

---

(٣٨) مجموع الفتاوى ١١/٥٩٠ - ٥٩١ و ص ٦٢٩ وبعد هذه العبارة : « ولـو أثـر فيهم آثاراً محمودة لم يجذبهم عن حـد العقل : لكـانوا كمن أخرجهم إلـى حـد الغلبـة كانوا محمودين أيضاً ومعذورين » ٠

قال أبوعبدالرحمن : هذا كلام مضطرب غير مفهوم ، وهـو إمـا تطبيـع وإمـا فسـاد في الأصـل ٠

قال أبوعبدالرحمن : في هذا الكلام تعقيد ، ومعناه أن السماع إذا لـم يخرجهم عن حد العقل فحكمه حكم من أخرجـه السـماع إلـى حـد العجز - كمـا سيأتي التقسيم في كلامه اللاحق إلى زوال عقل وزوال قـدرة - فهـو محمـود معـذور لأن السماع أثّـر بـه آثـاراً حميدة ٠

قال أبوعبدالرحمن : إذا كانت الآثـار ما سلف من أحوال الصحابـة فتلـك آثـار محمودة بـلا خـلاف ٠

وإن كانت تلك الآثـار ما حدث من أحـوال من بعد الصحابة ففي ذلك الخـلاف هل هي آثـار محمودة أم لا ؟ ٠

الجواب : أنـه إذا تصور واقعـاً أن الغشي والصياح والجنون والموت كل ذلـك يحصل بـدون تغليب للقنوط واليأس ، وبدون تعاطي سبب غـير مشـروع ؛ فـإن صاحب تلك الأحوال معـذور مأجـور وليس أكمـل حـالاً ، لأن الصحابـة أكمـل حالاً ومنعهم إيمانهم المعتـدل بين الخوف والرجـاء مـن أن يكونـوا ضحايـا تلـك الأحوال المستحدثـة ٠

==

والسكران والنائم ... أو زوال قدرته حتى تجعله كالعاجز ، أو تجعله كالمضطرب الذي يصدر عنه القول والفعل بغير إرادته واختياره فإن زوال العقل والقدرة قد يوجب عجزه عن أداء واجبات ، وقد يوجب وقوعه في محرمات ، فهؤلاء يقال فيهم : إن كان زوال ذلك بسبب غير محرم فلا حرج عليهم فيما يتركونه من الواجبات ويفعلونه من المحرمات (٣٩) .

ولا يجوز أيضاً اتباعهم فيما هو خارج عن الشريعة من أقوالهم وأفعالهم ، ولا نذمهم على ذلك ، بل قد يمدحون على ما وافقوا فيه الشريعة من الأقوال والأعمال ، ويرفع عنهم اللوم فيما عذرهم فيه الشارع كما يقال في المجتهد المخطئ سواء ، بل المجتهد المخطئ نوع من هذا الجنس حيث سقط عنه اللوم لعجزه عن العلم .

== ولكن الراجح أن تلك الآثار لا تحصل إلا لمن غلب عنده جانب العذاب واليأس كأن النار ما خلقت إلا لهم في أحوالهم تلك .
أما الكمّل فيعتقدون أن النار خلقت للكفار ولمن اقتضت مشيئة الله تعذيبه من عصاة الموحدين ، ولكنهم إذا عملوا شمروا وعملوا عمل من يعتقد أن النار ما خلقت إلا له .
وليس هذا اعتقاده في الواقع .

(٣٩) **قال أبوعبدالرحمن** : يبقى الخلاف في السبب غير المحرم هل يوصل إلى عجز عقلي أو جسمي ؟ ! .

وإن كان زوال ذلك بسبب محرم استحقوا الذم والعقاب على ما يتركونه من واجب ويفعلونه من محرم .

مثال الأول من يسمع القرآن على الوجه المشروع فهاج له وجد يحبه ، أو مخافة أو رجاء ، فضعف عن حمله حتى مات أو صعق أو صاح صياحاً عظيماً ، أو اضطرب اضطراباً كثيراً (٤٠) ، فتولد عن ذلك ترك صلاة واجبة ، أو تعدٍّ على بعض الناس ، فإن هذا معذور في ذلك ، فإن هذا في هذه الحال بمنزلة عقلاء المجانين المولهين الذين حصل لهم الجنون مع أنهم من الصالحين وأهل المعرفة : إما لقوة الوارد الذي ورد عليهم ، وإما لضعف قلوبهم عن حمله ، وإما لانحراف أمزجتهم وقوة الخلط ، وإما لعارض من الجن ، فإن هؤلاء كما بلغنا عن الإمام أبي محمد المقدسي حيث سئل عنهم فقال : هؤلاء قوم أعطاهم الله عقولاً وأحوالاً ، فسلب عقولهم وأبقى أحوالهم ، وأسقط ما فرض بما سلب .

ولهذا كان هذا الصنف والذي قبله موجوداً في التابعين ومن بعدهم لا سيما في عُبَّاد البصريين ، فإن فيهم من مات من سماع القرآن كزرارة بن أوفى ، وأبي جهير الضرير وغيرهما .

---

(٤٠) **قال أبوعبدالرحمن** : لا يتصور هذا لمن كان إيمانه إيمان غيب لا شهادة إلا إذا انجمع قلبه على غلبة العذاب مع اليأس من الرحمة وانصراف النظر كلياً عن الامتثال الذي يكون سبباً للجنة .

فإن قيل : «حصل لهم وارد اليأس أو شدة الخوف بوسواس» : فهم حينئذ معذورون ، وصاحب الوسواس لا يكون قدوة .

وأما الصحابة فإن حالهم كان أكمل من أن يكون فيهم مجنــون أو مصعوق •

ومن هؤلاء أيضاً من غلب عليه الذكر لله والتوحيد لـــه والمحبة حتى غاب بالمذكور المشهود المحبوب المعبود عما سواه كما يحصل لبعض العاشقين في غيبته بمعشوقه عما سواه (٤١) ، فيقول أحدهم في هذه الحال : أنا الحق ، أو سبحاني ، أو مافي الجبة إلا الله •

ومنهم من غلب عليه حال الرجاء والرحمة حتى قال : أبسط سجادتي على جهنم •

فمن قال هذا في حال زوال عقله بحيث يكون كالسكران أو المولـه ، وكان السبب الذي أوجبه ذلك غير منهي (٤٢) عنه شرعاً فلا إثم عليه •

ومثال الثاني ما قد يحصل عند سماع المكاء والتصدية لكثير من أهل السماع ، فإنه قد ينشد أشعاراً فيها ما يخالف الشـــرع بأصوات مخالفة للشرع ، ويكون للإنسان فيه استعداد فيوجب ذلك اختلاطاً وزوال عقل ، حتى يقتل بعضهم بعضاً إما ظاهراً ، وإما باطناً بالهمة والقلوب (٤٣) •

---

(٤١) **قال أبو عبدالرحمن** : لا والله ليس في الشرع غيبة بمحبوب وفناء ، ولا يمكن أن يكفر فيقول : أنا الحق أو سبحاني من غلب عليه ذكر الله •
وإنما يقول ذلك مجنون ، أو مغلوب على عقله تلك اللحظة ، أو كافر دعي •

(٤٢) لا يمكن أن يكون السبب غير منهي عنه إلا بجنون غير إرادي ، وأما من تعرض لاستخدام الجن فجنونه إرادي •

(٤٣) **قال أبو عبدالرحمن** : لا أعهد شيئاً عن القتل بالهمة والقلوب حاشا العين فإنها حق وهي تقتل ، بإذن الله •
والسحر ليس من أعمال القلوب •

ويوجب أيضاً من ترك واجبات الشريعة ، ومن الاعتداء على المؤمنين في الدين والدنيا ما الله به عليم .

وكذلك قد يسلك أحدهم عبادات غيرشرعية في الاعتقادات والأعمال فتورثه تلك العبادات والأعمال أحوالاً قوية قاهرة يترك بها الواجبات ، ويفعل بها المحرمات أعظم مما يفعله الملك الجبارإذا سكربشرب الخمربالنفوس والأموال .

وإذا خوطب أحدهم في حال صحوه وعقله قال : كنت مغلوباً ، وورد علي وارد فعل بي هذا ، والحكم للوارد .

وهذه حال كثير من خفراء العدو وكثير ممن يعين الكفرة والظلمة ، ويعتدي على المسلمين والمؤمنين من أهل الأحوال ، ويقول : إنه مغلوب في ذلك ، وأنه ورد عليه وارد أوجب ذلك ، وأنه خوطب بذلك الفعل .

فيقال : أما زوال عقلك حتى صرت لا تفهم أمر الله ونهيه وزوال قدرتك حتى صرت مضطرّاً إلى تلك الأفعال (وإن كنت صادقاً في ذلك) فسببه تفريطك وعدوانك أولاً حتى صرت في حال المجانين والسكارى ، فأنت بمنزلة شارب الخمر الذي سكر منها ، والمتعرض للعشق حتى يعشق فيفعل فيه العشق الأفاعيل ، إذ لا فرق بين سكر الأصوات والصور والشراب ، فإن هذا سكر الأجسام وهذا سكر النفوس وهذا سكر الأرواح ، فإذا كان السبب محظوراً لم يكن السكران معذوراً في دين الإسلام .

ولهذا إنما تقع هذه الأحوال ممن فيه نصرانية يميل بسببها إلى السكر كما يفعله النصارى في الشراب والأصوات والصور ، ولهذا كان هؤلاء في عالم الضلال .

وأما قولك : إنك خوطبت بذلك وأمرت فمن أي الجهتين ؟ .
أمن جهة الكلمات الدينية ؟ .
أم من جهة الكلمات الكونية ؟ .

فالأولى مثل قوله :﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان** ﴾ وقوله : ﴿ **هو الذي بعث في الأميين** ﴾ وقوله : ﴿ **ولقد أرسلنا رسلنا بالبينات** ﴾ .

والثانية مثل قوله : ﴿ **أمرنا مترفيها** ﴾ وقوله : ﴿ **بعثنا عليكم عباداً لنا** ﴾ وقوله : ﴿ **إنا أرسلنا الشياطين** ﴾ .

فإن ذكرت أنه من الجهة الأولى فباطل بخلاف الكتاب والسنة .

وإن أقررت أنه من الثانية فصحيح ، لكن هذا حال الكفار والمنافقين مثل إبليس وفرعون ونمرود ، وسائر من أطاع الأوامر الكونية ، وتبع الإرادة القدرية وأعرض عن الأوامر الشرعية ، ولم يقف عند الإرادة الدينية .

فتدبر هذا الأصل ؛ فإنه عظيم نافع جداً فتتكشف به الأحوال المخالفة للشرع ، وانقسام أهلها إلى معذور وموزور وانقسامها إلى مسطور على صاحبه ومغفور بمنزلة الأحوال الصادرة عن غير أهل العبادات والزهادات من العقل والصحو ، ومن الإغماء والسكر

والجنون ، ومن الاضطرار والاختيار؛ فإن أحوال الملوك والأمراء وأحوال الهداة والعلماء ، وأحوال المشايخ والفقراء تشترك في هذه القاعدة الشريفة ، وتحكم الشريعة فيها بالفرقان .

وإذا ضم إلى ذلك أن ما يصدر عن ذوي الأحوال من كشف علمي أو تأثير قدري ليس بمستلزم لولاية الله ، بل ولا للصلاح ، بل ولا للإيمان ، إذ قد يكون هذا الجنس في كافر ومنافق وفاسق وعاص ، وإنما أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون .

ففرق بين ولاية الله وبين الأحوال ، كما فرق بين خلافة النبوة وبين جنس الملك ، وفرق بين العلم الذي ورثته الأنبياء وجنس الكلام ، فبين هذين النوعين خصوص وعموم ، فقد يكون الرجل ولياً لله له حال تأثيروكشف ، وقد يكون ولياً ليس له تلك الحال بكمالها ، وقد يكون له شيئ من هذه الأحوال وليس وليّاً لله ، كما قد يكون خليفة نبي مطاعاً، وقد يكون خليفة نبي مستضعفاً ، وقد يكون جباراً مطاعاً ليس من النبوة في شيئ ، وقد يكون عالماً ليس متكلماً ، بما يخالف كلام الأنبياء ، وقد يكون عالماً متكلماً بكلام الأنبياء))(٤٤) .

قال أبوعبدالرحمن : هذا كلام نفيس ، وهو كافٍ لمن كان

---

(٤٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٠/٣٤٨ - ٣٥٣ .

هدفه معرفة الحكم في أصحاب ذوي الأحوال هل هم معذورون أو غير معذورين .

فقد يعمل المسلم غير الجائز ويكون معذوراً .

أما من همه حكم الحال ذاتها فعليه أن يقف عند حال ذوي المثال الأول الذين هم معذورون ليعلم أن الموت والصعق والاضطراب الكثيرمن سماع القرآن لن يكون عن إيمان صحيح نقي من الشوائب ، ولو كان كذلك لكان من يموت أعظم درجة ممن لايموت فيكون هؤلاء أعلى مقاماً من محمد ﷺ وصحبه ؟ .

ومعاذ الله أن نزعم لأحد من الأمة مقاماً إيمانياً أعلى من مقام محمد ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم .

وفناء الصوفية قسَّمه شيخ الإسلام إلىفناء إرادة ،وفناء شهود .

وفسر فناء الإرادة ومدحه بقوله : « فناء القلب عن إرادة ما سوى الرب والتوكل عليه وعبادته وما يتبع ذلك ، فهذا حق صحيح وهو محض التوحيد والإخلاص ، وهو في الحقيقة عبادة القلب وتوكله واستعانته ، وتألهه وإنابته وتوجهه إلى الله وحده لا شريك له ، وما يتبع ذلك من المعارف والأحوال وليس لأحد خروج عن هذا .

وهذا هو القلب السليم الذي قال الله فيه : ﴿ **إلا من أتى الله بقلب سليم** ﴾ وهو سلامة القلب عن الاعتقادات الفاسدة والإرادات الفاسدة وما يتبع ذلك .

وهذا الفناء لا ينافيه البقاء بل يجتمع هو والبقاء فيكون العبد فانياً عن إرادة ما سواه وإن كان شاعراً بالله وبالسوى ، وترجمته قول لا إله إلا الله .

وكان النبي ﷺ يقول : لاإله إلاالله ، ولانعبد إلاإياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن . وهذا في الجملة هو أول الدين وآخره))(٤٥).

وفسر فناء الشهادة وذمه بقوله : ((وفناء القلب عن شهود مما سوى الرب ، وهذا فناء عن العلم بالغير والنظر إليه ، فهذا الفناء فيه نقص ، فإن شهود الحقائق على ما هي عليه وهو شهود الرب (٤٦) مدبراً لعباده آمراً بشرائعه أكمل من شهود وجوده أو صفة من صفاته أو اسم من أسمائه والفناء بذلك عن شهود ما سوى ذلك .

ولهذا كان الصحابة أكمل شهوداً من أن ينقصهم شهود للحق مجملاً عن شهوده مفصلاً .

ولكن عرض كثير من هذا لكثير من المتأخرين من هذه الأمة كما عرض لهم عند تجلي بعض الحقائق (٤٧) الموت والغشي

---

(٤٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٠/٣٣٧ - ٣٣٨ .

(٤٦) قال أبو عبدالرحمن : هناك شهود بصر وشهود بصيرة ، فشهود البصيرة العلم باللهوبمالهمن الكمال ، وشهود البصررؤية مخلوقاته وآثارفعلهالدالة عليه . فهذان هما معنى الشهود ها هنا .

(٤٧) هذا إن تجلى له في نوم أو يقظة رؤيا حقيقة بغير سبب منه ، ولا قدرة له على مشاهدتها كمشهد من نار جهنم فهو معذور .
وهذا أمر خارج عن الأحوال التي تقع من مجرد السماع والإيمان .

والصياح والاضطراب ، وذلك لضعف القلب عن شهود الحقائق على ما هي عليه ، وعن شهود التفرقة في الجمع والكثرة (٤٨) في الوحدة ، حتى اختلفوا في إمكان ذلك ٠

كثير منهم يرى أنه لا يمكن سوى ذلك لما رأى أنه إذا ذكر الخلق أو الأمر اشتغل عن الخلاق الآمر، وإذا عورض بالنبي ﷺ وخلفائه ادعى الاختصاص ، أو أعرض عن الجواب أو تحير في الأمر ٠

وسبب ذلك أنه قاس جميع الخلق على ما وجده من نفسه ، ولهذا يقول بعض هؤلاء : إنه لايمكن حين تجلي الحق سماع كلامه٠

ويحكى عن ابن عربي أنه لما ذكر له عن الشيخ شهاب الدين السهروردي أنه جوز اجتماع الأمرين قال : نحن نقول له عن شهود الذات وهو يخبرنا عن شهود الصفات » (٤٩) ٠

قال أبوعبدالرحمن : إن الله تعبد الخلق بالإيمان بالغيب ، وحجب تجليه أن يكون عالم شهادة لأن ميزة العبد في الإيمان بالواقع المغيب بعد أن أقام الله له الحجة عليه ٠

وتجلي بعض الحقائق للمؤمن لا تتجاوز أن تكون معطىً إيمانياً علمياً يحصل معه أعمال قلبية من خشية وخوف وشوق ٠

---

(٤٨) الكثرة والجمع تعبيرات صوفية، فالتفرقة في الجمع التفرقة بين الخلق والخالق في غير حال الفناء ، والكثرة في الوحدة إمكان مشاهدة السوى حال الفناء ٠

(٤٩) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٣٨/١٠ - ٣٣٩ ٠

أما الموت والغشي والجنون فيحتمل أن يكون عن تجلٍّ حسي سمعي أو بصري ، وهذا لم يدعه أفضل الخلق الرسل والصحابة وأتباعهم (إلا في حالات وحي ربط الله على قلوبهم فيها كتكليم موسى لربه ، وكمشاهدات الإسراء والمعراج) فيحصل لهم أعراضه ، فنجزم حينئذٍ أن ما عرض لسواهم إما ادعاء ، وإما حقيقة من تجليات الجن صالحين وطالحين ، فلا يكون ما حصل لأهل التجلي ميزة إيمانية .

ولهذا لما ساق شيخ الإسلام هذا الفناء وحكى أحكامه عن ابن عربي والسهروردي أعقبه بقوله : « وفي هذا الفناء قد يقول : أنا الحق ، أو سبحاني ، أو ما في الجبة إلا الله إذا فني بمشهوده عن شهوده ، وبموجوده عن وجوده ، وبمذكوره عن ذكره ، وبمعروفه عن عرفانه » (٥٠) .

قال أبوعبدالرحمن : هذا لا يصدر عن ذوي ميزة إيمانية .

وشيخ الإسلام أحسن الظن بأناس كان لهم فناء كصاحب «منازل السائرين» فحاول تمييزفنائهم بميزة شرعية عن الفناء الكفري فقال : « ولهذا اتفق العارفون على أن حال البقاء أفضل من ذلك وهو شهود الحقائق بإشهاد الحق كما قال الله تعالى فيما روى عنه رسوله : « ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش

---

(٥٠) مجموع الفتاوى ٣٣٩/١٠ .

بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، فبي يسمع وبي يبصر ، وبي يبطش وبي يمشي» .

وفي رواية : « وبي ينطق وبي يعقل » .

فإذا سمع بالحق ورآى به سمع الأمر على ما هو عليه وشهد الحق على ما هو عليه .

وعامة ما تجده في كتب أصحاء الصوفية مثل شيخ الإسلام ومن قبله من الفناء هو هذا .

مع أنه قد يغلط بعضهم في بعض أحكامه كما تكلمت عليه في غير هذا الموضع .

وفي الجملة فهذا الفناء صحيح وهو في عيسوية المحمدية ، وهو شبيه بالصعق والصياح الذي حدث في التابعين .

ولهذا يقع كثير من هؤلاء في نوع ضلال ، لأن الفناء عن شهود الحقائق مرجعه إلى عدم العلم والشهود .

وهو وصف نقص لا وصف كمال ، وإنما يمدح من جهة عدم ما سواه ، لأن ذكر المخلوق قد يدعو إلى إرادته والفتنة به » (٥١) .

قال أبوعبدالرحمن : الفناء اصطلاح غير شرعي لم يرد بمعناه نص شرعي أو سيرة عملية من أصحاب رسول الله ﷺ .

وإنما كان هو - أي الاصطلاح - ومعناه مما أحدثه أهل

---

(٥١) مجموع الفتاوى ٣٤١/١٠ - ٣٤٢ .

التصوف فلا نُنَزّل عليه الحديث القدسي لأن الحديث القدسي عن هداية التوفيق والتسديد والمتاع الحسن ، لأنهما ثمرة حب الله لعبده.

ومدلول الحديث أن من ثمار حب الله أن يشهد العبد الحقائق كما هي عليه ، ويعتقد ويعلم ويعمل بمقتضى مراد الله الشرعي .

فأي فناء ها هنا ؟ ! .

وصاحب « منازل السائرين » ليس صحابيّاً ، وليس معصوماً فيجب أن نزن الرجال بأقوالهم وأعمالهم بميزان الشرع فما كان خطأ خطأناه ولا يحملنا حبهم على تسويغ الخطأ وتوجيهه باحتجاج على تسويغ لا ينطبق عليه .

والفناء بأعرافه ليس مما يلزمنا فنوفق بينه وبين حقائق الشرع.

وما ذكره شيخ الإسلام من فناء الإرادة ومدحه له غير مسلم إلا في الأمور التعبدية التي هي نقيض الأمور الشركية .

أما الأمور العادية التي هي من قدر المخلوقين وتسبباتهم فليست دعوى الفناء مطلوبة فيها .

ولا يكفي مجرد الشعور بالسوى ، ولا يكون ما زاد على الشعور بالسوى ناقصاً من التوحيد مفسداً للأعمال القلبية .

بل يشهد القلب المفعم إيماناً بالله السوى ويتعامل معه حبّاً وبغضاً وخوفاً ورجاء في الأمور العادية التي هي من قُدَرِ العباد لأن الله جعل من استخلافنا على الأرض أموراً تقوم على أفعالنا والتعاون فيما بيننا .

غايـة ما هنالك أن مالا يقدر عليـه إلا الله يفنى فيـه عمّـا سـواه ليكون عبادة لله ، فإن طُلب من السوى كان شركـاً .

وهـذا تطييـب للخاطر باستعمال الفنـاء والسوى مـا دام معناهمـا بالمعنى المذكـور .

والأرشد أن يقال : مالا يقدر عليه إلا الله لا يُطلب إلا من الله .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « وأكابر الأوليـاء كـأبي بكر وعمـر والسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار لم يقعوا في هـذا الفناء فضـلاً عمن هـو فوقهم من الأنبياء ، وإنما وقـع شيئ من هذا بعد الصحابـة .

وكذلك كل ما كان من هـذا النمط مما فيـه غيبة العقـل والتمييـز لما يرد على القلب من أحوال الإيمان ؛ فإن الصحابـة - رضـي اللـه عنهم - كانوا أكمـل وأقوى وأثبت في الأحوال الإيمانيـة من أن تغيب عقولهم أو يحصـل لهـم غشـي أو صـعـق أو سـكر أو فنـاء أو ولــه أو جنـون ، وإنما كان مبادئ هـذه الأمور في التابعين من عبـاد البصـرة ، فإنـه كان فيهم من يغشى عليـه إذا سـمع القـرآن ، ومنهـم مـن يمـوت كأبي جهيـر الضرير وزرارة بن أوفى قاضـي البصـرة .

وكذلـك صـار في شـيوخ الصـوفيـة مـن يعـرض لــه مـن الفنــاء والسكر ما يضعف معـه تمييزه حتى يقول في تلك الحال مـن الأقـوال ما إذا صحا عرف أنـه غالط فيـه كما يحكى نحو ذلـك عـن مثـل أبـي يزيـد ، وأبي الحسن النوري ، وأبي بكر الشبلي وأمثالهم بخـلاف أبـي سليمان الداراني ومعروف الكرخي والفضيل بن عياض ، بل وبخلاف

الجنيد وأمثالهم ممن كانت عقولهم وتمييزهم يصحبهم في أحوالهم فلا يقعون في مثل هذا الفناء والسكر ونحوه ٠

بل الكمّل تكون قلوبهم ليس فيها سوى محبة الله وإرادته وعبادته ، وعندهم من سعة العلم والتمييز ما يشهدون الأمور على ماهي عليه ، بل يشهدون المخلوقات قائمة بأمر الله مدبرة بمشيئته ، بل مستجيبة له قانتة له ، فيكون لهم فيها تبصرة وذكرى ، ويكون ما يشهدونه من ذلك مؤيدّاً وممداً لما في قلوبهم من إخلاص الدين ، وتجريد التوحيد له ، والعبادة له وحده لا شريك له ٠

وهذه الحقيقة التي دعا إليها القرآن ، وقام بها أهل تحقيق الإيمان والكمّل من أهل العرفان ٠

ونبينا ﷺ إمام هؤلاء وأكملهم ، ولهذا لما عرج به إلى السماوات وعاين ما هنالك من الآيات وأوحى إليه ما أوحي من أنواع المناجاة أصبح فيهم وهو لم يتغير حاله ، ولا ظهر عليه ذلك بخلاف ما كان يظهر على موسى من التغشي صلى الله عليهم وسلم أجمعين » (٥٢) ٠

قال أبوعبدالرحمن : موسى عليه السلام طلب رؤية الله فأراه الله اندكاك المخلوق عند تجلي الخالق فكان في ذلك مجال للغشي ٠

وأما محمد ﷺ فعرج به بلاطلب منه تكريماً له فثبت الله قلبه ٠

* * *

---

(٥٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٢٢٠/١٠ - ٢٢١ ٠

[أيهـــا العـاذلـــــون لا تعــذلونـــي

وانظروا حســن وجـهـهــا تعذروني

وانظـروا هل تـرون أحسـن منـهـا

إن رأيتـــم شبـهـهـــــا فاعذلـــوني

بي جنون الـهـوى ومـا بــي جنون

وجنـون الـهـوى جنـــون الجنــون

عن مشارق أنوارالقلوب للأنصاري

ص ٩٨]

الباب الثاني : العشاق بين الوصل والحرمان

الفصل الأول : كيف يسلو العشاق ؟ .

الفصل الثاني : حديث ((من عشق فعف)) رواية ودراية .

الفصل الثالث : العشاق والوصل .

الفصل الرابع : فتاوى بين الإباحة والحظر .

[أعاذلتي لا تعذلي عاشقاً مثلي
ولكن دعيني واعذلي الحب من أجلي
ونوحي على صب بكت عائداته
صريع الخدود البيض والأعين النجل
رمين فلما أن أصبن مقاتلي
تولين وانضمت جراحي على النبل

ابن المعتز]

الفصل الأول :

كيــف يسلــو العشـــاق ؟ !

العاشق المحروم إما أن يسلو ، وإما أن يعجز فيموت بشهقة حسبما بين في الباب الثالث ، أو بدنف يضنيه حتى يموت شبحاً ، أو يفقد عقله .

ولا تلتمس أشعار وأخبار الذين سلوا وصبروا ، لأن السلو صمت ، وليس لساكت قول .

والسلو عن حب أو عشق كلاهما يتحول ويتبدل بالسلو ، لأن الأدباء مهما بالغوا في العشق ولزوقه إلا أنه آت عن فراغ شرحه شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله : « وذلك أن النفس الصافية التي فيها رقة الرياضة ، ولم تنجذب إلى محبة الله وعبادته انجذاباً تامّاً ، ولا قام بها من خشية الله التامة ما يصرفها عن هواها : متى صارت تحت صورة من الصور استولت تلك الصورة عليها كما يستولي السبع على ما يفترسه .

فالسبع يأخذ فريسته بالقهر ولا تقدر الفريسة على الامتناع منه ، كذلك ما يمثله الإنسان في قلبه من الصور المحبوبة تبتلع قلبه وتقهره ، فلا يقدر قلبه على الامتناع منه ، فيبقى قلبه مستغرقاً في تلك الصورة أعظم من استغراق الفريسة في جوف الأسد ؛ لأن المحبوب المراد هو غاية النفس ، له عليها سلطان قاهر » (١) .

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٥٩٥/١٠ .

قال أبوعبدالرحمن : التخلية من العشق رياضة الأبطال ذوي العزائم ، والتحلية بالانجذاب إلى الله •

وشرع الله هو العوض الجالب للسلو لأنه المطلب الأساس •

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « فأما إذا ابتلي بالعشق وعف وصبر فإنه يثاب على تقواه لله ، وقد روي في الحديث : أن من عشق فعف وكتم وصبر ثم مات كان شهيداً •

وهو معروف من رواية يحيى القتات : عن مجاهد : عن ابن عباس مرفوعاً ، وفيه نظر ولا يحتج بهذا (٢) •

لكن من المعلوم بأدلة الشرع أنه إذا عف عن المحرمات نظراً وقولاً وعملاً ، وكتم ذلك فلم يتكلم به حتى لا يكون في ذلك كلام محرم (إما شكوى إلى المخلوق ، وإما إظهار فاحشة ، وإما نوع طلب للمعشوق) وصبر على طاعة الله ، وعن معصيته ، وعلى ما في قلبه من ألم العشق كما يصبر المصاب عن ألم المصيبة : فإن هذا يكون ممن اتقى الله وصبر ﴿ **ومن يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين** ﴾ » (٣) •

وقال رحمه الله :« فالله سبحانه فطر عبده على محبته وعبادته وحده ، فإذا تركت الفطرة بلا فساد كان القلب عارفاً بالله محباً له عابداً له وحده •

---

(٢) **قال أبوعبدالرحمن** : صدر عن دار ابن حزم بالرياض كتيِّبي « بطلان حديث من عشق وعف موصولاً وتحسينه في الوقف » •

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٠/١٣٣ •

وإذا كان القلب محبّاً لله وحده ، مخلصاً له الدين : لم يبتل بحب غيره أصلاً .. فضلاً أن يبتلى بالعشق ، وحيث ابتلي بالعشق فلنقص محبته لله وحده .

وما يبتلى بالعشق أحد إلا لنقص توحيده وإيمانه .

وكل من أحب شيئاً بعشق أوغيرعشق ؛ فإنه يصرف من محبته بمحبة ما هو أحب إليه منه إذا كان يزاحمه ، وينصرف عن محبته بخوف حصول ضرر يكون أبغض إليه من ترك ذاك المحب ، فإذا كان الله أحب إلى العبد من كل شيئ ، وأخوف عنده من كل شيئ : لم يحصل معه عشق ولا مزاحمة إلا عند غفلة أو عند ضعف .. هذا الحب والخوف بترك بعض الواجبات وفعل بعض المحرمات ، فإن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، فكلما فعل العبد الطاعة محبة لله وخوفاً منه ، وترك المعصية حباً له وخوفاً منه : قوي حبه له وخوفه منه ، فيزيل ما في القلب من محبة غيره ومخافة غيره .

وهكذا أمراض الأبدان فإن الصحة تُحفظ بالمثل ، والمرض يدفع بالضد ، فصحة القلب بالإيمان تحفظ بالمثل ، وهو ما يورث القلب إيماناً من العلم النافع والعمل الصالح ، فتلك أغذية له كما في حديث ابن مسعود - رضي الله عنه - مرفوعاً وموقوفاً : أن كل آدب يحب أن تؤتى مأدبته ، وأن مأدبة الله هي القرآن » .

ثم ذكر - رحمه الله - أوقات التعبد مثل آخر الليل ، وأوقات الأذان والإقامة ، وفي سجوده ، وفي أدبار الصلوات ، فقال: « ويضم

إلـى ذلك الاستغفـار ، فإنـه من استغفر الله ثـم تاب إليــه متعــه متاعـاً حسناً إلى أجـل مسمى ٠

وليتخـذ ورداً من الأذكـار في النهار ووقت النوم ، وليصبر على ما يعرض لـه من الموانع والصوارف ، فإنـه لا يلبـث أن يؤيـده اللـه بروح منـه ، ويكتب الإيمـان في قلبــه ٠

وليحرص على إكمـال الفرائض مـن الصلوات الخمـس باطنــة وظاهرة فإنها عمود الدين ، وليكن هجِّيراه : لاحول ولاقـوة إلا بالله ، فإن بها تُحمل الأثـقال وتكابـد الأهوال وينال رفيع الأحـوال ٠

ولا يسأم من الدعاء والطلـب ، فـإن العبـد يستجاب لــه مـا لم يعجـل ، فيقـول : قـد دعـوت ودعـوت فلـم يستجب لـــي ، وليعلـم أن النصر مع الصبـر ، وأن الفـرج مـع الكرب ، وأن مع العسر يسـراً ، ولم ينل أحـد شيئاً من ختم الخير (نبي فمن دونـه) إلا بالصبر» (٤) ٠

وقال : « وعبوديـة القلب وأسره هي التي يترتـب عليهـا الثـواب والعقاب ، فإن المسلم لـو أسره كـافر أو استرقــه فـاجر بغـير حـق لـم يضره ذلك إذا كان قائماً بما يقـدر عليـه من الواجبات ٠

فالحرية حرية القلب ، والعبودية عبودية القلب ٠٠ كما أن الغنى غنى النفـس ٠

قال النبي ﷺ : « ليس الغنى عن كثـرة العـرض ، وإنمـا الغنـى غنى النفـس » ٠

---

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٣٥/١٠ - ١٣٧ ٠

وهذا لعمري إذا كان قد استعبد قلبه صورة مباحة ، فأما من استعبد قلبه صورة محرمة (امرأة أو صبي) فهذا هو العذاب ٠

وهؤلاء من أعظم الناس عذاباً وأقلهم ثواباً ، فإن العاشق لصورة إذا بقي قلبه متعلقاً بها مستعبداً لها اجتمع له من أنواع الشر والفساد مالا يحصيه إلا رب العباد (ولو سلم من فعل الفاحشة الكبرى) ٠٠ فدوام تعلق القلب بها بلا فعل الفاحشة أشد ضرراً عليه ممن يفعل ذنباً ثم يتوب منه ، ويزول أثره من قلبه ٠٠ وهؤلاء يشبهون بالسكارى والمجانين كما قيل :

سكران سكر هوى وسكر مدامة

ومتى إفاقة مِن به سكران ؟ !

وقيل :

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم

العشق أعظم مما بالمجانين

العشق لا يستفيق الدهر صاحبه

وإنما يصرع المجنون في الحين

ومن أعظم أسباب هذا البلاء إعراض القلب عن الله ، فإن القلب إذا ذاق طعم عبادة الله والإخلاص له لم يكن عنده شيئ قط أحلى من ذلك ولا ألذ ولا أطيب ، والإنسان لا يترك محبوباً إلا بمحبوب آخريكون أحب إليه منه، أو خوفاً من مكروه ٠٠ فالحب الفاسد

إنما ينصرف القلب عنه بالحب الصالح أو بالخوف من الضرر» (٥) .

قال أبو عبد الرحمن : ولست أنكر أن المحبة أنواع ، وأن الحب درجات ، وأن العشق من أعلى درجاته ، وأنه الداء المبرح .

وإنما أقول : الحب يعوض عنه بمحبوب غيره ، فإذا تحرى الرجل المرأة الموافقة له رفعت عنه غبن التعلق بأجنبية .

وأما العشق فعبودية لئيمة تقتضي تصحيح العقيدة ، وتحقيق إيمان القلب على نحو ما سلف من كلام شيخ الإسلام .

وقال الإمام أبومحمد ابن حزم عن أنواع المحبة : « المحبة ضروب ، فأفضلها محبة المتحابين في الله عز وجل : إما لاجتهاد في العمل ، وإما لاتفاق في أصل النحلة والمذهب ، وإما لفضل علم يُمنحه الإنسان .

ومحبة القرابة ، ومحبة الإلفة في الاشتراك في المطالب ، ومحبة الطمع في جاه المحبوب ، ومحبة المتحابين لسر يجتمعان عليه يلزمهما ستره ، ومحبة بلوغ اللذة وقضاء الوطر ، ومحبة العشق »(٦).

وقال أبو محمد في كتاب آخر عن أنواع المحبة : « وإنما قدر الناس أنها تختلف من أجل اختلاف الأغراض فيها ، وإنما اختلفت الأغراض من أجل اختلاف الأطماع وتزايدها وضعفها وانحسامها .

---

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٨٦/١٠ - ١٨٧ .

(٦) طوق الحمامة ضمن رسائل ابن حزم ٩٥/١ - ٩٦ .

فتكون المحبة لله عز وجل وفيه ، وللاتفاق على بعض المطالب ، وللأب والابن والقرابة والصديق والسلطان ، ولذات الفراش ، والمحسن ، والمأمول ، والمعشوق ٠

فهذا كله جنس واحد اختلفت أنواعه كما وصفت لك على قدر الطمع فيما ينال من المحبوب ، فلذلك اختلفت وجوه المحبة ٠

وقد رأينا من مات أسفاً على ولده كما يموت العاشق أسفاً على معشوقه ٠

وبلغنا عمن شهق من خوف الله تعالى ومحبته فمات ٠

ونجد المرء يغار على سلطانه وعلى صديقه كما يغار على ذات فراشه وكما يغار العاشق على معشوقه ٠

فأدنى أطماع المحبة ممن تحب الحظوة منه ، والرفعة لديه ، والزلفة عنده إذا لم تطمع في أكثر ، وهذه غاية أطماع المحبين لله تعالى ، ثم يزيد الطمع في المجالسة ، ثم في المحادثة والمؤازرة ٠

وهذه أطماع المرء في سلطانه وصديقه وذوي رحمه ٠

وأقصى أطماع المحب ممن يحب المخالطة بالأعضاء إذا رجا ذلك ، ولذلك نجد المحب المفرط المحبة في ذات فراشه يرغب مجامعتها على هيئات شتى في أماكن مختلفة ليتكثر من الاتصال ، ويدخل في هذا الباب الملامسة بالجسد والتقبيل ، وقد يقع بعض هذا الطمع في الأب في ولده فيتعدى إلى التقبيل والتعنيق ٠

وكل ما ذكرنا إنما هو على قدر الطمع ، فإذا انحسم الطمع

عن شيئ ما لبعض الأسباب الموجبة له مالت النفس إلى ما تطمع فيه » (٧) .

قال أبوعبدالرحمن : المسلم لا يطمع إلا فيما أحله الله له ، ولهذا تتصرف نفسه عما حرم الله وأسبابه ، وتنجذب إلى حب الله وتحقيق ما يريده سبحانه وتعالى .

ولما ذكر أبو محمد ابن حزم أنواع المحبة قال : « فكل هذه الأجناس منقضية مع انقضاء عللها ، وزائدة بزيادتها ، وناقصة بنقصانها .. متأكدة بدنوها ، فاترة ببعدها حاشا محبة العشق الصحيح المتمكن من النفس فهي التي لا فناء لها إلا بالموت .

وإنك لتجد الإنسان السالي بزعمه ، وذا السن المتناهية إذا ذكّرته تذكر ، وارتاح ، وصبا ، واعتاده الطرب ، واهتاج له الحنين .

ولا يعرض في شيئ من هذه الأجناس المذكورة (من شغل البال والخبل والوسواس وتبدل الغرائز المركبة ، واستحالة السجايا المطبوعة ، والنحول والزفير وسائر دلائل الشجا) ما يعرض في العشق » (٨) .

وذكر أبو محمد أن الحب المشترك إنما هو حب شهوة ، وأما العشق فلا يكون إلا لشخص واحد .

---

(٧) مداواة النفوس ضمن رسائل ابن حزم ١/٣٦٩ - ٣٧٠ .

(٨) رسائل ابن حزم ١/٩٦ .

قال أبو محمد : « وأما ما يقــع مـن أول وهلــة ببعض أعراض الاستحسان الجسدي ، واستطراف البصر الذي لا يجاوز الألوان ، فهذا سر الشهوة ومعناها على الحقيقـة ، فإذا فضلت الشهوة وتجاوزت هذا الحد ووافق الفضل اتصال نفساني تشترك فيه الطبائع مع النفس سمي عشـقاً .

ومن هـذا دخل الغلط على من يزعـم أنــه يحب اثـنين ويعشـق شخصين متغايرين ، فإنما هـذا من جهـة الشهوة التـي ذكرناهـا آنفـاً ، وهـي على المجاز تسمى محبـة لا على التحقيـق ، وأمـا نفس المحـب فمـا فـي الميـل بــه فضـل يصرفــه فـي أسباب دينــه ودنيـاه فكيـف بالاشتغال بحب ثـانٍ ؟ ! .

وفـي ذلك أقـول :

كـــذب المدعي هــوى اثنيـن حتمـاً

مثـل ما فـي الأصـول أُكـذب مانــي

ليـس في القلـب موضــع لحبيبيـــن

(م) ولا أحـدث الأمــور بثـانـــي » (٩)

قال أبوعبدالرحمن : كـون العشق لا يكون مشتركاً دليل على أن العشق إثـم ، وأنـه عبوديـة .

وذكر أبومحمد بعد العشق الشغف وهو يذكر الترقي في سلم المحبة :

« درج المحبـة خمسـة : أولهـا الاستحسان وهـو أن يتمثل الناظر صـورة

---

(٩) طوق الحمامة ضمن رسائل ابن حزم ١/١٢٦ - ١٢٧ .

المنظور إليه حسنة ، أو يستحسن أخلاقه ، وهذا يدخل في باب التصادق ٠

ثم الإعجاب ، وهو رغبة الناظر في المنظور إليه وفي قربه ٠

ثم الألفة وهي الوحشة إليه متى غاب ٠

ثم الكلف ، وهو غلبة شغل البال به ، وهذا النوع يسمى في باب الغزل بالعشق ٠

ثم الشغف وهو امتناع النوم والأكل والشرب إلا اليسير من ذلك ، وربما أدى ذلك إلى المرض ، أو إلى التوسوس ، أو إلى الموت ، وليس وراء هذا منزلة في تناهي المحبة أصلاً » (١٠) ٠

قال أبو عبدالرحمن : فُهِم مما سبق من كلام شيخ الإسلام أن العشق والشغف لا يكونان إلا عن فراغ قلب من حب الله وشرعه ، وبقدر الامتلاء بحب الله وطاعة شرعه يكون التحرر من الشغف والعشق رويداً رويداً ٠

ولا يزعم أن الشغف داء لا دواء له إلا من صمم على أن التداوي بالشرع غير مُجْدٍ ، وصمم على الغفلة عن براهين الله وآلائه التي تردُّه إلى حبه وطاعته ٠

ولا يزعم ذلك إلا من جعل وساوس العشاق حقائق ، وجعل حقائق الشرع أوهاماً ٠

وذكر أبو محمد أوجه السلو ، فذكر ملل المحب النافي لحقيقة الحب ، واستبداله وهو كالأول بل أقبح ، وحياءه فيجعله الحياء في

---

(١٠) مداواة النفوس ضمن رسائل ابن حزم ٣٧٤/١ ٠

سلو دائماً على رغمه ، وهجر المحبوب ونفاره وجفاءه (وهذه المعاني متقاربة) ، وغدره وهو نظير الاستبدال من قبل المحب ، واليأس بموت أو فوت من بين أو عارض يدخل على المحبين (١١) .

ولم يذكر أبو محمد السلو بتطبب شرعي في هذا الفصل ، وإنما عالجه بفصل آخر ذكره بعنوان قبح المعصية ، ولم يبلغ شأو شيخ الإسلام في تطبيبه فقال : « وكثير من الناس يطيعون أنفسهم ويعصون عقولهم ، ويتبعون أهواءهم ، ويرفضون أديانهم ، ويتجنبون ما حض الله تعالى عليه ورتبه في الألباب السليمة من العفة وترك المعاصي ومقارعة الهوى ، ويخالفون الله ربهم ويوافقون إبليس فيما يحبه من الشهوة المعطبة ، فيواقعون المعصية في حبهم .

وقد علمنا أن الله عز وجل ركب في الإنسان طبيعتين متضادتين :

إحداهما : لا تشير إلا بخير ، ولا تحض إلا على حسن ، ولا يتصور فيها إلا كل أمر مرضي ، وهي العقل وقائده العدل ، والثانية : ضد لها لا تشير إلا إلى الشهوات ، ولا تقود إلا إلى الردى ، وهي النفس وقائدها الشهوة ، والله تعالى يقول : ﴿ **إن النفس لأمارة بالسوء** ﴾ [سورة يوسف / ٥٣] .

وكنى بالقلب عن العقل فقال : ﴿ **إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد** ﴾ [سورة ق / ٣٧] ، وقال تعالى :

---

(١١) انظر طوق الحمامة ضمن رسائل ابن حزم ١/٢٤٥ - ٢٤٦ .

﴿ **وحبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم** ﴾ [سورة الحجرات / ٧] ، وخاطب أولي الألباب ٠

فهاتان الطبيعتان قطبان في الإنسان ، وهما قوتان من قوى الجسد الفعال بهما ، ومطرحان من مطارح شعاعات هذين الجوهرين العجيبين الرفيعين العلويين (١٢) ، ففي كل جسد منهما حظه على قدر مقابلته لهما في تقدير الواحد الصمد تقدست أسماؤه حين خلقه وهيأه ، فهما يتقابلان أبداً ويتنازعان دأباً ، فإذا غلب العقل النفس ارتدع الإنسان وقمع عوارضه المدخولة ، واستضاء بنور الله واتبع العدل ٠

وإذا غلبت النفس العقل عميت البصيرة ، ولم يتضح الفرق بين الحسن والقبح ، وعظم الالتباس ، وتردى في هوة الردى ومهواة الهلكة ، وبهذا حسن الأمر والنهي ، ووجب الامتثال ، وصح الثواب

---

(١٢) قال الدكتور إحسان عباس معلقاً على هذا الموضع : « إذا كانت النفس لا تشير إلا إلى الشهوات ، ولا تقود إلا إلى الردى كما يقول ابن حزم فكيف تكون جوهراً عجيباً رفيعاً علوياً ؟ ! ٠
هنا يبدو الخلط الشديد بين النفس الأمارة بالسوء والنفس التي هبطت إليك من المحل الأرفع » ٠
قال أبوعبدالرحمن : لا تعارض فالنفس بمعنى الروح لها حال قبل حلولها الجسد ، وأبو محمد يتكلم عنها حال حلولها بالجسد ٠
وابن حزم يريد بالنفس هنا مجموع الإنسان جسداً وروحاً ٠
والنفس أيضاً فيها نوازع الخير والشر ، والعقل يُرجّح ويختار ٠

والعقـاب ، واستحـق الجــزاء » (١٣) .

وشجع على السلو عـن وصـل يجر إلـى معصيـة فقـال : « وإن فيمـا يبـدو إلينـا من تعـادي المتواصلين في غير ذات الله تعالى بعـد الألفة ، وتدابرهم بعـد الوصـال ، وتقاطعهم بعـد المـودة ، وتبـاغضـهم بعـد المحبـة ، واستحكام الضغـائن ، وتأكـد السـخائم فـي صدورهـم : لكاشفاً ناهياً لو صـادف عقولاً سليمة ، وآراء نافـذة وعزائم صحيحة .

فكيف بما أعـد الله لمن عصاه مـن النكـال الشـديد يـوم الحسـاب وفي دار الجزاء ، ومن الكشف على رؤوس الخلائـق ﴿ **يوم ترونـهـا تذهل كل مرضعـة عما أرضعت وتضـع كـل ذات حمـل حملهـا وتـرى الناس سكارى وماهـم بسكارى ولكن عذاب اللـه شديد** ﴾ [سورة الحج/٢] جعلنا الله ممن يفوز برضـاه ويستحق رحمتـه » (١٤) .

وقال : « وإن عن المعاصي لمذاهب للعـاقل واسعــة ، فمـا حـرم الله شيئاً إلا وقـد عـوض عباده من الحلال ما هـو أحسن مـن المحـرم وأفضل ، لا إلـه إلا هــو » (١٥) .

وعقـد فصلاً آخـر يعين على السلو سمـاه فضل التعفف فقال فيـه: « ومـن أفضـل مـا يأتيـه الإنسـان فـي حبـه التعفـف ، وتـرك ركـوب المعصية والفاحشة ، وألا يرغب عن مجازاة خالقـه لـه بالنعيم في دار

---

(١٣) رسـائـل ابن حزم ١/٢٦٧ – ٢٦٨ .
(١٤) المصدر السابق ١/٢٨٢ .
(١٥) نفســـه ١/٢٩٣ .

المقامة ، وألا يعصي مولاه المتفضل عليه الذي جعله مكاناً وأهلاً لأمره ونهيه ، وأرسل إليه رسله ، وجعل كلامه ثابتاً لديه ، عناية منه بنا وإحساناً إلينا .

وإن من هام قلبه ، وشغل باله ، واشتد شوقه ، وعظم وجده ، ثم ظفر فرام هواه أن يغلب عقله ، وشهوته أن تقهر دينه ، ثم أقام العدل لنفسه حصناً ، وعلم أنها النفس الأمارة بالسوء ، وذكرها بعقاب الله تعالى ، وفكر في اجترائه على خالقه وهو يراه ، وحذرها من يوم المعاد والوقوف بين يدي الملك العزيز الشديد العقاب الرحمن الرحيم الذي لا يحتاج إلى بيِّنة ، ونظر بعين ضميره إلى انفراده عن كل مدافع بحضرة علام الغيوب ﴿ **يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم** ﴾ [سورة الشعراء / ٨٨ - ٨٩] ﴿ **يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات** ﴾ [سورة الحجرات / ٤٨] ﴿ **يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً** ﴾ [سورة آل عمران / ٣٠] ﴿ **وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلماً** ﴾ [سورة طه /١١١] ﴿ **ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً** ﴾ [سورة الكهف /٤٩] يوم الطامة الكبرى ﴿ **يوم يتذكر الإنسان ما سعى ، وبرِّزت الجحيم لمن يرى فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى ، وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى** ﴾ [سورة النازعات / ٣٥ - ٤١] .. واليوم الذي قال الله تعالى

فيـــه : ﴿ **وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج لـه يـوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً • اقرأ كتابك كفى بنفسك اليـوم عليك حسيباً** ﴾ [سورة الإسراء ١٣ - ١٤] عندما يقول العاصي : ﴿ **يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها** ﴾ [سورة الكهف /٤٩] (فكيف بمن طوى قلبه على أحر من جمـر الغضـا ، وطـوى كشحـه على أحد من السيف ، وتجرع غصصاً أمرَّ مـن الحنظـل ، وصـرف نفسه كرهاً عما طمعـت فيـه وتيقنت ببلوغـه وتهيأت لـه ولم يحل دونها حائـل) : لحري أن يسر غداً يوم البعث ، ويكون من المقربين في دار الجزاء وعالم الخلود ، وأن يأمن روعات القيامة وهـول المطلع ، وأن يعوضه الله من هذه القرحة الأمن يومِ الحشر » (١٦) •

وقال أبو محمد أيضاً : « ولو لم يكن جزاء ولا عقاب ولا ثـواب لوجب (١٧) علينـا إفنـاء الأعمـار ، وإتعاب الأبدان ، وإجهاد الطاقة ،

---

(١٦) رسائل ابن حزم ١/٢٩٥ - ٢٩٦ •

(١٧) إن كان الموجب العقل فذلك أصل الخلاف مع المعتزلة ، وشكر المنعم من مقتضيات العقل لأنه من محاسن الأخلاق •• أما تعيين ما يكون به الشكر فلا يعرف إلا بالشرع •

والله لم يوجب على الخلق شيئاً بغير شرع هادٍ مبين ، فسقط عن الخلق بفضل الله ما يترتب على مخالفة مقتضى العقل من عقاب إلا أن يكون مقتضى العقل تحقيق شرع ملتبس في فترة من الرسل ، فصدَّ الناسُ عنه اتباعاً للهوى •

وأيضاً فربنا منَّ علينا بأن رتب على الشكر الثواب ، وعلى الكفر العقاب وإذن فلا داعي لقول أبي محمد : « ولو لم يكن جزاء •• إلخ » •

واستنفاد الوسع ، واستفراغ القوة في شكر الخالق الذي ابتدأنا بالنعم قبل استئهالها(١٨) ، وامتن علينا بالعقل الذي به عرفناه ، ووهبنا الحواس والعلم والمعرفة ودقائق الصناعات ، وصرَّف لنا السماوات جارية بمنافعها ، ودبرنا التدبير الذي لو ملكنا خلقنا لم نهتد إليه ، ولا نظرنا لأنفسنا نظره لنا ، وفضلنا على أكثر المخلوقات ، وجعلنا مستودع كلامه ومستقر دينه ، وخلق لنا الجنة دون أن نستحقها .

ثم لم يرض لعباده أن يدخلوها إلا بأعمالهم لتكون واجبة لهم ، قال الله تعالى : ﴿ **جزاء بما كانوا يعملون** ﴾ [سورة السجدة / ١٧] وأرشدنا إلى سبيلها ، وبصرنا وجه ظلها ، وجعل غاية إحسانه إلينا وامتنانه عليناحقاً من حقوقنا قِبَلَهُ ، وديناً لازماً له ، وشكرنا على ما أعطانامن الطاعة التي رزقنا قواها ، وأثابنا بفضله علىتفضله .

هذا كرم لا تهتدي إليه العقول ، ولا يمكن أن تكيفه الألباب .

ومن عرف ربه ومقدار رضاه وسخطه هانت عنده اللذات الذاهبة والحطام الفاني ، فكيف وقد أتى من وعيده ما تقشعر لسماعه الأجساد ، وتذوب له النفوس ، وأورد علينا من عذابه ما لم ينته إليه أمل ؟ .

فأين المذهب عن طاعة هذا الملك الكريم ، وما الرغبة في لذة ذاهبة لا تذهب الندامة عنها ، ولا تفنى التباعة منها ، ولا يزول الخزي عن راكبها ؟ ! .

---

(١٨) اي قبل أن نكون لها أهلاً .

وإلى كم هذا التمادي وقد أسمعنا المنادي ، وكأن قد حدا بنا الحادي إلى دار القرار فإما إلى جنة وإما إلى نار » (١٩) .

قال أبوعبدالرحمن : وأنواع السلو المذكورة آنفا من كلام أبي محمد قبيل أخذه في الوعظ إنما هي عن سلو التطبع ، وأما السلو الذي يكون طبعاً فقد ذكره أبو محمد بقوله : « وهو المسمى بالنسيان .. يخلو به القلب ويفرغ به البال ، ويكون الإنسان كأنه لم يحب قط ، وهذا القسم ربما لحق صاحبه الذم، لأنه حادث عن أخلاق مذمومة ، وعن أسباب غير موجبة استحقاق النسيان ، وستأتي مبينة إن شاء الله تعالى ، وربما لم تلحقه اللائمة لعذر صحيح » (٢٠) .

قال أبوعبدالرحمن : إنما يريد أبو محمد الذم على مذهب الأدباء والظرفاء ، ولم ينحو نحو ابن تيمية في إفراغ القلب مما يسد عليه آفاق الحب لله وشرعه ، لأن أبا محمد يرى أن الحب إلى الشغف أمر مباح لأنه اضطراري .

قال عفا الله عنه : « فبحسب المرء المسلم أن يعف عن محارم الله عز وجل التي يأتيها باختياره ويحاسب عليها يوم القيامة ، وأما استحسان الحسن وتمكن الحب فطبع لايؤمر به ولاينهى عنه ، إذ القلوب بيد مقلبها .

ولا يلزمه غير المعرفة والنظر في فرق مابين الخطأ والصواب ،

---

(١٩) رسائل ابن حزم ١/٣٠٠ – ٣٠١ .
(٢٠) المصدر السابق ١/٢٤٥ .

وأن يعتقد الصحيح باليقين ، وأما المحبة فخلقة ، وإنما يملك الإنسان حركات جوارحه المكتسبة ، وفي ذلك أقوال :

يلوم رجال فيك لم يعرفوا الهوى
وسيان عندي فيك لاح وساكت

يقولون جانبت التصاون جملة
وأنت عليم بالشريعة قانت

فقلت لهذا الرياء بعينه
صراحاً وزي للمرائين ماقت

متى جاء تحريم الهوى عن محمد
وهل منعه في محكم الذكر ثابت

إذا لم أواقع محرماً أتقي به
مجيئي يوم البعث والوجه باهت

فلست أبالي في الهوى قول لائم
سواء لعمري جاهر أو مخافت

وهل يلزم الإنسان إلا اختياره
وهل بخبايا اللفظ يؤخذ صامت » (٢١)

قال أبوعبدالرحمن : يؤاخذ في تعرضه لدواعي الغرام من النظر وغيره ، ويؤاخذ باتباعه النظرة النظرة ، ويؤاخذ بعدم تطببه شرعاً ٠

والحب ليس ضرورياً بل هو كسبي يحصل بإدمان النظر والمؤانسة وفراغ البال من مشاغل الشريعة ، وهو لا يكون ضربة لازم إذا وقع لأن أبواب السلو كما أسلفت لك ٠

---

(٢١) طوق الحمامة ضمن رسائل ابن حزم ١/١٤٤ – ١٤٥ ٠

قال أبوعبدالرحمن : وينفي دعوى أبي محمد أن الحب اضطراري : أن الحب لا يكون إلا بعد تعرض ومطاولة ، ولو كان اضطرارياً لكان بأدنى نظرة ٠

قال أبومحمد ابن حزم : « ومن الناس من لا تصح محبته إلا بعد طول المخافتة وكثير المشاهدة وتمادي الأنس ،وهذا الذي يوشك أن يدوم ويثبت فلا يحيك فيه مر الليالي ، فما دخل عسيراً لم يخرج يسيراً ، وهذا مذهبي » (٢٢) ٠

ثم قال عن تجربته : « وإني لأطيل العجب من كل من يدعي أنه يحب من نظرة واحدة ولا أكاد أصدقه ، ولا أجعل حبه إلا ضرباً من الشهوة ٠

وأما أن يكون في ظني متمكناً من صميم الفؤاد نافذاً في حجاب القلب فما أقدِّر ذلك ، وما لصق بأحشائي حب قط إلا مع الزمن الطويل وبعد ملازمة الشخص لي دهراً وأخذي معه في كل جد وهزل ٠

وكذلك أنا في السلو والترقي ، فما نسيت وداً لي قط ، وإن حنيني إلى كل عهد تقدم لي ليغصني بالطعام ويشرقني بالماء !! ٠

وقد استراح من لم تكن هذه صفته ٠

وما مللت شيئاً قط بعد معرفتي به ، ولا أسرعت إلى الأنس بشيئ قط أول لقائي له ، وما رغبت الاستبدال إلى سبب من أسبابي مذ كنت

---

(٢٢) رسائل ابن حزم ١/١٢٤ ٠

لا أقول الألاف والإخوان وحدهم ، لكن في كل ما يستعمل الإنسان من ملبوس ومركوب ومطعوم وغير ذلك ٠

وما انتفعت بعيش ولا فارقني الإطراق والانغلاق مذ ذقت طعم فراق الأحبة ٠

وإنه لشجى يعتادني وولوع هم ما ينفك يطرقني ، ولقد نغص تذكري ما مضى كل عيش أستأنفه ، وإني لقتيل الهموم في عداد الأحياء ، ودفين الأسى بين أهل الدنيا ، والله المحمود على كل حال لا إله إلا هو » (٢٣) ٠

ويشهد لفلسفة أبي محمد عن المطاولة قول جارية أودى بها الضعف إلى الجنون :

« الحب أول ما يكون لجاجة تأتي به وتسوقه الأقدار
حتى إذا اقتحم الفتى لجج الهوى جاءت أمور لا تطاق كبار
من ذا يطيق كما نطيق من الهوى غلب العزاء وباحت الأسرار» (٢٤)

قال أبوعبدالرحمن : وكون الشغف القتال لا يكون إلا عن مطاولة فذلك يعني أن الإنسان غيرمضطر إلى المطاولة بل بيده أن لا يسترسل ٠

---

(٢٣) رسائل ابن حزم ١/١٢٥ ٠
(٢٤) ذم الهوى ص ٢٦٢ وروضة المحبين ص ١٨٣ ٠
وفي أمثال العامة بنجد قولهم عن العشق : أوله طرب وآخره نشب ٠٠ وقد ساق الشيخ محمد العبودي في الأمثال العامية في نجد ١/٢٣٨ - ٢٣٩ هذه الشواهد الشعرية : قال وينسب للخليفة المأمون من شعره :

أول الحب مزاح وولع ثم يزداد إذا زاد الطمع
كل من يهوى وإن غالت به رتبة الملك لمن يهوى تبع ==

قال ابن قيم الجوزية : « ولما كان النظر من أقرب الوسائل إلى المحرم اقتضت الشريعة تحريمه ، وأباحته في موضع الحاجة .

وهذا شأن كل ما حرم تحريم الوسائل ؛ فإنه يباح للمصلحة الراجحة ، كما حرمت الصلاة في أوقات النهي لئلا تكون وسيلة إلى التشبه بالكفار في سجودهم للشمس : أبيحت للمصلحة الراجحة كقضاء الفوائت وصلاة الجنازة وفعل ذوات الأسباب على الصحيح .

وفي مسند الإمام أحمد بن حنبل عن النبي ﷺ أنه قال : النظرة سهم مسموم من سهام إبليس فمن غض بصره عن محاسن امرأة أورث الله قلبه حلاوة يجدها إلى يوم يلقاه .. أو كما قال .

وقال جرير بن عبدالله رضي الله عنه : سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجاة فأمر بي أن أصرف بصري (٢٥) .

== فلذا هم وغدر ونوى ... ولذا شوق ووجد وجزع

وقال آخر :

العشق أول ما يكون مجانة ... فإذا تحكم صار شغلاً شاغلا

وقال غيره :

تولع بالعشق حتى عشق ... فلما استقل به لم يطق

رأى لجة ظنها موجة ... فلما تمكن منها غرق

وتظرف أحدهم فقال :

سماعاً يا عباد الله مني ... وميلوا عن ملاحظة الملاح

فإن الحب آخره المنايا ... وأوله شبيه بالمزاج

(٢٥) رواه مسلم وأبو داوود والترمذي كما قال الحافظ المنذري [محقق الروضة] .

ونظرة الفجأة هي النظرة الأولى التي تقع بغير قصد من الناظر، فما لم يعتمده القلب لا يعاقب عليه، فإذا نظر الثانية تعمداً أثم، فأمره النبي ﷺ عند نظرة الفجأة أن يصرف بصره ولا يستديم النظر، فإن استدامته كتكريره » (٢٦) .

قال الأصمعي : رأيت جارية في الطواف كأنها مهاة، فجعلت أنظر إليها وأملأ عيني من محاسنها، فقالت لي : يا هذا ما شأنك ؟ .

قلت : وما عليك من النظر ؟ .

فأنشأت تقول :

وكنت متى أرسلت طرفك رائداً لقلبك يوما أتعبتك المناظر

رأيت الذي لا كله أنت قادر عليه ولا عن بعضه أنت صابر

والنظرة تفعل في القلب ما يفعل السهم في الرمية، فإن لم تقتله جرحته، وهي بمنزلة الشرارة من النار ترمى في الحشيش اليابس، فإن لم تحرقه كله أحرقت بعضه كما قيل :

كل الحوادث مبداها من النظر ومعظم النارمن مستصغرالشرر

كم نظرة فتكت في قلب صاحبها فتلك السهام بلا قوس ولا وتر

والمرء ما دام ذا عين يقلبها في أعين الغيد موقوف علىالخطر

يسر مقلته ما ضر مهجته لا مرحباً بسرور عاد بالضرر(٢٧)

---

(٢٦) روضة المحبين ص ٩٥ - ٩٦ .

(٢٧) المصدر السابق ص ٩٦ .

وذكر ابن قيم الجوزية حججاً لمن قال الهوى اضطراري منها قول كامل في سلمى :

يلومونني في حب سلمى كأنما　　يرون الهوى شيئاً تيممته عمدا

ألا إنما الحب الذي صدع الحشا　　قضاء من الرحمن يبلو به العبدا (٥٦)

ثم قال : « ويدل على ذلك من السنة ما رواه البخاري في صحيحه من قصة بريرة أن زوجها كان يمشي خلفها بعد فراقها له وقد صارت أجنبية منه ، ودموعه تسيل على خديه ، فقال النبي ﷺ : يا عباس ألا تعجب من حب مغيث بريرة ومن بغض بريرة مغيثاً ؟ .

ثم قال لها : لو راجعتيه .

فقالت : أتأمرني ؟ .

فقال : إنما أنا شافع .

قالت : لا حاجة لي فيه .

ولم ينهه عن عشقها في هذه الحال ، إذ ذلك شيئ لا يملك ولا يدخل تحت الاختيار » (٢٩) .

وأعقب ذلك بحجج من قال الحب اختياري فقال : « وقالت فرقة أخرى : بل اختياري تابع لهوى النفس وإرادتها ، بل هو استحكام

---

(٢٨) روضة المحبين ص ١٤٢ .

(٢٩) المصدر السابق ص ١٤٢ - ١٤٣ .

الهوى الذي مدح الله من نهى عنه نفسه فقال تعالى : ﴿ **وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى** ﴾ [سورة النازعات / ٤٠ - ٤١] فمحال أن يُنهى الإنسان نفسه عما لا يدخل تحت قدرته » (٣٠) ٠

وفصل ابن قيم الجوزية الحكم في ذلك فقال : « وفصل النزاع بين الفريقين أن مبادئ العشق وأسبابه اختيارية داخلة تحت التكليف ، فإن النظر والتفكر والتعرض للمحبة أمر اختياري ، فإذا أتى بالأسباب كان ترتب المسبب عليها بغير اختياره كما قيل :

تولع بالعشق حتى عشق ... فلما استقل به لم يطق
رأى لجة ظنها موجة ... فلما تمكن منها غرق
تمنى الإقالة من ذنبه ... فلم يستطعها ولم يستطق

وهذا بمنزلة السكر من شرب الخمر ، فإن تناول المسكر اختياري وما يتولد عن السكر اضطراري ٠

فمتى كان السبب واقعاً باختياره لم يكن معذوراً فيما تولد عنه بغير اختياره ، ومتى كان السبب محظوراً لم يكن السكران معذوراً ٠

ولا ريب أن متابعة النظر واستدامة الفكر بمنزلة شرب المسكر فهو يلام على السبب ، ولهذا إذا حصل العشق بسبب غير محظور لم يلم عليه صاحبه ، كمن كان يعشق امرأته أو جاريته ثم فارقها

---

(٣٠) روضة المحبين ص ١٤٦ ٠

وبقي عشقها غيرمفارق لـه ، فهذا لايلام على ذلك كما تقدم في قصـة بريرة ومغيث •

وكذلـك إذا نظرنظرة فجاءة ثم صرف بصـره وقـد تمكن العشق من قلبـه بغيـراختياره،على أن عليه مدافعته وصرفه عن قلبـهبضـده ، فإذا جاء أمـريغلبـه فهناك لا يلام بعـد بذل الجهـد في دفعه •

ومما يبين ما قلنـاه أن سكرالعشق أعظم من سكر الخمر كما قـال الله تعالى عـن عشـاق الصـورمـن قـوم لـوط : ﴿ **لعمـرك إنهـم لفـي سكرتهم يعمهون** ﴾ [سورة الحجر / ٧٢] •

وإذا كان أدنى السكرين لا يعـذر صاحبـه إذا تعـاطى أسبابه ، فكيف يعـذر صاحب السكر الأقوى مـع تعاطي أسبابـه ؟ » (٣١) •

قال أبوعبدالرحمن : نظرة الفجـاءة الواحـدة لا تولّـد شـغفاً كمـا مـر من كلام أبي محمد ابن حزم عن المطاولـة •

وإنمـا يتولـد ذلك من نظرات فجاءة عديدات في فترات •

ولما تحدث ابن قيم الجوزية عن الخلاف في مـدح العشـق وذمـه فصل النزاع بقولـه : « العشق لا يحمد مطلقـاً ولا يـذم مطلقـاً ، وإنمـا يحمـد ويذم باعتبار متعلقه ، فإن الإرادة تابعة لمرادهـا ، والحب تـابع للمحبوب ، فمتى كان المحبوب مما يحب لذاته (أو وسيلـة توصله إلى ما يحب لذاتـه) لم تذم المبالغـة في محبتـه ، بل تحمـد •

---

(٣١) روضـة المحبين ص ١٤٧ - ١٤٨ •

وصلاح حال المحب كذلك بحسب قوة محبته .

ولهذا كان أعظم صلاح العبد أن يصرف قوى حبه كلها لله تعالى وحده بحيث يحب الله بكل قلبه وروحه وجوارحه ، فيوحد محبوبه ويوحد حبه .

فهذا الحب وإن سمي عشقاً فهو غاية صلاح العبد ونعيمه وقرة عينه ، وليس لقلبه صلاح ولا نعيم إلا بأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن تكون محبته لغير الله تابعة لمحبة الله ، فلا يحب إلا لله كما في الحديث الصحيح (٣٢) : ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله ، ومن كان يكره أن يرجع في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار » (٣٣) .

وقال : « والعشق إذا تعلق بما يحبه الله ورسوله كان عشقاً ممدوحاً مثاباً عليه .

وذلك أنواع : أحدها محبة القرآن بحيث يَغنىٰ بسماعه عن سماع غيره ، ويهيم قلبه في معانيه ومراد المتكلم سبحانه منه .

---

(٣٢) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي كما جاء في تيسير الوصول [محقق الروضة] .. **وقال أبوعبدالرحمن** : ونصه من صحيح البخاري١/١١ : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفركما يكره أن يقذف في النار » .

(٣٣) روضة المحبين ص ١٩٩ .

وعلى قدر محبة الله تكون محبة كلامه ، فمن أحب محبوباً أحب حديثه والحديث عنه كما قيل :

إن كنت تزعم حبي فلم هجرت كتابي
أما تأملت ما فيه من لذيذ خطابي

وكذلك محبة ذكره سبحانه وتعالى من علامة محبته ، فإن المحب لا يشبع من ذكر محبوبه ، بل لا ينساه فيحتاج إلى من يذكِّره به •

وكذلك يحب سماع أوصافه وأفعاله وأحكامه ، فعشق هذا كله من أنفع العشق ، وهو غاية سعادة العاشق •

وكذلك عشق العلم النافع ، وعشق أوصاف الكمال من الكرم والجود والعفة والشجاعة والصبر ومكارم الأخلاق ، فإن هذه الصفات لو صورت صوراً لكانت من أجمل الصعور وأبهاها ، ولو صور العلم صورة لكانت أجمل من صورة الشمس والقمر (٣٤) •

ولكن عشق هذه الصفات إنما يناسب الأنفس الشريفة الزكية ، كما أن محبة الله ورسوله وكلامه ودينه إنما تناسب الأرواح العلوية السمائية الزكية ، لا الأرواح الأرضية الدنية •

فإذا أردت أن تعرف قيمة العبد ، وقدره فانظر إلى محبوبه ومراده •

وأعلم أن العشق المحمود لا يعرض فيه شيئ من الآفات المذكورة •

---

(٣٤) **قال أبوعبدالرحمن** : ليس لهذه الأشياء وجود حسي يرى بالبصر حتى يتصور رؤيتها بالبصر ، فكيف نتوقع أجمل الصور البصرية لما لا سبيل إلى تجسيده ؟ ! •

بقي هاهنا قسم آخر ، وهو عشق محمود يترتب عليه مفارقة المعشوق ، كمن يعشق امرأته أو أمته فيفارقها بموت أو غيره فيذهب المعشوق ويبقى العشق كما هو ، فهذا نوع من الابتلاء إن صبر صاحبه واحتسب نال ثواب الصابرين ، وإن سخط وجزع فاته معشوقه وثوابه ، وإن قابل هذه البلوى بالرضا والتسليم فدرجته فوق درجة الصبر .

وأعلى من ذلك أن يقابلها بالشكر نظراً إلى حسن اختيار الله له ، فإنه ما يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له ، فإذا علم أن هذا القضاء خير له اقتضى ذلك شكره لله على ذلك الخير الذي قضاه له ، وإن لم يعلم كونه خيراً له فليسلم للصادق المصدوق في خبره المؤكد باليمين حيث يقول : والذي نفسي بيده لا يقضي الله للمؤمن من قضاء إلا كان خيراً له إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له وليس ذلك إلا للمؤمنين (٣٥) .

وإيمان العبد يأمره بأن يعتقد بأن ذلك القضاء خير له ، وذلك يقتضي شكر من قضاه وقدره وبالله التوفيق » (٣٦) .

قال أبوعبدالرحمن : ولقد مر في المدخل الأول من الباب الأول

---

(٣٥) رواه مسلم والإمام أحمد بدون قسم [محقق الروضة] .. **قال أبوعبدالرحمن** : في صحيح مسلم ٢٢٧/٨ : « عجباً لأمر المؤمن .. إن أمره كله خير ، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن : إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له !! » .

(٣٦) روضة المحبين ص ٢٠١ - ٢٠٢ .

من هذا الكتاب مسرد بأسماء ما ألف في الحب ، إلا أن الذي عالجه شرعاً وجعله موضوعاً للحكم الشرعي بتوسعٍ كتابان هما « ذم الهوى » لابن الجوزي ، و« روضة المحبين » لابن قيم الجوزية .

ولكون ابن الجوزي من الوعاظ ، فقد كان يسرد آفات الهوى ومحظوراته الشرعية ويتبع كل فصل بالعلاج والتطبيب ، وكان يجمع بين الوعظ الشرعي والرياضة النفسية والفكرية .

فأما آفات الهوى فقد أسلفت ذكره لها في المقدمة .

وأما التطبيب بالوعظ الشرعي فقد صدر كتابه بباب عن فضل العقل لأن العقل نور المتبصر .

وذكر باباً آخر في ذم الهوى والشهوات . -

وذكر باباً ثالثاً في مجاهدة النفس ومحاسبتها وتوبيخها .

وذكر من بداية الباب الرابع إلى نهاية الباب الرابع والثلاثين فضائل الصبر ، وحراسة القلب وتزكيته وتفريغه من غير محبة الرب .

وخلال ذلك أبواب عن غض البصر ، والتحذير من الزنا ومقدماته ، ومن اللواط ، والتخويف من عقوبات الله في الدنيا والآخرة ، والحث على التوبة والاستغفار ، وذكر العفة والفخر بها ، والحث على النكاح ، وذم من خبب امرأة على زوجها ، وفضل من ترك ذنبه لأنه ذكر ربه .

وفي البابين السابع والثلاثين والثامن والثلاثين ذكر ذم العشق ، وثواب من عشق وعف وكتم .

وأما التطبيب النفسي والفكري فله فيه تجليات ، وقد نثر ذلك في فصول الكتاب وأفرد لذلك الفصلين التاسع والأربعين والخمسين (٣٧) .

وإليكم مقتطفات من تطبيباته المصحوبة بذكر واقع الداء وتحليله :

قال عن آفات الخلوة بالأجنبية : «ومن التفريط القبيح الذي جر أصعب الجنايات على النفس محادثة النساء الأجانب والخلوة بهن .

وقد كانت عادة لجماعة من العرب .. يرون أن ذلك ليس بعار ، ويشقون من أنفسهم بالامتناع من الزنا (٣٨) ، ويقنعون بالنظر والمحادثة ، وتلك الأشياء تعمل في الباطن ، وهم في غفلة عن ذلك إلى أن هلكوا .

وهذا هو الذي جنى على مجنون ليلى وغيره ما أخرجهم به إلى الجنون والهلاك .

وكان غلطهم من وجهين :

أحدهما : مخالفة الشرع الذي نهى عن النظر والخلوة .

---

(٣٧) وانظر ذم الهوى ص ٢٠ - ٢١ في علاج من وقع في الهوى .

(٣٨) **قال أبوعبدالرحمن** : سيأتي - إن شاء الله - بعد قليل كلام ابن قيم الجوزية عن تظرف الأدباء بما فوق الإزار ، ورده ذلك بأنه من أخلاق الجاهلية .

وأورد ابن المجاور البغدادي هذه الأبيات بكتابه صفة بلاد اليمن ص ٨ :

نعم أقول لو أن القول مقبول	ظل الهوى وتمادى القال والقيل
ليس السلام بشافي القلب من دنف	ما لم يكن فيه تخميش وتقبيل
وليس يرضى محب عن أحبته	حتى يفوز بما ضم السراويل

والثاني : تعريض الطبع لما قد جبل على الميل إليه ، ثم معاناة كفه عن ذلك ، فالطبع يغلب ، فإن غلب وقعت المعاصي ، وإن غُلب حصل التلف بمنع العطشان عن تناول الماء » (٣٩) .

ثم قال : « فما قلت لك : امنع النار أن تحرق ، وإنما قلت : أطفئها .

ولا قلت : ادفع الماء عن أن يغرق ، وإنما علمتك السباحة » (٤٠) .

وقال : « فإن قيل : فما علاج العشق إذا وقع بأول لمحة ؟ .

قيل : علاجه الإعراض عن النظر ، فإن النظر مثل الحبة تلقى في الأرض ، فإذا لم يلتفت إليها يبست ،وإن سقيت نبتت ، فكذلك النظرة إذا ألحقت بمثلها » (٤١) .

وقال : « إن العلاج الكلي في جميع أمراض العشق الحمية ، وإنما تقع الحمية بالعزم الجازم على هجر المحبوب ، فإن حصلت هذه الحمية حسنت المعالجة ، والعلاج حينئذ يقع للظاهر والباطن ، فليبتدئ المريض باللجوء إلى الله سبحانه ، وليكثر من الدعاء ، فإنه مضطر ، وهو يجيب المضطر إذا دعاه ، ثم ليتعالج ، فإن الأسباب لا تنافي التوكل والدعاء .

---

(٣٩) ذم الهوى ص ٤٣٧ .
(٤٠) المصدر السابق ص ٤٣٨ .
(٤١) نفسه ص ٤٤٠ .

واعلم أن بدن العاشق إذا نحف أسرعت فيه الحرارة إلهاباً وإحراقاً ، فينبغي أن يستعمل الترطيبات كشم البنفسج واللينوفر ، ودخول الحمام من غير طول مكث فيه ، والنوم الطويل والتغذي بالأغذية الرطبة ، ولينظر إلى الماء الصافي في الرياض النضيرة ، وليحدث بالنوادر المضحكة ٠

ومن المعالجات السفر ، فإنه بالسفر يتحقق البعد عن المحبوب ، وكل بعيد عن البدن يؤثر بعده في القلب ، فليصبر على مضض الشوق في بداية السفر صبر المصاب في بداية مصيبته ، ثم إن مَرّ الأيام يهون الأمر ٠

قال زهير بن جناب الكلبي :

إذا ما شئت أن تسلو حبيباً ‏ ‏ فأكثر دونه عدد الليالي

فما سلى حبيبك غير نأي ‏ ‏ ولا أبلى جديدك كابتذال

وقال امرؤ القيس :

وإنك لم تقطع لبانة عاشق ‏ ‏ بمثل غدو أو رواح مأوب

ومعنى مأوب : أنه غذُّ السير حتى يؤوب صاحبه عند الليل ٠٠٠ يقول : تكون استراحته بالليل ٠

وكذلك كل ما يشغل القلب من المعاش والصناعه فإنه يسلي ، لأن العشق شغل الفارغ ، فهو يمثل صورة المعشوق في خلوته لشوقه إليها ، فيكون تمثيله لها إلقاء في باطنه ، فإذا تشاغل بما يوجب اشتغال القلب بغير المحبوب درس الحب ودثر العشق وحصل التناسي ٠

ومن ذلك استعراض النساء للتزويج ، والجواري للتسري ، وليطلب الحسن الفائق فإنه يسلي ، وقد وصف الحكماء الحسن والملاحة .

فأنبأنا أحمد بن علي المجلي . قال : أنبأنا أبو الحسن بن المهتدي . قال : أنبأنا أبو الفضل محمد بن الحسن بن المأمون . قال : حدثنا أبو بكر بن الأنباري . قال : حدثنا أحمد بن يحيى : عن ابن الأعرابي . قال : قال أعرابي : إذا حسن خفيا المرأة حسنت . وخفياها : كلامها ، ووطأتها على الأرض »(٤٢) .

وقال : « ومن أدوية الظاهر كثرة الجماع وإن كان لغير المحبوب .

ووجه كونه دواء أنه يقلل الحرارة التي منها ينتشر العشق ، وإذا ضعفت الحرارة الغريزية حصل الفتور وبرد القلب ، فخمد لهب العشق ، وقد قال ابن الرومي :

وطأ من شيت يغنيك عن الحسناء في الذروة

ومن الأدوية : عيادة المرضى ، وتشييع الجنائز ، وزيارة القبور ، والنظر إلى الموتى ، والتفكر في الموت وما بعده ، فإن ذلك يطفئ نيران الهوى ، كما أن سماع الغناء واللهو يقويه ، فما هو كالضد يضعفه ، وكذلك مواصلة مجالس التذكرومجالسة الزهاد ، وسماع أخبار الصالحين والمواعظ .

---

(٤٢) ذم الهوى ص ٤٧٢ - ٤٧٣ .

وكل ذلك يخرج الإنسان عن غلبة الشهوة إلى حيز الحزن والفكر ، وذلك يضاد العشق •

وقد ذكر قوم أن المنتزهات المونقة ، والمسموعات المطربة تسلي ، وهذه ربما زادت في عشق قوم » (٤٣) •

وقال : « فاستعمال الفكر في بدن الآدمي ، وما يحوي من القذارة ، وما تستر الثياب من المستقبح : يهون العشق •

ولهذا قال ابن مسعود -رضي الله عنه- : إذا أعجبت أحدكم امرأة فليذكر مناتنها •

وقال أبو نصر بن نباتة :

ما كنت أعرف غيب من أحببته حتى سلوت فصرت لأشتاق
وإذا أفاق الوجد واندمل الهوى رأت القلوب ولم تر الأحداق

ولهذا المعنى الذي أشرت إليه شكا خلق من العشاق معشوقيهم ، وملوهم وأعرضوا عنهم ، وما كان السبب إلا أن المخالطة أظهرت المعايب الآدمية ، فنفروا عنهم ومضى ما مضى من القلق ووهن الجاه مجاناً ! » (٤٤) •

وقال : « ومن أدوية الباطن أن يصور الإنسان انقضاء غرضه ، أو يمثل غيره في مقامه ، ثم يتلمح عواقب الحال •

أفترى يوسف عليه السلام لو زل من كان يكون ؟ ! •

---

(٤٣) ذم الهوى ص ٤٧٦ - ٤٧٧ •

(٤٤) المصدر السابق ص ٤٨٦ - ٤٨٧ •

أو لم يبق مدحه لصبره أبد الدهر ؟ ! .

أفترى ما سمعت بماعز ؟ .

ولا شك أنه في القيمة معروف ، وإن كانت التوبة قد غمرت ذنبه .

ولكن تلمح أنت عواقب من صبر ، ومن لم يصبر ، وأعمل فكرك في الحالتين لعل هذه العبرة تخرق حجاب الهوى ، فتدخل على القلب بغير إذن فتكشف هذه الغمة .

فالعاقل من وزن ما يحتوي عليه العشق من لذة ونغصة ، فنغصه كثيرة ، وأذاه شديد ، وهو على الحقيقة يهين النفس التي لا قيمة لها ، وغالب لذاته محرم ، ثم هيَ مشوبة بالغموم ، والهموم ، وخوف الفراق ، وفضيحة الدنيا ، وحسرات الآخرة .

فيعلم الموازن بين الأمرين أن اللذة مغمورة في جنب الأذى » (٤٥) .

قال أبوعبدالرحمن : أما ابن قيم الجوزية فقد عالج العشق بمواعظ الشرع في العفة وأخبار المتعففين ، وبإيراد نصوص الشرع في النهي عن المحرمات (٤٦) .

كما ذكرضرورة الاستغناء بحب الله وحب ما عنده فأورد

---

(٤٥) ذم الهوى ص ٤٩٣ .

(٤٦) روضة المحبين ص ٣١٦ - ٣٥١ و ص ٣٩٤ - ٣٩٩ و ص ٣٥٢ - ٣٦٦ .

النصوص والأخبار في ذلك (٤٧) .

وعقد بابا بعنوان من ترك محبوبه حراماً فبذل له حلالا أو عاضه الله خيراً منه (٤٨) .

وعقد آخر بعنوان من آثر عاجل العقوبة والآلام على لذة الوصال الحرام (٤٩) .

وفصل معايب اتباع الهوى بخمسين وجهاً (٥٠) .

ومهد لتطبيب العشق والشغف بتصوير سكرة العشاق وذكر أسبابها (٥١) .

وقد أسلفت شيئاً من كلام ابن قيم الجوزية في علاج العشق وذكر بعض أحكامه ، وبما أن من نتائج العشق والشغف البحث عن الوصل فقد عقد فصلاً عن رحمة المحبين والشفاعة لهم إلى أحبابهم في الوصال الذي يبيحه الدين (٥٢) .

* * *

---

(٤٧) روضة المحبين ص ٣٩٩ - ٤٤٤ .

(٤٨) المصدر السابق ص ٤٤٥ - ٤٥٨ .

(٤٩) السابق ص ٤٥٩ - ٤٦٨ .

(٥٠) السابق ص ٤٦٩ - ٤٨٦ .

(٥١) السابق ص ١٤٩ - ١٥٤ .

(٥٢) السابق ص ٣٧٧ - ٣٩٣ .

الفصل الثاني :

حديث « من عشق فعف » رواية ودراية :

قال أبوعبدالرحمن : يكون السلو بالتعفف ، وورد فيه حديث شغل به المؤلفون عن الألفة والألاف ، وهو حديث رواه أبو سعيد البقال : عن عكرمة : عن ابن عباس -رضي الله عنهما- موقوفاً عليه بلفظ : من عشق فعف دخل الجنة .

هذه رواية أبي الحسين ابن بيان : عن محمد بن خلف : عن زكريا بن يحيى الكوفي : عن محمد بن حريث : عن أبيه : عن أبي سعيد .

وفي رواية أبي محمد الحسين القارئ عن ابن خلف : من عشق فعف فمات دخل الجنة .

ورواه أبو بكر الأزرق : عن سويد : عن ابن مسهر : عن القتات : عن مجاهد : عن ابن عباس -رضي الله عنهما- موقوفاً عليه : من عشق فكتمه وعف فمات فهو شهيد .

قال البغدادي : رواه غير واحد : عن سويد : عن ... إلخ ، وهو المحفوظ .

يعني أنهم رووه بهذا الإسناد موقوفاً .

قال أبوعبدالرحمن : اتفقت الروايتان الموقوفتان على وعد من عشق وعف بالجنة .

الرواية الأولى بالتنصيص ، والثانية بالنتيجة لأنها حكمت له بالشهادة ، ومقر الشهداء الجنة .

واختلفت الروايتان بأن في الأخيرة زيادة معنى ، وهو الحكم بشهادته ، والحكم بالشهادة أخص من الحكم بدخول الجنة ، لأن الشهداء ذوو منزلة عالية في الجنة .

وروي الحديث مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ .. رواه سويد : عن مجاهد : عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : قال رسول الله ﷺ : من عشق ، فظفر، فعف ، فمات : مات شهيداً .

هكذا رواه عن سويد الأشناني وابن مسروق (١) .

ورواه ابن مسروق عن سويد بلفظ : من عشق فعف وكتم ومات : مات شهيداً .

ورواه الذارع في جزئه عن كل من صدقة بن موسى ، وأحمد بن محمود الأنصاري ، والقاسم بن محمد .. كلهم رووه عن سويد بلفظ : من عشق فكتم وعف فمات فهو شهيد .

ورواه إبراهيم بن جعفر الفقيه : عن سويد بلفظ : من عشق وعف وكتم ثم مات مات شهيداً .

ورواه محمد بن زكريا المروزي : عن سويد بلفظ : من عشق فكتم وعف فمات فهو شهيد .

---

(١) حسب سياق ابن مخزوم لدى الخطيب البغدادي ، والظاهر أن اللفظ للأشناني ، لأن اللفظ من رواية ابن مسروق خلاف ذلك كما سيأتي .

ورواه داوود الظاهري : عن سويد بلفظ : من عشق فعف فكتمه فمات فهو شهيد ٠

هذه رواية محمد بن داوود عن أبيه في الزهرة ٠

وفي رواية نفطويه : عن محمد بن داوود : من عشق وكتم وعف وصبر غفر الله له وأدخله الجنة ٠

قال أبوعبدالرحمن: لا ريب أن هذه رواية محمد بن داوود من حفظه وهو عليل ٠٠ وروايته في كتابه الزهرة أثبت ٠

ورواه ابن الأزرق عن سويد بلفظ : من عشق فكتمه وعف فمات فهو شهيد ٠٠ إلا أنه عدَل فرواه موقوفاً ٠

قال أبوعبدالرحمن : إذن رواته عن سويد كل من : الأشناني ، وابن مسروق ، وصدقة ، وابن محمود ، والقاسم ، وابن جعفر ، وابن زكريا ، وداوود ، وابن الأزرق ، إلا أن الأخير صاريرويه موقوفاً ٠

ومضى نص الحافظ الخطيب البغدادي على أنه رواه غير واحد عن سويد موقوفاً ٠

قال أبوعبدالرحمن : كل ما اطلعت عليه فالرواية فيه بالرفع إلا رواية ابن الأزرق ، فلا بد أن لدى الخطيب طرقاً عديدة عن سويد بالوقف لم يسقها ٠

ولما كان سويد مدخولاً في حفظه وكتابه ، وقد رفعه مرة ووقفه أخرى علم أنه لم يحقق ٠

ولما وجدت شواهد على الوقف من رواية غيره ، وهي رواية البقال علم أن الصواب الوقف .

وورد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - مرفوعاً من غير طريق سويد .

رواه الزبير بن بكار : عن عبدالملك بن عبدالعزيز الماجشون : عن أبي حازم : عن ابن أبي نجيح : عن مجاهد : عن ابن عباس - رضي الله عنهما - : عن النبي ﷺ : من عشق فعف فمات فهو شهيد .

وحكم البقاعي بصحة هذا الإسناد وأنه كالشمس .

وهو عند الديلمي في مسند الفردوس عن عبدالله بن عبدالملك الماجشون .

ورواه الخرائطي في اعتلال القلوب : عن يعقوب بن عيسى : عن الزبير بن بكار : عن ابن الماجشون : عن ابن أبي نجيح .

وأورده ابن الجوزي من طريق الخرائطي فلم يذكر في الإسناد الزبير وابن الماجشون ، وذكر يعقوب عن ابن أبي نجيح .

قال أبوعبدالرحمن : هذا إسناد لم يحقق ، وهو في كتب يُستأنس بها كاعتلال القلوب ومسند الفردوس ، ولا يعتمد عليها في الجملة كالاعتماد على السنن الأربع .

فقد ورد الإسناد متصلاً برواية الزبير عن عبدالملك الماجشون - أو عبدالله بن عبدالملك - : عن أبي حازم : عن ابن أبي نجيح .

ولم يذكر البقاعي إسناده قبل الزبير .

ورواه الخرائطي عن يعقوب : عن الزبير: عن ابن الماجشون : عن ابن أبي نجيح فلم يذكر أبا حازم ٠

ورواه ابن الجوزي بطريق الخرائطي فأسقط من إسناد الخرائطي رجالاً ٠

قال أبوعبدالرحمن : فيبقى المصدر المباشر كتاب الاعتلال للخرائطي ولم يذكر أبا حازم ٠

ويبقى الماجشون مختلفاً فيه ، ويبقى هو مضطرباً هل روايته عن أبي حازم ، أو عن ابن أبي نجيح ٠

والماجشون الذي صحح البقاعي إسناده ضعيف ٠

والراوي عن الزبير يعقوب وهو متهم بالكذب ، والبقاعي لما صحح رواية الزبير لم يذكر الراوي عنه من هو ؟ ٠

وروي من طريق سويد عن عائشة -رضي الله عنها- مرفوعاً ، وتفرد بهذه الرواية ابن مسروق ٠

ففيه شذوذ ابن مسروق عن تلاميذ سويد الذين رووه عنه عن ابن عباس لا عن عائشة ٠

ولو فرض أن ابن مسروق حقق الرواية عن سويد لكان سويد مضطرباً فيه ، وهو مدخول عليه في حفظه وكتابه فلا يحمل اختلاف روايته على التحقيق دون الاضطراب الذي يُرَدُّ به الحديث ٠

قال أبوعبدالرحمن : وفي أدبيات هذا الحديث في استطراد بعض العلماء أثناء الكلام عنه ما لم أهتم بتحقيقه ، وهو الحديث

المنسوب إلى سعد بن عبادة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : من مات محباً في الله فله أجر الشهادة .

فهذا عن الحب في الله ، وحديث من عشق فعف عن العشق الذي يقتضي عفة .

وورد في استطرادهم مالا يستحق أصلاً أن يتعب في البحث عن ثبوته ، وهو ما روي عن أبي سعيد – رضي الله عنه – : العشق من غير ريبة كفارة للذنوب .

قال أبوعبدالرحمن : هذا باطل لأن العشق إما حلال ، وإما محرم لحرمة أسبابه ودواعيه .

ولا يكون كفارة إلا ما كان مستحبّاً أو واجباً .

وقد ساق البقاعي أسانيده ، فقال – رحمه الله تعالى – : « أخبرنا (٢) أبو طاهر أحمد بن علي السواق –رحمه الله– : أخبرني أبوالفتح محمد بن أحمد بن فارس : حدثنا أبو الحسين عبدالله بن إبراهيم بن بيان : حدثنا محمد بن خلف : أخبرنا زكريا بن يحيى الكوفي : أخبرنا محمد بن حريث الشيباني : عن أبيه : عن أبي سعيد

---

(٢) القائل « أخبرنا » السراج في مصارع العشاق ١ / ١٠٣ ، وأسنده ابن الجوزي في ذم الهوى ص ٢٥٦ بإسناده إلى أحمد بن نصر الذارع قال : حدثنا محمد بن خلف ... إلخ .

وكذلك أورده بهذا الإسناد في العلل المتناهية ٣ / ٢٨٥ وأعله ص ٢٨٦ بسويد .

البقال : عن عكرمة : عن ابن عباس –رضي الله عنهما– قال : من عشق فعف دخل الجنة .

أخبرنا (٣) أبو بكر أحمد بن علي الحافظ يعني الخطيب – رحمه الله – : أخبرنا أبو الحسن علي بن أيوب القمي : أخبرنا محمد بن عمران : حدثني محمد بن أحمد بن مخزوم : حدثني الحسن بن علي الأشناني ، وأحمد بن محمد بن مسروق قالا : حدثنا سويد بن سعيد : حدثنا علي بن مسهر : عن أبي يحيى القتات : عن مجاهد : عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : قال رسول الله ﷺ : من عشق فظفر فعف فمات مات شهيداً .

وأخبرنا أحمد بن علي : أخبرنا محمد بن عمران : أخبرنا عمر بن داوود بن عنبسة العماني ، وأحمد بن محمد الجوهري قالا : حدثنا أحمد بن محمد بن مسروق : أخبرنا سويد بن سعيد : حدثنا علي بن مسهر : عن أبي يحيى القتات : عن مجاهد : عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : قال رسول الله ﷺ : من عشق فعف وكتم ومات مات (٤) شهيداً .

---

(٣) القائل أخبرنا ابن السراج في مصارع العشاق ١ / ١٤ ، ورواه ابن الجوزي في ذم الهوى ص٢٥٧ عن شهدة بنت أحمد: عن السراج: عن أبي بكر أحمد بن علي.
وكرر إيراد الحديث إسناداً ومتناً في الصفحة نفسها .
وقد ضعف هذا الإسناد بضعف أبي يحيى القتات ، وضعف سويد .

(٤) في الأصل ومات .

قلت : قال الحافظ مغلطاي : هذا حديث إسناده صحيح وإن كان جماعة من العلماء أعلوه بما ليس بعلة يُرَدُّ بها : منهم الحافظ أبو أحمد الجرجاني (يعني ابن عدي) فإنه لما ذكره في الكتاب الكامل : قال : هذا الحديث أحد ما أنكر على سويد (٥) .

وكذا ذكره الحافظ أبو بكر البيهقي ، وأبو الفضل بن طاهر في كتابيه الذخيرة وتذكرة الحفاظ .

وقال أبو عبدالله الحاكم في تاريخ نيسابور : أنا أتعجب من هذا الحديث ؛ فإنه لم يحدث به غير سويد ، وهو وداوود وابنه محمد المذكورون في الطريق المذكورة في باب الزهاد من عشاق الغلمان ثقات ، وهو داوود الظاهري (٦) .

---

(٥) قال ابن حجر في تلخيص الحبير ٢ / ١٥٢ : وقد أنكره على سويد الأئمة .. كذا قاله ابن عدي في كامله .

قال أبوعبدالرحمن : ترجم ابن عدي في الكامل ٣ / ١٢٦٣ - ١٢٦٥ لسويد ولم يذكر هذا الحديث ، وإنما قال في آخر ترجمته : « ولسويد مما أنكرت عليه غير ما ذكرت وهو إلى الضعف أقرب » .

ولم أجد الحديث في فهرس الأحاديث الواردة في الكامل ، فلعل نقل مغلطاي ، وابن قيم الجوزية ، وابن حجرزيادة نسخة خطية من الكامل لم تكن من أصول المطبوع .

(٦) قال أبوبكر محمد بن داوود الظاهري في الزهرة ١ / ١١٧ : حدثني أبي قال : حدثنا سويد بن سعيد الحدثاني قال : حدثنا علي بن مسهر : عن أبي يحيى القتات: عن مجاهد : عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ﷺ : من عشق فعف فكتمه فمات فهو شهيد .

قال ابن حجر في بذل الماعون ص ١٨٥ : وفي سنده مقال .. وقال السراج في مصارع العشاق ١/١٣-١٤: أخبرنا أبو بكرأحمد بن علي بدمشق قال: حدثنا ==

. . . .

== أبو الحسن علي بن أيوب بن الحسين بن أيوب القمي إملاء قال : حدثنا أبو عبيد الله المرزباني ، وأبو عمرو بن حيويه ، وأبو بكر بن شاذان قالوا : حدثنا أبو عبدالله إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي الملقب بنفطويه قال : دخلت على محمد بن داوود الأصبهاني في مرضه الذي مات فيه ، فقلت له : **كيف تجدك ؟** ٠

فقال : حب من تعلم أورثني ما ترى ٠

فقلت : ما منعك عن الاستمتاع به مع القدرة عليه ؟ ٠

فقال : الاستمتاع على وجهين :

أحدهما : النظر المباح ٠

والثاني : اللذة المحظورة ، فأما النظر المباح فأورثني ما ترى ، وأما اللذة المحظورة فإنه منعني منها ما حدثني أبي قال : حدثنا سويد بن سعيد قال : حدثنا علي بن مسهر : عن أبي يحيى القتات : عن ابن مجاهد : عن ابن عباس : عن النبي ﷺ أنه قال : من عشق وكتم وعف وصبر غفر الله له وأدخله الجنة ، ثم أنشدنا لنفسه :

انظر إلى السحر يجري في لواحظه
وانظر إلى دعج في طرفه الساجي
وانظر إلى شعرات فوق عارضه
كأنهن نمـ ـل دب في عـاج

وأنشدنا لنفسه :

ما لهم أنكروا سوادا بخديه
(م) ولا ينكرون ورد الغصون
إن يكن عيب خده بدد الشعر
(م) فعيب العيون شعر الجفون

فقلت له : نفيت القياس في الفقه ، وأثبته في الشعر ٠

فقال : غلبة الهوى ، وملكة النفوس دعتنا إليه ٠

قال : ومات في ليلته أو في اليوم الثاني ٠

انظر تاريخ بغداد ٥ / ٢٦٢ وذم الهوى ص ٢٥٧ ٠

قال مغلطاي: وذكره الحافظ أبو محمد بن الحسين العبادي من حديث أبي سعيد البقال : عن عكرمة : عن ابن عباس موقوفاً لم يرفعه (٧) .

وذكره الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي من حديث محمد بن خلف ابن المرزبان : عن أبي بكر الأزرق : حدثنا سويد به مرفوعاً .

قال ابن المرزبان : فعاتبته على ذلك فأسقط ذكر النبي ﷺ من هذا الحديث ، فكان يُسأل بعد ذلك عنه فلا يرفعه (٨) .

---

(٧) لم ينكر ابن قيم الجوزية ما ورد عن ابن عباس - رضي الله عنهما - موقوفاً عليه عن قتيل الهوى لا عقل ولا قود .

وإنما أنكر هذا الحديث عن شهادة من عشق فعف ، فأنكر ثبوته مرفوعاً ، وقال في زاد المعاد : وفي صحته موقوفاً عن ابن عباس نظر .

واحتج بأنه لم يرد ضمن الشهداء الذين عدوا في الصحيح .

وأقواله في زاد المعاد ، والداء والدواء ، وقد أورد نصوصه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة ١/٤٠٥ - ٤٠٦ و ٤٠٧ - ٤٠٨ ، وسيأتي - إن شاء الله - نص كلامه من روضة المحبين وبقية كتبه .

(٨) قال ابن الجوزي في ذم الهوى ص ٢٥٨ : أخبرنا ابن ناصر . قال : أنبأنا المبارك ابن عبدالجبار . قال : أنبأنا إبراهيم بن عمر البرمكي . قال : أنبأنا أبو الحسين الزينبي إجازة قال : حدثنا ابن المرزبان . قال : حدثنا أبو بكر الأزرق . قال : حدثنا سويد بن سعيد . قال: حدثنا علي بن مسهر: عن أبي يحيى القتات : عن مجاهد : عن ابن عباس . قال : من عشق فكتمه وعف فمات فهو شهيد .

قال ابن المرزبان : حدثني أبو بكر الأزرق هذا الحديث : عن ابن عباس : عن النبي ﷺ فعاتبته على ذلك ، فأسقط ذكر النبي ﷺ ، وكان يُسأل بعد ذلك عن الحديث فلا يرفعه .

==

ورواه الخطيب : عن الأزهري : حدثنا المعافى بن زكريا : أخبرنا قطبة بن المفضل بن إبراهيم الأنصاري : أخبرنا أحمد بن محمد بن مسروق : حدثنا سويد أخبرنا ابن مسهر : عن هشام بن عروة : عن أبيه : عن عائشة فذكرته مرفوعاً (٩) .

فالجواب عن قول من ذكر أن سويداً تفرد به ماذكره الزبير بن بكار (القائل فيه حافظ بغداد ومؤرخها أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت : كان ثقة ثبتاً عالماً) : حدثنا عبدالملك بن عبدالعزيز الماجشون : عن أبي حازم : عن ابن أبي نجيح : عن مجاهد : عن ابن عباس : عن النبي ﷺ : أنه قال : من عشق فعف فمات فهو شهيد (١٠) .

== انظر تاريخ بغداد ٤٧٩/١٢ وقال بعد سياقه : رواه غير واحد عن سويد : عن علي بن مسهر : عن أبي يحيى القتات : عن مجاهد : عن ابن عباس ، وهو المحفوظ .

(٩) أنكر ابن قيم الجوزية صحة هذا الإسناد في زاد المعاد ٣٧٧/٤ ، والجواب الكافي ص ٣٥٦ ، ولم يذكر علة الإسناد ، وإنما قال : « ونحن نشهد الله أن عائشة ما حدثت بهذا عن رسول الله ﷺ قط ، ولا حدث به عروة عنها ، ولا حدث به هشام قط » .

(١٠) صحح هذا الإسناد الزركشي في اللآلئ المنثورة ص ١٨٠ ، وذكر السخاوي في المقاصد الحسنة ص ٤٢٠ أن الديلمي أخرجه في مسنده ، ولكن وقع عنده : عن عبدالله بن عبدالملك الماجشون .
وحكم ابن قيم الجوزية في كتابه الجواب الكافي ص ٣٥٧ أن بعض الوضاعين ركب هذا الإسناد على الزبير بن بكار .
وحكم ابن حجر في تلخيص الحبير ١٤٢/٢ أن بعض الرواة غلط فأدخل إسناداً في إسناد ، وعَدَّ نظم الباجي له تقوية له .
ورواه ابن الجوزي في ذم الهوى ص٢٥٦ فقال : أخبرنا المبارك بن علي . ==

وهذا حديث سنده كالشمس لا مرية في صحته ولا لبس ، وهو كان الجدير بالتصحيح لخلوه من مضعف وجريح ، وجميع رواته خرج حديثهم في الصحيح (١١) .

وسويد ممن خرج لهم مسلم في الصحيح على سبيل الاحتجاج وأكثر ما عيب به التدليس والعمى ، وهما منتفيان هنا .. الأول

== قال : أنبأنا علي بن العلاف . قال : أنبأنا عبدالملك بن بشران . قال : أنبأنا أحمد بن إبراهيم الكندي . قال : حدثنا محمد بن جعفر بن سهل [هو الخرائطي] قال : حدثنا يعقوب بن عيسى من ولد عبدالرحمن بن عوف : عن ابن أبي نجيح : عن مجاهد : عن ابن عباس : عن النبي ﷺ قال : من عشق فعف فمات فهو شهيد .

وقد رده ابن الجوزي في مشيخته بكون شيخ الخرائطي لم يدرك ابن أبي نجيح ، وبكون الخرائطي رواه في كتابه الاعتلال عن يعقوب : عن الزبير : عن ابن الماجشون : عن ابن أبي نجيح .

وضعف ابن الجوزي الخرائطي ، وأبى عليه الألباني ذلك ، وأعله بيعقوب . انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ١ / ٤٠٤ – ٤٠٥ .

وأورده ابن الجوزي بهذا الإسناد في العلل المتناهية ٢ / ٢٨٥ – ٢٨٦ وضعفه بيعقوب .

وقال العراقي في المغني بحاشية الإحياء في باب كسر الشهوتين ٣/٩٠ ، ورواه الخرائطي من غير طريق سويد بسند فيه نظر .

وحشى محقق العلل المتناهية ٢ / ٢٨٦ بضعف الماجشون .

وصححه السخاوي – رحمه الله – بشرط أن يكون السند على السلامة فيما قبل الزبير ، فإنه قال في المقاصد الحسنة ص ٤٢٠ : رواه الزبير بن بكار : حدثنا عبدالملك بن عبدالعزيز بن الماجشون : عن عبدالعزيز بن أبي حازم : عن ابن أبي نجيح : عن مجاهد به مرفوعاً ، وهو سند صحيح .

وينظر هل هذه هي الطريق التي أورده الخرائطي منها ، فإن تكون هي فقد قال العراقي : في سندها نظر .

(١١) بل فيه ابن الماجشون ، ولم يذكر رواية عن الزبير .
والمعروف أن راويه عن الزبير يعقوب بن عيسى ، وهو متهم بالكذب .

لتصريحه بالتحديث ، والثاني لرواية الأكابر هـذا الحديث قبل ذهاب بصره [١٢] •

ويجاوب عن حديث أبي سعيد البقال بضعفه [١٣] ، وبأنه لو كان قويّاً لكان قوة لحديث سويد ومتابعاً لـه ، لأن مثل هـذا لا يؤخذ بالرأي [١٤] ، ومحمولاً على نشاط الراوي وعدمه •

ويجاب عن ترك الأزرق رفعه بأنه لم يظهر لـه أمر تركه لـه ، وإنما ابن خلف شككه فشك إذ لم يكن حافظاً [١٥] •

---

(١٢) بل عيب بنكارة أحاديث لـه رواها عنه الأكابر ، وكان يحيى بن معين أغلظ الناس فيه قولاً ، وانظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٤/ ٢٧٢ – ٢٧٥ ؛ فإن قيل : إن الأحاديث المنكرة بعدما عمي كان ذلك عذراً لسويد عن تعمد ما لا يصح ، وبقيت الأحاديث على نكارتها •

وانظر عن سويد سير أعلام النبلاء ١١/ ٤١٠– ٤٢٠ ؛ وتاريخ الإسلام للذهبي فترة ٢٣١ – ٢٤٠ هـ ص ١٩٠ – ١٩٣ وتلخيص الحبير ٢/ ١٤٢ •

(١٣) لم يبين وجه الضعف •

(١٤) صح أن العفيف الصابر موعود بالجنة ، فأمكن إلحاقه بأحد الشهداء قياساً ، والقياس يصيب ويخطئ •

إذن الأخذ بالرأي الخاطئ ممكن •

وسلفت البراهين على رجحان وقفه •

(١٥) **قال أبوعبدالرحمن** : هذا احتمال مرجوح ، لأنه قام البرهان أنه من كلام ابن عباس رضي الله عنهما ، فكان رفعه من أوهام سويد ، فصح بهذا أن مذهب ابن المرزبان والأزرق أنه موقوف •

وأما رواية سويد لـه : عن ابن مسـهر : عـن هشـام فليسـت اضطراباً بل تقوية (١٦) وبياناً ، فـإن الحديث قـد اجتمع فيـه أمران الصحة والحسن (١٧) بأن رواه غير ابن عباس بسند ليس بـه بأس ، إذ من الجائز أن يكون لابن مسهر فيـه شيخان لكل منهما طريق .

ويزيد هذا وضوحاً أن الحافظ أبا محمد بن أحمد لما ذكره في معرض الاحتجاج أنشد :

فـإن أهلك هوى أهلـك شهيـداً

وإن تمنـن بقيـت قريـر عيـن

روى هذا لنـا قـوم ثقـات

نـأوا بالصدق عن كذب ومين (١٨)

انتهى .. قلت وأنبأني المسند شهاب الدين أحمد بن محمد بن

---

(١٦) إنما يقال هذا بالنسبة للحفاظ ، أما من عرف بالوهم والإغراب فاختلاف إسناده محمول على الاضطراب .

(١٧) لا حسن ولاصحة ، لأن تفرد مثل سويد لا يجعل الإسناد صحيحاً . والمتابعات مدخولة لم تفد غير حسنه موقوفاً .

(١٨) حُكْم ابن حزم بثقة رواته يعني احتجاجه بـه .

على أن ابن حزم قال قبيل البيتين في طوق الحمامة ضمن رسائل ابن حزم ٢٥٧/١ : وقد جاء في الآثار : من عشق ... إلخ .

فعلق الدكتور إحسان بقوله : وقول ابن حزم : (في الآثار) : دليل على أنـه لا يصححه .

أبي بكر الواسطي : عن أبي الفتح محمد بن محمد بن إبراهيم الميدومي بسماعه على النجيب أبي الفرج عبداللطيف بن عبدالمنعم الحراني: أنبأنا أبوالفرج عبدالمنعم بن عبدالوهاب بن سعيد بن كليب : أنبأنا أبو علي محمد بن سعيد بن إبراهيم بن نبهان الكاتب : أنبأنا أبو علي الحسن بن الحسين بن العباس المعروف بابن دوما النعالي (١٩) : أنبأنا أبو بكر أحمد بن نصر بن عبدالله بن الفتح الذارع نزيل النهروان في جزئه : حدثنا صدقة بن موسى ، وأحمد بن محمود الأنصاري ، والقاسم بن أحمد قالوا : حدثنا سويد بن سعيد الحدثاني : أخبرنا ابن مسهر : عن أبي يحيى القتات : عن مجاهد : عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : قال رسول الله ﷺ : من عشق فكتم وعف فمات فهو شهيد .

---

(١٩) قال ابن الجوزي : في ذم الهوى ص ٢٥٦ : أخبرنا إبراهيم بن دينار . قال : أنبأنا أبوعلي محمد بن سعيد بن نبهان . قال : أنبأنا الحسن بن الحسين بن دوما . قال : أنبأنا أحمد بن نصر الذارع . قال : حدثنا صدقة بن موسى ، وأحمد بن محمود الأنباري ، والقاسم بن أحمد . قالوا : حدثنا سويد بن سعيد الحدثاني . قال : حدثنا علي بن مسهر : عن أبي يحيى القتات : عن مجاهد : عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : من عشق وكتم وعف فمات فهو شهيد .
قال الذارع : قال لنا عمر بن زكريا المؤدب : معنى وكتم : كتم من يحبه أنه يحبه .
قال أبوعبدالرحمن : ورواه الخطيب في تاريخ بغداد ١٥٦/٥ من طريق أحمد ابن محمود الأنباري وقال : والذارع ليس بحجة .
وأسنده إلى الخطيب ابن الجوزي في ذم الهوى ص ٢٥٦ .

حدثنا عثمان بن زكريا المؤدب : معنى فكتم : كتم من يحبه أنه يحبه [٢٠] •

حدثنا محمد بن خلف : أخبرنا زكريا بن يحيى الكوفي : حدثنا محمد بن حريث بن أبي مطر الشيباني : عن أبيه : عن أبي سعيد البقال : عن عكرمة : عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : من عشق فعف فمات دخل الجنة • انتهى •

قال المصنف : قال الجوهري: وأنشدنا محمدبن محمد الصايغ :

سأكتم ما ألقاه يا نور ناظري
من الوجد كيلا يذهب الأجر باطلا [٢١]

فقد جاءنا عن سيد الخلق أحمد
ومن كان براً بالعباد وواصلا

بأن من يمت في الحب يكتم وجده
يموت شهيداً في الفراديس نازلا

رواه سويد : عن علي بن مسهر
فما فيه من شك لمن كان عاقلا

وما ذا كثير للذي مات مفرداً
سقيماً عليلاً بالهوى متشاغلا

---

(٢٠) هذه دعوى على عموم النص الذي لم يعين المكتوم عنه •

(٢١) في الأصل : فور ناظري •• من الأجر كيلا •
وفي مصارع العشاق ٢ / ١٤٥ : يا فوز ناظري •

قلت : وقال الذارع : حدثنا زكريا بن جعفر : أخبرنا العباس ابن الفضل : عن أبيه قال : قال المهدي : أشتهي أن أصلي على جنازة عاشق مات وجداً .

حدثنا صدقة : أخبرنا العباس بن بكار : أنبأنا أبو بكر الهذلي قال: قيل لشريح وهو قاعد على الطريق يوماً : ما يقعدك ؟ .

قال : لعلي أرى صورة حسنة .

وقال القاضي تاج الدين السبكي في طبقاته الكبرى : روى الحاكم بإسناده إلى الأستاذ أبي سهل (يعني محمد بن سليمان الصعلوكي) بإسناده إلى أبي نواس قال : مضيت يوماً إلى أزهر السمان ، فوجدت ببابه جماعة من أصحاب الحديث فجلست معهم أنتظر خروجه ، فمكث غير بعيد ووقف بين بابي داره ثم قال لأصحاب الحديث : حوائجكم ؟ .

فجعلوا يذكرونها له ويحدثهم بما يسألونه ، ثم أقبل علي وقال : حاجتك يا حسن ؟ .

فقلت :

ولقد كنتم رويتم
عن سعيد عن قتادة

عن سعيد بن المسيب
أن سعد بن عبادة

قال من مات محبا
فله أجر الشهادة

قال : نعم يا خليع : حدثنا سعيد بن أبي عروبة : عن قتادة : عن سعيد بن المسيب : عن سعد بن عبادة قال : قال رسول الله ﷺ : من مات محبا في الله فله أجر الشهادة . انتهى [٢٢] .

وقال الحافظ مغلطاي : وقال العلامة أبو الوليد الباجي :

إذا مات المحب جوىً وعشقاً
فتلك شهادة يا صاح حقًّا

رواه لنا ثقات عن ثقات
إلى الحبر ابن عباس ترقى [٢٣]

---

(٢٢) قال السراج في مصارع العشاق ٢ / ٢٨٥ : أخبرنا أبو حفص عمر بن محمد ابن عطية المكي : حدثنا أبو الفتح يوسف بن عمر بن مسرور القواس الزاهد : حدثنا الحنبلي أبو بكر : حدثني مسبح بن حاتم العكلي : حدثني ابن عائشة قال : كنا على باب عبدالواحد بن زياد ومعنا أبو نواس ، فخرج الشيخ فقال : سلوا يا فتيان :

فسألنا حتى بقي أبو نواس ، فقال : سل يا فتى ؟ .

فقال أبو نواس :

ولقد كنا روينا
عن سعيد عن قتادة

عن سعيد بن المسيب
أن سعد بن عبادة

قال : من مات محباً
فله أجر الشهادة

فقال : يا خبيث والله لا حدثتك حديثاً ، وأنا أعرفك .

قال أبوعبدالرحمن : لم أجد الأبيات في ديوان أبي نواس .

(٢٣) انظر تلخيص الحبير ٢ / ١٤٢ .

وقال عبدالكريم بن هوازن القشيـري :

إن المحــب إذا تـوفـي صابــراً

كانـت منــازلـــه مـع الشهـــداء

يــرويـه أقـوام غدوا في صدقهم

علمـاء ناهيكـم بهـذا الــــداء

وذكــر أبو الرقعمق في كتابـه رستاق الاتفاق فـي ملـح شـعراء الآفاق في الجزء الرابـع : أنشدونا لعبدالله بن المبارك الإمـــام :

حـدثنــا سفيــان عــن خالــــد

عن خالـد عن سهـل الساعدي

يرفعـه من مـات عشقـا فقــد

استوجــب العفـــو-مـن الماجد

وقال ابن الجوزي : أخبرنا أبومنصورالقزاز ، قـال : أنبأنـا أبـو بكـرأحمد بن علي بن ثـابت ، قال : أخبرنـي الآزهري ، قال : حدثنـا المعـافى بـن زكريـا ، قـال : حدثنـا قطنـة بـن المفضـل بـن إبراهيـم الأنصـاري ، قال : حدثنا أحمد بن محمد بن مسـروق ، قـال : حدثنـا سويـد بن سعيـد، قال : حدثنا علي بن مسهـر ، عن هشـام بن عـروة: عن أبيـه : عن عائشة ، قالت : قال رسول الله ﷺ : من عشق فعـف ثـم مات مات شهيداً)) [٢٤] ،

---

(٢٤) أسواق العشـاق ٣ ب – ٤ / ب وفي الأصل : استوجب العشــق ،

وقال ابن الجوزي: «أخبرنا أبو المعمر الأنصاري قال: أنبأنا صاعد بن سيار .. قال أنبأنا أبو بكر أحمد بن سهل الغورجي. قال: أنبأنا إسحاق بن إبراهيم الحافظ إجازة. قال: حدثني أبو علي بن أبي بكر. قال: حدثنا محمد بن الحسين البخاري. قال: حدثنا أبو عبدالله العمري. قال: سمعت الجاحظ يقول: سئل شريك بن عبدالله عن العشاق، فقال: أشدهم حبّاً أعظمهم أجراً (٢٥).

وقال الخطيب البغدادي: « أخبرنا محمد بن طلحة بن محمد النعالي: حدثنا أحمد بن محمد الصرصري: حدثنا إبراهيم بن جعفر الفقيه: عن سويد بن سعيد الحدثاني. قال: حدثنا علي بن مسهر: عن أبي يحيى القتات: عن مجاهد: عن ابن عباس: عن النبي ﷺ. قال: من عشق وكتم وعف ثم مات مات شهيداً.

أحسب هذا غير البصري، والله أعلم » (٢٦).

وقال الخطيب: « حدثنا المؤمل بن أحمد من لفظه قال: حدثنا أبو حفص عمر بن إبراهيم الكتاني قال: حدثنا أبو القاسم بن بكير التميمي قال: حدثنا محمد بن زكريا الخطيب قال: حدثنا سويد بن سعيد: عن علي بن مسهر: عن أبي يحيى القتات: عن مجاهد: عن

---

(٢٥) رد الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/٤٠٦ - ٤٠٧ دعوى السيوطي في الجامع الصغير أنه روي عن عائشة رضي الله عنها، وبين أن الحديث عن ابن عباس، فغلط أحمد بن محمد بن مسروق الطوسي في إسناده كما نبه على ذلك الخطيب في تاريخ بغداد، وكما في المؤتلف للدارقطني، واللسان لابن حجر.

(٢٦) ذم الهوى ص ٢٥٩.

ابن عباس ٠ قال : قال رسول الله ﷺ : من عشق وعف وكتم ثم مات مات شهيداً)) (٢٧) ٠

وقال الخطيب : ((حدثنا أبو أحمد محمد بن أحمد الغطريفي بجرجان : حدثنا عثمان بن زكريا بن يحيى المروزي ببغداد : حدثنا محمد بن زكريا المروزي : حدثنا سويد بن سعيد : أخبرنا علي بن مسهر : عن أبي يحيى القتات : عن مجاهد : عن ابن عباس ٠ قال : قال رسول الله ﷺ : من عشق فكتم وعف فمات فهو شهيد)) (٢٨) ٠

وقال العجلوني عن بيتي ابن حزم في نظم الحديث : ((ذكر نحوه منظوماً الباجي ، وأبو القاسم وغيرهما ، ومنه قول ابن الربيع :

---

(٢٧) تاريخ بغداد ٦ / ٥٠ – ٥١ ، وأسنده ابن الجوزي إلى الخطيب في ذم الهوى ص ٢٥٦ – ٢٥٧ ٠

(٢٨) تاريخ بغداد ١٨٤/١٣ ، وأسنده ابن الجوزي إلى الخطيب في كتابيه ذم الهوى ص ٢٥٧ ، والعلل المتناهية ٢ / ٢٨٥ وأعله بسويد وابن زكريا ٠٠ قال في العلل ٢ / ٢٨٦ : ((قال الدارقطني : كان سويد لما كبر يُقْرأ عليه حديث فيه بعض النكارة فيجيزه !!٠٠ قالوا : هذا الحديث البلية فيه ممن روى عن سويد ، وهو محمد بن زكريا ، وكان يضع الحديث ٠

قلت : قد رواه عن سويد جماعة منهم أحمد بن محمود الأنباري ، وصدقة ابن موسى ، والقاسم بن أحمد ، وإبراهيم بن جعفر ، وأبو العباس بن مسروق ، والحسن بن علي الأشناني ، وداوود الأصبهاني ٠٠فما انفرد ابن زكريا بذلك))٠

تعفـف إذا ما تخل بالخل عالماً

يكون إلهي ناظـــراً وشهيـــــدا

ففي خبرالمختار من عف كاتمـاً

هواه إذا ما مات٠٠ مات شهيـدا

وقال في الدرر : حديث من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيــد : لـه طرق عن ابن عباس ٠

وأخرجـه الحاكم في تاريخ نيسابور، والخطيب في تاريخ بغداد ، وابن عساكر في تاريخ دمشق ، والديلمي بلا سند عن أبي سعيد رفعـه : العشق من غير ريبة كفارة للذنـــوب ٠

وقد عقد شيخنا الشيخ عبدالغني - رحمـه اللـه تعالى - حديث الديلمي فقـال :

يـا مــن يحـــب حبيبـــــــه

أتـــرك جميـــع العيـــوب

وأقـــــدم بنفـــس منيبـــــة

واشـــرب بألطـــف كـــوب

ولا تخـــف شـــر ريبـــــة

مــن جاهـــل محجـــوب

روى الثقـــات غريبـــــة

للديلمـــــــي المرغـــوب

في ذي المعانـــــي نسيبـــــة

فردوســــــه المطلــــــوب

قــد قـــال مــن بـــث طيبـه

طـــه شفـــا للقلـــــــوب :

العشـــق مـــن غيــر ريبـــة

كفـــــــارة للذنـــــــــوب » (٢٩)

وتكلم المناوي عن فقه الحديث وتفسيرمعناه فقيّد الفعل في قولـه: « من عشـق » بمـن يتصور حل نكاحـه لها شرعاً لا كأمـرد •

وبيـن أنـه من شهداء الآخـرة لأن العشق وإن كان مبدؤه النظـر لكنـه غير موجـب لـه ، فهـو فعل الله بالعبـد بلا سبـب •

وعــرف العشــق بالتفـاف الحـب بـالمحب حتـى يخــالط جميــع أجزائـــه (٣٠) •

ولخص ابن قيم الجوزيـة حجـة مـن احتج بهـذا الحديث فقـال : « رواه أبو بكر محمد بن جعفر بن سهل الخرائطي في كتـاب اعتـلال القلـوب : حدثنا أبو يوسف يعقوب بن عيسى من ولـــد عبدالرحمـن بـن عوف : عن الزبير فذكره ، فخرج سويد عن عهدة تفـرد بـه •

---

(٢٩) تاريخ بغداد ١١ / ٢٩٧ •

(٣٠) كشــف الخفـــاء ومزيـل الإلبـاس ٣٤٥/٢ - ٣٤٦ ، وانظـرالمقاصـــد لحسـنة ص ٤١٩ - ٤٢١ •

على أنه لو تفرد به فهو ثقة ، احتج به مسلم في صحيحه ،
وقال عبدالله بن أحمد : قال لي أبي : اكتب عنه حديث ضمام •

وقال البغوي : كان حافظاً وكان أحمد ينتقي لولديه صالح وعبدالله ، فكانا يختلفان إليه [٣١] •

وقال مسلم : ثقة ثقة •

وقال أبو حاتم الرازي ، ويعقوب بن شيبة : هو صدوق وأكثر ما عيب به التدليس [٣٢] •

وقد صرح ها هنا بالتحديث ، وعيب بأنه ذهب بصره في آخر عمره ، فربما أدخل عليه هذا الحديث في كتبه ، ولكن رواية الأكابر عنه هذا الحديث كان قبل ذهاب بصره ، لأنه إنما عمي في آخر عمره ، وليس هذا بقادح في حديثه » •

---

(٣١) في سير أعلام النبلاء ١١ / ٤١٢ : « قال عبدالله بن أحمد : عرضت على أبي أحاديث لسويد بن سعيد عن ضمام بن إسماعيل ، فقال لي : اكتبها كلها •
أو قال تتبعها ، فإنه صالح •
أو قال : ثقة •
وقال أبو القاسم البغوي : كان سويد من الحفاظ ، وكان أحمد بن حنبل ينتقي عليه لولديه صالح وعبدالله يختلفان إليه فيسمعان منه •
وقال أبو داوود : سمعت أحمد يقول : هو لا بأس به •
أرجو أن يكون صدوقاً •

(٣٢) في سير أعلام النبلاء ١١ / ٤١٣ •• قال أبو حاتم : صدوق يدلس ويكثر ذلك •

ثم قال ابن قيم الجوزية : «وقد أنكر حفاظ الإسلام هذا الحديث على سويد ، وقد تكلم الناس فيه ، فقال ابن المديني : ليس بشيئ والضرير إذا كان عنده كتب فهو عيب شديد (٣٣) ٠

وقال يعقوب بن شيبة : صدوق مضطرب الحفظ ولا سيما بعدما عمي (٣٤) ٠

وقال البخاري : كان قد عمي فيلقن ما ليس من حديثه (٣٥) ٠

وقال أبو أحمد الجرجاني: هذا الحديث أحد ما أنكر على سويد ٠

وأنكره البيهقي ، وأبو الفضل ابن طاهر ، وأبو الفرج ابن الجوزي وأدخله في كتابه الموضوعات ٠

ولما رواه أبو بكر الأزرق عن سويد عاتبه ابن المرزبان فأسقط ذكر النبي ﷺ منه ، وكان سويد إذا سئل عنه لايرفعه ، وهذا أحسن أحواله أن يكون موقوفاً ، ولذلك رواه أبو محمد الحسين القارئ من حديث أبي سعد البقال : عن عكرمة : عن ابن عباس -رضي الله عنهما- من قوله ٠

وأما سياق الخطيب له من حديث هشام بن عروة : عن أبيه : عن عائشة -رضي الله عنها- فلا يشك من شم رائحة الحديث أن هذا باطل

---

(٣٣) التيسير بشرح الجامع الصغير ٢ / ٤٣١ ٠

(٣٤) في سير أعلام النبلاء ١١/ ٤١٢ - ٤١٣ : « قال عبدالله بن علي بن المديني: سئل أبي عن سويد الأنباري ، فحرك رأسه وقال: ليس بشيئ ٠
هذا أحد رجلين : إما يحدث من حفظه ، أو من كتبه ٠
هو عندي لا شيئ ٠
قيل له : فأين حفظه ثلاثة آلاف ؟ ٠
قال : هذا أيسر ٠٠ تكرر عليه » ٠

(٣٥) انظر سير أعلام النبلاء ١١ / ٤١٣ ٠

على هشام عن أبيه عن عائشة ، ولا يحتمل هذا المتن هذا الإسناد بوجه ، والتحاكم في ذلك إلى أهل الحديث لا إلى العارين الغرباء منه .

والظاهر أن ابن مسروق سرقه وغيَّر إسناده .

وأما حديث الزبير بن بكار فمن رواية يعقوب بن عيسى وهو ضعيف لا تقوم به حجة قد ضعفه أهل الحديث ونسبوه إلى الكذب)) (٣٦) .

قال أبو عبد الرحمن : بقية القول عن سويد أنه أبو محمد سويد ابن سعيد بن سهل بن شهريار الهروي ، ثم الحدثاني الأنباري نزيل حديثة النورة بليدة تحت عانة فوق الأنبار .. رحال جوال صاحب حديث وعناية بهذا الشأن .

لقي الكبار ، وحدث عن مالك بالموطأ وخلق كثير بالحرمين والشام والعراق ومصر .

روى عنه مسلم (٣٧) .

وقال الحسن الميموني : سأل رجل أبا عبدالله عن سويد ، فقال : ما علمت إلا خيراً .

فقال له إنسان جاءه بكتاب فضائل ، فجعل عليّاً - رضي الله عنه - أولها وأخَّر أبا بكر وعمر .

فعجب أبو عبدالله من هذا ، وقال : لعله أتي من غيره .

---

(٣٦) سير أعلام النبلاء ١١ / ٤١٣ .

(٣٧) روضة المحبين ص ١٧٩ - ١٨١ .

قالوا لـه : وثـم تلك الأشياء ؟ •

قال : فَلِمَ تسمعونها أنتم ؟ •• لا تسمعوها •

ولم أره يقول فيـه إلا خيـراً [٣٨] •

وقـال أبو داوود : سمعت يحيـى بـن معيـن يقـول : سويـد مـات منـذ حيـن •

قال الذهبي : عنى أنـه مات ذكـره للينـه ، وإلا فقـد بقـي سويـد بعد يحيى سبع سنين [٣٩] •

وقال أبـو داوود : سمعت يحيـى يقـول : هو حلال الـدم [٤٠] •

وقال محمد بن يحيى السوسي الخزاز : سـألت يحيـى بـن معيـن عن سويد بن سعيد فقال : مـا حدثـك فـاكتب عنـه ، ومـا حـدث بـه تلقيناً فـلا •

أي : إنـــه كـان يقبـل التلقيـن [٤١] •

وقـال سـليمان بـن الأشعـث : سـمعت يحيـى بـن معين يقـول : سويـد بن سعيد حلال الـدم [٤٢] •

وقال النسائي : ليس بثـقـة ولا مأمـــون [٤٣] •

---

(٣٨) انظر سير أعلام النبلاء ١١ / ٤١٠ – ٤١١ •
(٣٩) المصدرالسابق ١١ / ٤١٢ •
(٤٠) السابـــق ١١ / ٤١٢ •
(٤١) السابـــق ١١ / ٤١٢ و ٤١٣ •
(٤٢) السابـــق ١١ / ٤١٢ •
(٤٣) السابـــق ١١ / ٤١٣ •

وقال صالح جزرة : صدوق عمي ، فكان يلقن أحاديث ليست من حديثه [٤٤] .

وهكذا قال الحاكم أبو أحمد . قال : فمن سمع منه وهو بصير فحديثه عنه أحسن .

ولم يذكر كلمة صدوق [٤٥] .

وقال أبو بكر الأعين : هو شيخ .. هو سداد من عيش [٤٦] .

قال أبوعبدالرحمن : جَرْحُ من لم يُفَسِّر مردود إلى جرح من فَسَّر ، فنخلص إلى أنه صدوق صالح في ذاته يُغْرب في حديثه ، ويدخل عليه الخلل من جهة حفظه قبل عماه وبعده ، وبعد أن عمي صارت كتبه غير مأمونة من الدس .

قال أبوعبدالرحمن : الصواب أن هذا الحديث موقوف ، وهو من كلام ابن عباس – رضي الله عنهما – وفتواه .. قاس قتيل العشق العفيف الصابر على أحد الشهداء ، والقياس يصيب ويخطئ ، ثم رُفع إلى رسول الله ﷺ وهماً لا عن تعمدِ كذب .

والحكم في هذا الحديث عند العلماء رباعي : فمنهم من صححه .

ومنهم من حسنه .

---

(٤٤) سير أعلام النبلاء ١١ / ٤١٣ .

(٤٥) المصدر السابق ١١ / ٤١٣ .

(٤٦) السابق ١١ م ٤١٣ .

ومنهـم مـن ضعفـه ٠

ومنهـم مـن جعلـه موضوعـاً ٠

والذين لم يحسنوه ولـم يصححوه اختلفوا :

فمنهـم مـن صحح معناه كشيخ الإسلام ابن تيمية [٤٧] ، ومنهم من حكم بفساد معناه كابن قيم الجوزيـة ٠

والصواب صحة بعض معناه ، وهـو أن العاشق العفيف الصـابر يؤجر ، ويتضاعف أجره بقدر نيته في تركه الإثم خوفاً من الله يـدل على ذلك الحديث الصحيح عن الثلاثـة أصحاب الغـار فـي خبـر مـن كـان قبلنـا ٠

وممن صححه لفظاً ومعنـى مغلطـاي فـي كتابـه عـن المحبيـن ، والزركشي في « اللآلئ المنثـورة » ، والسـخاوي فـي « المقاصـد » ، والبقاعي في « أسـواق العشـاق » ٠

وحجـة من صححه اتصـال السنـد ، وثـقة النـاقل خـلال سلسلة الإسناد ، وعدالتـه ٠

قـال أبوعبدالرحمن : التصحيح دعـوى خرقـاء تنـافي أصـول المصطلح ، لأن أحد أسانيده غير مسلم اتصاله وهوإسناد الخرائطي ، إذ ورد عنـده بإسقاط أبـي حـازم ٠ والروايـة مباشـرة عن يعقـوب وهـو لـم يدركـه ٠

---

(٤٧) في مجموع الفتـاوى ٠

والإسناد الثاني مداره على سويد ، وعلى التسليم بصدقه في ذاته ؛ فإن الرجحان على أن هذا من أوهامه ، ولا يعني روايةُ الأكابرِ عنه نفيَ وهمِه ، لأنه أغرب في أحاديث رواها عنه الأكابر .

وأما من حسنه فلم أجد غير الزرقاني في مختصر المقاصد الحسنة [٤٨] .

قال أبوعبدالرحمن : وتُخَرَّج حجته بناء على واقع روايات الحديث وأصول المصطلح في التحسين بكون راويه غير متهم بالكذب ، وإنما الأمر يتعلق بالوهم لسوء حفظ ، أو آفة عمى تمنع من صيانة الكتاب عن الدس فيه ، لأن سويداً كان ضريراً ، وقد زال الوهم بشواهد أخرى .

---

(٤٨) قال ابن قيم الجوزية في الجواب الكافي ص ٢٥٧ « وكلام حفاظ الإسلام في إنكار هذا الحديث هو الميزان ، وإليهم يُرجع في هذا الشأن ، ولا صححه ولا حسنه أحد يُعَوَّل في علم الحديث عليه ، ويرجع في التصحيح إليه ، ولا من عادته التسامح والتساهل ، فإنه لم يصف نفسه [**قال أبوعبدالرحمن** : العبارة ها هنا قلقة .. ولعل صحة العبارة : فإن من صححه لم ينصف من نفسه] ، ويكفي أن ابن طاهر الذي يتساهل في أحاديث التصوف ويروي منها الغث والسمين قد أنكره وشهد ببطلانه » .

وقال في زاد المعاد ٤ / ٢٧٦ : « فقلد أئمة الحديث العاملين به وبعلله ، فإنه لا يحفظ عن إمام واحد منهم قط أنه شهد له بصحة، بل ولا بحسن ، كيف وقد أنكروا على سويد هذا الحديث ، ورموه لأجله بالعظائم ، واستحل بعضهم غزوه لأجله ؟ » .

==

كما أن هذا الحديث معمول بـه ، لأن كثيرين مـن العلماء قبلوه فـي شعرهم ·· قـال الإمام أبو محمد ابن حزم :

فإن أهلك هوىً أهلك شهيداً
وإن تمنن بقيت قريرَ عينِ

روى هـذا لنـا قـوم ثقـات
نـأوا بالصدق عن كذب ومين

وقال محمد بن محمد الصايـغ :

رواه سويد: عن علي بن مسهر
فما فيه من شك لمن كان عاقلا

وقال أبو الوليد الباجي :

إذا مـات المحب جوىً وعشقاً
فتلـك شهادة يا صـاح حقًّـا

رواه لنـا ثقـات عـن ثقـات
إلى الحبر ابن عبـاس ترقَّـى[1]

وقال عبدالكريم بن هوازن القشيـري :

إن المحـب إذا توفـي صابـراً
كانت منازلـه مـع الشهـداء

== **قال أبو عبدالرحمن** : وذكر الشيخ حمدي عبدالمجيد محقق خلاصة البدر المنير ١ / ٢٦٢ أن للشيخ أحمد بن محمد الصديق الغماري رسالة في درء الضعف عن حديث من عشق فعف ، ووعد بنشرها ·

يرويه أقوام غدوا في صدقهم

علماء ناهيكم بهذا الداء

وقال عبدالله بن المبارك الإمام :

حدثنا سفيان عن خالد

عن خالد عن سهل الساعدي

يرفعه من مات عشقاً فقد

استوجب العفو من الماجد

وقال ابن الربيع :

تعفف إذا ما تَخْلُ بالخلّ عالماً

يكون إلهي ناظراً وشهيدا

ففي خبر المختار من عف كاتماً

هواه إذا ما مات مات شهيدا

قال أبوعبدالرحمن: أما رواية أبي‌نواس في شعره فلاعبرة بها .

قال أبوعبدالرحمن : التحسين ها هنا منهج خاطئ ، لأن شواهد هذا الحديث نوعان :

صحيح غير مرفوع فيحمل ما لم يصح على ما صح .

وغيرصحيح لوهم أو اتهامٍ بالكذب ، فيبقى الشاهد معلولاً في ذاته، فلايتقوى به إسناد آخرمُعلول من وجهٍ آخربعلة تتعلق بالوهم.

وأما أقوال العلماء فليست كلها نصّاً في التحسين ، بل تذكر الورود بمعنى أنه روي ، وليس كل مروي يكون صحيحاً أو حسناً .

كما أن الفتوى ها هنا غرض شعري ، ومجاراةُ مبناها على التسامح لا سيما أن لمدلول الحديث معنى صحّحه ابن عباس قياساً لا نصّاً .

ولو صح أن أحد هؤلاء العلماء صححه أو حسنه لكان ذلك رأياً يُرَدُّ إلى الأصول .

قال أبوعبدالرحمن : وهناك من ضعفه ولم يبين درجة ضعفه حسب اصطلاح معين : أهو من الضعيف الراجح بطلانه ، أم الضعيف الذي لم تقم شواهد صحته ، فيكون محتمل الطرفين حكمه التوقف ؟ (٤٩) .

قال أبوعبدالرحمن : قام البرهان على أنه حديث باطل رفعه إلى رسول الله ﷺ ، وهو صحيح الإسناد إلى ابن عباس – رضي الله عنهما – من قوله موقوفاً عليه.

ومنهم من حكم بوضعه (٥٠) .

---

(٤٩) حققت مثل هذا التفريق الضروري في كتبي الثلاثة : تضعيف حديث دخول الجنة بجواز من الرحمان ، وقيء المغتاب ، والبرهان على تحسين حديث سلمان في خطبة رسول الله ﷺ في رمضان .

وممن ضعف حديث : « من عشق » المناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير ٢ / ٤٣١ .

وبعضهم اكتفى بالقول إن فيه مقالاً ، أو نظراً ، أو لخص إعلال الأئمة له كابن الملقن في خلاصة البدر المنير ١ / ٢٦٢ .

(٥٠) ممن حكم بوضعه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة ٤٠٢/١ . ==

ومن بالغ في الحكم بوضعه ابن قيم الجوزيةفي عددمن كتبه ٠

وفي هذا الحكم إجحاف ، لأنه يعني تعمد الكذب ، وقد قام البرهان على أنه محمول على الوهم لا تعمد الكذب ، وما كان هكذا يكون ضعيفاً لا موضوعاً ٠

ويكون من الضعيف المردود الذي نسب إلى رسول الله ﷺ وهماً لا وضعاً ٠

قال ابن قيم الجوزية : « هذا حديث باطل على رسول الله ﷺ قطعاً لا يشبه كلامه ، وقد صح عنه أنه عد الشهداء ستة فلم يذكر فيهم قتيل العشق شهيداً ، ولا يمكن أن يكون كل قتيل بالعشق شهيداً ، فإنه قد يعشق عشقاً يستحق عليه العقوبة » (٥١) ٠

وقال: «ومما يوضح ذلك : أن النبي ﷺ عد الشهداء في الصحيح ، فذكر المقتول في الجهاد ، والمبطون ، والحرق ، والنفساء يقتلها ولدها ، والغرِق ، وصاحبَ ذات الجنب ، ولم يذكر منهم من يقتله العشق ٠

== ومن أورده في الكتب الخاصة بالموضوعات فقد حكم بوضعه كالشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ص ٢٥٥ وابن قيم الجوزية في المنار المنيف ص ١٤١ رقم ٣٢١ ، وتبعه الصباغ في تحقيقه لمختصر المقاصد ص ١٩٦ ٠

وهناك كتب جمعت بين الضعيف والموضوع ، ولكن سياق المؤلف يوحي بأنه أراد التضعيف مثل كتاب الكشف الإلهي للطرابلسي ٢ / ٧٠٣ قال : حكم ابن القيم بوضعه ، وانتصر له الزركشي بتقويته بتعدد طرقه ٠

(٥١) روضة المحبين ص ١٧٩ ٠

وحسبُ قتيلِ العشق أن يصح له هذا الأثر عن ابن عباس رضي الله عنهما ، على أنه لا يدخل الجنة حتى يصبر لله ، ويعف لله ، ويكتم لله ، لكن العاشق إذا صبر وعف وكتم مع قدرته على معشوقه ، وآثر محبة الله وخوفه ورضاه ٠٠ هذا من أحق من دخل تحت قوله تعالى : ﴿ **وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى** ﴾ [سورة النازعات /٤٠-٤١] ، وتحت قوله تعالى : ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾ [سورة الرحمن /٤٦] ٠

فنسأل الله العظيم ، رب العرش الكريم أن يجعلنا ممن آثر حبه على هواه ، وابتغى بذلك قربه ورضاه)) (٥٢) ٠

وقال ابن قيم الجوزية أيضا : ((فإن هذا الحديث لا يصح عن رسول الله ﷺ ، ولا يجوز أن يكون من كلامه ، فإن الشهادة درجة عالية عند الله ، مقرونة بدرجة الصديقية ، ولها أعمال وأحوال ٠٠ هي شرط في حصولها ، وهي نوعان :

عامة وخاصة ، فالخاصة الشهادة في سبيل الله ٠

والعامة خمس مذكورة في الصحيح ليس العشق واحداً منها ٠

وكيف يكون العشق الذي هو شرك في المحبة، وفراغ القلب عن الله ، وتمليك القلب والروح والحب لغيره تُنال به درجة الشهادة ؟ ٠

هذا من المحال ، فإن إفساد الصور للقلب فوق كل إفساد ، بل

---

(٥٢) الجواب الكافي ص ٣٥٧ - ٣٥٨ ٠

هو خمر الروح الذي يسكرها ، ويصدها عن ذكر الله وحبه ، والتلذذ بمناجاته ، والأنس به ، ويوجب عبودية القلب لغيره ؛ فإن قلب العاشق متعبد لمعشوقه ، بل العشق لب العبودية ، فإنها كمال الذل ، والحب والخضوع والتعظيم ، فكيف يكون تعبد القلب لغير الله مما تنال به درجة أفاضل الموحدين وساداتهم ، وخواص الأولياء ؟ .

فلو كان إسناد هذا الحديث كالشمس كان غلطاً ووهماً ، ولا يحفظ عن رسول الله ﷺ لفظ العشق في حديث صحيح ألبتة .

ثم إن العشق منه حلال ، ومنه حرام ، فكيف يظن بالنبي ﷺ أنه يحكم على كل عاشق يكتم ويعف بأنه شهيد ؟ .

فترى من يعشق امرأة غيره ، أو يعشق المردان والبغايا ينال بعشقه درجة الشهداء !! .

وهل هذا إلا خلاف المعلوم من دينه ﷺ بالضرورة ؟ .

كيف والعشق مرض من الأمراض التي جعل الله سبحانه لها الأدوية شرعاً وقدراً ، والتداوي منه إما واجب إن كان عشقاً حراماً، وإما مستحب .

وأنت إذا تأملت الأمراض والآفات التي حكم رسول الله ﷺ لأصحابها بالشهادة ، وجدتها من الأمراض التي لا علاج لها ، كالمطعون ، والمبطون ، والمجنون ، والحريق ، والغريق ، وموت المرأة يقتلها ولدها في بطنها ، فإن هذه بلايا من الله لاصنع للعبد فيها ، ولا علاج لها ، وليست أسبابها محرمة ، ولا يترتب عليها من

فساد القلب وتعبده لغير الله ما يترتب على العشـــق)) (٥٣) .

قال أبوعبدالرحمن : ورود حديث عن الشهداء لم يذكر العاشــق العفيف الصابر لا يعني أن حديث شهادة العاشق باطـل ، لأن الأحكام لا تؤخذ من نص واحد ، ولأن حديث الشهداء لم يرد بصيغة الحصر .

ودفعي للاحتجاج بحديث الشهداء إسقاط للحجـة ، وليس إسـقاطاً لدعوى أن حديث من عشق فعف غيـر ثـابت .

قال أبوعبدالرحمن : ولا نكارة في معنى الحديـث جملـة ، ولكن الذي ينسب إلى الشرع بعض معناه .

وبيـان ذلـك : أن فيــه تبشـير العاشـق الصـابر ، لأنـه حكـم لـــه بالشهادة ، والجنة دار الشهداء .

وفيـه الحكم بأنـه شهيــــد .

فأما مدح العاشق الصابر وتبشيره فذلك معنــى شـرعي بمقتضـى نصوص العفة والصبـر ، وبمقتضى حديث أصحاب الغـــار .

وأما الحكم بشهادته فذاك زيـادة شرع لا تجوز إلا بنص ، وهــو ثــابت عـن ابن عباس – رضـي اللـــه عنهمـا – مـن قولـــه وفتـــواه ، ولا محل لـه إلا على القياس ، فأثبت ابن عباس الحكم اجتهاداً .

والتداوي من العشق واجب على كل تقديــر .

ولا معنــى لإنكـار ابـن قيـم الجوزيـــة مشــروعية العشــق ، لأن الأجـر والشهادة للعفة والكتم والصبر لا للعشق ، واللـــه المستعان .

* * *

---

(٥٣) زاد المعاد ٣٧٦/٤ – ٣٧٨ .

الفصل الثالث :

العشـــاق والوصــــل :

قال أبومحمد ابن حزم : « ومن وجوه العشق الوصل ، وهو حظ رفيع، ومرتبة سرية ، ودرجة عالية ، وسعد طالع ، بل هو الحياة المجددة، والعيش السني ، والسرور الدائم ، ورحمة من الله عظيمة .

ولولا أن الدنيا ممر ومحنة وكدر، والجنة دار جزاء وأمان من المكاره لقلنا : إن وصل المحبوب هو الصفاء الذي لاكدر فيه ، والفرح الذي لا شائبة ولا حزن معه ، وكمال الأماني ، ومنتهى الأراجي .

ولقد جربت اللذات على تصرفها، وأدركت الحظوظ على اختلافها ، فما للدنو من السلطان ،ولا للمال المستفاد ،ولا الوجود بعد العدم ،ولا الأوبة بعد طول الغيبة ،ولا الأمن من بعد الخوف، ولا التروح على المال - من الموقع في النفس - ماللوصل، ولاسيما بعد طول الامتناع ،وحلول الهجر ، حتى يتأجج عليه الجوى ،ويتوقد لهيب الشوق ،وتتضرم نار الرجاء .

وما إصناف النبات بعد غب القطر، ولا إشراق الأزاهير بعد إقلاع السحب الساريات في الزمان السجسج ، ولا خرير المياه المتخللة لأفانين النوار، ولا تانق القصور البيض قد أحدقت بها الرياض الخضر: بأحسن من وصل حبيب قد رُضيت أخلاقه ، وحمدت غرائزه، وتقابلت في الحسن أوصافه .. وإنه لمعجز ألسنة البلغاء ، ومقصر فيه بيان الفصحاء، وعنده تطيش الألباب ،وتعزب الأفهام»[1] .

---

(١) طوق الحمامة ضمن رسائل ابن حزم ١/١٨٠ - ١٨١ .

قال أبوعبدالرحمن : الحب عن شهوة ينكسر بالوصل ٠

أما العشق فلا يزيده الوصل إلا نعيماً ٠٠ قال أبو محمد ابن حزم : « وأنا أدركت بنت زكريا بن يحيى التميمي المعروف بابن برطال (وعمها كان قاضي الجماعة بقرطبة محمد بن يحيى ، وأخوها الوزير القائد الذي كان قتله غالب وقائدين له في الوقعة المشهورة بالثغور، وهما مروان بن أحمد بن شهيد ، ويوسف بن سعيد العكي) وكانت متزوجة بيحيى بن محمد بن الوزير يحيى بن إسحاق ، فعاجلته المنية وهما في أغض عيشهما وأنضر سرورهما ، فبلغ من أسفها عليه أن باتت معه في دثار واحد ليلة مات ، وجعلته آخر العهد به وبوصله ، ثم لم يفارقها الأسف بعده إلى حين موتها » (٢) ٠

وعن فساد الحب بالوصل أو عدم فساده قال ابن قيم الجوزية : « فصل الخطاب بين الفريقين أن الجماع الحرام يفسد الحب ، ولا بد أن تنتهي المحبة بينهما إلى المعاداة والتبغض والقلى كما هو مشاهد بالعيان ٠

فكل محبة لغير الله آخرها قلى وبغض ، فكيف إذا قارنها ما هو من أكبر الكبائر ؟ ٠

---

(٢) طوق الحمامة ضمن رسائل ابن حزم ١/١٨٧ - ١٨٨ ، وانظر ذم الهوى لابن الجوزي ص ٤٥١ - ٤٧٢ حيث ذكر جماعة نعموا بالوصل ٠

وذكر ابن قيم الجوزية التداوي الشرعي بالوصال المباح كما ذكر أخبار من نعموا بالوصل في روضة المحبين ص ٢١٢ - ٢٢٠ ٠٠ويتبع حكم التداوي بالوصل الفصل الذي عقده بعنوان فضيلة الجمال وميل النفوس إليه ص ٢٢١ - ٢٥٨ ٠

وهذه عداوة بين يدي العداوة الكبرى التي قال الله تعالى فيها : ﴿ **الأخلاء يومئذٍ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين** ﴾ [سورة الزخرف / ٦٧] .

وسنذكر – إن شاء الله تعالى – من ظفر بمحبوبة وترك قضاء وطره منه رغبة في بقاء محبته ، وخشية أن تنقلب قلى وبغضاً في الباب الموعود به ، فإن ذلك أليق به .

وأما الجماع المباح فإنه يزيد الحب إذا صادف مراد المحب ، فإنه إذا ذاق لذته وطعمه أوجب له ذلك رغبة أخرى لم تكن حاصلة قبل الذوق .

ولهذا لا يكاد البكران يصبر أحدهما عن الآخر ، هذا ما لم يعرض للحب ما يفسده ويجب نقله إلى غير المحبوب .

وأما ما احتج به الآخرون فجوابه أن الشهوة والإرادة لم تطفأ نارها بالكلية ، بل فترت شهوة ذلك الوقت ثم تعود أمثالها ، وإنما يظهر هذا إذا غاب أحدهما عن حبيبه ، وإلا فما دام بمرأى منه وهو قادر عليه متى أحب فإن النفس تسكن بذلك وتطمئن به ، وهذا حال كل من كان بحضرته ما يحتاج إليه من طعام وشراب ولباس وهو قادر عليه ، فإن نفسه تسكن عنده ، فإذا حيل بينه وبينه اشتد طلبه له ونزاع نفسه إليه .

على أن المحب للشيئ متى أفرط في تناول محبوبه نفرت نفسه منه ، وربما انقلبت محبته كراهية ، وسيأتي مزيد بيان لهذا

في باب سلو المحبين إن شاء الله تعالى » (٣) ٠

قال أبوعبدالرحمن : وهنا نعيم وصل من بقايا دين الجاهلية ظل في سمر القوم بعد الإسلام فحكاه الأصمعي وغيره ٠

قال ابن قيم الجوزية : « قال الأصمعي : قلت لأعرابية : ما تعدون العشق فيكم ؟ ٠

قالت : العناق والضمة والغمزة والمحادثة ٠

ثم قالت : يا حضري فكيف هو عندكم ؟ ٠

قلت : يقعد بين شعبها الأربع ثم يجهدها ٠

قالت : يا ابن أخي ما هذا عاشق ٠٠ هذا طالب ولد ٠

وسئل أعرابي عن ذلك فقال : مص الريق، ولثم الشفة ، والأخذ من أطايب الحديث ، فكيف هو فيكم أيها الحضري ؟ ٠

فقال : العفس الشديد ، والجمع بين الركبة والوريد ، ورهز يوقظ النائم ، ويشفي القلب الهائم ٠

فقالت (٤) : بالله ما يفعل هذا العدو الشديد فكيف الحبيب الودود ؟ ٠

وقال بعضهم : الحب يطيب بالنظر ويفسد بالغمز ٠

قال هؤلاء : والحب الصحيح يوجب إعظام المحبوب وإجلاله

---

(٣) روضة المحبين ص ٨٩ – ٩٠ ٠

(٤) في الأصل : فقال ٠

والحياء منه ، فلا تطاوع نفسه أن يلقي جلباب الحياء عند محبوبه ، وأن يلقيه عنه ، ففي ذلك غاية إذلاله وقهره كما قيل :

إذا كان حظ المرء ممن يحبه حراماً فحظي ما يحل ويجمل
حديث كماء المزن بين فصوله عتاب به حسن الحديث يفصل
ولثم فم عذب اللثات كأنما جناهن شهد فت فيه القرنفل
وما العشق إلا عفة ونزاهة وأنس قلوب أنسهن التغزل
وإني لأستحيي الحبيب من التي تريب وأدعى للجميل فأجمل

وزعم بعضهم أنه كان يشرط بين العشيقة والعاشق أن له من نصفها الأعلى إلى سرتها ينال منه ما يشاء من ضم وتقبيل ورشف ، والنصف الأسفل يحرم عليه ، وفي ذلك قال شاعر القوم :

فللحب شطر مطلق من عقاله وللبعل شطر ما يرام منيع

وقال الآخر :

لها شطر فمن حل وبل ونصف كالبحيرة ما يهاج (٥)

وهذا كان من دين الجاهلية فأبطلته الشريعة ، وجعلت الشطرين كليهما للبعل ٠

---

(٥) البل بالكسر : المباح يقال : حل بل وهو إتباع ٠
والبحيرة : الناقة ، كانت في الجاهلية إذا ولدت خمسة أبطن شقوا أذنها ، وأعفوها أن ينتفع بها ، ولم يمنعوها مرعى ولا ماء ، وقد أبطلها الإسلام ٠ قال تعالى ﴿ **ما جعل الله من بحيرة** ﴾ سورة المائدة /١٠٣ ٠٠ [محقق الروضة] ٠

والشعراء قاطبة لا يرون بالمحادثة والنظر للأجنبيات بأساً ، وهو مخالف للشرع والعقل فإن فيه تعويضاً للطبع لما هو مجبول على الميل إليه، والطبع يسرق ويغلب، وكم من مفتون بذلك في دينه ودنياه ٠

فإن قيل فقد أنشد الحاكم في مناقب الشافعي له :

يقولون لا تنظر وتلك بلية ألا كل ذي عينين لا بد ناظر

وليس اكتحال العين بالعين ريبة إذا عف فيما بين ذاك الضمائر(٦)

فإن صحت عن الشافعي فإنما أراد النظر الذي لا يدخل تحت التكليف ، كنظرة الفجأة أو النظر المباح » (٧) ٠

وعن التداوي بالوصل قال ابن الجوزي: « أخبرنا هبة الله بن محمد بن الحصين قال: أنبأنا أبو علي الحسن بن علي قال : أنبأنا أحمد بن جعفر قال : حدثنا عبدالله بن أحمد قال : حدثنا أبي قال : حدثنا عبدالصمد قال : حدثني حرب : عن أبي الزبير : عن جابر – رضي الله عنه – : أن رسول الله ﷺ رأى امرأة فأعجبته، فأتى زينب فقضى منها حاجته ، وقال : إن المرأة تقبل في صورة شيطان ، وتدبر في صورة شيطان ، فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله ، فإن ذلك يرد مما في نفسه ٠

انفرد بإخراجه مسلم ، وقد نبه هذا الحديث على أمرين ٠

أحدهما : التسلي عن المطلوب بجنسه ٠

---

(٦) في معجم البلدان لياقوت أن هذين البيتين للخضيل بن عبيد فلم تتأكد نسبتهما إلى الشافعي [محقق الروضة] ٠

(٧) روضة المحبين ص ٨٦ – ٨٨ ٠

والثاني : الإعلام بأن سبب الإعجاب قوة الشهوة ، فأمر بتنقيصها » (٨) ٠

وقال : « فإن خلقاً كثيراً أضناهم العشق ، فلما قدروا على المحبوب عاودتهم الصحة سريعاً ، لأن النكاح يزيل العشق ٠

أنبأنا عبدالوهاب بن المبارك قال : حدثنا محمد بن المظفر بن بكران قال :حدثنا أحمد بن محمد العتيقي قال : أنبأنا يوسف بن أحمد بن الدخيل قال : حدثنا أبوجعفر العقيلي قال : حدثنا محمد بن خزيمة قال : حدثنا عبدالله بن يوسف التنيسي قال : حدثنا محمد بن مسلم الطائفي : عن إبراهيم بن ميسرة : عن طاووس : عن ابن عباس - رضي الله عنهما - : أن رسول الله ﷺ قال : لم ير للمتحابين مثل التزوج ٠

أخبرنا محمد بن ناصر ، وابن أبي عمر قالا : أنبأنا علي بن أيوب قال : أنبأنا أبو علي بن شاذان قال : حدثنا أبو الفوارس أحمد ابن علي محتسب المصيصة قال : حدثنا حيان بن بشر قال : حدثنا أحمد بن حرب قال : حدثنا سفيان بن عيينة قال : حدثنا عمرو بن دينار : عن جابر - رضي الله عنه - قال : جاء رجل إلى النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله : عندنا يتيمة قد خطبها رجلان موسر ومعسر ، وهي تهوى المعسر ، ونحن نهوى الموسر ، فقال رسول الله ﷺ ، : لم ير للمتحابين مثل النكاح ٠

---

(٨) ذم الهوى ص ١٢٢ ٠

أنبأنا محمد بن ناصر قال : أنبأنا المبارك بن عبدالجبار قال : أنبأنا الجوهري قال : أنبأنا ابن حيويه قال : أنبأنا ابن المرزبان إجازة (وحدثنا محمد بن حريث عنه) قال : حدثنا داوود بن رشيد ، قال : حدثني الهيثم بن عدي قال : عن ابن شبرمة قال : كنت أقعد إلى فلانة الترجمية (وكانت جميلة برزة) فخلا البيت يوماً فقلت لها : هل لك فيما أحل الله عز وجل وأمر به ؟ •

فقالت : يعجبك ؟ •

قلت : نعم •

قالت : فلا ترده ، فإن الحب إذا نكح فسد •

أخبرنا محمد بن ناصر • قال : أنبأنا أحمد بن محمد البخاري ، وأخبرتنا شهدة قالت : أنبأنا أبو محمد ابن السراج قالا : أنبأنا الحسن ابن علي الجوهري قال: أنبأنا ابن حيويه • قال: حدثنا ابن خلف قال : زعم ابن دأب أن معاذ بن كليب كان يعشق ليلى الأعلمية من بني عقيل ، وكان قد أقعده حبها من رجليه ، فأتاه أخو ليلى بليلى ، فلما نظر إليها وكلمته تحلل ما كان به ، وانصرف وقد عوفي » (٩) •

قال أبو عبد الرحمن : الهيثم بن عدي كذاب ، ولو صح الخبر لكانت وصية الترجمية وصية فسق تضاد وتحاد وصية الشرع المطهر •

وعن حديث « لم ير للمتحابين » قال ابن قيم الجوزية :

---

(٩) ذم الهوى ص ٤٤٩ – ٤٥٠ •

« وقال الطبراني في معجمه الأوسط : حدثنا بكر بن سهل : حدثنا عبدالله بن يوسف : حدثنا محمد بن مسلم : عن إبراهيم بن ميسرة : عن طاووس : عن ابن عباس – رضي الله عنهما –: أن رجلاً قال : يا رسول الله عندنا يتيمة قد خطبها رجلان موسر ومعسر ، وهي تهوى المعسر ، ونحن نهوى الموسر ؟ ! ٠

فقال : لم ير للمتحابين مثل التزويج ٠

قال أبو القاسم الطبراني : لم يروه عن طاووس إلا إبراهيم ، ولا رواه عن إبراهيم إلا محمد بن مسلم ، وسفيان الثوري ٠

تفرد به مؤمل بن إسماعيل عن الثوري ٠ انتهى ٠

وقدرواه أبو الفرج ابن الجوزي من حديث حسان بن بشر : حدثنا أحمد بن حرب : حدثنا ابن عيينة : حدثنا عمرو : عن جابر فذكره ٠

قال المعافى بن عمران : حدثنا إبراهيم بن يزيد : عن سليمان بن موسى : عن عمرو : عن طاووس : عن ابن عباس رضي الله عنهما ٠

وحدثنا علي بن حرب الطائي : حدثنا ابن عيينة : عن إبراهيم ابن ميسرة : عن طاووس ٠

وذكره الدارقطني في كتاب الغرائب ، وقال : تفرد به يزيد بن مروان : عن عمرو بن هارون : عن عثمان بن الأسود المكي : عن إبراهيم بن ميسرة : عن طاووس ٠

وقالت هند بنت المهلب : ما رأيت لصالحي النساء وشرارهن خيراً من إلحاقهن بمن يُسكن إليه من الرجال ، ولرب مسكون إليه

غير طائل ، والسكن على كل حال أوفق •

وذكر الحاكم في تاريخ نيسابور من حديث أبي هريرة - رضي الله - عنه يرفعه : أربع لا يشبعن من أربع : أرض من مطر ، وأنثى من ذكر ، وعين من نظر ، وعالم من علم •

وهذا باطل قطعاً على رسول الله ﷺ ، وهو كثير عن أبي هريرة رضي الله عنه (١٠) •

وذكر الطبراني في معجمه الأوسط من حديث ابن عمر يرفعه : فضل ما بين لذة المرأة ولذة الرجل كأثر المخيط في الطين إلا أن الله سترهن بالحياء •

وقال : لم يروه عن ليث إلا أبو المسيب سلمبن سلام : عن سويد : عن عبدالله بن أسامة : عن يعقوب بن خالد : عن عطاء : عن ابن عمر رضي الله عنهما •

قلت : وهذا أيضا لا يصح عن رسول الله ﷺ ، وإسناده مظلم لا يحتج بمثله » (١١) •

---

(١٠) ذكر هذا الحديث في طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى من رواية الحاكم أيضا عن عائشة - رضي الله عنها - لا عن أبي هريرة ، وفي سنده عبدالسلام بن عبدالقدوس •
وجاء في تهذيب التهذيب قول أبي حاتم في عبدالسلام : يروي الموضوعات لا يحل الاحتجاج به منها حديث : أربع لا يشبعن من أربع ••• إلخ ثم قال : هذا منكر [محقق الروضة] •

(١١) روضة المحبين ص ٨٣ - ٨٥ ، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ١٩٦/٢ - ١٩٩ رقم ٦٢٤ •

ومن أحاديث الوصل أسطورة أبي المسهر الجعد بن مهجع العذري المنسوبة روايتها إلى الشاعر عمر بن أبي ربيعة .. قال عمر: سمعت أبا المسهر يتكلم بشيئ ، فأصغيت إليه ، فإذا هو يقول :

يارب كل غدوة وروحة

من محرم يشكو الضحى ولوحة

أنت حسيب الخلق يوم الدوحة

فقلت له : وما يوم الدوحة ؟ .

قال : والله لأخبرنك ولو لم تسألني .

فيممنا نحو مزدلفة ، فأقبل علي وقال : إني رجل ذو مال كثير من نَعم وشاء (وذو المال لا يرويه الماء القليل) وقَطَرَ الغيث أرض كلب ، فانتجعت أخوالي منهم ، فأوسعوا لي عن صدر المجلس وسقوني معظم الماء ، وكنت فيهم في خير أخوال .

ثم إني عزمت على إرواء إبلي بماء لهم يقال له الحوذان ، فركبت فرسي ومضيت ، حتى إذا كنت بين الحي ومرعى النعم أبصرت دوحة عظيمة ، فنزلت عن فرسي وشددته بغصن من أغصانها ، وجلست في ظلها .

فبينا أنا كذلك إذ سطع غبار من ناحية الحي وبدا لي ثلاثة أشخاص ، ثم تبينت فإذا فارس يطرد حماراً وحشياً وأتانة ، فتأملته فإذا عليه درع أصفر وعمامة خز سوداء ، وإذا فروع شعره تضرب خصريه ، فقلت : غلام حديث عهد بعرس أعجلته لذة الصيد فترك

ثوبه ولبس ثوب امرأته ٠

فما جاز علي إلا يسيراً حتى طعن الحمار الوحشي وثنى طعنة للأتان فصرعهما ، وأقبل راجعاً نحوي ، وهو يقول :

نطعنهم سلكى ومخلوجة

كرك لأمين على نابل (١٢)

فقلت : إنك قد تعبت وأتعبت ، فلو نزلت ! ٠

فثنى رجله فنزل فشد فرسه بغصن من أغصان الشجرة وألقى رمحه وأقبل حتى جلس ، فجعل يحدثني حديثاً ذكرت به قول أبي ذؤيب :

وإن حديثاً منك لو تبذلينه

جنى النحل في ألبان عوذ مطافل (١٣)

فقمت إلى فرسي فأصلحت من أمره ، ثم رجعت (وقد حسر العمامة عن رأسه) فإذا غلام كأن وجهه الدينار المنقوش ٠

فقلت : سبحانك اللهم ما أعظم قدرتك وأحسن صنعتك ! ٠

فقال : مم ذاك ؟ ٠

قلت : مما راعني من جمالك وبهرني من نورك ٠

---

(١٢) هذا البيت لامرئ القيس ٠٠ السلكى : الطعنة المستقيمة ٠٠ المخلوجة : الطعنة المعوجة ٠٠ اللأم : السهم عليه الريش الملائم ٠٠ النابل : صاحب النبل [زراقط] ٠

(١٣) عوذ : جمع عائذ وهي الحديثة النتاج إلى خمسة عشر يوماً أو نحوها ، ثم هي بعد ذلك مطفل [زراقط] ٠

قال : وما الذي يروعك من حبيس التراب ، وأكيل الدواب ، ثم لا يدري أينعم بعد ذلك أم يبأس ؟ ! .

قلت : لا يصنع الله بك إلا خيراً .

ثم تحدثنا ساعة ، فأقبل علي وقال : ما هذا الذي قد وضعت في سرجك ؟ .

قلت : شراب أهداه إلي بعض أهلي ، فهل لك فيه من أرب ؟.

قال : أنت وذاك .

فأتيته به ، فشرب منه وجعل ينكت أحياناً بالسوط على ثناياه ، فجعل والله يتبين لي ظل السوط فيهن ، فقلت : مهلاً فإني خائف أن تكسرهن .

فقال : ولِمَ ؟ .

قلت : لأنهن رقاق وهن عذاب .

فرفع عقيرته يتغنى :

إذا قبل الإنسان آخر يشتهي
ثناياه لم يأثم وكان له أجرا

فإن زاد زاد الله في حسناته
مثاقيل يمحو الله عنه بها الوزرا

ثم قام إلى فرسه فأصلح من أمره ثم رجع ، فبرقت لي بارقة تحت الدرع ، فإذا ثدي كأنه حق عاج ، فقلت نشدتك الله امرأة ؟ .

قالت : إي والله إلا أني أكره العشير وأحب الغزل .

ثم جلست فجعلت تشرب معي ما أفقد من أنسها شيئاً حتى

نظرت إلى عينيها كأنهما عينا مهاة مذعورة ، فوالله ما راعني إلا ميلها على الدوحة سكرى ٠

فزين لي والله الغدر وحسن في عيني ، ثم إن الله عصمني منه ، فجلست بعيداً عنها [١٤] ، فما لبثت إلا يسيراً حتى انتبهت فزعة فلاثت عمامتها برأسها وجالت في متن فرسها ، وقالت : جزاك الله عن الصحبة خيراً ٠

فناولتني يدها [١٥] فقبلتها فشممت والله منها ريح المسك [١٦] المفتوت فذكرت قول الشاعر :

كأنها إذا تقضى النوم وانتبهت

سحابة مالها عين ولا أثر

قلت : وأين الموعد ؟

---

(١٤) قال أبوعبدالرحمن : لو صحت أساطير الأعراب لكان هذا جباراً لقوة إرادته ودينه – بالرغم عن الشراب !! – ٠

(١٥) لا تزال لهذه الأحوال من الوصل بقايا في جيل العامية ، فيقف زير النساء – أو الفقيقي بلغة العوام – فيكون مليح الشعر ، أو سريع البديهة في الرد ، أو حلو الصوت بالغناء الساذج فيستميل أنس نساء الحي في مضاربهم، أوعلى الموارد ، أو القطين حول ديار الحضر في الصيف ، وهن غُذِّين بالعفاف ، فإذا دوخه حبهن أو إصغاؤهن زدنه بوقود من رفع اللثام ، أو إصغاء الخمار ، فإن وصل الأمر إلى البطر ألمسته ظاهر كفها ، أو أشارت إلى صدرها وقالت : عانه ! ٠ فيظل الفقيقي يتدفق بما عنده من أنس ٠

(١٦) يستحسن الأدباء عبارة « أشممني يدك » بدل : ناولنيها، لأنها مظنة الطيب ٠

قالت : ان لي أخوة شرساً وأباً غيوراً ، ووالله لأن أسرك أحب إلي من أن أضرك •

ثم انصرفت ، فجعلت أتبعها بصري حتى غابت ، فهي والله يا ابن أبي ربيعة أحلتني هذا المحل وأبلغتني •

فقلت له : يا أبا المسهر ، ان الغدر بك مع ما تذكر لمليح !! •

فبكى واشتد بكاؤه ، فقلت : لا تبك ، فما قلت لك ما قلت إلا مازحا ، ولو لم أبلغ في حاجتك بمالي لسعيت في ذلك حتىأقدر عليه •

فقال لي خيراً •

فلما انقضى الموسم شددت على ناقتي وشد على ناقته ، ودعوت غلامي فشد على بعير له ، وحملت عليه قبة حمراء من أدم كانت لأبي ربيعة المخزومي ، وحملت معي ألف دينار ومطرف خز ، وانطلقنا حتى أتينا بلاد كلب ، فنشدنا عن أبي الجارية فوجدناه في نادي قومه ، وإذا هو سيد الحي ، وإذا الناس حوله ، فوقفت على القوم فسلمت ، فرد الشيخ السلام ثم قال : من الرجل ؟ •

قلت : عمر بن أبي ربيعة بن المغيرة •

فقال : المعروف غير المنكر ، فما الذي جاء بك ؟ •

قلت : خاطباً •

قال : الكفء والرغبة •

قلت : إني لم آت ذلك لنفسي عن غير زهادة فيك ولا جهالة بشرفك ، ولكني أتيت في حاجة ابن أختكم العذري ، وها هو ذاك •

فقال : إنـه لكفيئ الحسب رفيع البيـت ، غـير أن بنـاتي لـم يقعـن إلا في هـذا الحي من قريش .

فوجمت لذلك ، وعرف التغير في وجهي ، فقال : أما إني صـانع بـك ما لـم أصنعـه بغيرك .

قلـت : وما ذاك فمثـلي من شكـر ؟ .

قـال : أخيرها فهي وما اختـارت .

قلـت : ما أنصفتني إذ تختار لغيري وتولي الخيار غيرك .

فأشار إلي العذري أن دعـه يخيرهـا .

فأرسل إليها : إن من الأمر كـذا وكذا ، فأرسلت إليـه : مـا كنـت لأستبد برأي دون القرشي ، فالخيار في قولـه . . وحكمـه .

فقال لي : إنها قـد ولتك أمرها فاقض ما أنت قاض .

فحمدت الله عزوجل وأثنيت عليه ، وقلت : اشهدوا أني قد زوجتها من الجعد بن مهجع وأصدقتها هذا الألف دينار ، وجعلت تكرمتها العبـد والبعير والقبـة ، وكسوت الشيخ المطرف ، وسألتـه أن يبني بها عليه في ليلته .

فأرسـل إلى أمها ، فقالت : أتخرج ابنتي كما تخرج الأمة !؟ .

فقال الشيخ : اسرعي في جهازها .

فما برحت حتى ضربت القبـة في وسط الحريم ، ثم أهديت إليـه ليلاً وبت أنا عنـد الشيخ .

فلما أصبحت أتيت القبة فصحت بصاحبي ، فخرج إلي وقـد أثـر السرور فيـه ، فقلت : كيف كنت بعـدي وكيف هي بعدك ؟ .

فقال لي : أبدت لي والله كثيراً مما كانت أخفته عني يوم لقيتها فسألتها عن ذلك فأنشأت تقول :

كتمت الهوى لما رأيتك جازعاً
وقلت فتى بعض الصديق يريد
وإن تطرحني أو تقول فتية
يضر بها برح الهوى فتعود
فوريت عما بي وفي داخل الحشا
من الوجد برح فاعلمن شديد

فقلت : أقم على أهلك بارك الله فيك •

وانطلقت وأنا أقول :

كفيت أخي العذري ما كان نابه
وإني لأعباء النوائب حمال
أما استحسنت مني المكارم والعلا
إذا طرحت إني لما لي بذال

وقال العذري :

إذا ما أبو الخطاب خلى مكانه
فأف لدينا ليس من أهلها عمر
فلا حي فتيان الحجازين بعده
ولا سقيت أرض الحجازين بالمطر (١٧)

* * *

(١٧) عشاق العرب ص ١٢٧ - ١٣٣ •• ومن نماذج الوصل ما حكاه الأصمعي عن قصة شاب أراد خالد بن عبدالله القسري قطع يده •• ذكر القصة الكرمي في كتابه من القائل ، والدكتور نايف معروف في كتابه طرائف ونوادر عن التحفة السنية في النوادر العربية لابن سديرة •

الفصل الرابع :

فتاوى بين الإباحة والحظر :

قال ابن قيم الجوزية : « ذكر العتبي أن رجلاً من ولد عثمان ورجلاً من ولد الحسين خرجا يريدان موضعاً لهما ، فنزلا تحت سرحة فأخذ أحدهما فكتب عليها :

خبرينا خصصت بالغيث يا سرح
(م) بصدق والصدق فيه شفاء

وكتب الآخر :

هل يموت المحب من ألم الحب
ويشفي من الحبَيب اللقاء

ثم مضيا ، فلما رجعا وجدا مكتوباً تحت ذلك :

إن جهلاً سؤالك السرح عما
ليس يوماً عليك فيه خفاء
ليس للعاشق المحب من الحب
سوى لذة اللقاء شفاء » (١)

قال أبوعبدالرحمن : هذه من الفتاوى التجريبية وليست مقصود هذا البحث ، وإنما المقصود فتاوى نسبت إلى الشرع ووردت استفتاء وجواباً في أشعار الأدباء ، أوردها المؤلفون في الحب ٠

---

(١) روضة المحبين ص ٢١٣ ٠

ومن الأساطير المروجة بعزوها إلى الأصمعي - وهي مما ضرب تحت المقفزية - دعوى أن الأصمعي قال : بينما كنت أسير في البادية إذ مررت بحجر مكتوب عليه هذا البيت :

أيا معشر العشاق بالله خبروا

إذا حل عشق بالفتى كيف يصنع ؟

فكتبت تحته :

يداري هواه ثم يكتم سره

ويخشع في كل الأمور ويخضع

ثم عدت في اليوم الثاني فوجدت مكتوباً تحته :

وكيف يداري والهوى قاتل الفتى

وفي كل يوم روحه تتقطع ؟

فكتبت تحته هذا البيت :

إذا لم يجد صبراً بكتمان سره

فليس له شيئ سوى الموت أنفع

فعدت في اليوم الثالث فوجدت شاباً ملقى تحت ذلك الحجرميتاً ومكتوب تحته هذان البيتان :

سمعنا وطعنا ثم متنا فبلغوا

سلامي إلى من كان بالوصل يمنع

هنيئاً لأرباب النعيم نعيمهم

وللعاشق المسكين ما يتجرع (٢)

---

(٢) التحفة السنية ص ٢٠٠ .

وأما الفتاوى المنسوبة إلى الفقهاء فمن ذلك قول البقاعي :

« قال أبو نواس :

حدثنا الخفاف عن وائل
وخالد الحذاء عن جابر

ومسعر عن بعض أشياخه
يرفعه الشيخ إلى عامر

وابن جريج عن سعيد وعن
قتادة الماضي وعن عابر

قالوا جميعاً أيما طفلة
علقها ذو خلق طاهر

فواصلته ثم دامت له
على وصال الحافظ الذاكر

كانت لها الجنة مبذولة
تمرح في مرتعها الزاهر

وأي معشوق جفا عاشقاً
بعد وصال ناعم ناضر

ففي عذاب الله مثوى له
بعداً له من ظالم غادر

وقال: وسمع ابن أبي الليث قاضي مصر جارية تغني وهو يكتب فُتيا:

ترى في الحكومة يا سيدي
على من تعشق أن يقتلا

فرمى القلم من يده وقال : لا لا ٠

قال مغلطاي : وقال جامع بن مرخيـة (٣) :

سألت سعيد بن المسيب مفتي

(م) المدينة هل في حب دهماء من وزر

فقال سعيد بن المسيب إنما

تلام على ما تستطيع من الأمر

فقال سعيد : والله ما سألني أحد عن هذا ، ولو سألني ما كنت أجيبه الأبد ٠٠ انتهى ٠

ورأيت في بعض الكتب أن جارية سوداء أتت الشيخ أبا خليفة في مسجده والفقهاء بين يديه فألقت إليه رقعة فقرأ ما فيها على أصحابه فإذا هو :

قل للإمام أبي خليفة

لا كان رأي أبي حنيفة

إني قصدتك للذي

كاتمت من حذر وخيفة

ماذا تقول لطفلة

بالحسن مولدها شريفة

---

(٣) في الأصل : مرجية ٠٠ قال أبوعبدالرحمن : وإنما هو بالخاء المعجمة من فوق ٠

تصبو إلى زين الورى

في غير ما باس عفيفة

قال فكتب أبو خليفة الجواب في ظهر الرقعة :

يا من تكامل ظرفها

حال الهوى حال شريفة

إن كان مما أظهرته

في غير ما باس وخيفة

فلك السعادة والشهادة

والجلالة يا ظريفة

هذا المباح بعينه

وبه يقول أبو خليفة

قال بعض أصحابه : أيها القاضي من أين حكمت لها بالشهادة ؟ .

قال لأنه قد روى ابن عباس - رضي الله عنهما - : عن النبي ﷺ : أنه قال : من عشق فعف فمات فهو شهيد » (٤) .

وقال الخطيب البغدادي : « حدثنا أبو نعيم الحافظ : حدثنا سليمان بن أحمد الطبراني : أخبرني بعض أصحابنا قال : كتب بعض أهل الأدب إلى أبي بكر بن داوود الفقيه الأصبهاني :

---

(٤) أسواق العشاق ٤/ب - ٥ / أ .

يـا ابن داوود يا فقيــه العـراق

أفتنـــا في قواتـل الأحــــداق

هل عليها القصاص في القتل يوماً

أم حـلال لهـا دم العشـــاق ؟

فأجـابـه ابن داوود :

عنـدي جواب مسائـل العشـــاق

اسمعه من قلـق الحشا مشتـاق

لما سألـت عن الهوى أهـل الهوى

أجريـت دمعـاً لـم يكـن بالـراق

أخطأتفينفس السؤال وإن تصب

تك في الهوى شنقاً من الأشناق

لـو أن معشوقـاً يعـذب عاشقـاً

كان المعـذب أنعم العشـاق » (٥)

وقال ابن خلكان عن محمد بن داوود : « وحكى أبو بكر عبدالله بن أبي الدنيا : أنـه حضـر مجلس محمد المذكور، قال : فجاءه رجل فوقف عليـه ورفع لـه رقعة ، فأخذهـا وتأملها طويـلاً وظـن تلامذتـه أنها مسألة ، ثم قلبها وكتب على ظهرها وردها إلى صاحبها ، فنظرنا فإذا الرجل علي بن العباس المعروف بابن الرومي الشاعر المشهور ، وإذا في الرقعـة :

---

(٥) تاريخ بغداد ٥ / ٢٥٧ .

يـا ابن داوود يـا فقيه العـراق

أفتنـا في قواتـل الأحــــداق

هل عليهن في الجروح قصاص

أم مبــاح لهـا دم العشـــاق ؟

وإذا الجـــواب :

كيـف يفتيـكم قـتيـل صـريـع

بسهام الفراق والإشـتيـــــاق

وقـتيـــل التلاق أحسن حـــالاً

عنـد داوود من قتيل الفراق » (٦)

وقـال ابن قيـم الجوزيـــة :

سألت فقيه الحب عن علة الهـــوى

وقلت له : أشكو إلى الشيخ حاليا

فقال : دواء الحب أن تلصق الحشا

بأحشاء من تهوى إذا كنت خاليـا

وتتحِدا من بعـد ذاك تعانقــــــاً

وتلثمـه حتـى يـرى لـك ناهيـا

فتقضـي حاجات الفـؤاد بأسرهـــا

على الأمـن ما دام الحبيب مؤاتيـا

---

(٦) وفيات الأعيان ٢٦١/٤، والوافي بالوفيات ٦٠/٣، ومصارع العشاق ٢١٣/٢ -٢١٤ .

إذا كان هـذا في حلال فحبـذا

وصال به الرحمن تلقاه راضيا

وإن كـان هـذا في حرام فإنـه

عـذاب بـه تلقى العنـا والمكاويـا (٧)

قال ابن قيم الجوزية : « وأما أقوال الأئمـة فحكى السمعاني أن الشافعي – رحمـه اللـه – كتب إليـه رجل في رقعـة :

سل المفتي المكي هل في تزاور

ونظـرة مشتـاق الفؤاد جنـاح

فأجابـه الشافعي :

معاذ إله العرش أن يذهب التقى

تلاصـق أكبـاد بهـن جـراح

وذكـر الخرائطـي هـذا السـؤال والجـواب عن عطـاء بـن أبـي ربـاح ، وأولـه : سألت عطاء المكي •

وذكـر الحاكم في مناقب الشافعي رحمـه اللـه من شعـره :

يقـولون لا تنظـر وتلـك بليـة

ألا كـل ذي عينيـن لابـد ناظـر

وليس اكتحال العين بالعين ريبة

إذا عف فيما بين ذاك الضمائر

---

(٧) روضـة المحبين ص ٨٢ •

وذكر الإسترابادي في كتاب مناقب الشافعي أن رجلاً كتب إلى سعيد بن المسيب :

يا سيد التابعين والبررة
نسيت في العشق سورة البقرة
فكن بفتواك مشفقاً رفقاً
باهى بك الله أكرم البررة
هل حرم الله لثم خد فتى
أوصافه بالجمال مشتهرة

فأجابه سعيد :

يا سائلي عن خفيٍّ لوعته
عليك بالصبر تحمدن أثره
ولا تكن طالباً لفاحشة
أو كالذي ساق سيله مطره
وراقب الله واخش سطوته
وخالف الفاسقين والفجرة
وقبِّل الخد من حبيبك ذا
في كل يوم وليلة عشرة (٨)

وقال أبو العباس المبرد في الكامل: قال أعرابي (أنشدنيه أبو العالية) :

سألت الفتى المكي ذا العلم ما الذي
يحل من التقبيل في رمضان

---

(٨) قال أبوعبدالرحمن : هذا تظرف بالكذب وتهوين المعصية .

فقـال لي المكـي : أمـا لزوجـــــة
فسبـع وأمـــا خلـــة فثمــــان

وذكـر أبو بكـر الخطيب في كتـاب رواه مالك عن بعضهم :

أقـول لمفـت بيـــن مكـة والصفـــا
لك الخير هل في وصلهن حرام
وهل في صَموت الحجِل مهضومة الحشا
عـذاب الثنـايا إن لثـمت أثـــام
فقـال لي المفتي وسـالـت دموعـه
على الخد من عينيه فهي تـؤام
ألا ليتـني قبلـت تلـك عشيـــــة
ببطـن منى والمحرمـون نيـام

وقال الحاكم في كتـاب منـاقب الشـافعي : حدثـنا أبـو العـلاء بـن كوشيار الحاري : أنبأنـا علـي بـن سليمان الأخفش : عـن محمـد بـن الجهم قال : سمعت الربيع يقول : حضـرت الشـافعي بمكـة وقـد دفـع إليـه رجـل رقعـة فيهـا :

أقـــول لمفتي خيـف مكـة والصفـــا
لك الخير هل في وصلهن حرام
وهل في صموت الحجل مهضومة الحشا
عـذاب الثـنايا إن لثمت أثـــام

قال فوقـع الشافعي فيهـا :

فقال لي المفتي وفاضت دموعه

على الخد من عين وهنَّ تؤام

ألا ليتني قبلت تلك عشية

ببطن منى والمحرمون قيام

وقال عمرو بن سفيان ابن ابنة جامع بن مرخية :

إنا سألنا مالكاً وقرينه

ليث بن سعد عن لثام الوامق

أيجوز قالا والذي خلق الورى

ما حرم الرحمن قبلة عاشق ؟!

ذكر ذلك صاحب كتاب رستاق الاتفاق وهو شاعر المصريين ، وأنشد فيه لعمرو بن سفيان هذا ، وكتب بها إلى ابن عيينة :

قلنا لسفيان الهلالي مرة

حرَّمت ضم العاشق المشتاق

لحبيبه من بعد نأي ناله

فأجاب لا والواحد الخلاق

وأنشد فيه لجده جامع ، وكتب بها إلى علي بن زيد بن جدعان :

سألنا ابن جدعان بن عمروأخا العلا

أيحرم لثم الحِبّ في ليلة القدر

فقال لنا المكي (وناهيك علمه):

ألا لا ومن قد جاء بالشفع والوتر

وأنشد لإبراهيم بن المدبر وكتب بها إلى أبي بكر بن عياش أحد أئمة القراء :

سألت ابن عياش وكان معلماً

لك الخير هل في ضمة الحِبِّ من وزر؟

فقال أبو بكر ولا في لثامه

ألم يأتنا التنزيل بالوضع للإصر ؟ !

وأنشد لآخر(وكتب بها إلى الإمام أحمد بن حنبل ، قال: وزعم بعضهم أنه إسحاق بن معاذ بن زهير شاعر أهل مصر في وقته) :

سألت إمام الناس نجل ابن حنبل

عن الضم والتقبيل هل فيه من باس

فقال إذا جل العزاء فواجب

لأنك قد أحببت عبداً من الناس

وأنشد لابن مرخية ، وكتب بها إلى أبي حنيفة :

كتبت إلى النعمان يوماً رسالة

نسائله عن لثم حِبٍّ ممنع

فقال لنا لا إثم فيه وإنه

شهي إذا كانت لعشر وأربع

وكتب رجل إلى أبي جعفر الطحاوي :

أبا جعفر ماذا تقول فإنه

إذا نابنا خطب عليك المعول

فلا تنكرن قولي وأبشربرحة (م)

الإله عن المر الذي عنه نسأل

أبالحب عارأم من الحب مهرب ؟

وهل من لحا أهل الصبابة يجهل ؟

وهل بمباح فيه قتل متيم

يهاجره أحبابه وهو يوصل ؟

فرأيك في رد الجواب فإنني

بما فيه تقضي أيها الشيخ أفعل

فأجابه الطحاوي :

سأقضي قضاء في الذي عنه تسأل

وأحكم بين العاشقين فأعدل

فديتك ما بالحب عار علمته

ولَلْعار ترك الحب إن كنت تعقل

ومهما لحا في الحب لاح فإنه

لعمرك عندي من ذوي الجهل أجهل

وليس مباحاً عندنا قتل مسلم

بلا ترة بل قاتل النفس يقتل

ولكنه إن مات في الحب لم يكن

له قود فيه ولا عنه يعقل

وصالك من تهوى وإن صدواجب

عليك كذا حكم المتيم يفعل

فهذا جواب فيه عندي قناعة

لما جئت عنه أيها الصب تسأل

ويكفي أن المعتزلة من أشد الناس تعظيماً للذنوب ، وهم يخلدون أصحاب الكبائر ٠٠ ولا يرون تحريم ذلك كما ذكره الحافظ أبو القاسم ابن عساكر في تاريخه المشهور لبعض المعتزلة :

سألنا أبا عثمان عَمْراً وواصلاً

عن الضم والتقبيل للخد والجيد

فقالا جميعاً والذي هو عادل

يجوز بلا إثم فدع قول تفنيد

وقال إسحاق بن شبيب :

سألنا شيوخ الواسطيين كلهم

عن الرشف والتقبيل هل فيهما إثم ؟

فقالوا جميعاً ليس إثماً لزوجة

ولا خلة والضم من هذه غنم

وأنشد أبو الحسن علي بن إبراهيم بن محمد بن سعد الخير في كتابه شرح الكامل :

فلما أن أبيح لنا التلاقي

تعانقنا كما اعتنق الصديق

وهل حرجاً تراه أو حراماً

مشوق ضمه صب مشوق » (٩)

ثم قال ابن قيم الجوزية معقباً على هذه الفتاوى : « وأما ما ذكره السمعاني عن الشافعي - رحمه الله تعالى - فمن تحريف الناقل ، والسائل لم يذكر لفظ الشافعي ، والبيتان هكذا هما :

سألت الفتى المكي هل في تزاور

ونظرة مشتاق الفؤاد جناح ؟

فقال معاذ الله أن يُذهب التقى

تلاصق أكباد بهن جراح

فهذا السائل هو الذي ذكر السؤال والجواب ، وهو مجهول لا يُعرف هل هو ثقة أم لا ؟ .

ثم إن الجواب لا يدل على مقصود هذه الفرقة بوجه ما ، بل هو حجة عليها ، فإنه نهى أن يذهب التقى تلاصق هذه الأكباد ، فكأنه قال : لا تتلاصق هذه الأكباد لئلا يذهب تلاصقها التقى ، فالتلاصق المذكور فاعل ، والتقى مفعول ، فكأنه قال : لا يفعل لئلا يذهب التلاصق التقى .

وجواب آخر : وهو أن هذا التلاصق إنما يكون غير مذهب

---

(٩) روضة المحبين ص ١١٣ - ١١٧ .

للتقى إذا كان في عشق مباح بل مستحب كعشق الزوجة والأمة (١٠).

وأما ماذكروا عن سعيد بن المسيب - رحمه الله تعالى - فقد أجاب عنه سعيد نفسه ، فإنه لما مر به مرخية هذا السائل - وكان من بني كلاب - قال سعيد : هذا من أكذب العرب ! .

قيل : كيف يا أبا محمد ؟ .

قال : أليس الذي يقول :

سألت سعيد بن المسيب مفتي (م)

المدينة هل في حب دهماء من وزر

فقال سعيد بن المسيب إنما

تلام على ما تستطيع من الأمر

كذب والله ما سألني عن شيئ من هذا قط ولا أفتيته .

وإذا كان هذا جواب سعيد في مثل هذا ، فما جوابه لمن سأله أن يقبل حبيباً أجنبياً كل يوم وليلة عشرة ؟ .

---

(١٠) قال محقق روضة المحبين ص ١٢٥ : وردت هذه القصة في طبقات السبكي عن الربيع بن سليمان ، وفيها قال الربيع : فأنكرت على الشافعي أن يفتي لحدث بمثل هذا ، فقلت : يا أبا عبدالله تفتي بمثل هذا لمثل هذا الشاب ؟ ! .

فقال لي : يا أبا محمد : هذا رجل هاشمي قد عرس في هذا الشهر (يعني شهر رمضان) وهو حديث السن ، فسأل هل عليه جناح أن يقبل أو يضم من غير وطئ فأفتيته بهذا ؟ .

قال الربيع : فتبعت الشاب فسألته عن حاله فذكر لي أنه مثل ماقال الشافعي . قال : فما رأيت فراسة أحسن منها .

فقبح الله الفسقة الكذابين على العلماء لا سيما على مثل سعيد ، فهؤلاء كلهم فسقة كاذبون أرادوا تنفيق فسقهم بالكذب على علماء وقتهم ، كما نفق الفاسق أبو نواس كذبه على إسحاق بن يوسف الأزرق ·

قال عبدالله بن محمد بن عائشة : أتيت إسحاق بن يوسف الأزرق يوماً ، فلما رآني بكى ·

قلت : ما يبكيك ؟ ·

قال : هذا أبو نواس ·

قلت : ماله ؟ ·

قال : يا جارية : ائتيني بالقرطاس فإذا فيه مكتوب :

يا ساحر المقلتين والجيد
وقاتلي منه بالمواعيد

توعدني الوصل ثم تخلفني
ويلاه من مخلف لموعودي !

حدثني الأزرق المحدث عن
شمَّرْ وعوفٍ عنِ ابن مسعود

لا يخلف الوعد غير كافرة
أو كافر في الجحيم مصفود

كذب والله علي وعلى التابعين وعلى الصحابة ·

ولو صح عن سعيد لم يكن لكم فيه حجة ، فإن سعيداً أمره

بالصبر أولاً ، ومراقبة الله وخوف سطوته ومخالفة الفسقة ، ثم أمره بتقبيل خد من يحبه كل يوم عشر مرات .

وهذا قطعاً إنما أراد به من يحل له تقبيله من زوجة أو سرية ، فأمره أن يعتاض بقبلتها من لا يحل له ، ولا يظن بعلماء الإسلام غير هذا إلا مفرط في الجهل ، أو متهم على الدين .

وأما ما ذكره المبرد عن الأعرابي الذي سأل المفتي المكي عن القبلة في رمضان فقال : للزوجة سبع وللخلة ثمان : فهذا المستفتي والمفتي لا يُعرف واحد منهما حتى يُبل خبره ؟ ! .

ولو صح ذلك وعرف المستفتي والمفتي لكانت الخلة هي أمته الجميلة ، وهي التي يحل تقبيلها ثمانياً فأكثر .

وأما أن يفتي أحد من أهل الإسلام بأنه يحل تقبيل المرأةالأجنبية المحرمة عليه ثمانياً في رمضان أوغيره فمعاذ الله من ذلك .

وهكذا حكم الأثر الذي ذكره الخطيب في كتاب رواه مالك .

ولا يظن بعالم أنه تمنى أن يقبل امرأة أجنبية وهو محرم ببطن منى ، فإن القبلة المذكورة تعرض الحج للفساد وتبطله عند طائفة ، فإن صح هذا فإنما أراد امرأته أو أمته .

وأما الأثر الذي ذكره الحاكم في مناقب الشافعي – رحمه الله تعالى – فليس بين الحاكم وبين الربيع من يحتج به .

ويدل على أن القصة كذب ظاهرأن المستفتي زعم أن الشافعي أجاب بقوله : فقال لي المفتي وفاضت دموعه .

وهذا إنما هو حكاية المستفتي قول المفتي ، فمن هو الحاكي عن الشافعي ؟ .

فدعوا هذه الأكاذيب والترهات .

وأما ما ذكرتم عن عمرو بن سفيان ابن بنت جامع فمن ذكر هذا عن عمرو بن سفيان ؟ .

ومن هو عمرو بن سفيان ابن بنت جامع بن مرخية هذا ؟ .

وهذا موضع البيتين المشهورين :

سألنا عن ثمالة كل حي
فقال القائلون : ومن ثمالة

فقلت : محمد بن يزيد منهم
فقالوا : زدتنا بهم جهالة

وهل يحل لأحد أن يصدق عن مالك والليث بن سعد أنهما أجازا تقبيل خد المرأة الأجنبية المعشوقة أو خد الأمرد الجميل الصورة ؟ .

هذا وقصة مالك مع الذي ضم صبياً إليه فأفتى بضربه ستمئة سوط فمات ، فقال له أبو الفتى : قتلت ابني ؟ ! .

فقال : قتله الله .

فمن هذا تشديده وفتواه هل يفتي بجواز تقبيل خدود المرد الحسان ؟! .

نعم ما حرم الرحمن قبلة عاشق يحل لمعشوقه مواصلته ، ولا قبلة الرجل خد ولده كما قبل الصديق - رضي الله عنه - خد ابنته عائشة رضي الله عنها .

ورأى أعرابي النبي ﷺ يقبل أحد ابني ابنته فقال : وإنكم لتقبلون الصبيان ؟ •

إن لي عشرة من الولد ما قبلتهم !! •

فقال : أوَ أمْلِك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك ؟ •

وأما صاحب كتاب رُسْتاق الاتفاق وهو شاعر المصريين فلعمر الله لقد أفسدت إذ أسندت ، فإنه الفاسق الماجن المسمى أبا الرقعمق ، ولكن لا ينكر هذا المتن بهذا الإسناد ، فإنه لا يليق إلا به •

وأما قصة إبراهيم بن المدبر : عن أبي بكر بن عياش : فقل غير مصدَّق عن قائل غير معصوم •

وأما ما ذكروا عن الإمام أحمد – رحمه الله تعالى – فوالذي لا إله غيره إنه لمن أقبح الكذب عليه ، ولو أن هذا الكاذب الفاسق نفق هذه الكذبة بغيره لراج أمرها بعض الرواج •

ولكن من شدة جهله نفقها بأحمد بن حنبل وهو كمن نسب إليه القول بأن القرآن مخلوق ، أو تقديم عليّ على أبي بكر ، أو تقديم الرأي على السنة •• وأمثال ذلك •

وكذلك ما ذكره عن أبي حنيفة – رحمه الله تعالى – ، ولو صح لم يكن فيه حجة لهذه الطائفة ، فإنه قال : لا إثم فيه إذا كانت لعشر وأربع ، ولم يقل إذا كانت أجنبية •

ونحن نقول بما قال أبو حنيفة – رحمه الله تعالى – إذا كان المعشوق حلالاً •

وأما ما ذكر عن الطحاوي فلا نعلم صحته ، وإن صح فإنما أراد به التقبيل المباح » [11] .

وقال ابن قيم الجوزية: « وقد سئل أبو الخطاب محفوظ بن أحمد الكلوذاني في رقعة :

قل لأبي الخطاب نجم الهدى

وقدوة العالم في عصره

لا زلت في فتواك مستأمناً

من خدع الشيطان أو مكره

ماذا ترى في رشأ أغيد

حاز اللمى والدر في ثغره

لم يحك بدر التم في حسنه

حتى حكى الزنبور في حُضْره [12]

فهل يجيز الشرع تقبيله

لمستهام خاف من وزره

أم هل على المشتاق في ضمه

من غير إدناء إلى صدره

---

(11) روضة المحبين ص ١٢٤ – ١٢٨ ، وانظر ص ١٤٣ .

(12) الحضر العدو في وثب .

إثـم إذا مـا لـم يكـن مضمـراً

غيـر الــذي قدم من ذكــره ؟

فأجـــاب :

يا أيهـا الشيـخ الأديـب الـــذي

قد فاق أهل العصـر في شعـره

تســأل عن تقبيـل بـدر الدجـــى

وعطـف زنديك علـى نحـــره

هـــل ورد الشـــرع بتحليلــــه

لمستهـــام خـــاف مـــن وزره

من قارف الفتنـــة ثـم ادعى (م)

العصمـة قـد نافــق في أمـــره

هل فتنة للمرء سوى الضم (م)

والتقبيـل للحـــب على ثـغـــره

وهل دواعي ذلـــك المشتهـى

إلا عنــاق البـــدر في خـــدره

وبذلـــــــه ذاك لمشتـــاقـــــه

يزري علـى هاروت في سحره

ولا يجيـز الشـرع أسبابـه مــا

يــورّط المسلــم فـي حظـره

فانج ودع عنك صداع الهوى

عساك أن تسلم من شره

هذا جواب الكلوذاني قد

جاءك يرجو الله في أجره

فهذا جواب أهل العلم ، وهو مطابق لما ذكرناه ، والله تعالى أعلم .

وسئل الإمام أبو الفرج ابن الجوزي - رحمه الله - بأبيات :

يا أيها العالم ماذا ترى

في عاشق ذابَ من الوجد

من حب ظبي أغيد أهيف

سهل المحيا حسن القد

فهل ترى تقبيله جائزاً

في الفم والعينين والخد

من غير ما فحش ولا ريبة

بل بعناق جائز الحد

إن كنت ما تفتي فإني إذاً

أصيح من وجدي وأستعدي

فكتب - رحمه الله تعالى - الجواب :

يا ذا الذي ذاب من الوجد
وظل في ضر وفي جهد
اسمع فدتك النفس من ناصح
بنصحه يهدي إلى الرشد
لو صح منك العشق ما جئتني
تسألني عنه وتستعدي
فالعاشق الصادق في حبه
ما باله يسأل ما عندي
غيَّبه العشق فما إن يُرى[1]
يعيد في العشق ولا يبدي
وكل ما تَذْكُرُ مستفتياً
حرمه الله على العبد
إلا لما حلله ربنا
في الشرع بالإبرام والعقد
فعد من طرق الهوى معرضاً
وقف بباب الواحد الفرد
وسله يشفيك ولا يبتلي
قلبك بالتعذيب والصد
وعف في العشق ولا تبده
وأصبر وكاتم غاية الجهد

فإن تَمُتْ محتسباً صابراً

تفز غداً في جنة الخلد » (١٣)

وقال المقري : «وكتب بعض الأدباء إلى ابن حزم الأندلسي بقوله :

سألت الوزير الفقيه الأجل

سؤال مدل على من سأل

فقلت أيا خير مسترشد

ويا خير من عن إمام نقل

أيحرم أن نالني قبلة

غزال ترشف فيه الغزل

وعانقني والدجى خاضب

فبتنا ضجيعين حتى نصل

وجئتك أسأل مسترشداً

فبين فديت لمن قد سأل

فأجابه ابن حزم بقوله :

إذا كان ما قلته صادقاً

وكنت تحريت جهد المقل

وكان ضجيعك طاوي الحشا

أعار المهاة احمرار المقل

---

(١٣) روضة المحبين ص ١٣٤ - ١٣٦ .

قريـــب الرضـى ولـــه غنّــة

تميـت الهمـوم وتحـيي الجـذل

ففـي أخـذ أشهـــب عـن مالــك

عـن ابن شـهاب عـن الغيـر قـل

بتــرك الخـلاف علـى جمعهــم

علـى أن ذلـــك حـــل وبـــــل » (١٤)

قـال أبوعبدالرحمن : ومثـل تلـك الفتاوى الشعرية المزعومة من الأدب العامي قـول محيسن المشعلي يخاطـب أخــاه الأكبـر جبـران :

الا يا نديبي وارتحل من على شقران

وتـوه صريـع وبالرسن لا تعسرونه (١٥)

تتحــر فريـق ربعـوا يمـة الصمـان

يشـدُّون وبـــاق بوشهـم ما يعلُّونـــه (١٦)

ويا عد اسيلك عن الذي نالوا العربان

على الما وهم لا جا الربيع يتعدونـــه (١٧)

عليه البيوت اللي كما شمخ الضلعـان

رفـاع مبانيها ومـن المـال مشحونه

---

(١٤) نفح الطـيب ١٦٠/٤ ٠

(١٥) صـريـع : صـعب لـم يعسفـه سائـس بعـد ويروضـه ٠

(١٦) يعلونـه : يسقونـه مـرة ثـانيـة بعـد النهـل ، وذلـك كنايـة عن سرعتهم ٠

(١٧) اسيلـك : أسـألك ٠٠ عـن الـذي : تنطـق لأجـل الـوزن هكـذا : عـالـذي ٠

وفيـه البني اللي كما شـرد الغــــزلان

ثلاث غدن بالزين عن كل مزيونـه

الا واهني اللي هيا لـه من الخــــلان

لو ساق تسعين من الشَرْف مفنونـه (١٨)

انا ما ذبحني كود طفل مع الجبـــلان

عسى الله يبجح كل حي بمضنونـه (١٩)

انا اللي ذبحني كامل الزين يا جبـــران

حماحيم راسه والمزاريج بعيونـــه (٢٠)

ترى الحب هو والدين يوصف على الريعان

سناديه وعرات على اللي يذبونـــه (٢١)

انا ناشد يا اهل الهوى الشثري العميـان

يقول الهوى لا باس يا للي تريدونه

---

(١٨) هيا لـه : تهيأ لـه ٠٠ مفنونـة : مشترطـة يقولـون : فـن عليـه بمعنـى وضـع عليه شروطـاً ٠

(١٩) الشطر الأخير ورد في قـول الدجيمـا – وينسب لخليف بن بليهد – :

عسى الله يعينك يا عيوني على السهر

وعسى الله يبجـج كـل حـي بمضنونـه

(٢٠) حماحيم راســه : ســواد شعــر رأســه ، ويكــون الشعــر جميــلاً بشــدة ســـواده ٠

(٢١) سناديـه : مرتفعاتـه ٠٠ يذبونـه : يرقـونـه ويصعدون إليـــه ليتجاوزوه ٠

انا ناشد عالم ولا اقول قول فلان

ولا اقول قول اللي بعرضه يذمونه

قال أبوعبدالرحمن : يريد قاضي المزاحمية الشيخ إبراهيم بن عبدالعزيز الشثري ، وقد سمعت أن فضيلته - رحمه الله - قرر الشاعر على كذبه عليه وزجره أو أدبه .

وقريب من ذلك الدعوى على المحبوب بأنه أفتى كما في قول محيسن الهزاني :

من عقب ماني مُيس منه جاني

عليه تفتِ كابع فيه قلت : اَفْت

قال : انتبه ان كنت للورد جاني

واجن الثمر يوم انني لك تطرفت

.... إلخ .

* * *

الباب الثالث

العشاق بين الموت والدنف والجنون :

[عليَّ لربع العامرية وقفة
تُمَلِّي عليَّ الشوق والدمع كاتب
ولا وأبي العشاق ما أنا عاشق
إذا هي لم تلعبْ بصبريْ الملاعب
ومن مذهبي حب الديار لأهلها
وللناسِ فيما يعشقون مذاهب

أبو فراس الحمداني] .

توطئـــــــــــــة :

قتلى الغرام ، وقتلاؤهم ، وقتالاهم (عبِّر بما شئت من هذه الألفاظ فكله جائز لغة) قوم رقيقو القلوب ، ذوو قلوب مُقَتَّلَة .

قال في القاموس وشرحه : والمقتل من القلوب المذلل بالحب ، وقيل : هو الذي قتله العشق .

قال أبوعبدالرحمن : وقد زعم الزاعمون أن من هؤلاء من يصطلم بالحب عن خبرقبل نظرة مسمومة ، وأن منهم من يموت في الحال بشهقة .

وكل ذلك ينافي الطبيعة البشرية .

وهو شيئ يتطرف به ويتظرف الأدباء ، ولا يرمقه العلماء والعقلاء بمؤخرة أعينهم .

ولسنا ننكر أن أهل الهوى قد يموتون بسبب الهوى ، وإنما ننكر موتهم بصعقات الحب المفاجئة كما تموت طيور السلوى التي قيل إن أكلها يجعل القلب رقيقاً ، وأن بني إسرائيل قست قلوبهم لما تركوا أكلها .

الرجال عيون تسبع ، وآفام تهدر وتبلع ، وجسوم تزاحم لحيِّزها في الكون ، وقلوب تتربى وترسو على الآلام !! .

فأي بشر هؤلاء الذين يموتون بشهقة ؟ ! .

قال أبوعبدالرحمن : جربت الهوى المبرح الممض ، وأتبعت

الشهقات زفرات ، فما تهدم مني جسم ، ولا نحل مني عظم ، ولا اصّاعد نفسي حسرات ، فلله الحمد كثيراً ، واستعنت بالله ثم بالأوراد الموظفة ، ثم بتلاوة هود وأخواتها .

وقد خيل لي يومها أن الحياة لا طعم لها إلا بالوصال أو الانهماك في الأحلام والأوهام والتغني بدموع المولهين .

وشربت حتى الثمالة من آهات ذوي الضياع الرومانسي ، وخيل إليَّ أن العلم كله ، والفن كله ، والآداب كلها مما مَحْوره الله في الأطلال وطريقٍ مُقْمِرٍ تثب الفرحة فيه قبلنا !! .

أو بحيرة كومو وطغيان الروح على الجسد !! .

أو القمر العاشق المضنى يكرع ويعصر من خلال الشرفة حيث ترقد ذات الغلالة !! .

فسبحان من يرزق العقل ويرده بعد عزوبه ، وسبحانه يغيِّر ولا يتغير تبارك وتعالى أحسن الخالقين .

وطالما غنيت لتأوهات هؤلاء الرومانسيين بقول مهيار الديلمي :

اذكرونا مثل ذكرانا لكم
رب ذكرى قربت من نزحا
واذكروا صبّاً إذا غنى بكم
شرب الدمع وعاف القدحا

والعشق في بني عذرة أشهر ، ولكن المشهورين من خصوص الأفراد كانوا في بني عامر أكثر ، فقيس وليلى عامريان ، وكذلك

مزاحم بن عمرو العقيلي وعشيقته ليلى ، وتوبة بن الحمير الخفاجي ومحبوبته ليلى بنت عبدالله الأخيلية .

ومن العذريين جميل وبثينة ، وعروة بن حزام وعفراء بنت عقال .

ومن الأساطير غرام أبي مالك بن النضر العذري بابنة عمه (١) .

وأقرباء العذريين النهديون منهم عبدالله بن العجلان وصاحبته هند .

ومن العشاق المرقش الأكبر عوف بن سعد ، وأسماء بنت عوف بن مالك ، وهما ضبعيان من بكر بن وائل .

وكثير بن عبدالله خزاعي .

ومن بني عامر بن عبد مناة بن كنانة عبدالله بن علقمة وعشيقته حبيشة بنت حبيش .

وقد زوجوا بثينة نبيهاً فمات جميل عشقاً .

وزوجوا ليلى بورد بن محمد العقيلي فمات قيس بن الملوح غراماً بعد أن جن .

وزوجت أسماء بنت عوف برجل من مراد ، فمات المرقش الأكبر مضنى بحبها .

---

(١) عشاق العرب ص ١٧٥ - ١٧٦ .
ولهذا ورد في أسطورة أبي المسهر - كما في عشاق العرب - ص ١٢٧ :

فإن معاشري ورجال قومي
حتوفهم الصبابة واللقاء
إذا العذري مات خلي ذرع
فذاك العبد يبكيه الرثاء

ومات عروة في هوى عفراء وقد زوجت بغيره ، فقامت تندبه حتى مات جزعاً .

وأما العشيقان يموتان معاً فأحداثهما المتشابهة كثيرة .

وزوجت ليلى الأخيلية بغير توبة فهام بها ، وقتل في حرب ، وماتت عند قبره مصادفة .

وزوجت عزة بغير كثير فلم يمت منهما أحد .

وزوجوا ليلى بغير مزاحم ولم يمت منهما أحد .

وتزوجت مي بغير ذي الرمة ونافرته فمات موتاً طبيعياً .

ونعم قيس بن ذريح بعشيقته لبنى ، فقد تزوجها ، ثم طلقها ، وتزوجت ثم طلقت من أجله فتزوجها ، ولم تنجب .

وتزوج عبدالله بن العجلان هنداً عن عشق ، وأرغم على طلاقها بعد ثماني سنوات لأنها لم تنجب ، فطلقها فتزوجت ، ثم تعانقا بعد ذلك فوجدا ميتين معاً ! .

وقتل عبدالله بن علقمة - وكان أسير حرب - ، فالتقمت حبيشة بنت حبيش فاه وماتت عنه (٢) .

وكان المرقش في الكهف مدنفاً وبقي فيه إلى أن أتى راعي غنم إلى المكان فرآه ، وسأله : من أنت ؟ وما شأنك ؟ .

فقال له مرقش : أنا رجل من مراد ، ومن أنت ؟ .

فأجابه الراعي بما فهم منه مرقش أنه راعي زوج أسماء ،

---

(٢) وانظر عشاق العرب ص ١٧٩ - ١٨١ عن العاشق المجهول حيث ماتا معاً .

فقال لـه : خـذ خاتمي هـذا ، فإذا حلبت فألقـه في اللبـن ، وإنـك مصيب بـه خيراً لـم يصبه راعٍ قط إن أنت فعلت ذلك •

فأخذ الراعي الخاتم ،وعندما جاءته جارية أسماء بالقدح وحلب لها العنز ، طرح الخاتم فيه ، فانطلقت الجارية به وتركته بين يدي أسماء ، فلما سكنت الرغوة شربت أسماء الحليب ، فقرع الخاتم ثنيتها ، فأخذته واستضاءت بالنار فعرفته ، فقالت للجارية : ما هذا الخاتم ؟ •

قالت : ما لي به علم •

فأرسلتها إلى مولاها فأقبل فزعاً ، فقال لها : لم دعوتني ؟ •

قالت له : ادع عبدك راعي غنمك •

فدعاه ، فقالت : سله أين وجد هذا الخاتم! •

قال : وجدته مع رجل في كهف خبان ، وقد قال لي : اطرحه في اللبن الذي تشربه أسماء فإنك مصيب به خيراً ، وما أخبرني من هو ، ولقد تركته بآخر رمق •

فقال لها زوجها : وما هذا الخاتم؟ •

قالت : خاتم مرقش ، فأعجل الساعة في طلبه •

فركب فرسه وحملها على فرس آخر ، وساراً حتى طرقاه من ليلتهما فاحتملاه إلى أهلهما ، فمات عند أسماء ، وقال قبل أن يموت شعراً)) (٣) •

---

(٣) عشاق العرب ص ٩٢ - ٩٣ •

ولما قدم عروة بن حزام نعى أبو عفراء الفتاة إليه – مع أنه زوجها – وأراه قبراً وهمياً ، وبعد أيام أعلمته جارية صحة الخبر ، فركب بعض إبلهم وترك الحي ، وأخذ معه زاداً ونفقة ، ورحل إلى الشام فقدمها ، وسأل عن الرجل فدل عليه ، فقصده ، وانتسب إلى عدنان ، فأكرمه وأحسن ضيافته ، فمكث أياماً حتى أنسوا به ، ثم قال لجارية لهم : هل لك في يد توليها ؟ .

قالت : نعم .

قال : تدفعين خاتمي هذا إلى مولاتك .

فقالت : سوءة لك : أما تستحي لهذا القول ؟ ! .

فأمسك عنها ، ثم أعاد عليها ، وقال لها : ويحك ! .

هي والله بنت عمي ، وما أحد منا إلا وهو أعز على صاحبه من الناس جميعاً ، فاطرحي هذا الخاتم في صبوحها ، فإذا أنكرت عليك ، فقولي لها . اصطبح ضيفك قبلك ، ولعله سقط منه .

فرقت الأمة وفعلت ما أمرها به .

فلما شربت عفراء اللبن ، رأت الخاتم فعرفته ، فشهقت ، ثم قالت : أصدقيني الخبر ؟ ! .

فأصدقتها الأمة الخبر ، فانتظرت إلى أن جاء زوجها ، وقالت له : أتدري من ضيفك هذا ؟ .

قال : نعم فلان بن فلان .. للنسب الذي انتسب له عروة .

فقالت : كلا والله ، بل هو عروة بن حزام ابن عمي ،

وقد كتم نفسه حياء منك ٠

فبعث زوج عفراء إلى عروة فدعاه إليه ، وعاتبه على كتمانه نفسه ، وقال له : بالرحب والسعة ، نشدتك الله ما بارحت هذا المكان أبداً ، وخرج وتركه مع عفراء يتحدثان ، وأوصى خادماً له بالاستماع عليهما ، وإعادة ما تسمعه منهما عليه ، فلما خلوا تشاكيا ما وجدا بعد الفراق ، فطالت الشكوى ، وهو يبكي أحر بكاء ، ثم أتته بشراب ، وسألته أن يشربه ، فقال : والله ما دخل جوفي حرام قط ، ولا ارتكبته منذ كنت ، ولو استحللت حراماً لكنت قد استحللته منك ، فأنت حظي من الدنيا ، وقد ذهبت مني ، وذهبت بعدك فما أعيش ! ٠

وقد أجمل هذا الرجل وأحسن وأنا مستح منه ، والله لا أقيم بعد علمه مكاني ، وإني عالم أني أرحل إلى منيتي ٠

فبكت وبكى ، وانصرف ٠

فلما جاء زوجها ، أخبرته الخادم بما دار بينهما ، فقال : يا عفراء امنعي ابن عمك من الخروج ٠

فقالت : لا يمتنع ، هو والله أكرم وأشد حياء من أن يقيم بعدما جرى بينكما ٠

فدعاه ، وقال له : اتق الله في نفسك ، فقد عرفت خبرك ، وإنك إن رحلت تلفت ، ووالله لا أمنعك من الاجتماع معها أبداً ، ولئن شئت لأفارقنها ٠

فجزاه عروة خيراً ، وأثنى عليه ، وقال له : إنما كان الطمع فيها آفتي ، والآن قد يئست ، وقد حملت نفسي على اليأس والصبر ، فإن اليأس يسلي ، ولي أمور ، ولا بد من رجوعي إليها ، فإن وجدت من نفسي قوة على ذلك ، وإلا رجعت إليكم وزرتكم ، حتى يقضي الله من أمري ما يشاء ٠

وعندما أراد الانصراف ، زودوه وأكرموه وشيعوه ، فانصرف ٠

فلما رحل عنهم ، نكس بعد صلاحه وتماثله وأصابه غشي وخفقان ، فكان كلما أغمي عليه ، أُلقي على وجهه خمار لعفراء زودته إياه ، فيفيق (٤) ٠

ولقيه في الطريق ابن مكحول ، عراف اليمامة ، فرآه وجلس عنده ، وسأله عما به ، وهل هو خبل أو جنون ؟ ٠

فقال له عروة : ألك علم بالأوجاع ؟ ٠

قال : نعم ٠

فأنشأ عروة يقول :

وما بي من خبل ولا بي جنة
ولكن عمي يا أخي كذوب

أقول لعراف اليمامة داوني
فإنك إن داويتني لطبيب

---

(٤) قال أبوعبدالرحمن : استعيرلهذه الأسطورة من قصة قميص يوسف عليه السلام٠

فوا كبدا أمست رفاتا كأنمـــا

يلذعها بالموقدات طبيــــب

عشية لا عفراء منك بعيـــدة

فتسلو ولا عفراء منك قريـــب

عشية لا خلفي مكر ولا الهوى

أمامي ولا يهوى هواي غريــب

فوالله لا أنساك ما هبت الصبـــا

وما عقبتها في الرياح جنــــوب

وإني لتغشاني لذكراك هـــــزة

لها بين جلدي والعظام دبيــــب

وصار عروة يأتي حياض الماء التي كانت إبل عفراء تردها فيلصق صدره بها ، فيقال له : مهلا ، فإنك قاتل نفسك ، فاتق اللـــه .

فلا يجيب حتى أشرف على التلف ، وكان في هذه الفترة يردد :

فيا واشيي عفراء ويحكما بمـــن

وما وإلى من جئتما تشيـــان

بمن لو أراه عانياً لفديتـــه

ومن لو رآني عانيـــاً لفدانـــي

متى تكشفا عني القميص تبيـــنا

بي الضر من عفراء يا فتيـــان

إذن تريا لحماً قليلاً وأعظمـــا

بلين وقلبا دائم الخفقـــان

وقد تركتني لا أعي لمحـــدث

حديثاً وإن ناجيته ونجـــاني

جعلت لعراف اليمامة حكمـــه

وعراف حجر إن هما شفيـــاني

فما تركا من حيلة يعرفانهـــا

ولا شربة إلا وقد سقيـــاني

ورشا على وجهي من الماء ساعة

وقاما مع العـــواد يبتدران

وقالا شفاك الله والله مالنـــا

بما ضمنت منك الضلوع يـدان

فرحت من العراف تسقط عمتـي

عن الرأس ما ألتاثها ببنـــان

فويلي على عفراء ويلا كأنـــه

على الصدر والأحشاء حد سنـان

أحب ابنة العذري حبا وإن نـأت

ودانيت فيها غير ما هو دانـي

إذا رام قلبي هجرها حال دونـــه

شفيعان من قلبي لها جـــذلان

إذا قلت لا قالا بلى ثم أصبحـــــا

جميعاً على الرأي الذي يريـــــان

فيـا رب أنت المستعان على الـذي

تحملت من عفراء منذ زمـــــان

كأن قطـاة علقت بجناحهـــــــا

على كبدي من شدة الخفقـــــان

وقـد تركت عفراء قلبي كأنـــــه

جنـاح غـراب دائـم الخفـقـــــان

وكـان عـروة إمـام العذريين ، وكـان يفوقهم جميعـاً فـي حـدة الإحساس بالقهر والمقدرة على التعبير عنه ، ومما قاله في نونيته الشهيرة :

فيـا عم يا ذا الغدر ما زلت مبتلى

حليفـا لهـــــم لازم وهـــــوان

غـدرت وكان الغدر منك سجيـــة

فألزمت قلبي دائـم الخفـقـــــان

يكلفني عمي ثـمانيـن ناقـــــــة

ومالي والرحمن غير ثـمـــــان

فيا عـم لا أسقيت من ذي قرابـــة

بـلالاً فقد زلـت بك القدمـــــان

ومنيتني عفـراء حتـى رجوتهـــا

وشـاع الـذي منيت كـل مكـــان

فياليت كل اثنين بينهما هـــوى
من الناس والأنعام يلتقيـــــان
فيقضي حبيب من حبيب لبانـــة
ويرعاهما ربي فلا يريـــــان (٥)

قال أبوعبدالرحمن : مرت قصة الخاتم في قصة المرقش .

ومسألة التأييس من علاج العراف والطبيب كثيرة الورود في أخبار العشاق ، ويأتي- إن شاء الله – شيئ من شعر الدجيما في ذلك .

وعاد عروة بن حزام ، والمرقش بالمهر الباهظ الذي طلب منهما فوجدا معشوقتيهما قد زوجتا .

وفي شعر الدجيما ما يشبه شعر عروة في لوم أبي الحبيبة إذ كلفه مالا يطيق من المهر .

وفي أسطورة المقداد والمياسة قال جابر : يا مقداد : أريد منك مهر ابنتي أربع مئة ناقة حمر الوبر سود الحدق لم يحمل عليها شيئ وأربعمئة رأس خيل مجللة بجلال إبريسم وسرجها وركابها من الذهب ، ومئة جارية ومئة عبد ومئة أوقية ... إلخ (٦) .

وفي أسطورة عتبة وريا بنت الغطريف قال الغطريف لعتبة : إن فتاة الحي قد أجابت ، ولكنها تريد مهراً لائقاً بها، فمن يقوم به ؟.

فقال عبدالله بن المعمر راوي خبر عتبة بن الحباب : أنا .

---

(٥) عشاق العرب ص ١١٢ – ١١٨ ، وانظر ذيل الأمالي للقالي ص ١٥٧ .
(٦) المصدر السابق ص ٢٣٥ – ٢٣٦ .

قال : أريد لها مهراً ألف سوار من الذهب الأحمر ، وخمسة آلاف درهم من درب هجر ، ومئة ثوب من الأبراد ، وخمسة كراريس من العنبر ، فهل أجبت ؟ ٠

فقال : أجبت ٠

وأنفذ في اليوم نفسه نفراً من الأنصار إلى المدينة المنورة ، فأتوا بجميع ما ضمنته وذبحت النعم والغنم ، واجتمع الناس لأكل الطعام ٠

قال ابن المعمر : فأقمنا على هذه الحال أربعين يوماً ٠

قال والد الفتاة بعدها : خذوا فتاتكم ٠

فحملناها على هودج ، وجهزها أبوها بثلاثين راحلة من التحف ، ثم ودعنا وانصرف ٠

وسرنا حتى بقي بيننا وبين المدينة المنورة مرحلة ، فخرجت علينا خيل تريد الغارة فحمل عليها عتبة بن الحباب فقتل عدة رجال ، وانحرف وبه طعنة ، ثم سقط إلى الأرض ، وأتتنا النجدة من سكان تلك الأرض فطردوا عنا الخيل ٠

وجئنا عتبة ، فوجدناه وقد قضى نحبه ٠

فصرخنا : واعتبتاه ! ٠

فسمعت الجارية صراخنا ، فأتت وألقت نفسها عن الناقة ، وانكبت عليه صائحة نائحة ، وأنشدت :

تصبرت لا أني صبرت وإنما

أعلل نفسي أنها بك لاحقه

ولو أنصفت روحي لكانت إلى الردى

أمامك من دون البرية سابقــــــه

فما أحد بعدي وبعدك منصـــــف

خليلاً ولا نفس لنفسي موافقـــــــه

ثم شهقت شهقة واحـدة وأسلمت الروح ، فحفرنا لهما قبـراً واحـداً وواريناهما التـراب •

ورجعت إلى ديار قومي وأقمت فيها سبع سنين ثم عدت إلى الحجاز ودخلت المدينة المنورة للزيارة ، وقلت لأعودن إلى قبر عتبة • فأتيت إليه فإذا عليه شجرة عالية عليها عصائب لطيفة الألوان ، فقلت لأرباب المنزل : ما يقال لهذه الشجرة ؟ •

فقالوا : شجرة العروسين ، فأقمت عند القبر يوماً وليلة وانصرفت (٧) •

قال أبوعبدالرحمن : وفي هـذا الكتـاب أساطيرمشـابهة عن موتهما معاً ، وعن دفنهما في قبر واحد ، وعن نبات شجرة ! •

وتقدم مزاحم فخطب مية من أبيها ، فمنعه أهلها لفقره الشديد وقلة ماله ، وانتظروا بها رجلاً موسراً في قومها كان يذكرها • فقال مزاحم لوالد الفتاة : يا عم : أتقطع رحمي وتختار عليَّ غيري لفضل أباعر تحوزها وطفيف من الحظ تُحظى به ، وقد علمت أني

---

(٧) عشاق العرب ص ١٦٩ - ١٧٠ •

أقرب إليك من خاطبها الذي تريده ، وأفصح لساناً ، وأجود كفّاً ، وأمنع جانباً ؟ ! •

فقال له والدها : لا عليك ، فإنها إليك صائرة ، وإنما أعلل أمها بهذا ، ثم يكون أمرها لك •

فوثق مزاحم بكلامه •

ومضت مدة غاب فيها مزاحم عن الديار ، ولما عاد علم أنها تزوجت من ذلك الرجل الغني ، فأنشأ يقول :

نزلت بمفضى سيل حرسين والضحى
يسيل بأطراف المخارم آلهـا

بمسقية الأجفان أنفد دمعها
مقاربة الألاف ثم زيالها

فلما نهاها اليأس أن تؤنس الحمى
حمى البئر جلى عبرة العين جالها

أيا ليل إن تشحط بك الدار غربة
سوانا ويعيي النفس فيك احتيالها

فكم ثم كم من عبرة قد رددتها
سريع على جيب القميص انهلالها

خليلي هل من حيلة تعلمانها
يقرب من ليلى إلينا احتيالها

هنيئاً لليلى مهجة ظفرت بهـــا
وتزويج ليلى حين حان ارتحالهـــا
فقد حبسوها محبس البدن وابتغى
بها الربـع أقوام تساخف مالهـــا
فإن مع الركب الذين تحملـــوا
غمامـة صيف زعزعتها شمالهـــا

وقـال بعـد أن تزوجـت :

أتاني بظهر الغيب أن قد تزوجت
فظلت بي الأرض الفضـاء تـدور
وزايلني لبي وقد كان حاضـــرا
وكان جناني عند ذاك يطيــــر
فقلت وقد أيقنت أن ليس بيننـــا
تلاقٍ وعيني بالدموع تمـــور
أيـا سرعـة الأخبار حين تزوجـت
فهل يأتيني بالطلاق بشيــــر (٨)

وقيل للمجنون في بعض أوقات صحوه : أي شيئ رأيتـه أحب إليـــك ؟ ٠

قـال : ليلـى ٠

---

(٨) عشـاق العـرب ص ١٢٢ - ١٢٣ ٠

قيل : دع ليلى فقد عرفنا مالها عندك ولكن سواها •

قال : والله ما أعجبني شيئ قط فذكرت ليلى إلا سقط من عيني وأذهب ذكرها بشاشته عندي غير أني رايت ظبيّاً مرة فتأملته ، وذكرت ليلى فجعل يزداد في عيني حسناً ، ثم إنه عارضه ذئب وهرب منه ، فتبعته حتى خفيا عني فوجدت الذئب قد صرعه وأكل بعضه ، فرميته بسهم فما أخطأت فقتلته ، وبقرت بطنه فأخرجت ما أكل منه ، ثم جمعته إلى بقية شلوه ، ثم دفنته وأحرقت الذئب ، وقلت في ذلك :

أبى الله أن تبقى لحي بشاشة
فصبراً على ما شاء الله لي صبرا

رأيت غزالاً يرتعي وسط روضة
فقلت أرى ليلى تراءت لنا ظهرا

فيا ظبي كل رغداً هنيئاً ولا تخف
فإنك لي جارٍ فلا ترهب الدهرا

وعندي لكم حصن حصين وصارم
حِسام إذا أعملته أحسن الهبرا

فما راعني إلا وذئب قد انتحى
فأعلق في أحشائه الناب والظفرا

ففوقت سهمي في كتوم غمزتها
فخالط سهمي مهجة الذئب والنحرا

فأذهب غيظي قتله وشفى جوى

بقلبي إن الحر قد يدرك الوترا (٩)

وكان قيس بن ذريح في كثيرمن الأحيان يخرج متوجهاً نحو الطريق الذي سلكته حبيبته يتنسم روائحها فسنحت له ظبية فقصدها فهربت منه ، فقال :

ألا يا شبه لبنى لا تراعي

ولا تيممي قلل القلاع

وفي أخبار المجنون أن أضيافاً طرقوا ذات ليلة أضياف آل قيس ، ولم يكن عندهم إدام لهم ، فبعثه أبوه إلى منزل أبي ليلى ليطلب إداماً ، فأتاه ، وطلب من أبي ليلى الإدام ، فقال الرجل : يا ليلى أخرجي إليه ذلك النحي ، فاملئي له إناءه من السمن .

فأخرجته ، وكان مع قيس قعب ، فجعلت تصب السمن فيه ، وكانا يتحدثان ، فألهاهما الحديث وهي تصب السمن وقد امتلأ القعب ولا يعلمان ، فسال السمن حتى استنقعت أرجلهما في السمن (١٠) .

ويشبه ذلك قصة ذي الرمة ومي ، فعندما وصلت إليه مد ذو الرمة وعاءه ، وراحت تصب فيه من وعائها ، والتقت نظراتهما طويلاً ، ثم صار الماء يذهب يميناً وشمالاً ، فأقبلت عجوز كانت

---

(٩) عشاق العرب ص ٥٩ - ٦٠ .

(١٠) المصدر السابق ص ٤٥ .

جالسة بعيداً تنظر إليهما وقالت: يا بني ألهتك مي عما جئت تريده ..
أما ترى الماء يذهب يميناً وشمالاً ! ؟ .

فقال ذو الرمة : أما والله ليطولن هيامي بها (١١) .

وفي بعض أساطيرهم خيال ينفيه المعتاد من الواقع كرنوٌ هند إلى ثوب عبدالله بن عجلان النهدي وقد لمحتْ أثرَ كفها لا يزال عالقاً ، وقد التقيا وهما يطوفان حول البيت .

وكان لهذا الأثر عدة شهور (١٢) .

قال أبو عبدالرحمن : فهل ترى عبدالله لم يغسل ثوبه قط ، وهل ترى أنه لا أحد طول هذه المدة لفت نظره إلى هذا الأثر ،

---

(١١) عشاق العرب ص ١٥٩ ، ومثل ذلك قضية شعلة النار في مسرحية مجنون ليلى لأحمد شوقي .
وفي عشاق العرب ص ٣٣٠ أسطورة مسلم الوشاحي وحسن البرمكية.. قال : « فلما رأت حسن أنه وقع في هواها تركته على حاله ، وركبت مع البنات ، وسرن كأنهن الطيور في السماء مسافة عشرة أيام ، وفي اليوم الحادي عشر رأت بائع دبس فقالت له : ما معك ؟ .
فقال لها : معي دبس يا ست الملاح ، وروح الأرواح.. هل تريدين منه ؟ .
فقالت : أرني من دبسك قليلاً ، فإن كان جيداً أخذت كل ما معك .
فتقدم البائع وفتح الظرف ، وأخذ منه قليلاً ، ونزلت الست حسن عن ناقتها ، وكشفت عن وجهها حتى تذوق الدبس ، فلما رآها البائع أذهله حسنها وجمالها، ووقع في حبها ، وقلَّ حيله ، ولم يقدر أن يتمالك نفسه من شدة ما أصابه من جمالها، فأفلت الظرف من يده وسال ما فيه على الأرض ولم يبقَ منه شيئ ، وهو لا يعلم شيئاً ، ولا يسمع إلا أصوات البنات اللواتي معها...إلخ.

(١٢) انظر عشاق العرب ص ١٠٠ .

وهل أعجز هذا الأثر الأيام وما يجري فيها من احتكاك برحل وجرم وجلوس وتقلب ؟ ! .

ومسألة الالتقاء في الطواف مما تظرف به العشاق والرواة كما في شعر عمر بن أبي ربيعة ، وجبربن سيار ، وبصرى الوضيحي .

وفي أسطورة ابن عجلان أنه رأى جماعة من الفتيات يبتردن في الماء خليات البال ، فمكث في مكانه ينظر إليهن حريصاً على ألا يحدث ما يزعجهن .

وبقي في مكانه يرنو إليهن إلى أن خرجن جميعاً من الماء ما عدا واحدة منهم تمتاز عنهن بطول قامتها وإشراق وجهها وشعرها الغزير الطويل الفاحم .

بقيت الفتاة في الماء تسرح شعرها الطويل الفاحم وتسد له على جسدها البديع ، وتتغنى بقول عبدالله :

خود رداح طفلة

ما الفحش من أخلاقها

كانت الفتاة خلية البال ، تلاعب شعرها وتتغنى ، وكان عبدالله يرنوا إليها مشدوهاً ، فأحس وكأنه مسحور أوثق إلى مكانه لا يستطيع له براحاً .

بقي يرنو إليها لا يريم إلى أن غادرن جميعهن المكان ، وتوارين عن الأنظار .. نهض ليركب راحلته ولكن عجز عن ذلك ،

وحاول مرات وفشل ، فجلس يفكر في أمره ويقول محدثاً نفسه : كانت توصف لي ثلاث رواحل قائمة فألحقها وأركب الرابعة ، فما الذي حدث لي ؟ .

لعله الحب الذي يحكون عنه ، ثم سرح نظره إلى البعيد ، وأنشأ يقول :

لقد كنت ذا بأس شديد وهمة

إذا شئت لمساً للثريا لمستها

أتتني سهام من لحاظ فأرشقت

بقلبي ولو أني استطعت رددتها

وراح يستعيد في خاطره جمال فتاته ويقول : هذه والله الضالة المنشودة التي لاترد ، ثم ارتحل عائداً إلى دياره...إلخ (١٣).

قال أبوعبدالرحمن : البيت الذي غنته الفتاة من آثار هيام عبدالله بالفتاة فكيف جاء هاهنا سابقاً للغرام ؟ ! .

والحلم بفتيات يبتردن في الماء خيال يداعب الرواة والعشاق والشعراء كما في رائية الحبيشى ، وقد أوردتها في أحد أسفاركتابي « ديوان الشعرالعامي بلهجة أهل نجد » .

* * *

---

(١٣) عشاق العرب ص ٩٦ .

الفصل الأول :

عشاق يموتون بشهقة :

قال البقاعي : «وقال مغلطاي : ذكر الزبير : عن عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهم (١) قال : إني لمع مولاي عشيَّة عرفة إذ أقبل فتية من بني عذرة يحملون فتى من بني عذرة(٢) قد بلي بدنه حتى أوقفوه بين يديه ، ثم قالوا له: استشف لهذا يا ابن عم رسول الله .

فقال : وما به ؟ .

قالوا : العشق .

فترنم الفتى بصوت ضعيف حتى لا يبين :

بنا من جوى الأحزان والحب لوعة
تكاد لها نفس الشفيق تذوب
ولكنما أبقى حشاشة مقول
على ما به عود هناك صليب

---

(١) قال ابن الجوزي في ذم الهوى ص ٣٧٣ : أخبرنا المبارك بن علي قال : أنبأنا علي بن محمد العلاف قال : أنبأنا عبدالملك بن بشران قال : أنبأنا أحمد بن إبراهيم الكندي قال : أنبأنا محمد بن جعفر الخرائطي قال : حدثنا يوسف الزهري قال : حدثنا الزبير بن بكار قال : حدثنا محمد بن عيسى بن بكار : عن فليح بن إسماعيل بن جعفر : عن عبدالملك بن صالح : عن عمه سليمان بن علي : عن عكرمة قال : إنا لمع عبدالله بن عباس ... إلخ .

(٢) نسبة إلى عذرة بن سعد هذيم (الإضافة إلى عبدحبشي حضنه) ابن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحافي بن قضاعة .
وأم عذرة عاتكة بنت مر بن أد بن طابخة .
وبنات مر أمهات قبائل انظر جمهرة أنساب العرب ص٢٠٦و٤٤٧ و٤٤٨-٤٥٠ .
واشتهر في بني عذرة كثرة العشاق مع العفة فنسب الحب الشريف إليهم .

وما عجبي موت المحبين في الهوى

ولكن بقـــــاء العاشقين عجيـــب

ثم شهق شهقة فمـات ·

قال عكرمة : فما زال ابن عباس – رضي الله عنهما – بقية يومه يتعوذ بالله تعالى من الحب » (٣) ·

قال أبوعبدالرحمن : إن صح هذا الخبر فهو عن عاشـق لم يمت بشهقة بدءاً ، وإنما هو عن ذي شغـف أضنـاه العشق مدى حياته منذ علق بـه الغرام ، وطاولـه الدنف ، ثم حضر أجله فشهق شهقة الموت ·

قال أبوعبدالرحمن : جاء قريب من هذا المعنى في إشارة الإمام أبي محمد ابن حزم فإنه قال : « وقد جاء من فتيا ابن عباس رضي الله عنهما مالا يحتاج إلى غيره حين يقول : هذا قتيل الهوى لا عقل ولا قود » (٤) ·

وتداول هذا الخبر بنصه أو بلفظ : « قتيل الهوى هدر» كل من الوشاء في « الموشى » ، والراغب في « المحاضرات » ، وابن قيم الجوزية في « الجواب الكافي » كما ذكر ذلك الدكتورإحسان عباس في تعليقه على نص ابن حزم ·

وقال البقاعي : «أنبأنا الرئيس أبو علي بن وشاح الكاتب : أنبأنا

---

(٣) أسواق العشاق ص ٩١ / ب ، وانظر ذم الهوى ص ٣٧٢ – ٣٧٤ ·

(٤) طوق الحمامة / ضمن رسائل ابن حزم ٩٣/١ ·

القاضي أبوالفرج المعافى بن زكريا: أخبرنا علي بن سليمان الأخفش : أخبرنا محمد بن مزيد قال : حدثت عن بعض أصحاب ابن عباس قال : إني وابن عباس بفناء الكعبة وهو في جماعة ، فإذا بفتيان يحملون بينهم فتى حتى وضعوه بين يدي ابن عباس ، فقالوا استشف .

فكشفوا عنه فإذا وجه حلو ، وعود صليب ، وجسم ناحل ، فقال له : ما يؤلمك ؟ .

فقال :

بنا من جوى الأحزان والحب لوعة
تكاد لها نفس الشفيق تذوب
ولكنما أبقى حشاشه ما ترى
على ما ترى عود هناك صليب » (٥)

---

(٥) أسواق العشاق ورقة ٤٨ .. وقال السراج في مصارع العشاق ٢/٢٤٥-٢٤٦ : أنبأنا القاضي أبوالطيب طاهربن عبدالله بن طاهرالطبري: حدثنا عبدالرحمن بن محمدبن حامد ابن متويه البلخي : حدثنا أحمد بن إسماعيل الكرابيسي : حدثنا معبد بن فرقد البلخي : حدثنا سليمان بن أبي عبدالرحمن : عن مجالد بن عبدالرحمن الأندلسي : عن عطاء : أن عكرمة قال : كنا عند ابن عباس في آخر أيام الشهر في المسجد الحرام إذ أقبل فتيان يحملون فتى حتى وضعوه بين يدي ابن عباس ، فقالوا : استشف الله له تؤجر .

فقال لهم : ما به ؟ .

فأنشأ الفتى يقول :

وبه من جوى الأسقام والحب لوعة
تكاد لها نفس الشفيق تذوب
ولكنما أبقى حشاشة ما ترى
على ما به عود هناك صليب

قال ابن عباس : والله ما رأيت وجهاً أعتق ، ولا لساناً أذلق ، ولا عوداً أصلب من هذا .. هذا والله قتيل الحب والهوى ، لا قود له ولا دية .

وقال البقاعي : « قال المصنف [يعني السراج] : ذكر أبو عمر بن حيويه : أخبرنا أبو بكر ابن المرزبان : أخبرنا إبراهيم بن محمد : أخبرنا الحسن بن محمد بن عيسى المقرئ : أخبرني محمد ابن عبيدالله العتبي : أخبرنا محمد بن المنبه : سمعت أبا الخطاب الأخفش (قال الحافظ مغلطاي: سعيد بن مسعدة صاحب النحو) يقول : خرجت في سفر، فنزلنا على ماء لطيئ ، فبصرت بخيمة من بعيد، فقصدت نحوها ، فإذا فيها شاب على فراش كأنه الخيال فأنشد يقول :

ألا ما للمليحة لا تعود
أبخل بالمليحة أم صدود

مرضت فعادني عواد قومي
فمالك لم ترى فيمن يعود ؟ !

ولا استبطأت غيرك فاعلميه
وحولي من ذوي رحمي عديد

قال ثم أغمي عليه فمات ، فوقعت الصيحة في الحي ، فخرج من آخر الماء جارية كأنها فلقة قمر ، فتخطت رقاب الناس حتى وقفت عليه فقبلته ، وأنشأت تقول :

عداني أن أعودك يا حبيبي
معاشر فيهم الواشي الحسود

أذاعوا ما علمت من الدواهي
وعابونا وما فيهم رشيد

فأما إذ حللت ببطن أرض
وقصر الناس كلهم اللحود

فلا بقيت لي الدنيا فواقاً

ولا لهمُ ولا أثرى عديد

قال : ثم شهقت شهقة فخرت ميتة عليه ، فخرج من بعض الأخبية شيخ فوقف عليهما ، فترحم عليهما ، وقال : والله لئن كنت لم أجمع بينكما حيين لأجمعن بينكما ميتين ، فدفنهما في قبر احتفره لهما فسألته ، فقال : هذه ابنتي وهذا ابن أخي (٦) .

قلت : ووجدت في نديم المسامرة : عن الأصمعي : عن أبي عمرو بن العلاء قال : حدثني رجل من بني تميم (٧) قال : خرجت في طلب ضالة لي فبينما أنا أدور في بني عذرة إذا بيت معتزل عن البيوت ، وإذا في كسر البيت فتى شاب مغمى عليه وعند رأسه عجوز لها بقية من جمال ساهية تنظر إليه فسلمت ، فردت السلام ، فسألتها عن ضالتي فلم يكن عندها علم ، فقلت : أيتها (٨) العجوز من هذا الفتى ؟ .

فقالت : ابني .. ثم قالت : هل لك في أجر لا مؤونة فيه ؟ .

---

(٦) وانظر أيضا عيون الأخبار لابن قتيبة ١٣٠/٤ .

(٧) قال ابن الجوزي في ذم الهوى ص ٣٧٩ - ٣٨٠ : أخبرنا المبارك بن علي قال : أنبأنا علي بن محمد بن العلاف قال : أنبأنا عبدالملك بن بشران قال : أنبأنا أحمد بن إبراهيم الكندي قال : أنبأنا محمد بن جعفر الخرائطي قال : حدثنا أبو الفضل الربعي قال : حدثنا الرياشي : عن الأصمعي : عن أبي عمرو بن العلاء قال : حدثني رجل من بني تميم .. إلخ .

(٨) في الأصل : أيها .

فقلت : والله إني لأحب الأجر وإن رزئت ٠

فقالت : إن ابني هذا يهوى ابنة عم له ، وكان علقها وهما صغيران ، فلما كبرا حجبت عنه فأخذه شبيه بالجنون ، ثم خطبها إلى أبيها فامتنع من تزويجه ، وخطبها غيره فزوجه إياها ٠

فنحل جسم ولدي واصفر لونه وذهل عقله ، فلما كان منذ خمس زفت إلى زوجها فهو كما ترى لا يأكل ولا يشرب ، وهو مغمى عليه ، فلو نزلت إليه فوعظته ٠

قال : فنزلت إليه فلم أدع شيئاً من الموعظة إلا وعظته حتى إني قلت له فيما قلت : إنهن الغواني صويحبات يوسف ، وقد قال فيهن كثير عزة :

هل وصل عزة إلا وصل غانية

في وصل غانية من وصلها خلف

قال : فرفع رأسه محمرة عيناه كالمغضب وهو يقول : لست مثل كثير عزة ٠٠ إن كثيراً رجل مائق ، وأنا رجل وامق ، ولكني كأخي تميم حيث يقول :

ألا لا يضير الحب ما كان ظاهراً

ولكنَّ ما أخفى الفؤاد يضير

ألا قاتل الله الهوى كيف قادني

كما قيل مغلول اليدين أسير

فقلت : فإنه قد جاء عن نبينا عليه الصلاة والسلام أنه قال :

من أصيب بمصيبة فليذكر مصابه بي ٠

فأنشأ يقول :

ألا ما للمليحة لم تعدني
أبخل بالمليحة أم صدود ؟

مرضت فعادني أهلي جميعاً
فما لكِ لم تُري فيمن يعود

فقدتك بينهم فبكيت شوقاً
وفقد الإلف يا أملي شديد (٩)

٠٠٠ الأبيات ، ثم شهق شهقه ، ثم خفت ، فمات ، فبكت العجوز ، وقالت : فاضت والله نفسه ٠

فدخلني أمر عظيم لم يدخلني مثله ، فلما رأت العجوز ما حل بي قالت : يا فتى لا ترع ٠٠ مات بأجله ، واستراح من تباريحه وغصصه ، ثم قالت : هل لك في استكمال الصنيعة ؟ ٠

قلت : قولي ٠

قالت : تأتي تلك البيوت ، فتنعاه إليهم ليأتوني فيعاونوني على رمسه ، فإني وحيدة ٠

---

(٩) عند ابن الجوزي بعد هذا :

وما استبطأت غيرك فاعلميه
وحولي من ذوي رحمي عديد

ولو كنت المريض لكنت أسعى
إليك وما يهددني الوعيد

قال : فركبت فرسي نحو البيوت ، فبينما أنا أنعاه إذ خرجت جارية أجمل من رأيت من النساء ناشرة شعرها حديثة عهد بعرس ، فقالت : بفيك الحجر المصلت من تنعى ؟ .

قلت : فلاناً .

قالت : أوقد مات ؟ .

قلت : إي والله .

قالت : فهل سمعت له قولاً ؟ .

قلت : اللهم لا إلا شعراً .

قالت : وما هو ؟ .. فأنشدتها قوله :

ألا ما للمليحة لا تعود
أبخل بالمليحة أم صدود

... الأبيات فاستعبرت باكية ، وأنشأت تقول :

عداني أن لا أزورك يا مناي
معاشر كلهم واشٍ حسود (١٠)

... الأبيات .

---

(١٠) عند ابن الجوزي بعد هذا :

أشاعوا ما علمت من الدواهي
وعابونا وما فيهم رشيد

فلما أن ثويت اليوم لحداً
فكل الناس دورهم لحود

فلا طابت لي الدنيا فواقاً
ولا لهمُ ولا أثرى العديد

وانظر شرح المقامات للشريشي ص ٢٨١ - ٢٨٢ .

ثم شهقت شهقة خرت إلى الأرض ، وخرج النساء إليها من البيوت ، فاضطربت ساعة فماتت ٠

فما خرجتُ من الحي حتى دُفنا جميعاً ٠

وساقها مغلطاي بإسناد إلى السامري : عن الرياشي : عن الأصمعي : عن أبي عمرو (وقال : ذكر الأصمعي أنه خرج لبعض الأحياء فيما ذكره ثعلب) ٠ قال : فجنني الليل ، فأويت إلى جبّانة ، فتوسدت قبراً ، فسمعت في الليل قائلاً من القبر :

أنعما لله بالخياليـن عينـا
وبمسراك يا سعاد إلينـا

وحشة ما لقيت من خلل القبر
عسى أن نراك أو أن ترينـا

قال : فأرقت ليلتي ، فلما أصبحت دخلت الحي فإذا أنا بجنازة قد أقبلت : فسألت عنها ، فقيل لي : هذه سعاد كانت تحت ابن عم لها فتعاقدا على الوفاء ، فهلك ، فلم تزل باكية عليه وها هي قد لحقت به ٠

فتبعتهم حتى دفنت إلى جانب القبر الذي بت عنده ، فإذا هو قبر ابن عمها ، فحدثتهم بما سمعت فأكثروا التعجب من ذلك ٠ انتهى ٠

قال السراج : وجدت بخط أحمد بن محمد بن علي الأبنوسي رحمه الله ونقلته من أصله : أخبرنا أبو محمد علي بن عبدالله بن المغيرة الجوهري : أخبرنا أحمد بن محمد بن أسد الأزدي : أخبرنا

الساجي : عن الأصمعي قال (١١): رأيت بالبادية رجلاً قد دق عظمه ، وضؤل جسمه ، ورق جلده ، فتعجبت ، فدنوت منه لأسأله عن حاله ، فلم يرد جواباً ، فسألت جماعة حوله عن حاله ، فقالوا : اذكرله شيئاً من الشعر يكلمك ·· فقلت :

سبق القضاء بأنني لك عاشق
حتى الممات فأين منك مذاهبي

فشهق شهقة ظننت أن روحه قد فارقته ، ثم أنشأ يقول :

أخلو بذكرك لا أريد محدثاً
وكفى بذلك نعمة وسرورا

أبكي فيطربني البكاء وتارة -
يأبى فيأتي من أحب أسيرا

فإذا أتى سمح بفرقة بيننا
أعقبت منه حسرة وزفيرا

فقلت : أخبرني عنك ·

قال : إن كنت تريد علم ذلك فاحملني ، وألقني على باب تلك الخيمة ، ففعلت ؛ فأنشأ يقول بصوت ضعيف رفعه جهده :

---

(١١) قال ابن الجوزي في ذم الهوى ص٣٨٤ :« أخبرتنا شهدة قالت : أنبأنا أبو محمد ابن السراج قال : وجدت بخط أحمد بن محمد بن علي الأبنوسي ، ونقلته من أصله قال : حدثنا أبو محمد علي بن عبدالله بن المغيرة الجوهري قال : حدثنا أحمد بن محمد بن أسد الأزدي قال: أنبأنا الساجي: عن الأصمعي···إلخ » ·

ألا مـــا للمليحـــة لا تعـــود

أبخـــل ذاك منهـــا أم صـــدود

فلـو كنـت المريضـة جئت أسـعى

إليـك ولـم ينهنهني الوعيـــد

فإذا جاريـة مثـل القمـر خرجـت فألقـت نفسـها عليـه ، فاعتنقها وطال ذلـك ، فسترتهما بثوبـي خشية أن يراهمـا النـاس ، فلما خفت عليهما الفضيحة فرقت بينهمـا ، فـإذا همـا ميتـان ، فمـا برحـت حتى صليت عليهما ودفنا .

فسألت عنهما فقيل عامر بن غـالب وجميلـة بنـت أميـل المزنيين فانصرفت .

زاد الشهاب محمود ، فقـال وعملت في ذلـك :

لا تحسبـن روحيهمـــا افترقا وقـد

قضيا [حيـــاة] فـي زمان واحد (١٢)

هيهـات ما حرمـــا وصـالاً زائـلاً

إلا لينفـردا بوصـل خالـــــد » (١٣)

قال أبوعبدالرحمن : ولهـذه القصـة طريق أخرى . قـال ابن الجوزي : « وقـد رويت لنا هـذه الحكاية من طريق آخـر .

---

(١٢) ما بين القوسين زيـادة يقتضيها السيـاق .

(١٣) أسواق العشاق ورقة ٩٨ – ٩٩ .

فأنبأنا محمد بن ناصر الحافظ قال: أخبرنا المبارك بن عبدالجبار قال : أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن السمسار (ويعرف بابن قشيش) قال : أخبرنا أبو محمد عبدالله بن محمد الكاتب قال : حدثنا أبو بكر الأنباري قال : حدثني أبي قال : حدثنا أحمد بن عبيد : عن أبي عبدالله الزيادي قال : قال محمد بن قيس الأبيدي : وجهني عامل المدينة إلى يزيد بن عبدالملك وهو خليفة في أمر من أمور الناس ، وكتب معي كتاباً ، فسرنا حتى إذا خلّفنا المدينة على مسيرة ثلاثة أيام إذا أنا برجل على قارعة الطريق حديث السن ، واضع رأسه في حجر امرأة مختمرة قد خلا من نسبها وفيها بقية من جمال ، والشاب يتململ ويضرب ، وكلما تنحى رأسه من حجرها ردت المرأة رأسه في حجرها ، وأنا على بغلة فسلمت فردت المرأة ولم يرد الشاب ، فتفرست فيَّ ملياً ثم قالت : يا عبدالله هل لك في أجر من غير مرزأة ؟ .

فقلت : نعم والله إني لأحب الأجر وإن رزئت .

قلت : إن ابني هذا كان يهوى ابنة عم له وكان علقها وهما صغيران ، فلما حجبت خطبها إلى أبيها فأبى أن يزوجها، ونحن معاشر العرب إذا كان الرجل منا يألف المرأة في صغره لم يزوجوه مخافة أن تُرمى بالعيب ، فيقال : قد كان بينهما سوء قبل التزويج .

قالت : وخطب المرأة ابن عم لها آخر فزوجت منه .

فهو على ما ترى منذ بلغه ، لا يأكل ولا يشرب ولا يصلي ولا يعقل ، فلو وعظته .

قال فنزلت إليه فلم أدع له شيئاً من الموعظة إلا وعظته وقلت له : أترغب فيمن لا يرغب فيك ، وإن عظمت عليك المصيبة فيها فاذكر مصيبتك برسول الله ﷺ ، فإنه قال : من أصيب بمصيبة فعظمت عليه فليذكر مصيبته بي فإنها أعظم المصيبات ٠

قال : فوالله ما تركت شيئاً من الموعظة إلا وعظته بها ، وفتلت له في الذروة والغارب ، وما يحير كلمة ولا جواباً أكثر من أن قال :

ألا ما للمليحة لم تعدني
أبخل بالمليحة أم صدود

مرضت فعادني أهلي جميعاً
فمالكِ لم تُري فيمن يعود

فقدتك بينهم فبكيت شوقاً
وفقد الإلف يا أملي شديد

وما استبطأت غيرك فاعلميه
وحولي من ذوي رحمي عديد

ولو كنتِ المريضَ لكنتُ أسعى
إليك وما يهددني الوعيد

قال : ثم شهق وخفت فمات ، فدخلني أمر شديد وخفت أن يكون مات من عظتي وكلامي ٠

فلما رأت المرأة ما بي قالت : هوِّن عليك ، عاش بأجل ومات

بقدر ، وقدم على رب غفور ، واستراح مما كان فيه من البلاء ، فهل لك في استتمام ما صنعت ؟ .

فاسترحتُ إلى قولها ، وقلت : فما هو ؟ .

قالت : هذه الأبيات منا غير بعيد ، فتأتيهم فتنعاه إليهم وتأمرهم (١٤) بحضوره .

فأقبلت أنعاه إليهم وقد حفظت الشعر ، فبينما أنا أنعاه إليهم ، إذ خيمة قد رفع جانب منها ، فإذا امرأة قد خرجت كأنها القمر ليلة البدر ناشرة شعرها تجر خمارها ، وهي تقول : بفيك الحجر من تنعى .

قلت : فلان بن فلان .

قالت : الله لقد زارته شعوب ؟ ! .

قلت : نعم .

قالت : فهل قال من قول قبل وفاته ؟ .

قلت : نعم .. وقد حفظته ، فأنشدتها الشعر فوالله ما نهنهت أن قالت :

عداني أن أزورك يا حبيبي
معاشر كلهم واشٍ حسود

أشاعوا ما سمعت من الدواهي
وعابونا وما فيهم رشيد

---

(١٤) في الأصل : وتأمره .

فأمــا إذ ثويت اليـوم لحـــــــــداً

ودور النـاس كلهم اللحـــــــــــود

فـلا طابـت لــي الدنيــا فواقـــــــاً

ولا لهـمُ ولا أثــرى عـديـــــــد » (١٥)

وقـال البقـاعي نقـلاً عـن السـراج : « أخبرنـا الأمـير أبـو محمـد الحسـن بـن عيسـى بـن المقتـدر باللـه قـراءة عليـه فـي داره بـالحريم الظاهري في سنـة ثمـان وثلاثين وأربـع مئـة : حدثـنا أبوالعباس أحمد بن منصوراليشكري : حدثنا أبو القاسـم بإسناد لـه عن ابن الأشدق .. قال : كنت أطوف بالبيت فرأيت شاباً تحت الميزاب قـد أدخـل رأسـه في كسائـه يئن كالمحموم ، فسلمت فـرد ثـم قال : من أين أقبلت ؟ .

قلـت : مـن البصـرة .

قـال : وراجـع إليهـا ؟ .

قلـت : نعـــم .

قـال : فـإذا دخلـت النبـــاج فاخــرج إلـى الحـــي ، ثــم نـاد : يـا هلال .. يا هـلال .. يخـرج إليك جاريـة تنشـدها هـذا البيـت :

لقـد كنـت أهـوى أن تكـون منيــتي

بعينيـك حتــى تنظـري ميت الحــب

ومـات مكانـه ، فلمـا دخلـت النباج أتيت الحي فناديت : يا هــلال

---

(١٥) ذم الهـوى ص ٣٨١ – ٣٨٣ .

يا هلال ٠٠ فخرجت إليّ جارية لم أر أحسن منها ، فقالت : ماوراءك ؟ ٠

قلت : شاب بمكة أنشدني هذا البيت ٠٠٠ وأنشدته ٠

قالت : وما صنع ؟ ٠

قلت : مات ٠

فخرت مكانها ميتة ٠

وعزاه مغلطاي إلى ابن الخيمي في كتابه الشامل المفيد ٠ انتهى ٠

أخبرني أبو عبدالله محمد بن أبي نصر : حدثني الفقيه أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي: أنبأنا القاضي أبومحمد عبدالله ابن الربيع : أخبرنا أبوعلي القالي إسماعيل بن القاسم : أخبرنا ابن دريد : أخبرنا عبدالرحمن : عن عمه (هو الأصمعي) قال : رأيت بالبادية امرأة على راحلة تطوف حول قبر تقول :

يامن بمقلته زهى الدهر

قد كان فيك تضاءل الأمر

زعموا قتلت وما لهم خبر

كذبوا وقبرك ما لهم عذر (١٦)

يا قبر سيدنا المجنّ سماحة

صلى الإله عليك يا قبر (١٧)

---

(١٦) القسم بغير الله لا يجوز ، وأقبحه أن يقسم بالقبر ٠

(١٧) العروض هاهنا تامة صحيحة « متفاعلن » مع أن القصيدة مبنية على عروض أحذ هكذا « / / / ٥ » ، وضرب أحذ مضمر هكذا « / ٥ / ٥ » ٠

ما ضـر قبـراً منه سِلْوُكَ ساكـن
أن لا يمــر بأرضــه القطـر
فلينبعنَّ سمـاح جـودك في الثـرى
وليورقــن بقبــرك الصخـر
وإذا غضبت تصدعت فَرقــاً
منـك الجبـال وخـافـك الذعـر
وإذا رقـدت فأنـت منتبـه
وإذا انتبهـت فوجهك البـدر
والله لـو بـك لـم أدَعْ أحـداً
إلا قتلـت لفـاتني الوتـر

قـال فدنوت منها لأسألها عن أمرها فإذا هي ميتة » (١٨) .

قال أبوعبدالرحمن : هـذه أخبار منتحلـة ، وأسانيد إخباريين ومجهولين وظرفاء .

والكذبة الصلعاء أسطورة بشر الأسدي وهند الجهنية على عهد رسول الله ﷺ .

وهي أسطورة من أساطير الأدب الفصيح ، وقد أسهم في تعميقها الحكواتي النجدي .. ذلك أن الحكواتي العامي قد يشارك في الإضافة إلى أسطورة صنعها الأسلاف كهذه الأسطورة .. أعني

---

(١٨) أسواق العشاق ورقة ١٠٤ ، وانظر مصارع العشاق ١ / ٢١٦ .

أسطورة بشر العابد التي ذكرها سويلم العلي السهلي بقولـه :

وطـرد الهـوى ما فيـه منقـود ادراه

مـن دور بشر ليا عزيـر ابن خالـــه

بشــر مـن الزهـاد وادنـت منايـــاه

وعزيـز ذاق المـوت باسباب خالــه

فقد سألت عدداً من الرواة عن بشر هذا هل هو هلالي ، أو ضيغمي ، أو من أهل العصور العامية الحديثة ، أو من أهل القرون الأولى .

ومـا أفادني أحد غير الراوية رديني عن أبيه عبدالكريم السهلي ، فقد سماه بشراً العابد ، وروى لـي شيئاً مـن شعره يتحاكى بالفصحى ، ولم يذكر مصدره من الكتب ، وقال : نرويه مشافهة .

قال بشـــر :

اسـألـي يا هنـد مـن ذاق الهـــوى

اسـألـي يا هنــد مـن ذاق اسـألــي

ما بلـي بالحـب مثـلي عاشـــــق

ما بلـي بالحـب مثــلي ما بلـــي

هـنـد ما مـرت عليــك جنازتـي

صلِّ يا هنـــد عليَّـــا واسلمــي (١٩)

فقولـي مرحـوم يا ميـــت الهــوى

في جنـة الفـردوس ان كنت مسلـــم

---

(١٩) في روايـة رديني : فصلي علي يا هند وسلمي .
قال أبوعبدالرحمن : فعدلت لأجـل الـوزن .

والبيت الأخير مكسور كله عامي الأسلوب في مرحوم وفي إعراب مسلم ٠

وروى قول هند :

ألا ليتني أرض وأنت إمامها

تدوس بنعليك الكرام على خدي

فقلت في نفسي: هذا الشعر شعر فصيح قديم حرفته الرواية العامية ، فبحثت عن بشر في أخبار الصوفية وأهل السلوك فلم أجد له خبراً ، وما خطر ببالي أن بشراً من الصحابة في كذب الأسطورة وزعمها ، فقلت أعدل إلى كتب الألفة والألاف ، فوجدت قصة منكرة سخيفة موضوعة جُعل بطلها رجلاً من الصحابة رضي الله عنهم وكرمهم ٠

وإنما سمع الحكواتي النجدي بالقصة من قارئ فنسج شعراً على منوالها ، وهذا نصها من أسواق العشاق ٠

قال البقاعي : « قال مغلطاي : ذكر ابن أبي الدنيا : عن سعيد بن يعقوب به ٠

وأخبرنا أبوبكر محمد بن عبدالملك بن بشران [٢٠] -رحمه الله- قراءة عليه : حدثنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن زرق [٢١] في

---

(٢٠) هو راوي سنن الدارقطني حافظ ثقة ترجمته في تاريخ بغداد ٣٤٩/٢ وسير أعلام النبلاء ٦٠/١٨ - ٦١ ٠

(٢١) ترجم له الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٣٠٢/١ - ٣٠٣ ولم يبد عنه كبير فائدة ٠

شهر ربيع الآخر سنة أربع وثمانين وثلاثمئة : أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن إبراهيم [٢٢] الشافعي قراءة عليه في يوم الخميس لا ثنتي عشرة خلت من ربيع الآخر من سنة ثلاث وخمسين وثلاثمئة : أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن مسروق [٢٣] : أخبرنا عمر بن عبدالحكيم ، وجعفر بن عبدالله الوراق ، والقاسم بن الحسن : عن ابن سعد : عن أبيه قال : ذكر أنه كان في بدء الإسلام (وبعضهم يزيد على حديث بعض) رجل شاب ، وكان يقال له بشر ، وكان يختلف إلى رسول الله ﷺ ، وكان من بني أسد بن عبدالعزى ، وكان طريقه إذا غدا على رسول الله ﷺ آخذاً على جهينة ، فإذا فتاة من جهينة يقال لها هند ، فنظرت إليه فعشقته ، وكان لها من الحسن والجمال حظ عظيم ، وكان للفتاة زوج يقال له سعد بن سعيد ، وكانت الفتاة تقعد كل غداة لبشر حتى يجتاز بها لتنظر إليه ، فلما أخذها حبه كتبت إليه هذه الأبيات :

تمر ببابي ليس تعلم ما الذي
أعالج من شوق إليك ومن جهد
تمر رخي البال من لوعة الهوى
وأنت خلي الروع مما بدا عندي

---

(٢٢) ابن عبدويه بن موسى بن بيان البزاز إمام حافظ ثقة .
ترجم له في تاريخ بغداد ٥/٤٥٦-٤٥٨ ، وسير أعلام النبلاء ١٦/٣٩-٤٤ .

(٢٣) الصوفي ترجمته في تاريخ بغداد ٥/١٠٠ - ١-٣ قال فيه الدارقطني : ليس بالقوي يأتي بالمعضلات .

فديتك فانظر نحو ما بي نظـــــرة

فإنــك أهوى النـاس كلهم عنـــــدي

فو اللـه لـو قصـرت عنـا فلــم تكن

تمــر بنـا أصبحـت لا شـك في لحــد

فأجابها الفتى وهو يقـول :

عليـك بتقـوى اللـه والصبـر إنـــــه

نهانـا عـن اتيـان النسـاء التعبـــــــد

وصبــراً لأمـر اللـه لا تقـربي الــذي

نهـى اللـه عنـــه والنــبي محمـــد

فـو اللـه لا آتـي حليلــــة مسلـــم

إلى أن أدلـى، في القبـــور وأفقـــد

أحـاذر أن أُصلى جحيمـــاً وأن أكـن

صريعـاً لنــــار حرهــا يتوقـــد

فـلا تطمعـي فـي أن أزورك طائعـــاً

وأنـت لغيـري في الخبـــاء معـــود

فأجابتـه الفتــاة وهــي تقــول :

أمـرت بتقـوى اللـه والصبـر والتقـى

فكيـف ومـالي من سبيـل إلى الصبـر

وهـل يستطيع الصبر حـرّى، حزينـة

معذبـة بالحـب موقـرة الظهـــــــر

ووالله ما أدعوك يا حب للذي
تظن ولكن للحديث وللشعر
وكي يتداوى ما تراكم داؤه
من الشوق والحب الذي لك في صدري
ولست فدتك النفس أبغيك محرماً
وما ذاك من شأني وما ذاك من أمري
وما هاجني إلا الحديث ومجلس
يسكن دمعاً قد يسيل على النحر

قال فأجابها الفتى :

منع الزيارة أن أزورك طائعاً
أخشى الفساد إذا فعلت وتفسدي
أخشى دنواً منك غير محلل
فأكون قد خالفت دين محمد
وأخاف أن يهواك قلبي سارقاً
فيكون حتفي بالذي كسبت يدي
فالصبر خير عزيمة فاستعصمي
وإلى إلهك ذي المعارج فاقصدي
فإذا أتتك وساوس وتفكر
وتذكر فلكل ذلك فاطردي

وعليك يا سينـــاً فـــإن قراتهــــا

تنفـي الهمـوم وذاك نفسـك عــودي

فأجابتـه الفتـاة وهـي تقـول :

لعمـرك ما ياسيـن تغني من الهــوى

وقربـك من ياسيـن أشهـى إلى قلـبي

فـدع ذكـر ياسيـن فلســـت بنافـعي

فإنـي فـي غـم الحيـــاة وفي كـــرب

تحرجـت عـن إتيانـنـا وحديثـنــــــا

فقتـلـي إن فكـرت مـن أكبـر الـذنــب

وإتيانــنـا أدنى إلى اللـه زلفـــــــة

وأحسـن مـن قتل المحب بلا عتـــب

فلمـا قرأ بشـر هــذه الأبيـات غضـب غضباً شـديداً ، وحلـف لا يمـر بباب هنـد ولا يقـرأ لهـا كتابـاً ، فلمـا امتنـع بشـر وأبـى أن يمـر ببابهـا كتبـت إليــه :

سألـت ربـي فقـد أصبحـت لي شجنـا

أن تُبتـلـى بهـوى مـن لا يباليكــا

حتى تذوق الذي قـد ذقـت من نصـب

وتطلـب الوصـل ممـن لا يواتيكــا

رمـاك ربـي بحمـــأة مقـابلـــــة

وبامتنـــاع طبيـــــب لا يداويكــا

وأن تظــل بصحراء على عطــش

تطالب المـــاء ممن ليــس يسقيكا

فلما لـج بشـر ، وتـرك الممـر (٢٤) ببابهـا : أرسلت إليـه بوصيفـة لهـا فأنشـدتـه هـذه الأبيات ، فقـال للوصيفـة : لأمر كنت أمـر •

فلمـا جـاءت الوصيفـة أخبرتها بقـول بشـر، فكتبت وهي تقـول :

كفـــر يمينك إن الذنـــب مغفـور

واعلم بأنــك إن كفَّــرت ماجـــور

لا تطـردن رسولـي وارثيــــن لـه

إن الرسـول قليـل الذنـب مغفـــور

واعلـم بأنـي أبيـت الليـل ساهـــرة

ودمـع عينـي على خـديَّ محـــدور

أدعـوك باسمـك فـي كـرب وفـي تعـب

وأنـت لاهٍ قـريـر العيــن مســرور

فلمـا لـج بشـر، وتـرك الممـر علـى بابهـا اشتـد عليهـا ذلــك ، ومرضت مرضاً شـديداً ، وبعث زوجها إلى الأطبـاء •

فقـالت : لا تبعث إلى طبيب ، فإني قـد عرفت دائـي •• قهرنـي جني فـي مغتسلي ، فقـال لـي : تحولـي عـن هـذه الـدار فليس فـي جوارنـا خيـر •

---

(٢٤) هكذا في الأصـل ، وهـي بمعنى المرور •

فقال لها زوجها : وما أهون هذا ! •

فقالت : إني رأيت في منامي أن أسكن بطحاء تراب •

فقال : اسكني بنا حيث شئت •

فاتخذت داراً على طريق بشر ، فجعلت تنظر إليه كل غداة إذا غدا إلى رسول الله ﷺ حتى برأت من مرضها وعادت إلى حسنها •

فقال لها زوجها : إني لأرجو أن يكون لك عند الله خير لما رأيت في منامك : أن اسكني بطحاء تراب •• فأكثري من الدعاء •

وكانت مع هند في الدار عجوز ، فأفشت إليها أمرها ، وشكت ما ابتليت به وأخبرتها أنها خائفة إن علم بشر بمكانها ترك الممر في طريقه ويأخذ طريقاً آخر •

فقالت لها العجوز: لا تخافي فإني أعلم لك أمر الفتى كله ، وإن شئت أقعدتك معه ولا يشعر بمكانك •

قالت : فليت ذاك قد كان •

فقعدت العجوز على باب الدار ، فلما أقبل بشر قالت له العجوز : يا فتى هل لك أن تكتب لي كتاباً إلى ابن لي بالعراق •

قال بشر : نعم •• فقعد يكتب والعجوز تُمِلُّ عليه وهند تسمع كلامهما •

فلما فرغ قالت العجوز لبشر : يا فتى إني أظنك مسحوراً •

قال بشر : وما علمك ؟ •

قالت له : ما قلت لك حتى علمت ، فما الذي تهم ؟ •

قال لها : إني كنت أمر على جهينة ، وإن قوماً منهم كانوا يرسلون إليَّ ، ويدعوني إلى أنفسهم ، ولست آمنهم أن يكونوا فعلوا بي شيئاً .

قالت له العجوز : انصرف عني اليوم حتى أنظر في أمرك .

فلما انصرف دخلت العجوز على هند فقالت : هل سمعت ما قال .

قالت : نعم .

قالت : أبشري فإني أراه فتى حديثاً لا عهد له بالنساء .. متى ما أتى زيَّنتُكِ هنيدُ وطيبتك وأدخلتك عليه ، فغلبت شهوته وهواه دينه ، فانظري أي يوم يخرج زوجك إلى القرية فأخبريني .

فسألت هند زوجها ، فأخبرها أنه خارج يوم كذا وكذا ، وأخبرت هند العجوز ، وواعدت العجوز بشراً ميعاداً لتنظر له في نجمه .

فلما كان ذلك الوقت جاء بشر إلى العجوز .

قالت : إني شاكية لست أقدر أن أجعل النشرة ، ولكن بيتي أستر عليك ، فدخل معها البيت ، وجاءت هند خلفها فدخلت البيت على بشر ، فلما دخلت خرجت العجوز فغلقت الباب عليهما .

وقدم زوج هند من الخروج في ذلك اليوم إلى الضيعة ، فجاء حتى دخل داره فوجد مع امرأته رجلاً في البيت فطلق امرأته ، ولبب الفتى فدخل به إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله سل هذا بأي حق دخل داري وجامع زوجتي ؟ ! .

فقال بشر : والله يا رسول الله ما كذبتك منذ صدقتك ،

ولا كفرت بالله منذ آمنت بك ، ولا زنيت منذ أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله .

وقص على النبي ﷺ قصته .

فبعث النبي ﷺ إلى العجوز وهند فأحضرهما فأقرا بين يدي رسول الله ﷺ .

فقال : الحمد لله الذي جعل في أمتي نظير يوسف الصديق عليه السلام .

ثم قال لهند : استغفري لذنبك .

وأدب العجوز وقال لها : أنت رأس الخطيئة .

فرجع بشر إلى منزله وهند إلى منزلها فهاج بشراً حب هند ، فسكت حتى إذا قضت عدتها بعث إليها يخطبها ، فقالت : لا والله لا يتزوجني وهو فضحني عند رسول الله ﷺ ، ثم مرض بشر من حبها .

وعاد إليها الرسول فقال : إنه مريض ، وإنك إن لم تفعلي ليموتن .

فقالت : أماته الله ، فطال ما أمرضني .

ومرض بشر فاشتد مرضه وبلغ أصحاب النبي ﷺ فأقبلوا إليه يعودونه ، فقال بعضهم : أنا أرجو أن يعذب الله هنداً ، فأنشأ يقول :

إلهي إني قد بليت من الهوى

وأصبحت ياذا العرش في أشغل الشغل

أكاثر نفساً قد تولى بها الهوى
وقد مل إخواني وقد ملني أهلي
وقد أيقنت نفسي بأني هالك
بهند وأني قد وهبت لها قتلي
وأني وإن كانت إليَّ مسيئة
يشق علي أن تعذب من أجلي

ثم شهق شهقة فمات - رحمه الله - ، وأقامت عليه أخته مأتماً وقامت تندبه ، فجاءت هند وأخته تقول : وابشراه من لوعة الهوى قد تولى ٠٠ وابشراه ذو الحاجات لا تقضى ٠٠ وابشراه شباباً ما تملى ٠٠ وابشراه صحيحاً قد تولى٠٠ وابشراه لكتابه ما أقرا ٠٠ وابشراه بين أصحابه لايرى٠٠ وابشراه للضيف مط اقرى٠٠ وابشراه معجلاً إلىالغرباء ؟ !!! ٠

قال فلما سمعت هند صرخت صرخة ووقعت مغشياً عليها فماتت رحمها الله ودفنوها مع بشر ٠

فلما مضى لها أيام جاءت العجوز إلى النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله أنا رأس الخطيئة كما قلت ٠. أنا الذي ـت سبب الأمر (وقد خشيت أن لا يكون لها توبة يعني لخطيئتها) ٠

فقال النبي ﷺ : استغفري لذنبك وتوبي ، فإن الله تعالى ـبل التوبة النصوح ٠

قلت : ذكرشيخنا حافظ عصره أبو الفضل قاضي القضاة شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر - رحمه الله - بشراً هذا في القسم

الأول من كتابه الإصابة في أسماء الصحابة ، وقال : روى القصة جعفر السراج مطولة في كتابه مصارع العشاق ، وجعفر المستغفري ، وتبعه أبو موسى في الصحابة . انتهى .

وقال الحافظ شمس الدين الذهبي في تجريده : هند الجهنية في حديث ساقط انتهى » (٢٥) .

قال أبوعبدالرحمن : بل القصة مكذوبة موضوعة ، ومدارها على ابن مسروق الصوفي صاحب القصص .

ونعي الأخت الذي تقول فيه : وابشراه من لوعة الهوى قد تولى ... إلخ إنما هو جملة أسجاع ، وقد أورده محقق مصارع العشاق على أنه شعر ، فكتبه كتابة الشعر ، وعلق بقوله : هذه الأبيات لا يستقيم وزنها (٢٦) !! .

قال أبوعبدالرحمن : وجدت في كتاب الدكتور زراقط القصة بهذا السياق (٢٧) : « في المدينة المنورة كان يقيم فتى نضر الشباب

---

(٢٥) أسواق العشاق ص ١٦٥ / أ - ١٦٦ / ب .

وانظر الإصابة ٢٦٠/١ وقال في الإصابة ٦٩/١٣ : « هند الجهنية ذكرها أبو موسى في الذيل : عن المستغفري : عن الحسن بن محمد : عن أبي عبدالله ابن محفوظ السمرقندي : عن أبي بكر الشافعي : عن أبي العباس ابن مسروق : عن عمربن عبدالحكم ، وحفص الوراق ، والقاسم بن الحسن : عن ابن سعد : عن أبيه . قال : كان في بدء الإسلام رجل شاب يقال له بشر ، وكان من بني أسد ... إلخ ، فذكر القصة مطولة .

(٢٦) انظر مصارع العشاق ٢٤٠/٢ .

(٢٧) **قال أبو عبدالرحمن** : عيب هذا الكتاب أنه لا يذكر مصادره .

جميل اسمه بشر العابد ، وكان بشر تقيّاً يكثر من التردد إلى مسجد النبي ﷺ ، وقد عرف بالصلاح وتقوى الله .

وفي المدينة نفسها كانت تقيم هند بنت فهد ، وهي امرأة من أجمل نساء العرب تزوجت رجلاً موسراً ومؤمناً يسمى قيس ، وعاشت حياة سعيدة تنعم بالرغد والهناء .

وذات يوم كانت هند جالسة في نافذة غرفتها تنظر إلى الطريق العام ، فرأت بشراً العابد مارّاً بالقرب من دارها .

كانت إطلالة بشر ساحرة فعلقت نظراتها به .. ابتعد بشر ولكن طيفه يراودها فصارت تراقبه وتسعى إلى رؤيته، ومع مرور الأيام تمكن حبه في صدرها ، واجتهدت في كتمان هذا الحب ، واستمرت تناجي نفسها ، وتقول :

أهواك يا بشر دون الناس كلهم
وغيرك يهواني فيمنعه صدي
تمر ببابي لست تعرف ما الذي
أكابد من شوقي إليك ومن بعدي
فيا ليتني أرض وأنت إمامها
تدوس بنعليك الكرام على خدي
ويا ليتني نعلا أقيك من الحفا
ويا ليتني ثوبًا أقيك من البرد

تبات خلي البال من ألم الجوى
وقلبي كواه الحب من شدة الوجد
وإنك إن قصرت عني ولم تزر
فلا بد بعد الصد أدفن في لحدي

ولما عيل صبرها ، استحضرت جاريتها ، وقالت لها : هل تكتمين السر أيتها الجارية ؟ .

فأجابتها : نعم يا مولاتي .. وأقسم لك أني لا أبوح بسرك لأحد .

فكتبت هند في الحال كتاباً رقيق الحاشية ، وقالت لها : أريد منك أن توصلي هذا الكتاب إلى بشر العابد وتأتيني منه بالجواب .

فقالت لها الجارية : سمعاً وطاعة .

ثم أخذت الجارية الكتاب ، وسارت به إلى بشر ، ولما وصلت إليه سلمت عليه ، فرد عليها السلام وسألها عن حاجتها .

فقالت الجارية : إني جارية السيدة هند ، وقد أرسلتني إليك بكتاب هذا هو ، وأعطته الكتاب .

فأخذه منها وقرأه وفهم معناه ، ثم التفت إليها ، وقال لها : يا جارية : هل سيدتك عذراء أم ذات بعل ؟ .

فقالت الجارية : إنها متزوجة وزوجها موجود في المدينة .

فارتبك بشر وتحير كيف يتدبر أمره ، وأخذته الرأفة بهذه السيدة ، وهو لا يجهل أمر الحب ، وقال : لا حول ولا قوة إلا بالله

العلي العظيم ، ثم كتب لها هذه الأبيات :

عليك بتقوى الله لا تقربي الزنا

ولا تطلبي الفحشا فذلك مفسد

استغفري مما هممت بفعله

نهى الله عنه والنبي محمد

أما تذكري يوم الحساب وهوله

وما للفتى مال ولا شيئ يفتدي [(٢٨)]

وإن تطلبي قربي فبعدي أجود

فخافي عقاب الله والتمسي الهدى [(٢٩)]

ثم إنه طوى الكتاب وأعطاه للجارية ، فأخذته وسارت به حتى دخلت على سيدتها فأخذت هند منها الكتاب ، ولما قرأته وفهمت أبياته ، عز عليها كثيراً وبكت بكاء مرّاً ، ثم كتبت إليه هذه الأبيات :

أما تخشى يا بشر الإله فإنني

لفي حسرة من لوعتي وتسهدي

فإن زرتني يا بشر أحييت مهجتي

وربي غفور بالعطا باسط اليد

---

(٢٨) **قال أبوعبدالرحمن** : في هذا الشعر المصنوع إقواء .

(٢٩) قافية هذا البيت تقتضي جعل الأبيات على قافية منصوبة لتسلم من عيوب القافية ولا غضاضة في خلل النحو لأنه نظم أشباه العوام .

وطوت هذه الرقعة وأعطتها للجارية ، فأخذتها وسارت إلى بشر فلما قرأها استعظم أمر هذه الصبية ، وصعب عليه ما هي فيه ، وكتب لها هذه الأبيات :

أيا هند هذا لا يليق بمسلم
ومسلمة في عصمة الزوج فابعدي
أما تعلمي أن السفاح محرم
فحولي عن الفحشاء والعيب وارتدي
بهذا نهى دين النبي محمد
فتوبي إلى مولاك يا هند ترشدي

ثم طوى الرسالة وأعطاها للجارية ، فأخذتها منه وسارت إلى سيدتها ، فلما قرأتها بكت بكاءً شديداً ، ثم كتبت إليه رسالة طويلة تشكو فيها غرامها وهيامها ، فلما وصلته ، كتب إليها هذه الأبيات :

إن الذي منع الزيارة فاعلمي
خوف الفساد عليك أن لا تعتدي
وأخاف أن يهواك قلبي في الهوى
فأكون قد خالفت دين محمد
فالصبر خير وسيلة لتشفي
وإلى الإله فسارعي وتعبدي (٣٠)

---

(٣٠) الشطر الأول منكسر .

ولما وصلها هذا الكتاب انكمدت نفسها ، ومرضت وصارت في حالة يرثى لها ، وصارت تعلل نفسها بلقاء بشر يوماً بعد يوم ، إلى أن كان يوم لم تستطع فيه صبراً ، فكتبت إليه تقول :

أيا بشر ما أقسى فؤادك في الهوى

ما هكذا الحب في مذهب الإسلام

إني بليت وقد تجافاني الصفـا

فارحم خضوعي ثم زد بسـلام

ضاقت قراطيس التراسل بيننـا

جف المداد وحَفِيت الأقـلام (٣١)

فلما وقف بشر على هذه الرسالة كتب تحتها يقول :

لا والذي رفع السماء بأمـره

ودحى بساط الأرض باستحكـام

وهو الذي بعث النبي محمـداً

بشريعة الإيمان والإسـلام

لم أعص ربي في هواك وإننـي

لمطهر من سائر الآثـام

ثم أعطى الكتاب للجارية ، فأخذته وسارت ، فناولته إلى هند ، فلما قرأته وفهمت ما فيه ، خرت مغشياً عليها ، فلما أفاقت كتبت

---

(٣١) في هذا البيت إقواء .

هذه الأبيات تقول :

أدعوك رب كما صيرتني شجنا

أن يبتليك بهول من لا يوافيك

وتشتكي محنة في الحب نازلة

وتطلب الماء ممن ليس يسقيك

بلاك ربي بأمراض مسلسلة

وبامتناع طبيب لا يداويك

ولا سرورا ولا يوما ترى فرحا

وكل ضر من الرحمن يبليك (٣٢)

ثم طوت الكتاب ، ودمعها في انسكاب ، وأعطته للجارية وقالت لها : اذهبي إليه وائتيني برد الجواب .

فسارت إليه ، وناولته الكتاب ، فلما قرأه اغتاظ غيظاً شديداً ، ثم كتب لها يقول :

يا خالق الخلق إني لست أعصيك

أبات أرعى نجوم الليل أدعوك

فارحم خضوع ذليل بات مبتهلاً

ولا تخيب رجا من بات يدعوك

ونجني من هوى هند وما صنعت

يا من لكشف كروب الناس يدعوك

---

(٣٢) هذا نظم مكسر منزوع الحلاوة ، والنظام كتابته بمد الكاف هكذا : يبليكا .

ثم طوى الكتاب وأعطاه للجارية وقال لها : إن عدت برسالة غير هذه لأضربنك ولأعلمن سيدك ، ثم نهر الجارية وطردها .

فسارت إلى سيدتها وأعطتها الكتاب فقرأته ، وأخبرتها بما قال بشر من أول الكلام ، ثم إنها بكت بكاءً شديداً ما عليه من مزيد ، وزاد بها الهيام ، واشتدت بها الأسقام وامتنعت عن الطعام والشراب .

وخاف بشر على نفسه من الفضيحة فارتحل إلى بطاح مكة ليلاً ولم يخبر أحداً برحيله ، وذهبت إليه الجارية برسالة من سيدتها فلم تجد له أثراً ، ولا وقفت على خبر ، فعادت إلى سيدتها وأخبرتها برحيل بشر ، فحزنت عليه حزناً شديداً ، وتوعكت أياماً حتى صارت في أسوأ حال ، فكانت لا ترى إلا باكية العين حزينة النفس ، واعتراها مرض شديد .

وعاد زوجها من سفر كان فيه ، فلما رآها على هذه الحالة أخذته عليها الرأفة ، وقال لها : هل آتيك بطبيب يا هند ؟ .

فقالت : لا حاجة لي بالطبيب ، وإنما أرجوك أن ترحل بي من هذا المكان فنذهب إلى بطاح مكة فنعيش هناك حيث الهواء النقي ، والفضاء الفسيح .

وكان من القضاء اللازم والقدر المقدر أن الدار التي أخذها زوج هند وأقام فيها مع زوجته كانت قريبة من دار بشر ، فكانت تراه كلما مر ببابها ، وزادها ذلك عشقاً وكلفاً .

وبينما هند تعاني من سوء حالها ما تعاني دخلت عليها عجوز يقال لها جنوب ، فلما رأتها في تلك الحالة سألتها عن علتها ، فأخبرتها بقصتها من مبتداها إلى منتهاها ٠

فقالت لها العجوز : طيبي نفساً وقري عيناً فلسوف أجمعك به ، فشكرتها هند ، وقامت لها بواجب الإكرام ، ولما همت العجوز بالانصراف قالت لها هند :

ساعديني واكشفي عني الكروب
ثم نوحي عند نوحي يا جنوب
واندبي حظي ونوحي علنا
إن حالي بعده شيئ غريب
ما رأت مثلي زليخا يوسف
لا ولا يعقوب بالحزن العجيب

وخرجت العجوز من بيت هند فجلست على قارعة الطريق تنتظر عودة بشر ، فلما مر بها ، قالت له : يا ولدي إني أرى على وجهك سحراً ، وما ظني بك إلا مسحور ٠

فذعر بشر ، واقترب من العجوز وقال لها : لا علم لي بمثل هذا الأمر يا أماه ، وإنما كانت في المدينة امرأة يقال لها هند ما نظرت إليها قط كانت تراسلني بالأشعار ، فهربت منها وجئت إلى بطاح مكة ، وها أنا كما ترين ٠

فقالت : اعلم يا بني أنها هي التي سحرتك ، وإني أرجوك أن

تمر علي في غد ، وأنا آخذك إلى داري وأعمل لك تحويطة تمنع عنك السحر •

فقال لها بشر: جزاك الله خيراً يا أماه ، ثم انصرف إلى حاله •

أما العجوز فسارت من ساعتها إلى هند ، وقالت لها : أبشري يا هند ففي صباح غد يكون بشر هنا عندك في بيتك •

فقالت لها هند، وقد تهلل وجهها بشراً: هل ذلك حقيقة يا أماه ؟•

فقالت العجوز : نعم ورب الكعبة •

فقالت هند : إني أحمد الله كثيراً لأن زوجي قد سافر ببضاعة إلى الشام منذ أيام ولن يعود إلا بعد مدة طويلة •

ثم انصرفت العجوز إلى بيتها ، وفي الصباح سارت إلى بشر ، وقالت له : قم يا ولدي ، فقد صنعت لك التحويطة ، وهيا لأبخرك•

فقام معها بشر وهو لا يعلم بما دبرته من مكيدة ، وما زالت سائرة وبشر خلفها إلى أن وصلت إلى دار هند ، وكانت هند تنظر من نافذة بيتها المطلة على الطريق ، فلما رأت بشراً مقبلاً نزلت مهرولة ففتحت الباب ، ودخلت العجوز وبشر خلفها ، وهو يعتقد أنه في منزل العجوز ، ولم يشعر إلا والباب قد أقفل ووقفت أمامه فتاة حسناء كأنها البدر إذا بدر ، وقد ارتمت عليه وأخذته إلى صدرها ، وهي تقول :

يا بشر واصلني وكن بي لطيفا

إني رأيتك بالكمال ظريفا

وانظر إلى جسمي وما قد حل بي

فتراه صار من الغرام نحيفا

فلما رآها بشر راعه جمالها ، وعلم ببداهته أنها هند التي هجر مقره من أجلها ، وأن هذه الدار دارها ، وأن في الأمر مكيدة دبروها له ، فتباعد عنها متعطفاً ، وأنشد متلطفاً (٣٣) :

ليس المليح بكامل في حسنه

حتى يكون عن الحرام عفيفا

فإذا تجنب عن معاصي ربه

فهناك يدعى عاشقاً وظريفا

وما كادت العجوز تُدْخِل بشراً إلى الدار حتى ركنت للفرار ، وما كادت تتخطى عتبة الدار حتى كان زوج هند قد دخل منه – وكان قد نسي حاجة فجاء ليأخذها – وما كادت تراه الجارية حتى وقفت واجمة لا تبدي ولا تعيد ٠

فصعد السلم حتى دخل غرفة رقاده ، فأبصر هنداً وبشراً يتعاتبان ، فأنكر ما رأى وأراد أن يسل سيفه ليقتلهما معاً ٠

فقال بشر : أتت بي العجوز لهذه الدار ولا أعرف أن هنداً متزوجة منك أو من سواك ، ولم يكن بيني وبينها شيئ مما حرم الله ، فاسأل عني الناس ، وسل عني شيخ البلد يعلمك بحالي ٠

---

(٣٣) **قال أبوعبدالرحمن** : ويزاد في الدعوى : متمثلاً ، لأن البيتين من الشعر الثابت المأثور ٠

وإن هذه المرأة قد أرسلت خادمتها العجوز تدعوني إليها فظننت أنها تريدني لأمر أو حاجة لا سبيل إليها إلا عن طريقي ، ولم أكن أظنها تدعوني إلى مطارحة الهوى .

فلما حضرت إلى هنا وسمعت مقالها أخذت أؤنبها ، فعند ذلك خرج صبي صغير كان يعمل في الخدمة في الدار وقال لسيده : والله يا سيدي إن كل ما يقوله هذا الرجل صحيح ، فإن هنداً والعجوز قد تآمرتا على إحضاره إلى هنا ، وقد سمعت محادثتهما قبل أن تذهب إليه العجوز ، ثم سمعت تأنيبه لها وهي تدعوه إلى نفسها وهو يرغب عن ذلك أشد الرغبة ويذكرها بالثواب والعقاب والموت والحساب .

فقال الرجل : الحمد لله الذي لا زال في أمة محمد نظيراً ليوسف الصديق الذي راودته امرأة العزيز عن نفسه ، فرفض وقال : إني أخاف الله رب العالمين .

أما أنت يا بشر فامض لا ريب عليك ، وأما أنت يا هند فأنت طالق مني فاخرجي إلى أهلك ولا أراك بعد اليوم أبداً .

أما بشر ، فما كاد يصل إلى منزله حتى تمثل أمام عينيه جمال هند ، فشعر بميل شديد إليها وانشغل قلبه بهواها ، فعلل نفسه بالصبر حتى انقضت عدتها فأرسل إليها ليتزوج بها ، فأجابت : لا أريده .

فعادت المرأة التي أرسلها إليها ، وأبلغته بما قالت ، فبكى بكاء

شديداً ، وكتب لها يقول :

أرى القلب بعد الصبر أضحى مضيعا

وأبقيت ما لي في هواك مضيعا

فلا تبخلي يا هند بالوصل وارحمي

أسير هوى بالحب صار مضيعا

فلما وصلتها هذه الأبيات كتبت تحتها تقول :

أتطلب يا غدار وصلي بعد ما

أسأت ووصلي منا أضحى مضيعا

ولما رجوت الوصل منك قطعته

وأسقيتني كأسا من الحزن مترعا

وأخجلتني عند النبي محمد

فكادت عيوني أن تسيل وتطلعا (٣٤)

فلما وصلته هذه الأبيات حزن حزناً شديداً واشتدت به اللوعات ، فكتب لها هذه الأبيات :

سلام الله من بعد البعاد

على الشمس المنيرة في البلاد

سلام الله يا هند عليك

ورحمته إلى يوم التنادي

---

(٣٤) **قال أبوعبدالرحمن** : هذا البيت مما غفل عن حذفه محوّر الأسطورة ٠

وحـــق اللـه لا ينســـاك قلبــي

إلـى يـــوم القيـامـة يـا مــرادي

فرقـي وارحمـي مضـنى كئيبــــاً

فبشـر صـار ملقى في الوســـــاد

فـداوي سقمـه بالقـرب يومــــاً

فقلبي ذاب من ألـــم البعــــاد

وصلى اللـه ربي كل يـــــــوم

علـى مـن جاءنـا بالخير هــــادي

محمـد المشفـع في البـرايـــــا

فلـولا حبـه ميا سار حـــــادي

ثـم طوى هــذه الرسالــة وأعطاهـا إلـى المـرأة التـي عهـد إليهـا باستعطافها فلما قرأتها كتبت تـقـول :

سـلام اللـه من شمـس البـــلاد

عـى الصب الموسـد في المهـــاد

فـإن تـرج الوصــال وتشتهيــــه

فأنـت مـن الوصـال على بعــــاد

فلسـت بنائـل منـي وصــــالاً

ولا يدنـو بيـاضك من ســـوادي

ولا تبلـغ مـرادك مـن وصالــــي

إلى يـوم القيـامـة والتنــــادي

ثم أرسلت الكتاب له ، فلما قرأه غشي عليه ، فلما أفاق كتب هذه الأبيات :

كتبت إليك لما ضاق صدري
وأسكنني التجلد والعياء
كتاباً من فتى دنف عليل
سقيم الجسم ليس له شفاء
فرقي يا مليحة وارحميني
فقد كثر التندم والبكاء
وعذالي بحبك عنفوني
وربي فيك يفعل ما يشاء
وصلى الله ربي كل وقت
على طه ختيم الأنبياء

ثم طوى الكتاب وأرسله إلى هند فلما فهمته ، كتبت تحته تقول :

كتبت إليَّ تشكو ما تلاقي
من الأسقام إذ نزل القضاء
فإنك لم تزل أبداً سقيماً
ووجدك لا يكون له انقضاء
فمن هند الصدود مع التجافي
ومن بشر التضرع والبكاء

فعش صبّاً ومت كمداً حزينـاً

فواحدة بواحـدة جـــــزاء

فلما وصل هذا الكتاب إلى بشر امتنع عن الطعام والشراب ولزم الوساد ، واشتدت به العلة ، وكانت له أخت تواسيه فقالت له : هل آتيك بطبيب ؟ •

فقال لها : وما يصنع الطبيب ومرضي من الحبيب ، فلو أن هنداً واقفة من الباب لردت إلي الحياة ؟ ! •

فلما سمعت أخته هذه الكلمات سارت إلى هند واستعطفتها وأعلمتها أن بشراً على آخر رمق من الحياة من شدة شوقه إليها •

فشعرت هند وقتئذٍ بدافع شديد إلى لقائه فسارت معها ، ولما دخلت عليه وجدت نفسه يصعد ، فوقفت عند رأسه ، فلما رآها ابتسم لها ابتساماً فيه من غضاضة الموت ، وسلم عليها وأنشد :

أتت وحياض الموت بيني وبينها

وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل

ولما رأتني في المنايا تعطفت

علي وعندي من تعطفها شغل

فلما سمعت هند كلامه تحركت في قلبها عواطف الوجد الكامنة ، فبكت وأنشدت :

أيـا بشر حالـك قـد فنى جســـدي

والهب النـار في جسمي وفي كبدي (٣٥)

وفاض دمعي على الخدين منسكبـاً

وخانني الدهر فيكم وانقضى رشدي

ما كـان قصدي بهذا الحال انظركم

لا والـذي خلق الإنسان من كمـــد

فلما سمـع بشـر كلامها أومـأ إليهـا وأنشـــد :

أيـا هنـد إن مرت عليك جنازتـــي

فنوحي بحـزن ثم في النوح رنمي

وقولـي إذا مرت عليك جنازتـــي

وشيـري بعينـــيك علي وسلمـــي

وقولي رعـاك اللـه يا ميت الهوى

وأسكنك الفردوس إن كنت مسلـم (٣٦)

ثـم شهق شهقـة وفارقت روحـه الدنيـا ، فلما رأتـــه هنـد ارتمـت عليـه وهي تبكي وتـنتحب ، وأنشـدت تقـول :

أيـا عين نوحي على بشر بتغزيـر

ألا ترويـه من دمعي بتـقـديـــــر

---

(٣٥) **قال أبوعبدالرحمن :** إسقاط همزة التعديـة من الفعـل « أفنــى » تعبيـر عـامي ، وهـذا شـأن محـور الأسطورة بيقيـن .

(٣٦) في هـذا البيت من هـذا الشعر المصنوع إقـواء .

لفقد بشر بكيت اليوم من كمد

لا خير في عيشة تأتي بتكدير

ألقاك ربك في الجنات في غرف

تلقى النعيم بها بالخير موفور

ثم ألقت بنفسها عليه ، وحركوها فإذا هي ميتة ، فغسلوهما ودفنوهما في قبر واحد ، وبعد أيام طلعت على قبرهما شجرة باسقة سموها شجرة العاشق والمعشوق ٠

وأنشد الشاعر العربي حينما وقف على أمرهما :

خليلين محبوبين خانهما الدهر

فما اجتمعا إلا وقد نفد العمر

مساكين أهل العشق ما نال بعضهم

وصال ولكن بعد ما انكشف الستر» (٣٧)

ومن أخبارمن طاوله الضنى حولاً كاملاً ثم مات بشهقة ما ذكره السراج ٠ قال: « أخبرنا القاضي أبوالحسن أحمد بن علي بن الحسين التوزي قراءة عليه قال : أخبرنا أبومحمد عبيد الله بن محمد بن علي الجرادي الكاتب قال : أخبرنا أبوبكرابن دريد قال : أخبرنا عبدالرحمن : عن عمه: عن يونس قال: انصرفت من الحج

---

(٣٧) عشاق العرب ص ١٩٧ - ٢١٠ ٠

فمررت بماوية وكان لي فيها صديق من بني عامر بن صعصعة ، فصرت إليه مسلماً ، فأنزلني ، فبينا أنا عنده ونحن قاعدان بفنائه إذا نساء مستبشرات ، وهن يقلن : تكلم تكلم !٠

فقلت : ما هذا ؟ ٠

فقالوا : فتى منا كان يعشق ابنة عم له ، فزوجت ، وحملت إلى ناحية الحجاز ، فإنه لعلى فراشه منذ حول ما تكلم ، ولا أكل ، إلا أن يؤتى بما يأكله ويشربه ٠

فقلت : أحب أن أراه ٠

فقام ، وقمت معه فمشينا غيربعيد ، وإذا بفتى مضطجع بفناء بيت من تلك البيوت ، لم يبق منه إلا خيال ، فأكب الشيخ عليه يسأله ، وأمه واقفة ، فقالت : يا مالك : هذا عمك أبو فلان يعودك ، ففتح عينيه ، وأنشأ يقول :

ليبكني اليوم أهل الود والشفق
لم يبق من مهجتي إلا شفا رمق

اليوم آخر عهدي بالحياة فقد
أطلقت من ربقة الأحزان والقلق

ثم تنفس الصعداء فإذا هو ميت ، فقام الشيخ ، وقمت ، فانصرفت إلى خبائه فإذا جارية بضة تبكي وتتفجع ٠

فقال الشيخ : ما يبكيك ؟ ٠

فانشأت تقول :

ألا أبكي لصب شف مهجته
طول السقام وأضنى جسمه الكمد
ياليت من خلف القلب الهيوم به
عندي فأشكو إليه بعض ما أجد
أَنَشْر تربك أسرى لي النسيم به
أم أنت حيث يناط السحر والكبد ؟

ثم انثنت على كبدها ، وشهقت ، فإذا هي ميتة ٠

قال يونس : فقمت من عند الشيخ وأنا وقيذ ٠

أخبرنا أبو عبدالله الحسين بن محمد بن طاهر الدقاق قال : حدثنا الأمير أبو الحسن أحمد بن محمد بن المكتفي بالله قال : حدثنا ابن دريد فذكر القصة » (٣٨) ٠

قال أبوعبدالرحمن : لقد مر من قصص العشاق أخبار من مات ثم مات محبوبه أسفاً عليه فدفنا في قبر واحد أو في قبرين متجاورين مثل القصة التي رواها الأخفش عن موت شاب على ماء لطيئ وموت محبوبته بشهقه ، وأن شيخاً دفنهما في قبر [illegible]حد وقال : لم أجمع بينكما حيين لأجمعن بينكما ميتين ٠

وفي هذا الباب ما رواه أبو محمد جعفر بن أحمد السراج الـ[illegible]رئ عمن دفنا في ثوبين !! ٠٠ قال : « ذكر أبوعمر محمد بن العباس

(٣٨) مصارع العشاق ١/٤٠ - ٤١ ٠

الخزاز (ونقلته من خطه) : أن أبا بكر محمد بن خلف حدثهم : حدثني أبو أحمد عبدالله بن محمد الطالقاني : حدثني محمد بن الحارث الرازي : أخبرني أحمد بن عمر الزهري : حدثني عمي عن أبيه قال : خرجت في نشدان ضالة لي ، فآواني المبيت إلى خيمة أعرابي ، فقلت : هل من قرى ؟ •

فقال لي : انزل ! •

فنزلت ، فثنى لي وسادة ، وأقبل علي يحدثني ، ثم أتاني بقرى ، فأكلت •

فبينا أنا بين النائم واليقظان ، إذا بفتاة قد أقبلت لم أر مثلها جمالاً وحسناً ، فجلست ، وجعلت تحدث الأعرابي ويحدثها ، ليس غير ذلك ، حتى طلع الفجر ، ثم انصرفت ، فقلت : والله لا أبرح موضعي هذا ، حتى أعرف خبر الجارية والأعرابي •

قال : فمضيت في طلب ضالتي يوماً ، ثم أتيته عند الليل ، فأتى بقرى ، فبينا أنا بين النائم واليقظان ، وقد أبطأت الجارية عن وقتها ، قلق الأعرابي ، فكان يذهب ويجيئ وهو يقول :

ما بال مية لا تأتي لعادتها
أعاجها طرب أم صدها شغل

لكن قلبي عنكم ليس يشغله
حتى الممات وما لي غيركم أمل

لو تعلمين الذي بي من فراقكم

لما اعتذرت ولا طابت لك العلل

نفسي فداؤك قد أحللت بي سقماً

تكاد من حره الأعضاء تتفصل

لو أن غادية منه على جبلٍ

لماد وانهد من أركانه الجبل

ثم أتاني فأنبهني ، ثم قال لي : إن خلتي التي رأيت بالأمس قد أبطأت علي وبيني وبينها غيضة ، ولست آمن السبع عليها ، فانظر ما ههنا حتىأعلم علمها، ثم مضى فأبطأ قليلاً، ثم جاء بها يحملها ، وإذا السبع قد أصابها ، فوضعها بين يدي ، ثم أخذ سيفه ، ومضى فلم أشعر إلا وقد جاء بالأسد يجره مقتولاً ، ثم أنشأ يقول :

ألا أيها الليث المضر بنفسه

هبلت لقد جرت يداك لك الشرا

أخلفتني فرداً وحيداً مدلهاً

وصيرت آفاق البلاد بها قبرا

أأصحب دهراً خانني بفراقها ؟

معاذ إلهي أن أكون بها برا

ثم أقبل علي فقال : هذه ابنة عمي كانت من أحب الناس إلي ، فمنعني أبوها أن أتزوجها ، فزوجها رجلاً من أهل هذه الابيات ، فخرجت من مالي كله ورضيت بالمقام ههنا على ما ترى ، فكانت

إذا وجدت خلوة أو غفلة من زوجها أتتني ، فحدثتني وحدثتها ، كما رأيت ليس شيئ غيره ، وقد آليت على نفسي أن لا أعيش بعدها ، فأسألك بالحرمة التي جرت بيني وبينك إذا أنا مت فَلُفَّني وإياها في هذا الثوب ، وادفنا في مكاننا هذا ، واكتب على قبرنا هذا الشعر :

كنا على ظهرها والدهر في مهل
والعيش يجمعنا والدار والوطن
ففرق الدهر بالتصريف إلفتنا
فاليوم يجمعنا في بطنها الكفن

ثم اتكأ على سيفه ، فخرج من ظهره فسقط ميتاً ، فلففتهما في الثوب وحفرت لهما ، فدفنتهما في قبر واحد وكتبت عليه كما أمرني » (٣٩) .

وقال ابن الجوزي : « أخبرتنا شهدة قالت : أنبأنا ابن السراج قال : وجدت بخط ابن حيويه يقول : حدثنا محمد بن خلف قال : حدثني عبدالواحد بن محمد قال : حدثني محمد بن الهيثم بن عدي : عن الهيثم قال : حدثنا محمد بن مالك قال : حدثني عثمان بن عمر التميمي قال : هوى فتى من بني أسد فتاة من فخده ، وكان أيسر منها وأغنى ، وكان أبوه يمنعه من أن يتزوج بها ويريد له أشرف منها وأيسر ، ويعرض عليه غيرها ، فيأبى إلا هي .

---

(٣٩) مصارع العشاق ١٠٤/٢ – ١٠٦ ، وانظرتزيين الأسواق ٤٧٧/٣ .

وكـان أبوها قـد حبسها عليـه رجاء أن يتزوجها ، فلما طال علـى أبيها وأيس منـه زوَّجها مـن غيـره ، فلقيها الفتى يوماً فقال لهـا :

لعمـري يا سعـدى لطـــال تأيمـــــي
ومعصيتـي شيخـــي فيـــك كليهمــــا
وتركي ذا الحييـن لـــم أبـغ منهمـا
سـواك ولـم يربـع هــواي عليهمـــا

فقـالـت الجاريـة :

حبيبـي لا تعجـل لتفهـــم حجـتــــي
كفانـي ما بـي من بـــلاء ومـن جهـــد
ومـن عبـرات تعتـريني وزفــــــرة
تكـــاد لهـــا نفسـي تسـل من الوجــــد
غلبـت علـى نفسـي جهاداً ولـم أطـــق
خلافـاً علـى أهلـي بهـــزل ولا جـــد
ولـن يمنعوني أن أمـــوت برغمهــــم
غدا جوف هذا الغار ي جدث وحـدي
فلا تنـس أن تأتــي هنـــاك فتلتمـــس
مكاني فتسلـو مـا تحملـت من جـ ـد

فلمـا كان مـن غـد أتاهـا حيث زعمـت لـه ، فوجدهـا ـيتـة ، فأدخلها شعباً ثـم التزمها فمات معهـا .

قال : فالتمسا حـولاً فلـم يقـدر عليهما ولـم يعلم لهما خبـر ، فـإذا

هاتف يهتف على الجبل الذي هما فيه ، وكان الجبل يدعى أعرافا :

إن الكريمين ذوي التصافي
الذاهبين بالوفاء الصافي
والله ما لقيت في تطوافي
أبعد من غدر ومن إخلاف
من ميتين في ذرا أعراف

قال فصعد القوم فوجدوهما ميتين ، فواروهما » (٤٠) ٠

وقال ابن الجوزي أيضاً : « بلغني عن الهيثم بن عدي أنه حدث عن رجل من بني نهد قال : كان رجل منا يقال له مرة زُوِّج ابنة عم له جميلة يقال لها ليلى ، وكان مستهاماً بها ، فضرب عليه البعث إلى خراسان ، فكره فراقها ، واشتد عليه ، ولم يجد من ذلك بدّاً ، فخلفها عند رجل من قومه براذان ٠

فغزا ، ثم تعجل ، فلما صار براذان جلس قريباً من القصر ، وكره أن يدخل نهاراً ، فخرجت من القصر جارية ، فقال لها : ما فعلت المرأة التي خلفتها عندكم ؟ ٠

قالت : أما ترى ذلك القبر الجديد ، فإنه قبرها ، فلم يصدق حتى خرجت أخرى فسألها ، فقالت مثل ذلك ، فأتى القبر فجعل يبكي ويتمرغ عليه ويقول :

فيا قبر ليلى لو شهدناك أعولت
عليك نساء من فصيح ومن عجم

(٤٠) ذم الهوى ص ٣٩٠ – ٣٩١ ٠

ويا قبر ليلى ما تضمنت مثلهـــا
شبيهاً لليلى في عفاف وفي كـــرم
ويا قبـر ليلى أكرمن محلهـــا
تكـن لـك ما عشنـا علينا بها نعـم
ويا قبر ليـلى ان ليـلى غريبـــة
بـراذان لم يشهدك خال ولا ابن عـم

ولم يزل يبكي حتى مات فدفن إلى جانبها » (٤١) .

وقال أبوعلي القالي : « وأخبرنا عبدالله بـن خلف قال: أخبرنا عبدالله بن نصرقال : أخبرني عبدالله بن سويد عن أبيه قال : سمعت علي بن عاصم يقول: قال لي رجل من أهل الكوفة من بعض إخواني: هل لك في عاشقٍ تراه ؟ .

فمضيتُ معه ، فرأيتُ فتى كأنما نُزِع الروحَ من جسده ، وهو مؤتزر بإزارٍ مرتدٍ بآخر ، وهو مفكر، وفي ساعده وردة ، فذكرله شعراً من الشعر فتهيج ، وقال :

جعلت من وردتهـــا تميمـــة في عضـــدي
أشمهـا من حبهـــا إذا علانـي جهـــدي
فمن رأى مثلي فتـــى للحـزن أضحى يرتـدي
أسقمــه الحب فقـــد صـــار قليـــن الأود
وصـــار ســاهِ دهـــره مقارنـــاً للكمـــد
ألا فمـن يرحمنـــي يــرق لي من كمــدي

---

(٤١) ذم الهوى ص ٤٠٧ .

ثم أطرق ، فقلت : ما شأنه ؟ ٠٠ فقالوا : عشق جارية لبعض أهله ، فأعطى فيها كل ما يملك وهو سبعمائة دينار ، فأبوا أن يبيعوها منه ، فنزل به ما ترى وفقد عقله ٠

قال : فخرجنا فلبثنا ما شاء الله ، ثم مات ، فحضرت جنازته ، فلما سوي عليه التراب فإذا أنا بجارية تسألني عن القبر ، فدللتها عليه ، فما زالت تبكي ، وتأخذ التراب وتجعله في شعرها ، فبينا هي كذلك إذا قوم يسعون ، فأقبلوا عليها ضرباً ، فقالت : شأنكم ، والله لا تنتفعون بي بعده أبداً ! » (٤٢) ٠

قال أبو عبد الرحمن : هذه القصص الغرامية مأثور أجيال ، ولا آمن استحياءها في بعض الراويات الأدبية التي استجدت ضمن الأجناس الأدبية ٠

وهذه القصص لا سيما القصة التي رواها الأخفش تطابق قصة رواها ممدوح الومير عن العشق في جيل العوام ٠

فربما كانت مما يتكرر مصادفة ، وربما كانت من وحي المأثور ٠

وكلما كثرت عناصر التخيل والبعد عن المعتاد في حبك القصة كان ذلك أدل على الانتحال كما في قصة قاتل السبع لدى السراج ٠

قال أبو عبد الرحمن : والعرب في جيل الفصحاء وفي جيل العوام يقضون أوقاتهم إما على ظهور مطاياهم يخترقون الآفاق ، وإما في منتدياتهم يتسامرون ، وهم أهل موهبة وشعر ومقالة فنية ٠

وليس لهم علم مدون تسبح فيه مواهبهم ، وليست لهم وظائف إدارية تختصر مواهبهم ٠

---

(٤٢) ذيل الأمالي ص ١٤٣ ٠

والقصص الواقعية لا تكفي لعمارة أنديتهم ، ولا تفي بتضييع الوقت الذي ينفقونه في قطع الفلوات ، ولا بد لهم من عناصر خيالية تثير الدهشة ، وتخلص من رتابة الواقع ، فكان العربي لذلك حكواتيّاً ينسج الأسطورة من خياله ، أو من مأثوره ، أو منهما معاً .

وقصة الومير حدثني بها الأستاذ إبراهيم اليوسف قال : «حدث ممدوح الومير - رحمه الله تعالى - الشيخ منديلَ بن فهيد وأنا أسمع : عن والده قال : نزل عندي ضيف في وقت غير بارد ، فكان في الليل يجلس مرمى العصا عن بيت الشعر ، فيتكئ على شداد مطيته فإذا كان الليل ليلين (كناية عن انتصافه بشدة حلكه) ذهب يسيراً فإذا كان آخر الليل عاد ونام .

ولم يكن عادة العرب سؤال الضيف قبل ثلاث ، أما أهل الشمال فلا يكادون يسألون الضيف عن مذاهبه .

ولما تكررت الحال خشيت أن يكون الضيف مصاباً بداء الوسنة ، حيث يقوم الوسنان ويسير بغير شعور .

وخشيت أن يكون في الأمر دماء وثارات بحيث يكون طالباً أو مطلوباً .

فتبعته في إحدى الليالي خلسة فوجدته يذرع النَّزَلَ طولاً حتى إذا كان بآخره خرجتْ إليه فتاة فتقابلا وكان بينهما بضعة أمتار .

فسمعته يقول : يا بنت الأجواد ذهب عمري وضاع شبابي وأنا في رجاء أن أنال منك حبة (قبلة) تشفي قلبي الذي أسرى[1] من حبك [أي تولدت فيه دودة السرو لشدة علته] .

فقالت : خط خطين وامح الثالث أن تنال مني شيئاً بغير الزواج •

فقال : وأنا والله كذلك لا أرضى لك بالدنس ، ولكنني عجزت عن الوصول إليك •

قالت : المرأة لا تزوج نفسها ، وإنما يزوجها رجالها •

فقال : لقد كلمت والدك مراراً ، ووسطت له كبار القوم ، ومنيته كل ما يريده من مهر ، وهو مصر على عدم تزويجي ، لأن حب بعضنا لبعض قد اشتهر •

وأنا والله قد يئست من أبيك ، وإنما آتي إلى هاهنا لأسمع حديثك ، ولا والله أرضى أدنى شيئ يجرح شرفك •

وإنما جئت للوداع والاستشفاء أريد أن أضمك على صدري مرة واحدة ، وأقبلك قبلة طويلة عريضة لعلها تعود إلي روحي فأعود إلى أهلي سالماً ولن تريني بعد ذلك •

قالت : والله إن الذي في قلبي أشد من الذي تذكره عن نفسك ، ولكنك لن تطمع مني بأكثر مما يجري الآن إلا بزواج شريف •

فلف الضيف عباءته على رأسه ورقبته وبعض وجهه ، وعاد من طريقه يخبط خبط عشواء ونام على الشداد ، وعدتُ من طريق آخر •

وأرادوا إيقاظه في الصباح فوجدوه ميتاً ، فلما علمت بذلك أرسلت مبعوثاً لأهل البيت القصي ليعاونوننا على الحفر له ودفنه ، وليحضروا العدة •

فلما أعلمهم الناعي ، ووصف لهم الميت كان وراء الخدر فتاة كأنها من الحور تمشط شعرها ، وكانت سمعت من حبيبها البارحة أن القبلة تعيد روحه فنسفت شعرها على وجهها ، وكان يصل إلى قدميها ، وصارت ربما أبصرت طريقها من خلاله ، وجعلت تمشي خبط عشواء بعض الوقت مشية حبيبها البارحة ٠

فانحنت على الميت تقبله وتضمه وتشمه وترومه ، ثم انطرحت إزاءه وقد لفظت أنفاسها ٠

قال والد ممدوح : فسدحناهما في قبر واحد ، ووارينا عليهما التراب ، وقلنا : هذا ما نستطيعه من الجمع بينكما في الحياة الدنيا والله المستعان » ٠

قال أبو عبد الرحمن: ومن قصص العشق لدى العوام عمن شهق ومات كما ورد بذلك الخبر في الشعر العامي قصة الفتيان الجلاعيد الأربعة ٠

ذكر قصتهم الشيخ منديل وإبراهيم اليوسف والرشيدي وابن خميس ٠٠ قال ابن خميس - والأصل منديل - : « أربعة إخوة أبناء الجلعودي من الجلاعيد من قبيلة عنزة ماتوا بالعشق [٤٣] ٠

---

(٤٣) حورت هذه القصة ، وجعلت رواية عن ابن شعلان الأول ، وروي فيها هذا الشعر:

لا تهفي الظن للنسوان ... من طاوع البيض يهفنّه

عينت ضيف لابن شعلان ... موته جزع من سبيهنه

عشيقته حافها الدّيان ... أتلى حياته هاك الونّه

انظر القصص الشعبي في قطر ص ٢٨٩ - ٢٩٠ ٠

فإذا كنا نقرأ عن قبيلة عذرة ، وقبيلة عامر ، وهلال ، ونتابع ما كان لقيس مع ليلاه ، وكثير مع عزته ، وجميل مع بثينته ، وغيلان مع مي : فإننا لم نقرأ خرافات ، ولم نسمع انتحالاً ، وإنما هي الحقيقة (٤٤) توارثها العرب ، وبقيت فيهم شفافية إحساس ، ولماحية خاطر ، ورقة قلوب ، وصفاء أذهان .. طبع العرب في جزيرتهم عليها ، وعاشوها قروناً وأحقاباً مع عفة وأنفة ، ومجافاة للعار ، وبعداً عن الرذيلة .

يعيش أبناء الجلعودي بهذه البيئة الغزلة الواحدة ، وتتفتح أعينهم على جمال بدوي صارخ لا تتحاشى فيه الفتاة أن تبرز زينتها ، وتماري بجمالها ، وتدل بجاذبيتها ، وتقود القلوب إليها حبّاً في فتنة الشباب ، ورغبة في غزلهم ، وإذالة وجداناتهم بعيدة عن الرذيلة ، متمسكة بمبادئ الحرائر .

فتتابع الإخوة الأربعة بما لديهم من استعداد طبعي ، وتكوين وجداني على هذه الوتيرة ، وكلما عصف الحب بأحدهم ، وأرداه لم يلبث الثاني أن يحذو حذوه ، ويترسم خطاه ، وكانت أمهم المحرورة الوالهة تستقبل مصائبهم الواحدة تلو الأخرى ، بعبرات حرى ، وقلب يتقطع حسرة وألماً .

وضنت برابعهم ، وبخلت به على الموت فأرادت أن تنأى به إلى

---

(٤٤) قال أبوعبدالرحمن : التحقيق العلمي يقول خلاف ما يقوله التَّعَمُّلُ الإنشائي .

بيئة أخرى ، ووسط لا توجد فيه هذه الظاهرة ، ففرت بـه إلـى حيث شـاءت ، وعهدت بـه إلى رجل في غنمه بعيداً عن هذه المؤثـرات .

وفـي يـوم مـن الأيـام جـاد الغيـث ربعهـم ، وانداحـت الغـدران والخبـاري حولهـم ، واندفعت المواشي بمـن معها مـن غـزلان البشـر والفـتـنـة التي كانت أم الغلام تحذرهـا ، فكانت النظرات وكان السـلام وكـان الكـلام ، وكـان الغـزل ، ثـم كـان الوجـد والهيـام ، فوقـع المحـذور ، وحلت الكارثـة ، فشفع حنينـه وأنينـه بهـذه الأبيـات وكـان اسمـه راشـداً :

يقـول راشـد مـن غرايـب لحونـي
مثـايـل قـلبـي عطاهـن لسانـي
أوجس بنونـي مثـل شـوك الفنـون
بيـن المرامـش جفـن نونـي كوانـي
يا طـي قـلبـي طـي بالـي الشنـون
بـال الشنـون اللـي طـواهـا طوانـي
ويا لـوع قـلبـي لـوع لـدن الغصـون
لا جـاه هيـف فـي ليـال الصخـان
ويـا حـن قـلبـي حـن خلـج بكـون
ويـا جـر قـلبـي جـر غـرب السـوانـي
علـى الـذي فـي حبهـم ولعونـي
أبـا السلامـة واللـه اللـي رمانـي (٤٥)

---

(٤٥) في روايـة ابن يوسـف : بلانـي .

تحيلـوا بـي بالهـوى وطرحــونـــي

منهــم حبيـب بالمـــودة لحانـــــي

لحانـي وارّث فـي ضميـري طعـون

مكًن صـوابي واللــه المستعـــــان

مـن مـــازح الخفـرات نجـل العيون

غـر الجبــــاه مفلجـات الثمانـي

ومـن لا يعنـــه ناقضـــات القـــرون

يبيـع روحـــه بالعنــــا والهـــوان

لامـت فـي راس الطويـــل ادفنونـي

حطـوا بـراس مصودعـــة لـي مكـان

متبيــــن لاهــل النضــا يذكروني

قـالــوا لقينـــا بالمرفـــع مبانـــي

لازم الــى جوكـم هلــي ينشـــدون

قولـوا حشـــا ما واجهـــه مودمـــاني

أخـــاف انــــا بنواحهـم يزعجـونـي

في راس ما بـاح الخفــا والبيـــان

يـا ابـن نقـــا لا تقبـل العـــذر دونـي

حيثـك صبـي وارم بـي مـن رمانـــي

بمصقــل حـــده يقـص المتـــون

شنـــع صوابـــه شـذرتـــه ما تـدانـي

ربعك هل العليا حماة الظعون

فوق النظا ومعالجات العنان

وابا احلف لك يوم قفت ظعوني

غير العنا من شوفهم ما وزاني » (٤٦)

قال أبوعبدالرحمن : لعل البيتين قبل الأخير صحيحان عن قصة واقعية تتعلق بأخذ الثأر ٠٠ وأما القصة فخرافة بيقين ٠

وهاهنا رواية أخرى ذات تفنن أوردها حميد فحيمان الرشيدي ، وموجزها أن لرجل ثلاثة أولاد هلكوا بسبب الغرام ، فرزق بمخلد الولد الرابع ، فحاول والده عزله بالبر عن مخالطة الناس خاصة النساء خوفاً عليه من الغرام ووصى عليه شخصاً اسمه أبوعلي ٠

وكان مخلد على مستوى من الجمال ، فنزل حولهم عرب وتسامع البنات بجماله وذهبن إلى محله ، فلم يجدن غير عمته لأنه كان مع الوصي عليه في الصيد ، فاتفقن معها على أن يرينه ، فاتفقت معه عمته سرّاً بعد عودته من المقناص بأن يستريح ليرى !٠

فتعلل عن الذهاب مع عمه للصيد لمرضه فتركه عمه ، فلما

---

(٤٦) هي بكراسات منديل الخطية ، وناولني إياها إبراهيم اليوسف بخطه ، ونشرت بكتاب من أحاديث السمر ص ١٦٠ - ١٦٢ ، ونشرت بجريدة الرياض في عدد ١٤٠٩/٤/١٢هـ ، وانظر من آدابنا الشعبية ١٦٥/٦-١٦٧ ، وأوردها في الدر الممتاز ٩٦/٤ - ٩٧ على أنها للوليعي ٠

رأى البنات مُرض ، وظل على هذه الحال حتى رحل العرب أهل البنات وهو يرقب رحيلهن من قنة الجبل فقال :

يقول مخلد وان بدا بالركون
مثايل مني عدلهن لساني (٤٧)
يا ضلع لا جنك جديد المزون
عسى عليك سنين عشر وثماني
يا ضلع وين مدعجات العيون
خضب الوسوط مردعات الوجان
يا لف قلبي من لفات لفوني
لفاف للارواح معهم لفاني
أونس بعيني مثل شوك الفنون
بين المرامش نون عيني كلاني
إن مت في راس الطويل ادفنوني
بملولح يا ناس سووا مكاني
أبيك الى جوكم هلي ينشدوني
قولوا غدا ما شافه المودماني
الا ليا عيوا هلي يقنعون
قولوا هفا ما بين جص وليان

---

(٤٧) في الأصل : بذايل .

ويــا بـو علــي لا تقبـل العذر دونـي
أنتـــه وصيـي واذبـــح اللــي رمانـــي [٤٨]

وتزيـد روايـة الرشيدي بأنـه ألقى بنفسـه من قمـة الجبـل فحـاول أبو علي أن يمسكه فلم يبق بيـده منه سوى جداليـه ، فلحـق أبـو علـي بالعرب الظاعنين وجدايـل مخلـد معلقـة علـى جملـه بغـزال الشـداد ، وكل بنت من البنات الأربع تسأل عن مصير صـاحب الجدائـل ، وكـل واحـدة تعلم أنـه مات فتموت هـي منـذ سماع الخبـر !! .

قال أبوعبدالرحمن : وسيأتي – إن شاء الله – نحو من ذلك فـي قصيدة الوليعي .

قال أبوعبدالرحمن : أبطال القصـة مجهولـون ، والقصـة نفسـها خرافية غير مشهورة لا تليق بواقع الجبلـة البشريـة ، والقصيـدة ذاتهـا مما ضرب تحت المقفزية ، وهي ركام من رصف القوافي والأسـلوب العصري والمفردة غير المفهومة مثـل :

اوجس بنونـي مثـــل شــوك الفنـــون
بيــن المرامـش جفـن نونـي كوانـي
علـى الـــذي فـي حبهـم ولعـونـــي
أبا السلامـة واللـــه اللـي رمانـــــي
لا مــت فـي راس الطويـل ادفنونـي
حطـوا بــراس مصودعـــة لـي مكـان

---

(٤٨) ديوان الرشيدي ص ١٥٩ – ١٦٠ .

وبعض الأشطر مستعارة من قصائد مشهورة .

وذكر الأستاذ إبراهيم اليوسف من قتلى الهوى عالياً من آل جلعود من عنزة ، وذكر قوله يخاطب أخاه عليا :

يا علي حط القبر بين البلادين
في شرقي البطحا جنوب عن القاع
ورز النصايب صوب مريوشة العين
هبايب الصلفات تقرع به اقراع
حط النصايب يا علي وقم باعين
بهن المهل يا خوك لو زدت بذراع
والى دفنتوني ورحتوا مقفين
ادعوا لي الغفران والناس هجاع

....

يا علي حطوا لي مع القبر مطلاع
وجدي عليها وجد ساني قليبين
متجرح من كثر حفره من القاع
جاه البرد تومي سوات المحاقين
خذ البرد بالزرع يومين ما ماع
ساقوا سوانيهم وراحوا مقفين
لا حوشوا مد ولا حوشوا صاع

أو وجـد راعي هجمـة وسرهـا زيـن
ترعـا طـرات القفـر يـاوي مربـاع
شافـه بوسـط القفـر قـوم منيخيـن
متغـترين عـن شبوحٍ وطـلاع
عـزل كميـن القـوم جوهـا مغيرين
ولحقـوا علـى صفر من النـزل فـزاع
علم رويعيهـا وصفـق بكفيـن
استلحقوهـا مـا بقي حاشـي ضـاع
ردوا عليـه وردّة القـوم شينيـن
تقـاطعـوه بكـل شلفـا ولمـاع

قال أبوعبدالرحمن : لا نعلم من هذه القصيدة غير التوجد ، ودعوى أنه على حافة القبر ، وهذا يأتي في شعر المتغزلين وإن لم يكونوا عشاقاً (٤٩) .

ومن قصص الموت المجاني قصة الوليعي سمعتها بصوت أبي محمد منديل الفهيد من برنامجه من البادية بشريط ناولني إياه الأستاذ محمد بن علي الشرهان ، ومنهم من خلط بينها وبين قصة الجلاعيد التي مرت .

---

(٤٩) وانظر أيضاً الدرالممتاز ٩٥/٤ ، ومن آدابنا الشعبية ١٦٤/٦ - ١٦٥ .

وموجز القصة أن الوليعي كان راعياً للإبل عند عرب من عنزة فعلق قلبه براعية معه .

وادعى مرة أن ثعباناً لسعه فصارت تقرأ عليه وتبكي ، فعلم من بكائها المتوجع أنها تحبه فعلق بها أكثر .

وبعد أن انتهت مدة عمله راعياً عاد إلى أهله ، ولكن الحب أدنفه وعجز الطب عن الاحتيال له ، وكان أخوه يبحث عن كل متطبب يلتمس شفاء أخيه ، فأشارت عليه امرأة بأن يأخذ أخاه إلى قمة جبل رضوى بينبع ليهب له الهواء ويخطر على لسانه ما في باله .

وأوصته بأن يصد عنه حتى لا يراه فيكتم ما بخاطره .

كما أوصته أيضاً أن لا يبعد عنه ليتداركه من إغماء يكون نتيجته السقوط من شاهق .

وعندما ذهب الأخ تعلل بأنه يبحث عن صيد مع أنه مزجر الكلب عنه .

ولما أحس الوليعي بأنه وحيد رفع عقيرته بهذه القصيدة :

يقول الوليعي والوليعي مسلّم

من دامت ايام الصبى له دام

لو ان عجات الصبي يجبرنه

كما يجبر الجابر كسير عظام

ليـــال الهوى مثـل الربيـع إلـى زهـا

وش حيلتي مــال الربيـــع مقــــــام (٥٠)

قـــار قـراني يــوم قرصـة بخنصـري

قـــار قـرانـــي مــا عليــه لثـــــام

قـــار قــراني ما قــــرا الدم كلــه

ليتـــه قـراني والعيـــون نيـــــام

رقـيـت في رضوى ورضـوى منيفـة

واخيّــل بعيـني فـي جنـوب وشــام

واخيــل بعينـــي طلحـــة ناعميـــة

ســلامُ يـا دار الحبيـــب ســــلام

أنا جيتكم من راس رضــوى عشيــة

كمــا شــن غـــرب بـــاد منـــه وذام

وأخـذتـه رعشة العشق وغيبوبتـه ، وتهيأ للسقوط من رأس قنة ، فبـادر أخـوه إلـى جـر عباءتــه ، فبقيت بيـده قبضتـه مـن العبــاءة ، وسقطت العباءة ومن فيها إلى السفح ، فكان في ذلك حتفه •

وتحركـت روح الشـر فـي نفس الأخ عندمـا هـم بعمـل سـبب يقـتـل قاتلـة أخيـه ، فقطع قرون أخيــه وكـانت طويلـة ، وعلقهـا علـى مطيتـه وذهب يسأل عن القوم الذين كان أخـوه عندهم راعياً ، ويتلمس

(٥٠) لأجل الوزن يشبعون عين الربيع ، فيلحقون بها يــاء •

أشباه الراعية بتفرُّسٍ ، وبعد تقلب في الأحياء انتهى إلى ضالته ، ووقف البعير عند الفتاة من الجهة التي علقت عليها القرون ٠

فقالت الفتاة – وقد ترجح لها أن قص القرون بهذا الشكل لا يكون عن حي – : أسألك بمذري نسمك ، ومثبت قدمك : لمن هذه القرون ؟ ! ٠

وكانت تعرفها !! ٠

فقال : هذه قرون أخ لي قتلته فتاة من جراء العشق المدنف ولم نرث عنه غير قرونه !! ٠

فكان أن شهقت وماتت !! ٠

فأصيب الأخ بكثرة الأفكار ما بين اعتبار بحال المولهين ، وما بين عذاب ضمير فقال :

والله فلا الوم الوليعي ولو طاح

من راس رضوى والعوض به عباته

مير اذهنوني عند هبات الارياح

لا اذب عمري ثم اسوي سواته

وروى لي رديني بن عبدالكريم القصة بأسلوب مقارب ، وذكر أن الوليعي شاعر ، ولم يحفظ له غير هذا البيت ٠

من قدم ما بالبيت مثل الحوية

ما غير اهرشهم تقل وصف جني

قال أبوعبدالرحمن : الوليعي غير معروف ، والقصة خيالية ،

والشعر من وضـع حكواتي نجدي ماهر ، واختار رضوى لأنـه يعلم أثـر المرتفعات في تحريك الهوى حسب معتقد الشعـراء ٠

قـال مشعـان الهتيمي :

مشعـان عـدى بالطويـــل المدملـــج
يلعـب بقـــاف مـا بـداه الهــــواوي

يلعـب بقـاف قـايـم ما تعـــــروج
وكـل علـى قـول الهتيمي شفـاوي

لـولاي فـي زيـــن اللحون اتهـرج
لا اقنـب كمـا ذيـب مجيـع خـلاوي

وقـال جـري الجنوبـي :

لا تشرف المرقاب يلعـب بـك الهوى
ويذكـرك المرقـاب كـل خليــــل

يذكـرك خـل حـــال بانـــات دونـــه
بـــوادي الرشــــا يا مرتجيـه هبيـل

وقـال أيضـــاً :

لا تشـرف المرقاب يلعب بـك الهوى
يذكـــرك خــــلان لكـم وخــــــدون

وقبلـه قـال مجنـون بني عامـر :

وما أشــــرف الأيفـــاع إلا صبابـة
ولا أنشــــد الأشعـــار إلا تـداويـــا

ومنهم فهيد بن شعلان من الرولة ‥ قال فيه ابن غازي كما أملى علي الشيخ منديل :

قبلي فهيد من هوى قوت قد ماتِ

مودع على خيل المعادي معاصير

قال أبوعبدالرحمن : قصته عند أهل نجد ذكرها الشيخ منديل بقوله : « هذه قصة على الشيخ فهيد بن شعلان من شيوخ الرولة ، وهي قصة عشق تبين لنا نقاء العرب وحرصهم على العفة والسمعة الحسنة ٠

المذكور له معشوقة اسمها قوت من الكواكبة الرولة ، وكان لها بني عم أقرب منه (ومن العادة عند العموم يمنعونها بالقوة عن غيرهم إلا برضاهم ، ولكنهم خافوا منه ، لأنه شيخ أن يأخذها منهم بالقوة ، ونزحوا إلى شمر) ٠

ومن ضمن ما مر عليه أنه غنم وظفر في غزوة وهو لوحده ، فردهم بالمنع على أرقابهم وله ما معهم من جيش وسلاح ، وهي العادة يشترط بعضهم كالمعروف ٠

وكانوا عند الشيخ في بيته ، وفيهم واحد عنده خبر عن عشقه لقوت ، فقال للشيخ : أريد أن أذهب لقوت أطلبها الجاه لرد ذلولي ٠

فقال له الشيخ : رح وقل لها تحطب من جهة بيتنا ، فلك ذلولك (وهي ليس لها عادة أن تحطب أو تخرج من بيت أهلها) ٠

وعندما أخبرها الرجل قالت : كان قدري عنده ذلول واحدة فقد خاب ظني فيه ‥ ارجع وقل له يعطيكم كل ما عنده لكم ، وأنا

من أجلكم آتي وأحطب من أمام بيته ٠

وقبل قولها من أجل محبتها علماً بأنه غني ، وليس بحاجة لما لهم عنده ، فرده لهم ٠

وكان بينه وبينها رمز قبل أن ينزح أهلها إذا أتاك المسلم يسلم ورد السلام عليك مرة ثانية فهذا منّي-، وقولي : يا هلا يا فهيد تتفعني لو أنا بعيد ٠

وفي يوم أتاهم طرقي من عرب فهيد إلى شمر كان في مجلس أهلها رجال ، ومن العادة أن الطرقي يسلم على أهل البيت من بعد ، فقالت : يا هلا ٠

ثم قال لها : سلام ياقوت (مرة ثانية) فقالتِ : هلا يا فهيد ٠

فهذا دليل على محبتها له ولزمتها على ما أوصاها ٠٠ فسمعها أهلها وغضبوا عليها ، ونهروا الضيف ، وأوشكوا على ضربه ، فعندما رجع أخبر فهيد بهذه الأبيات :

يا فهيد زعلوا شمّرهم وابوها
يا فهيد يوم اثني سلامك على قوت
يا حيف عن ذيب السرايا نحوها
اللي لا جا الخيل يكثر بها الفوت
ريميّة عن مرتعه ذيروها
فوق اشقح تقادى هوت ورا هوت (٥١)

---

(٥١) من آدابنا الشعبية ٢٣٨/٧ - ٢٣٩ ٠

وكان فهيد يتمنى أن يمرعلى أهلهـا فـي غزو أو غيره حتى يراها ، وقد قال أبياتاً منها :

يا فاطري باغ عليك ازعج الصوت

ابا انتحر يم دار المعادي

يصير منكافي على بيت أهل قوت

كود اني اجعف عند اهلها شدادي

يا قوت قوت القوت لاكمّل القوت

يا ريف قلبي مضنة فؤادي

ورد عليه ابن عمها بعد ما سمعها قائلاً :

يا فهيد قوت القوت ما به تباديد

ما حاصل كود التّعب والتمنّي

حرّم عليك مهارجة ليلة العيد

ورماح اهلها دونها عرضنَي

الاّ تجيب الهضب بالكف مع فيد

هذاك تعرس والجهازات منّي » (٥٢)

قال أبوعبدالرحمن : هذه أخبار صحيحة معقولة ، ورواية موثقة ، ولكن دخل الموضوع أساطير داخل نجد وخارجها ٠

ومما ورد خارج نجد هذه القصة عند عرب سيناء ذكرها نعوم

---

(٥٢) من آدابنا الشعبية ٧/٢٣٨ – ٢٣٩ ٠

شقير فقال : « وعند نزولنا في عرب أولاد سعيد سنة ١٩٠٥م طلبت من أحدهم أن يقص علينا حكاية من حكاياتهم فقص علينا رواية قوت وفهيد ‥ قال : كان في إحدى قبائل نجد فارس مشهور بالشهامة والإقدام يدعى فهيداً ، وكان في قبيلة أخرى تجاورها غادة مشهورة بالفصاحة والجمال تدعى قوتاً ، فكان كلما التقى فهيد برجل وجرى ذكر النساء يقول له : لا يصلح لك زوجة غير قوت .

وكذلك كلما التقت قوت بامرأة وجرى ذكر الرجال تقول لها لا يصلح لك زوج غير فهيد ، ولم تكن قوت تعرف فهيداً ولا فهيد يعرفها .

فتولد في قلب كل منهما حب للآخر وشوق لرؤيته :

والأذن تعشق قبل العين أحيانا

وكان لقوت جارية تعرف مورد فهيد فأخذت جاريتها وأتت بها إليه ، فاتفق أن فهيدا لم يرد الماء في ذلك اليوم ولكن وردها أخوه وهو فتى صغير فتقدمت إليه قوت وقالت له : أأنت شقيق فهيد الفارس المشهور ؟ .

قال : نعم ‥ فدنت منه وقبلته قبلة وقالت هذه لك ، ثم قبلته قبلة ثانية وقالت : هذه لأخيك فهيد .

وعادت إلى قبيلتها ، فذهب الولد وأخبر أخاه بما كان ، فاشتعل إذ ذاك فهيد حبّاً وأخذ يسعى إلى رؤية قوت والاجتماع بها ، فلبس لبس راع ، ودخل قبيلة قوت ، وقال : فقدت ناقة لي وجئت أفتش عليها بين نياقكم .

فقالوا : هذه إبلنا ففتش على ناقتك بينها ، فدخل فهيد بين الإبل وكانت قوت هناك ، فلما رآها لم يشك أنها هي لفرط جمالها ورشاقة قدها ، فتقدم إليها وحياها بأبيات جميلة فعرفت أنه فهيد فردت عليه التحية شعراً أحسن رد .

وخاف فهيد إذا أطال المكث أن ينكشف سره ، فودعها مرغماً وبعث يخطبها من أبيها بأي مهر شاء .

وكان لقوت ابن عم لها يريد الاقتران بها ، وكان أبوها راضياً به ، فرفض طلب فهيد ، ولكنه خاف بطشه ، فنقض خيامه وسار راحلاً إلى أرض بعيدة ، فركب فهيد فرسه ولحق بالقوم وأخذ منهم قوت عنوة وهي في هودج على جملها ، وسار بها قاصداً قومه .

وفي الطريق قالت قوت : أخاف يا فهيد إذا تزوجتني على الرغم من أهلي أن يعير العرب أولادنا بأنهم أولاد قلاعة ، فالرأي أن تردني إلى أهلي وتسوق الجاهة إلى أبي فيزوجك برضاه ، وأنا أعدك وعد حب صادق أني لن أرضى بأحد غيرك قريناً لي .

فاقتنع بوجاهة رأيها وردها إلى أهلها ، فلما دخل الظعن رماه عمها وطبان برمحه غدراً فقتله ، فحزنت عليه قوت حزناً شديداً ، ثم أخذت تندبه وترثيه بالأشعار ، وقد انقطعت عن الطعام والشراب إلى أن ماتت .. ومن قولها :

يا طيور حومة يا طوال الصناقير

اوصيكم عن فهيد لاتنقدنه [٥٣]

كم عودة طوح لها الرمح تطويح

واعطى اللحم لعشوشكم تنقلنه [٥٤]

ومنه :

يا عمي يا وطبان ما بي خلاف

وابكي صبي تدفق السمن يمناه [٥٥]

يا عمي يا وطبان ما بي خلاف

وابكي صبي يذعر الخيل طرياه

يا ونتي ونة ثلاث الهرافي

اللي جلود صغارهنه مبواة [٥٦]

يا ونتي ونة عجوز كبيرة

شافت ولدها سبق الخيل تتحاه [٥٧]

---

(٥٣) تنقدنه : تأكلنه بالمناقير ٠

(٥٤) في الأصل : ياكم ، فعدلته لأجل الوزن ٠

(٥٥) في الأصل : وطفان في كل المواضع التي يرد فيها ٠

(٥٦) مبواة : عمل من كل واحد بو ٠

وفي الأصل : جلود جيرانهم ٠٠ وعدلت لأجل الوزن ٠

(٥٧) من هاهنا تغير الالتزام بالقافية الأولى ، ويظهر أن الرواية غير محققة ٠

يا ونتي ونين شايب على الدار

والبدو شايل عنه وخلاه (٥٨)

يا ونتي ون طير الخلا لو انطاح

والدم من كل الاجوال يبراه (٥٩)

يا ونتي ون الظمايا على البير

وحيضان يبس وصفيهن تلاظاه (٦٠)

بالله تجيبوا مفرشي واللحاف

وهاتوا هويه الزمل مشيه مداناه » (٦١)

وعن إبراهيم اليوسف : عن مزيد السريحي : أن أبا فهاد توفيت زوجته فتزوج فتاة صغيرة السن وكان بينهما حب متبادل ، وكان يشد وينزل تبعاً لإبله الكثيرة ، فكان إذا نزل بنى لها بيتاً مقابلاً لبيت ابنيه وزوجتيهما ٠

---

(٥٨) في الأصل : ونة فعدلته لأجل الوزن ، والشطر الثاني منكسر ٠

(٥٩) الشطر الأول منكسر وغير مفهوم المعنى ٠٠ ويستقيم هكذا : ياونتي وان كان طير الخلا طاح ٠

(٦٠) الشطر الأخير منكسر ويستقيم هكذا :

حوضه يبس وصفي حوضه تلاظاه ٠

(٦١) تاريخ سيناء والعرب ٣٩١/٢ - ٣٩٢ ٠

والشطر الثاني مكسوروغير مفهوم ٠

وذات مرة نزلوا في فيضة بها عشب كثير وبطرفها قبر ٠
وكانت زوجته تخاف القبر وتجتنبه إذا ذهبت تجلب حطباً أو مـاء ٠

وبعد نفاد الماء نزلوا على عد مندفن وقع فيه الدبى فغير رائحته ، فأراد أبو فهاد أن ينفرد بالنزول في العد وحفره لاستخراج الماء ، فأخرجوه من العد وهو في غيبوبة بسبب الرائحة الكريهة ، فلما رأت المرأة التجمع حوله ورقبته متدلية ظنت أنه ميت ، فخرت مغشياً عليها ثم وجدت ميتة ٠

وأفاق أبو فهاد من غد ، وقد دفنت زوجته بجال ضلع قريب منهم ، وأخفوا الخبر عنه لمدة يومين ، وقالوا : جاء والدها فذهبت معه ٠

فلما سرح أولاده بالإبل أسرج فرسه وذهب إلى أهلها ، فنال التكريم والترحيب هناك ، ولم يجد زوجته ، وعاد إلى أولاده وحقق الخبر منهم ، فصار دأبه في يومه التردد بين القبر وذروة الضلع ، وابنه فهاد يعذله تارة ويسليه تارة ، وآخرمرة ترنم بهذه الأبيات :

فهاد انا ونيت في ذا الطويلة
وعزي لمن مثلي شكا حر غاليه
إن مت يا فهاد لو عقب طيلة
وداعتك خلوه بأرض دفن فيه

وانــك تسمــوى بالجنـــازة تشيلـــه
تقـــول وصـــانـــي ولانـــي مخليـــه (٦٢)
هدوا عليـــه القبـــر واعـزتي لـه
عـز اللــه انـي خابـــره ما يدانيـه
حطـوا عليـــه مـن الرواسـي ثقيلـة
هدوا تـراب القبـر من فـوق غاليـه

وشهق بعدها ومات وحفر لـه بجوار قبرهـا(٦٣) .

قال أبوعبدالرحمن : قد يقبل موتها صدمـة للمنظر المفاجئ ، ولمكانـة زوجها في نفسها ، وقد يموت الزوج من الصدمـة إذا فوجئ بالخبـر ، ولكنـه أخبر بالتدريج ونظم شعراً .

أفيمـوت بعـد ذلـك بشهقـه ؟ ! .

والأبيـات من الشعر الضعيف الـذي يسهل علـى كـل حكواتي .

ومن قتلى الهوى كما يزعمون عواد خطيب وضحا ، فقد وردت بغنمها على الماء فأغضب ذلك أخاها لأن له غنما يريد أن ترد فقال : إنما فعلت ذلك من أجل عواد ، وستلحقينه - إن شاء الله - لأنه مات .

وهو لم يمت وإنما أراد إزعاجها فصدمها الخبر وسقطت ميتة ، وصادف أن عواداً كان فـي خيبر فـي رأس نخلـة يجنـي مـن بلحهـا ،

---

(٦٢) تسموى : توصـف بأنـك حامـل الجنازة وصفاً يغلب غلبـة الاسـم .
(٦٣) ناولنيها مكتوبة الأخ إبراهيم اليوسف بخط يده ، ونشرت بجريدة الرياض عنـه عدد ٧٥٦٧ في ١٤٠٩/٨/٥هـ ص ٢٠ .

وأبناء أخيه يقولون : عطني يا عمي بلح ٠

وكان اثنان تحت النخلة يتحدثان عن وفاة وضحا ، فسمع الخبر فتسمر ، ثم سقط وهو يقول للغلمان : جاك عمك والبلح ، فصار ذلك مثلاً ٠

وبعد شهر مات وقال خلال ذلك :

واعيني اللي ساهرة عن منامه
ما ادري علامه تالي الليل عيني
واصاحبي حطوا عليه الردامه
للحشر ما ظني حبيبي يجيني
من عرفتي له ما كشف لي لثامه
مع الحلا والزين عقله رزين
واصاحبي ما هو غثيث كلامه
نقد الذهب هرجه عشيري بلين
جعل العوض حمرا طويل سنامه ـ
فج العضود ونسع الجلمدين
يجفل اليا شافت ظلال العدامه
لولا الرسن ترميك عرض البطين
لا روحت تشدي رفيف الحمامه
لا صفَّت الجنحان عقبه تبين (٦٤)

---

(٦٤) جريدة الجزيرة عدد ٧٦١٠ في ١٤٠٩/٩/١٨هـ ص ٢٠ ٠

قال أبوعبدالرحمن : القصة خرافة ، والشعر منتحل أو ملفق ، والمثل مشهور •

والمثل قد يتولد من حقيقة فيركب عليه أسطورة ، وقد يتولد من أسطورة فيكون اشتهاره مسوغاً للتصديق بالأسطورة •

ومثل ذلك مثال « زايرخواله » يضرب مثلاً لمن أنهكه الجماع لشبق عرسه ، ففر عنها •

فهذا مثل متولد من أسطورة ولكنه اشتهر إطلاقه •

وممن اشتهر أنه من قتالى الغرام مطوع أشيقر ، وفيه خلاف في اسمه ، وخلاف في سرد قصته •

قال أبوعبدالرحمن : فكل ذلك أحققه – إن شاء الله – هاهنا ، وأضيف إلىذلك نشرخمس قصائد له ، ولاأعلم أنه روي له غيرهن •

فأما اسمه فورد أنه محمد بن عبدالرحيم التميمي (٦٥) في صور قصائده الخطية التي ناولني إياها الأستاذ عبدالرحمن المانع ، وذكر أنه ابن مسند ، وفي نسخة : أبو مسند •

وآل مسند أهل أشيقر من آل محمد من الوهبة ، ومنهم أناس في أثيثية والمجمعة وعنيزة •

---

(٦٥) لم يذكرابن سيحان اسمه وإنما قال : المطوع راعي وشيقر ، وسماه الضويحي : عبدالرحمن التميمي المطوع •

وفي مفكرة شخصية لابن بسام ذكر أن اسمه عبدالرحيم ، ومثله الهطلاني في ديوان الدر الممتاز ، ومنديل في كتابه •

قال أبوعبدالرحمن : وعلى هذا يكون المطوع لقباً له مباشــراً ، وكنت قبل ذلك أظنه من أسرة المطاوعة من آل إسماعيل بن عقيل من بني ثور من الرباب ، وهم في سبيع بالحلف ٠

وقال الأستاذ سعود بن عبدالرحمن بن يوسف - كما نقلته عن مسوّدة كتابه عن أشيقر - : رغم شهرةَ هذا الشاعر سواء من ناحية قوة شعره ، أو من خلال قصة زواجه التي كانت ثورة على تقاليد المجتمع آنذاك ٠٠ إلا أن تاريخ حياته ووفاته وأسرته التي ينتسب إليها ما يزال سراً مجهولاً ، ولم يكن له حظ في التدوين الصحيح كما كان لشعره ٠

مع ذلك ؛ فإن هناك قرائن استطعت باستخلاصها من شعره وبعض أحداث حياته أن أكتب له تاريخاً تقريبيّاً ٠

عاش شاعرنا في بداية القرن العاشر بدليل أن أشعاره كانت تقريباً من اللون الهلالي ، ولم يحد عن ذلك إلا نادراً ، وعرف عند عامة الناس باسم ابن عبدالرحيم التميمي - وإن كان هناك من يسميه عبدالرحيم - ولكن ظل اسم والده مجهولاً وإن ذهب كثير من العامة إلى تسميته محمد بن عبدالرحمن ٠

ونسبه آخرون إلى بعض الأسر المشهورة في بلدة أشيقر ٠

لقّبه الناس باسم المطوع واشتهر بذلك ، وقد يكون ذلك بسبب معرفته للقراءة والكتابة في عهد كان الجهل سمته الغالبة ٠٠ بدليل أنه قام بكتابة قصيدته الهائية المشهورة التي مطلعها :

قال التميمي والذي عاش مترف

مدى العمر ماشا في زمانه جاه

على عباءته بدم الظبي الذي ذبحه إخوته أمام عينيه في نفود الدهناء (٦٦) قرب بلدة الأرطاوية حالياً ، وهو ما يعرف الآن بنقا المطوّع ٠

إلا أنني أرفض أن يكون لقب المطوع غلب عليه لأنه كان رجلاً متديناً وإماماً لأحد المساجد ، وذلك لأن سيرته من خلال أشعاره تخرجه عن هذا النطاق ، وتبقيه رجلاً عادياً كان للعشق في حياته دور كبير ٠

والأغلب - والله أعلم - أنه لم يعمر طويلاً ، وربما يكون قد ناهز أربعين عاماً عند وفاته بدليل أنه لم يفصل بين زواجه الثاني ووفاته إلا زمن قليل على أساس أنه لو لم يكن يحتفظ بشيئ من قوة الجسم لما أقدم على هذا الزواج الثاني ٠

كما أنه مما يساعدنا على تحديد هذا العمر الافتراضي الذي عاشه هو قوله على لسان إحدى النساء :

سلامي على المردان وأهل اللحى

ومن لاح شيبه ما عليه سلام (٦٧)

---

(٦٦) **قال أبوعبدالرحمن :** هذه أسطورة يأتي تزييفها ٠

(٦٧) **قال أبوعبدالرحمن :** هذا البيت لشايع الأمسح ٠

وهو المقصود في الشطر الثاني مما يدل على أنه قد وخطه الشيب وإن لم يكن قد غلب عليه ٠

ومما يؤكد أنه عاش في بداية القرن العاشر أن الشاعر الشهير بركات الشريف قد قال بيتاً من الشعر استأنس فيه بإحدى الأبيات التي قالها ٠٠ وبيت الشريف هو :

وقلته على بيت قديمٍ سمعتــــه

وهو مثل ما قال التميمي لصاحبه

أما بيت ابن عبدالرحيم فهو :

من باعنا بالهجر بعناه بالنيـــا

ومن جذّ حبلي ما وصلت رشـاه

والغالب أن بركات الشريف قد توفي سنة ١٠١٩هـ أو ١٠٢٤هـ ٠

والمعروف أن الشعر كان بحاجة إلى مدة زمنية طويلة نسبيّاً انطلاقاً من ظروف ذلك الزمان ليصل إلى من تأثر به ، وعموماً فإن كلمة (قديم) في بيت بركات تؤكد وجود مسافة زمنية طويلة نسبيّاً بين الشاعرين ٠

وقال الأستاذ سعود في تحشيته : « يذهب أناس إلى أنه من أسرة آل أبا حسين ، وليس ذلك صحيحاً لأن لقب أبا حسين لم تشتهر به تلك الأسرة إلا مع نهاية القرن العاشر أو بداية الحادي عشر ٠

كما أننا لو ذهبنا إلى الأخذ برأي من يقول : إن اسمه محمد ابن عبدالرحمن ، أو أن اسمه عبدالرحمن : لما وجدنا ذلك الاسم في

سلم نسب تلك الأسرة في ذلك الوقت ٠

كما أن هناك من يلقبه أبا مسند نسبة إلى أسرة آل مسند ، ولا يوجد أساس من ذلك ، وكان أقدم شخص عثرنا على اسمه وهو يحمل في اسمه لقب أبا مسند أحمد بن محمد بن أبي مسند ، وقد عاش في سنة (١٠١٨هـ) تقريباً ، وهو تاريخ متأخر كثيراً عن عصر هذا الشاعر مما يؤكد عدم انتسابه لهذه الأسرة ؛ انظر في ذلك مسودة أوقاف الصوام ص ١٥٧ ٠

وعلى هذا يكون مسند وهو أخ لمحمد والد أحمد الذي ورد في الوثيقة قد عاش في ٩٨٨هـ اعتماداً على نظرية ابن خلدون بخصوص الأجيال حيث يعطى كل جيل مدة زمنية مقدارها ٣٠ عاماً٠

وعلى هذا نرى أن هناك فاصلاً زمنيّاً كبيراً بين وفاة ابن عبدالرحيم واسم مسند ٠

ومما ينفي كون اسمه محمد قوله في إحدى قصائده :

ألا واسفا بالجادل أم محمد

فارقتها واثر الفراق يروع

فلو كان اسمه محمداً لما كنىّ زوجته بأم محمد سواءً كانت الأولى أم الثانية اللهم إلا إذا كانت متزوجة من شخصٍ قبله ، وكان لها من الزواج الأول ولد يحمل هذا الاسم وهو مالم يثبت ٠

ومما يؤكد أن الأخبار التي يتناقلها الناس عن اسمه ونسبه

وعصره كانت ظنية وغير معتمدة في تحديدها الافتراضي على أسس تدور في إطار التقريب النسبي المستدل ببعض البراهين هو أن المؤرخين الذين أرّخوا لبلدة أشيقر أمثال ابن يوسف وابن عيسى وابن بشر وابن غنام (وهم من سجّلوا تاريخ البلدة الذي عاصروه أو سبقهم) لم يتطرقوا إليه في شيئ رغم أن قصة زواجه الثاني كانت تاريخياً أهم من معركة يسقط فيها مئة قتيل على الأقل .. خاصة إذا علمنا أن هؤلاء المؤرخين قد سجّلوا أحداثاً تبدو أقل شأناً من أحداث حياة ذلك الشاعر .

وهذا يدل على أن هناك إخفاء متعمَّداً لتاريخ وحياة ذلك الشاعر ممن عاصروه ونقلوا أخبار ذلك العصر للأجيال التي جاءت بعدهم قبل أن يدونها هؤلاء المؤرخون » ا هـ .

قال أبوعبدالرحمن : ودعوى أنه من قتالى الغرام تستند إلى قصيدته الهائية ، وليس في القصيدة دلالة على ذلك .

بدأ المطوع قصيدته بذكر أيام شبابه المترفة التي ربطها بطلبه لركب بني عقيل .

والمطوع ذكر أنه توفي سنة ١٠١٠هـ (٦٨) فهو معاصر لبني عقيل حكام الأحساء ونجد الذين انتهى ملكهم في تمام سنة ١٠٠٠ من الهجرة ، حيث رحل آخر زعمائهم منيع إلى العراق ، وذكر الخلاوي رحلته النهائية بقوله :

---

(٦٨) مفكرة ابن بسام ورقة ٧/أ .

تطـاوحنـــه الايـــام ليـــن اودعنــــه

يشـد علـى ثلـــب قصيـف البـدايـد

قـال أبوعبدالرحمن : وقـد حققـت نهايتــه فـي كتـابي « أنســاب الأسر الحاكمة في الأحساء » ، و« مسائل من تاريخ الجزيرة » ٠

وفـي قصيدة المطـوع ذكرمروربنـي عقيـل بأشيقـرمتجهين إلـى المنطقة الشرقية مرابع بني عقيـل ومقـرملكهم ، وفـي طريقهم مـروا بالدهنـاء ٠٠ قـال :

اطلبــت ركــب من عقيـل تقللــوا

مـن نجـد الى السيـف المريف مـــداه

شـدوا بنـــا مـن جـو عكل وقوضـوا

على كـــل هبـاع يمـــد خطـــــاه

فعكل هـو أشيقـر، لأن سكانـه قديمـاً من بني عكل من الرباب ٠

والرواة العوام لمـا كانوا يجهلون تاريخ بني عقيـل تـرددوا فـي الرواية فمنهم مـن قال : من ضحى تقللوا !! ٠

ومنهم من قال : من عصير تقللوا ٠

ومـا ورد فـي الأبيـات مـن ذكـرالسيف ، وأنهــم حـدروا ، وأن الركب من عقيل كل هـذا دالٍ على أنهم في طريقهم إلى الشرقية ٠

وذكر المطوع قصة للعقيليين في الدهناء ، وهي أنهم صادوا ظبياً فشفع فيه ، وهذا نص القصة :

لقوا شادن في زربها مستكنة

حماها عن اوهاج السموم ذراه

وبعض الرواة الذين لم يتبصروا في السياق ظنوا أن المراد ظبية بشرية فقال في روايته : لقوا جادل ٠

والشعر المطبوع قديماً ينقصه التحقيق الذي يفيد قارئه من ناحية الرسم الصحيح ، والضبط الضروري ، والتحشية بترجيح رواية على رواية ، أو تصحيح رواية ، أو إصلاح رواية صحيحة النقل ، أو مجرد الإشارة إلى خلل فيها ٠

والتحشية أيضاً بما ينبغي أن يراعى من ناحية ترتيب سياق الأبيات ، حيث يرد معظم القصائد مختل السياق ٠

ولهذا أرى أن إعادة نشر الشعر القديم محققاً مطلب ضروري في ذاته إلى جانب نشر ما لم ينشر بعد ٠

ولن نحقق الإفادة من الشعر العامي في دراساتنا التاريخية والبيئية واللغوية والأدبية إلا بتحقيق نصوصه أولاً وتفسيرها ٠

قال أبوعبدالرحمن : المراد في شعر المطوع غزال حقيقة ..
ثم قال عن أخذهم لها وهي نائمة بدون رمي أو حبالة :

خذوها بلا رمح ولا بالعصي
ولا حط لها حبل الشرك تاطاه
غشاها لذيذ النوم والنوم قد غشا
من القوم حذر وابتلاه عداه
فقلت لا خواني ومثلي ومثلهم
يشكي الى من الزمان وطاه
دعوها سبيل كود من ذي فعاله
يجزى على فعله يشوف مناه
بغيت بفكتها وعيوا عليها
وأشكل بقلبي من عناه بلاه (٦٩)

ثم انتقل المطوع إلى محبوبته فقال :
يا شمل يا ما مونة الهجن هوذلي
الى دار من صعب لي لقاه

فقد تذكر محبوبته من خلال الغزال ، ولعله تذكرها من خلال

---

(٦٩) مثل هذا الشعر في أوائل عصور العامية ينطق بتفاصح لأجل الوزن فيضمون هاء عناه ويشبعونها واواً .. وهكذا تاء بغيت .

تشابه أوصافهما كما في شعر المجنون وغيره ·

قال البقاعي: «وقال السراج: أخبرنا الحسن بن علي بن محمد : أخبرنا أبو بكرعمربن محمد بن العباس بن حيويه الخزاز: أنبأنا محمد بن خلف : أخبرني أبوبكرالعامري : عن عبدالله بن أبي كريم : عن أبي عمرو الشيباني : عن أبي بكر الوالبي قال : ذكروا أن المجنون مر برجلين قد صادا عنزا من الظباء فقمطاها ، فلما نظر إليها دمعت عيناه ، وقال : يا هذان خلياها ، فأبيا عليه ، فقال : لكما مكانها شاة من غنمي ·

فقبلا ذلك منه ، ودفعاها إليه فأطلقها ودفع إليهما الشاة وأنشأ يقول :

شريت بكبش شبه ليلى ولو أبوا
لأعطيت مالي من طريف وتالد
فيا بايعي شبهاً لليلى قتلتما
وجنبتما ما ناله كل عابد
فلو كنتما حُرَّين ما بعتما فتى
شبيهاً بليلى بيعة المتزايد
وأعتقتماها رغبة في ثوابها
ولم ترغبا في ناقص غير زايد

وبه إلى ابن خلف : أخبرني عبدالله بن محمد الطالقاني : أخبرني السري بن يحيى الأزدي : عن أبيه : عن المفضل بن

الحسن المخزومي قال: دخل كثير عزة على عبدالملك بن مروان ، فجعل ينشده شعره في عزة وعيناه تذرفان بالدمع ، فقال له عبدالملك: قاتلك الله يا كثير هل رأيت أحداً أعشق منك ؟ ! •

قال : نعم يا أميرالمؤمنين : خرجت مرة أسير في البادية على بعير لي يُوضِع ، فبينما أنا أسيرإذ رفع لي شخص فأممته ، فإذا رجل قد نصب شركاً للظباء وقعد بعيداً منه •

فسلمت عليه فرد السلام ، فقلت له : ما أجلسك هاهنا ؟ •

قال : نصبت شركاً للظباء فأنا أرصده •

فقلت : إن أقمت لديك فاصطدت أتطعمني ؟ •

قال : إيه والله •

وفي رواية : إيها إذن ونعمة عين •

قال : فنزلت فعقلت ناقتي وجلست أحدثه فإذا أحسن خلق الله حديثاً وأرقه وأغزله •

قال فما لبثنا أن وقعت ظبية في الشرك ، فوثب ووثبت معه ، فخلصها من الحبال ، ثم نظر في وجهها ، ثم أطلقها وأنشأ يقول :

أيا شبه ليلى لن تراعى فإنني
لك اليوم من بين الوحوش صديق
و يا شبه ليلى لن تزالي بروضة
عليك سحاب دايم وبروق

فما أنا إذا شبهتها ثم لم تؤب
سليماً عليها في الحياة شفيق
فقم فقد أطلقت عنك بحبها
فأنت لليلى ما حييت طليق

ثم أصلح شركه وعدنا إلى موضعنا ، فقلت : والله لا أبرح حتى أعرف أمر هذا الرجل .

فأقمنا في يومنا فلم يقع شيئ ، فلما أمسينا قام إلى غار قريب من الموضع الذي كنا فيه ، وقمت معه فبتنا به ، فلما أصبحنا غدا فنصب شركه فلم يلبث أن وقعت ظبية شبيهة بأختها بالأمس ، فوثب إليها ووثبت معه ، فاستخرجها من الشرك ، فنظر في وجهها مليّاً ثم أطلقها فمرت ، وأنشأ يقول :

اذهبي في كلاءة الرحمن
أنت مني في ذمة وأمان
ترهبيني والجيد منك لليلى
والحشا والبغام والعينان
لا تخافي بأن تهاجي لسوء
ما تغنى الحمام في الأغصان

ثم عدنا إلى موضعنا فلم يقع يومنا ذلك شيئ ، فلما كان المساء صرنا إلى الغار ، فبتنا فيه ، فلما أصبحنا عدل إلى شركه وغدوت معه ، فنصبه وقعدنا نتحدث .

وقد شغلني يا أمير المؤمنين حسن حديثه عما أنا فيه من الجوع فبينا نتحدث إذ وقعت في الشرك ظبية فوثب إليها ووثبت معه فاستخرجها من الشرك ثم نظر في وجهها وأراد أن يطلقها ، فقبضت على يده ، وقلت : ماذا تريد أن تعمل ؟ .. أقمت لديك ثلاثاً كلما اصطدت شيئاً أطلقته ! .

قال : فنظر في وجهي وعيناه تذرفان ، وأنشأ يقول :

أتلحي محبّاً هائم القلب أن رأى

شبيهاً لمن يهواه في الحبل موثقا

فلما دنا منه تذكر شجوه

وذكره من قد نأى فتشوقا

قال أبو بكر : وبيت آخر ذهب عني .

فرحمته والله يا أمير المؤمنين ، فبكيت لبكائه ، ونسبته فإذا هو قيس بن معاذ المجنون ، فذلك والله أعشق مني يا أمير المؤمنين .

وذكره الحافظ مغلطاي من عند النوقاني (٧٠) ، وقال في المرة الثالثة : إنه خلى عن الظبية وجعل يقول :

تذكرني ليلى من الوحش ظبية

لها مقلتاها والقلادة والحشا

---

(٧٠) هو القاضي أبو عمر محمد بن أحمد بن محمد بن سلمان النوقاني نسبة إلى نوقان بسجستان .
نقل ابن قيم الجوزية في روضة المحبين ص ١٤٣ - ١٤٤ عن كتاب محنة الظراف للنوقاني .

فيهمل دمع العين مني صبابة

ستبكي عليك العين بالدمع ما جرى

فقلت أشكو إليك الجوع منذ ثلاث كلما أخذت صيداً خليته ، فنظر في وجهي ملياً ثم قال :

أتلحي محبّاً هائم القلب أن رأى

شبيهاً لمن يهواه في الحبل موثقا

فهيج منه حائل دون ذبحه

فأطلقه حفظاً لليلى وأعتقا

فانصرفت عنه وأنا أقول : ما رأيت كاليوم !! .

وفي رواية : فوالله العظيم إنا لفي ذلك إذ أقبل راكب .

قال كثير : فقال صاحبي : اللهم إني أسألك خير ما عنده فجاء حتى وقف فقال : تعز يا فلان .

قال : عمن ؟ .

قال : عن ليلى .

فقام إلى بعيره وقمت معه ، فأقبلنا إلى الحي ، فقال : أرشدني إلى قبرها .

فأشار إليه ، فإذا قبر حديث عهد بطين ، فأكب عليه يقبله ويلتزمه ويستنشق ترابه وهو يقول :

أيا قبر ليلى لو شهدناك أعولت

عليك نساء من فصيح ومن عجم

ويا قبـر ليـلـى أكرمــنّ محلهــا

تكن لـك ما عشنا بهـا عندنــا نعـم

ويـا قبـر ليلى إن في الصدر غصـة

مكـان الشجا سدت مع الريق بالنسم

ثـم شهق فمات فدفنتـه أنـا والراكب ، وأنشـأت أقـول :

سأبكيكما ما عشت حيَـاً فـإن أمـت

فإنـي قــد لاقيـــت مـا تجـــدان

قـال مغلطاي : انتهى ٠٠ ثم قـال : هذا الرجـل ليس المجنـون إجماعاً والله أعلـم ٠٠ انتهى كـلام مغلطـاي ٠

وقال القالي في تتمـة ذيـل الأمـالي : قـال : (يعنـي أبـا الحسـن علي بن سليمان النحوي) وقال العمري : أخبرني أبو مسلمة الكلابي : قـال : كـان مجنـون بنـي عـامر فـي بعض مجالسـه ، وكـان يكثـر الوحـدة والتوحش ، فمر بـه أخوه وابن عمـه قد قنصا ظبيــة ، فهـي معهمـا فقـال :

يـا أخويَّ اللذيــن اليـوم قد أخـذا

شبهــاً لليلـى نحيـلاً ثـــم غلاهـــا

إني أرى اليــوم في أعطـاف شاتكما

مشابهـــاً أشبهــت ليلـى فحلاهـــا

فامتنعـا بهـا منــه ، فهـم بهمـا وكـان نَجْـداً قبـل مـا أصيـب ، فخافاه ، فدفعاها إليه ، فأرسلها ، فولت تفر ، ثم أقبلت تنظر إليـه فقال :

أيا شبه ليلى لا تراعي فإنني
لك اليوم من وحشية لصديق
تفر وقد أطلقتها من وثاقها
فأنت لليلى إن شكرت عتيق
فعيناك عيناها وجيدك جيدها
ولكن عظم الساق منك دقيق

وقال صاحب الأغاني : أخبرني أحمد بن جعفر جحظة : حدثني ميمون بن هارون قال : ذكر الهيثم بن عدي •

وأخبرني محمد بن خلف بن المرزبان : عن العمري : عن الهيثم بن عدي قال : مر المجنون برجلين قد صادا ظبية فربطاها بحبل وذهبا بها ، فلما نظر إليها وهي تركض في حبالها دمعت عيناه ، وقال لهما : حلاها وخذا مكانها شاة من غنمي •

وقال ميمون في خبره : وخذا مكانها قلوصاً من إبلي •

وأعطاهما وخلاها ، فولت تعدو هاربة •

وقال المجنون للرجلين حين رآها في حبالها :

يا صاحبي اللذين اليوم قد أخذا
في الحبل شبهاً لليلى ثم غلاها
إني أرى اليوم في أعطاف شاتكما
مشابهاً أشبهت ليلى فحلاها

قال : وقال فيها وقد نظر إليها وهي تعدو أشد عدو هاربة مذعورة :

أيـا شبـــه ليلـى لا تراعـي فإنـنــــي
لك اليــوم مـن وحشيــــــة لصـديق
ويـا شبـه ليلى لـو تلبـثت ساعــــــة
لعــل فـؤادي مـن جــــواه يفيـــــق
تفـر وقـد أطلقتـهـــا مـن وثـاقهـــــا
فأنـت لليـلـى لـو علمـــت طليـــق » (٧١)

وفي أسطورة المجنون قـال الـراوي : « بعدمـا ذهـب زيـاد رأى قيس صياداً ينصب شراكاً بين ثـقل الأشجارفي الأجمة ليصيد الغزلان ثــم تـرك الفخ وابتعد يرقبــه ، فجـاءت غزالــة مـن غـزلان المســك واستطعمت جص الشرك ، فوقعت في حبائلـه ، فصدحـت همساً عن صوت رشيـق .

فسمع قيس صوتها ، فأســرع إليهـا ، وقطـع الشـرك بخنجـره واحتضنها ، ثم أمعن في عينيها المكحولتين فوجدهما على أتم الشبــه من عيني ليلى : حركتهاكرشاقـة ليلى ، واتزان عنقها كجيد ليلى ، فقبل الغزالـة بين جبينها وعصرعليها بشـدة حتـى كـاد يغمـى عليــه ، ثـم أطلقهـا فانطلقت كالسهم وغاصت في الأشجـار .

وكان الصياد يصيح على قيس ، ولكـن صيحاتــه لـم تصـل إلــى أذن قيـس لأنـــه كـان فـي غشيته ، فقذفــه بقطعـة مـن الحجـر ، ولمــا

---

(٧١) أسواق العشاق ص ١٥٠ – ١٥١ ، وذم الهوى ص ٣٠٣ – ٣٠٤ .

وصـل إليـه ضربــه بهراوتــه ، وقـال لــه : قطعك اللـه كمـا قطعت رزقي ورزق أولادي ، فقال لـه قيس وهـو يتململ من ألـم الضــرب : كفاني يا هـذا ما ضربتني ، فإن عيناها كعيني ليلى ! ٠

ثـم اتجـه في السيــر وهـو يقـول : ليلـى ليلـى ليلـى ٠٠ عيناهـا كعيني ليلى وقوامها كاعتدال ليلى ثم أنشـد قـائـلاً :

أيـا شبـــه ليلـى لا تراعـــي فإنــني

لك اليـوم مــن دون الوحوش صديـق

ويا شبــه ليـلـى لـو توقفت ساعـــة

عليهـــا سحـــاب هاطـــل وبــروق

ويا شبــه ليلـى لو توقـفــت ساعـة

لعــل فـؤادي من جـواه يفيـــــق

أقــول وقـــد أطلقتهـا من وثـاقهـــا

فأنــت لـ[illegible]ـى إن شكـــرت طليــق

فعينـــاك عيناهـــا وجيـدك جيدهـــا

سـوى أن عظـم السـ[illegible] منـك دقيـق

تكـــاد بــلاد اللــه يــا أم مـالـــــك

بمـــا رحبـت يومـاً علــي تضيـــ[illegible]

تـتـوق إليهـــا النفــس ثــم أردهـــا

حيـــاء ومثلـي بالحيــــاء خليـــق

ولو تعلميــن الغيــب أيقنــت أنني

حبيــب وأنــي للحبيــب مشــــوق

أروم سلــو النفــس عنــك ومالهــا

إلــى أحــد إلا إليــك طريــــق » (٧٢)

ثـم ذكـر الراوي أنـه « سار يجول في تلك القفـار وإذا بـه يـرى ظبيـة أخـرى ، فأســرع نحوهـا وقبـض عليهـا ، ومســح التراب عـن وجهها وقرنيها ، وصـار يقبلها ، ثـم أطلقها ، وأشـار يقـول :

اذهبـي فـي حراســة الرحمـــــن

أنـــت منــي فـي ذمـــة وأمانـــي

لا تَخـــافي ولا تُخـــافي بســـوء

ما تغنـى الحمــام فـي الأغصــان » (٧٣)

وقال ابن المجاور : « عرب النهائم من موزع إلى أعمال أبين مع جميع العقارب وهم عـرب هـذه البـلاد يسمون بنـو الحـارث يدعـون المحبـة لله وفي اللـه ٠

وإذا وجـد أحدهم غزالاً ميتـةً أخذوها وغسلوها وكفنوها ودفنوها وبقى للغزال عزاء في جميع القبـائل مـدة سبعة أيـام مشـققين الجيـوب مقطعين الشعور يذرون الترائب على المفـارق ٠

---

(٧٢) الحب الخالد قيس وليلـى ص ١٠٤ - ١٠٥ ٠

(٧٣) المصـدرالسـابق ص ١٠٦ ٠

فقبل لهم فيما هم فيه فقالوا : نحن نمشي على الأصل ونقول بترك الفرع . كما قال قيس بن الملوح :

فعيناك عيناها وجيدك جيدها

ولكن عظم الساق منك دقيق » (٧٤)

قال أبوعبدالرحمن : ومثل ذلك عند العوام ما روي عن سرور الأطرش .

قال الأستاذ فهد الرشيد عن سرور : « خرج ذات يوم يطلب القنص يحمل فتيله إلى غابة يقال لها الخميلة ، فعند وصوله إلى هذا الموضع شاهد قطيعاً من الغزلان وتهيأ لرمايته ، فعندئذ انتبهت إحداهن فرفعت رأسها ، فتذكر محبوبته حيث شبهها بهذا الغزال فأعتقهن جميعاً ، وقال :

لا ضاق صدري رحت يم الخميلة

قعدت بالمرقاب لاجل الضواحي

والاه في عيني تلوح الجميلة

والى السما مع كل الآفاق صاحي (٧٥)

يوم اقبلت ترعى الحيا مع مسيله

بدلت عقب الدلبحة بانبطاح

---

(٧٤) صفة بلاد اليمن ص ١٤٩ .

(٧٥) والاه : وإذا هو .

وبالكف حسناً عوق تيس الجميلة

وقلطت للمشقاص جمر ذحاح

قلت انهجي لعيون موضي سبيله

حلفت انا ما ارسل عليك الذحاح

لعيون من ينسع طويل الجديلة

ابو خديد كنه البرق لاح ». (٧٦)

قال أبوعبدالرحمن : هذا أو بعضه من أكاذيب الأعاريب .

ومن الأدب العامي أيضاً ما رويته بالجبل عن فريح بن عفنان التميمي أن فرج بن خربوش الأسلمي منع صياداً من إطلاق البندق على ظبي ، لأنها تشبه حبيبته ريوف ، ولهذا قال :

يا عنز بك من وصوف ريوف

فوتي بوجهي وأمان الله

لا يذيرك ناقل المزغوف

من خلقته ناقله ظله

لقيت لي وادي مصيوف

حد المحاميض من الخله

معنى « ناقله ظله » : أنه ينقل البندق للزينة .

والمحاميض النفود ، والخلة السهل .

---

(٧٦) شعراء الرس النبطيون ٢٤/١ .

وكان ابنه عايد صائداً رمى عنز ظبا بجبل فتق شرق حائل فنقلت صوابها وهربت إلى جبل نوف يتبعها ولدها فقال :

يا عنز نوف ما ذكر به لنا عين

ولدك بحامي القيظ لا تذبحينه

ولما مات عايد قريص الحنش قالت أسلمية تخاطب جبال سلمى :

يا صيد لا تجفل ترى عايد مات

عيون سلمى كلهن لك سبيلِ

ومثل ذلك ما ورد في قول راشد الخلاوي :

لقيتُ حبالي يا منيعِ قد اعلقت

برياعيةِ من سِايلات المدامعِ

حبلتُ له زناحة في مقيلها

لدانات عودان الثمام المنايع (٧٧)

وهفت لها في حفرة سويت لها

والاقدار ترمي بالامور الفنايع (٧٨)

ووسدتها حدا يديها وشارعت

على جال محفور الدمي النقايع

---

(٧٧) لأول مرة أجد الزناحة بمعنى الحبالة .. والزناحة في استعمال العامة اليوم ورقتان مربعتان في حجم الكف يوضعان متظاهرتين في طرفي جريدة مخروقة الوسط ، وقد أدخلت في الخرق عصا يحملها الصبي في طرفها ، ويجري بسرعته ، فيلاقيها الهواء فتكون حركتها دائرية كالمروحة .

(٧٨) في الأصل : وهفت رجلها .
إلا أن البيت ينكسر .

وردیت لها من محزمي هوشرية

على حدها ياتي دما الجوف ضايـع

صنعها ابن مفـتاخ بيمنى سليمــه

ويــاوي بيطـــار ويـاوي صـانـــع (٧٩)

وبقى، ضبـة مقضوبـة من خلافها

تعضُ بنابيهـا على الكيـر شـــارع

بْصـــادِرةٍ وَّرادة مشفحلــــــه

لهـا بالملاقى، كـل يـــوم وقايـــع

ذكــرتُ وصـــاةَ من منيـع بن سالم

وغيري إلى ما جاع ينسى الودائـع (٨٠)

يقـولُ حليـه ميثـا يا صليبي خلهــا

ولـو كان بايـام الصفاري وجايـــع (٨١)

وخليتها لعيون ميثـــا عتيقـــة

عتيقـة صليبي طويـــل المـــذارع

وأقـفت تخب الجري من فرحة بها

لهـا ولـدِ بيـن السليلين ضايـــع

---

(٧٩) همزة ابن لضرورة الوزن ٠٠ وكذلك تسكين حـاء مفتـاح ٠

(٨٠) إلى ما جـاع : إذا مـا جـاع ٠

(٨١) في الأصل : يقول حليته ميثا يا لصليبي ٠

وهو منكسر ٠٠ وتنطق ثـاء ميثا بدون مـد ، وتسكن صـاد صليبـي هكـذا : مَيْ ثَيَصْنَلَيبي ٠

ولا لقتِ الا مربضٍ منه قد خلا

ونقطة دماً حامت عليه الوقايع (٨٢)

قال أبوعبدالرحمن : إن المطوع متوجه مع بني عقيل إلى الأحساء ، وفي الدهناء ندب مطيته بالجد إلى دار محبوبته في البيت المذكور آنفاً :

يا شمل يا ما مونة الهجن هوذلي

الى دار من صعب علي لقاه

وقد وصف محبوبته ببيت ، وسوغ لنفسه الحديث عن الغرام ببيت آخر ، ودعا على قصرها الذي حجبها عنه ببيت ثالث ، ولكنه دعا بخروج حبيبه سالماً من ذلك القصر إذا أجيبت دعوته فانهد أعلاه ٠

ولقد دعا أخيراً السكيني على البيوت الواقعة في طريقه إلى بيت محبوبته ، لأن طارماتها تفضحه :

شهب اللوايح عسى نجم يحدرها

وان ما كفى واحد يا لله بالثاني

---

(٨٢) لباب الأفكار ٥٩/١ وورد أطول من ذلك وبرواية أخرى ص ٦٤ - ٦٥ ٠ وتاء لقت تكسر لأجل الوزن ٠

قال أبوعبدالرحمن : وما أدرى الخلاوي أن الظبية لم تجد ولدها ؟ ! ٠

ومن دعائه لخليله بالسلامة بدأ في تشبيه خليله بأبيات عديدة بدأها بقوله :

خليلي يشادي خاتم العاج وسطه

تقول انفرج لولا البريّم حواه

إلا أنه سلك مسلك المبالغة خبراً وإنشاء ، وبلغ حد الغلو والإيغال .

فمن مبالغته في الخبر قوله :

ولو هو يسرح لي جراد رعيته

ابى' هضّله من حشمته ورضاه (٨٣)

وقوله :

خليلي ولو ياطا على قبر ميت

تكلم دفين القبر حين وطاه

ومن مبالغته في الإنشاء قوله :

يارب عطنا رجفة تجمع الملا

حتى بها خلي يطير غطاه

تمنى يوم الحشر ليرى حبيبته سافرة .

ومثل هذه المبالغة مستسخف وإن كانت المبالغة تستحسن أحياناً .

---

(٨٣) ابى' : أبغي .. أي أريد .. والتهضيل إيراد الماشية للبيوت أول الليل .

ومما هو في حكم مبالغات المطوع قول الأعشى :

لو أسندت ميتاً إلى صدرها
عاش ولم ينقل إلى قابر

حتى يقول الناس مما رأوا
يا عجباً للميت الناشر

ومن المبالغات قول الرقاشي الصوفي :

ولما تلاقينا على سفح رامة
وجدت بنان العامرية أحمرا

فقلت خضبت الكف بعد فراقنا
فقالت معاذ الله ذلك ما جرى

ولكنني لما رأيتك راحلاً
بكيت دماً حتى بللت به الثرى

مسحت بأطراف البنان مدامعي
فصار خضاباً بالأكف كما ترى

وقال ابن حجة الحموي :

يا ناقل المصباح لا تمروا على
وجه الحبيب وقد تكحل بالكرى

أخشى خيال الهدب يجرح خده
فيقوم من سنة الكرى متذعرا

ومن المبالغة قول توبة بن الحمير :

ولو أن ليلى الأخيلية سلّمت
عليّ ودوني تربة وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أوزقا
إليها صدى من جانب القبر صائح (٨٤)

وسياق قصيدة المطوع يدل على أن الحبيبة تزوجت غيره بدليل قوله :

معسل ثنايا صاحبي فات عني
كما فات لقاي الدلي رشاه

وبدليل أنه يتمنى لقاءها في الحشر كاشفة !! .

وبدليل قوله :

الا واشقا روحي الى صار صاحبي
جضيع لغيري واحترمت لقاه

ومن هنا بدأ السلو بالأنفة ليقابل هجر الحبيب بتجمل وترفع منذ قوله :

---

(٨٤) كتبت عن المبالغة وشواهدها من الشعر العربي الفصيح والشعر العامي بكتابي ديوان الشعر العامي ٥/٨٤ – ١٠٧ .

من باعنا بالهجر بعناه بالنيا

ومن جذ حبلي ما وصلت رشاه

ويضيف في تجمله ألمه من حبيب صغير غر من صفاته :

تعاديه ما يدري وتصافيه ما درى

وما عطي من غالي الحديث حكاه

وفي هذا إشارة إلى أن محبوبه صغير السن غير صائن لسره ، جاهل بمن يحبه حقيقة ويجله ، وجاهل بما ينفعه أو يضره ، ولكنه مع هذا يعترف بعظم مصيبته وإن كان المحبوب معتوباً عليه لصغره وجهله ، لأن المحب أعمى ٠

وقد بدأ توجعه من قوله :

وعضيت باطراف النواجذ اناملي

وقلت آه من حر المصيبة آه

وبعد التوجع والتشكي من أحوال الزمان أضرب إلى موضع آخر ، وهو طلب الغيث لبلاده أشيقر ابتداء من قوله :

دع ذا وسل والي السما في محنتم

سرى يشعق الظلما شعاع سناه

وله أربع قصائد غير مشهورة شهرة الهائية ٠

الأولى العينية وهي قليلة الخطر ذكر فيها أن له زوجة اسمها أم محمد فارقها فقال عنها :

الا وا سفــا بالجــادل أم محمــــد

فارقتهـا واثـــر الفــراق يــــروع

بكيـت عليهــا ليـن حرقـت ناظـري

ولا نـاب مـن امــر الالــه جــزوع

قـال أبوعبدالرحمن : محـل التسـاؤل : كيـف تكـون أم محمـد ، وهـو محمد وهي زوجتـه ؟ •

والجـواب : أن تكون راجعاً عندما تزوجها ولها ولد من غيره ، وعلـى هـذا تكـون غيرَ العقيـلية صغيـرة السـن التـي هـام بهــا فــي القصيـدة الهائيـة •

والثـانيـة البائيـة تغـزل فيهـا بعقيليـة جـاءت مـن الباديــة جالبــة بضاعـة فذكر معرفتـه لهــا فـي ســوق الجلـب ، وأنــه لحقهـا خـارج البلـد ، ولقيـها في الوادي فقـال يسجل هـذا اللقـاء :

نطحني بغـب السيـل بالـوادي الــذي

إذا قلت انــا انحيـت بمسيلـه هـــاب

نشـدتـه بمـن تعـزى عليـه وقـال لــه

انـا مـن عقيـل مـا عليــــه طـــلاب

وقفى يخـوض المــا بخمـص النواعـم

وساقيــن فيهـــن الحجـــول لبـــاب

فتغزل وذكـر تبسـم محبوبتـه ثـم تشـوق إلى المكان ، فقـال :

فيا سدرة الوادي سقيت من الحيا

عليك غمام ثم عقبه سحاب

ثم دعا على رواحل الظاعنين فقال :

فياليت زمول البدو يوم شدوا

تكون على هاك النهار ذهاب

قال أبوعبدالرحمن : فإن كانت المحبوبة في الهائية هي العقيلية هاهنا فمعنى ذلك أن بداية غرامه بدأ بالقصيدة البائية ، ثم صادف أن رافق ركباً عقيليّاً فتذكرمحبوبته العقيلية بالقصيدة الهائية ·

قال أبوعبدالرحمن : ولست أرى في قصائده غير غزل عادي ، وإنما جعلت إحدى قصائده شاهداً لأسطورة حب كان هو صريعه ، وأدنى تبصر في القصيدة يمنع من دعوى الأسطورة تلك ·

ولقد طول الضويحي ذيول الأسطورة إذ تكلم عن قبيلي يتزوج خضيرية ، فيفضل الموت على طلاقها فيموت ·· قال : « إن ذلك الرجل ابن عبدالرحيم التميمي من أهل أشيقر ، فقد كان ساكناً في بيت في النخل تجاوره عائلة ضمنها بنت لم تبلغ الرابعة عشرة من عمرها على مستوى رفيع من الحسن والجمال ، فرآها ابن عبدالرحيم التميمي الذي يلقبونه بالمطوع ، فلم يستطع السلوان لما رآها مصادفة ، فتزوجها رغم الحرج لفارق النسب ·

وكان زواجه سرّاً ، وعاش جذلان قد سيطر عليه حبها ، ولكي يضمن سعادته بها قال لها : إياك أن تخبري أهلي ، وأكد عليها ذلك ،

غير أن المرأة لا تحفظ السر ، وهذه امرأة صغيرة السن فمن باب أولى أن تبوح به ، وقد ذكر ذلك في قصيدته متمنياً أن تكون قد بلغت سبعة عشر عاماً قال :

الى عاد ما تمت ثلاث مع أربع
وعشر فلا يشفي الفوآد لقاه
تعاديه ما يدري تصافيه ما درى[1]
وما عطي من غالي الجواب حكاه

وقال لها: اخرجي إلى بستاننا وخذي منه ماشئت ، فصارت تخرج ، فتراها أخت المطوع ، فتسبها وتشتمها وتعيرها بقولها : ياصانعة ٠

وتضايقت البنت ، وفي مرة قالت لأخته وهي تشتمها وتهددها ، اخسئي أنا آخذ من مال زوجي ٠

فقالت : من هو ؟ ٠

قالت : أخوك محمد ٠

فذهبت لأخيها ، فقالت : هل أنت متزوج فلانة ؟ ٠

فقال لها : لا ٠

قالت : طلق ثلاثاً ٠

فأبى ، ثم أقر في النهاية ، فطار الخبر واجتمعت الأسرة فحاولوا أن يطلقها ، فقال : إن الموت أقرب من طلاقها ، فاتفقوا سراً على أن يذهبوا به إلى وادٍ من الأودية ، فيشعروه بأنهم يريدون قتله أو يطلقها ٠

وعندما وصلوا الدهناء نزلوا بها ، وكان معهم لحم وأكل ، فشبت النار ، وجلسوا ، وقالوا له : أتدري لماذا جئنا هنا ؟ .

قال : لا .

قالوا : لنرجع بك ، وقد طلقت زوجتك ، أو نقتلك هنا ونرجع بدونك .

وسكت ابن عبدالرحيم السكوت الرهيب ، ثم قام كأنه يريد قضاء حاجة ، وصعد مرتفعاً قريباً منهم أصبح يسمى نقى المطوع باسمه حتى الآن ، ثم أخرج القلم والقرطاسة من جيبه بعدما تبادر إلى ذهنه أنهم سيقتلونه ، وكتب قصيدة كانت نهايته نهاية آخر بيت فيها ، وعندما بحثوا عنه وصعدوا وجدوه قد عض على إبهامه الأيمن والأيسر ولا حراك به ، فتأسفوا على كل ما جرى ، وبكوا حيث لا ينفع البكاء ولا الندم ، ثم كروا راجعين إلى الحي » (٨٥) .

وقال الشيخ منديل : « قيل إنه عشق فتاة بنت صائغ وكانت صغيرة السن، وجمالها باهر، وبأعلى مستوى من العفة، فطلب من أهلها تزويجها له بخفية ومنحهم ما طلبوا، ومضى على زواجه مدة لم يعلم به أحد .

وكان والده وإخوانه يشيرون عليه بالزواج وهو يرفض ، وكان لزوجته صديقة ، وبعد أن أنجبت منه ولداً أشارت صديقتها عليها بأن تشيع الخبر .

---

(٨٥) الفنون الشعبية ص ١٧٠ - ١٧٢ بتصرف كثير وتعديل واختصار هروباً من اللحن والأخطاء والفضول .

فلما وصل الخبر إلى أهله غضبوا وقرروا الخروج وهو معهم للبرية ، وهناك يطلبون منه الطلاق أو يقتلونه .

وعندما وصلوا النقا المعروف ونزلوا ، وكان بقربهم غزال صغير نائم ، فأمسكوا به ، ولما شاهده ابن عبدالرحيم تذكر أوصاف زوجته المقاربة لوصف الغزال ، وبعد نزولهم أخبروه بخبرهم ، فقال أمهلوني للاستخارة .

ثم ارتفع إلى أعلى النقا وكتب هذه القصيدة ، ثم عض إبهاميه ومات جزعاً وقهراً » (٨٦) .

ولما ذكر ابن خميس نقى المطوع بحومة النقيان بالدهناء قال : « واشتهر نقى المطوع بقصة وقعت فيه .. ذلك أن رجلاً من أهل بلد أشيقر أحد بلدان الوشم من أهل العلم والفضل أحب وشغفه الحب ، وطواه الغرام ، ولم يزل يطوي جناحاً على حبه ، ويستر شغفه وهيامه حتى برح به وغلبه ، فتزوج من محبوبته التي هي دونه في النسب ، وستر زواجه حتى كشفه نكده وسوء جده ، فثارت عليه أسرته ، وضغطت عليه بغية تطليق زوجته فأبى ، فعزموا على إخفائه من الوجود سرّاً ، فحملوه مع قافلة ذهبت تمتار من أحد موانئ المنطقة الشرقية ، وأسرّت أسرته إليهم : أن إذا جئتم الدهناء فغيبوه في رمالها .

---

(٨٦) من آدابنا الشعبية ٢١٧/١ .

ولما وصلوا الدهناء وقالوا إلى جانب هذا النقى اصطادوا حوله ظبياً وغفلوا عن أسيرهم الذي أخذ من دم الظبي ، وانتبذ عن رفقته تحت ظل أرطاة ، وخلع ثوبه وجعل يكتب فيه من الدم مداداً ، ومن ذوب مهجته شعراً ، حتى دونها قصيدة تبلغ خمسين بيتاً تضمنت لوعته ، ولهيب أنفاسه ، وصادق شكواه ، وظلم أسرته))(٨٧) .

قال أبوعبدالرحمن : لا عتب على العوام في أساطيرهم ، وإنما العتب على الشيخ عبدالله حيث لم يقرأ القصيدة قراءة تتبع ونقد ليرى مدى دلالتها على ما ذكر .

والقصيدة ليس فيها شيئ مما ذكره الشيخ عبدالله عن شكواه وعن ظلم أسرته له .

وهذه الظبي من ذبحها حتى يكتب من دمها قصيدة ؟ ! .

لقد صادوها بلاشراك ولارمي ولاعصا ، وإنما أخذوها نائمة ، وقد حاول المطوع فكها فأبوا ، فهو لن يحاول فكها إلا وهي سليمة لم تذبح .

إن كان ذبحها هو فذلك بعيد وهو أسير ، وهواه أن تطلق .

وإن كانوا ذبحوها هم فذلك حال قرارهم وجلوسهم للطبخ لا حال غفلتهم .

وعلى أي حال فذبح الظبي محتمل ، والكتابة من دم الظبي في الثوب محتمل بعد ، إلا أن القصيدة لا تدل على شيئ من ذلك .

---

(٨٧) معجم اليمامة ٢/٤٢٣ .

قال أبوعبدالرحمن : والقصيدة الهائية عن فتاة دارها في المنطقة الشرقية تذكرها وهو في الدهناء آتياً من أشيقر ، وهذا خلاف ما جاء في الأسطورة التي ذكرها الضويحي من كونها خضيرية ، وكونها جارة لهم بأشيقر ؟ ! .

وفي الأسطورة أنه تزوجها سرّاً ، ولما شاع الخبر أرغم على طلاقها فعض إبهامه فمات !! .

قال أبوعبدالرحمن : الذي في القصيدة خلاف ذلك ، وهو أن المطوع لا يتشكى من أقاربه هو حيث حالوا بينه وبينها ، وإنما تشكى من قصر زوجها أو قصر أهلها حيث حال بينهما ، وندب حظه حيث فاتته إلى زوج آخر إما لأنه بلغة العصر الحديث كان خطيبها ، وإما لأنه طلقها :

معسل ثنايا صاحبي فات عني
كما فات لقاي الدلي رشاه

الا وا شقا روحي الى صار صاحبي
جضيع لغيري واحترمت لقاه

وهو يعتب عليها لجفائها عنه فيقول :

من باعنا بالهجر بعناه بالنيا
ومن جذ حبلي ما وصلت رشاه

وتعلق الحكواتي بأهداب من القصيدة ، فمن ذلك ما ذكره عن صغر سنها وأنها لاتحفظ السر ، فجاء في الأسطورة أنها أشاعت خبر

الزواج ، فكان ذلك ضرراً عليهما لأنهما غير متكافئين في النسب .

وفي القصيدة أنه مر بالدهناء ، فجعلوا الدهناء مصرعه .

وفي القصيدة أنه عض إبهامه ندماً فجاءت الأسطورة تقول : إنه قطع إبهامه ليموت !! .

قال أبوعبدالرحمن : القصيدة لم تعين السر ما هو ؟ ، وأنه إفشاء أمر الزواج ، لتكون القصيدة شاهدة للأسطورة ، وإنما دل السياق على أن المحبوب صغير السن لم يبلغ سبعة عشر عاماً لايفرق بين عدوه وصديقه ، وأنه يفشي السر :

كن عن صغير السن حذر ولا تكن
دنوع الى شفته بسن سفاه
ان كان ما جاوز ثلاث مع أربع
وعشر فلا يشفي الفواد لقاه
تعاديه ما يدري وتصافيه ما درى
وما عطي من غالي الحديث حكاه

فهو طلقها إن كانت زوجة ، أو هجرها إن كان يحلم بها زوجة لأنها جفته .

ولو كانت غير عربية أصيلة ، وكان يحبها ، وكان تزوجها سرّاً ثم أرغمه قومه على طلاقها لكان السياق بخلاف ذلك .

وأضاف سياق الشيخ منديل أنه أنجب منها ولداً ، واستفاض عند الناس أن أسرة في الزلفي من ذرية المطوع من قبل هذه الفتاة .

قال أبوعبدالرحمن : بل إن بعض أبناء عمي بسدير يدعي أنه من ذرية المطوع من قبلها في أسطورة وهيب وضبيب ؟ ٠

قال أبوعبدالرحمن : إذا صح أن المطوع تزوج خضيرية ، وأنها أنجبت منه ، وأنه أرغم على طلاقها : فتلك قصة أخرى لا علاقة لها بقصائد المطوع إلا أن تكون الخضيرية أم محمد التي فارقها وذكرها في العينية فحسب ٠

وإذا صح أن المطوع من قتالى الغرام ،وأنه مات بالدهناء ، فتلك قصة تصح بصحة دليلها إذا وجد ، ولا علاقة لذلك بقصائده ومروره بالدهناء المذكور في القصيدة ٠

ويضيف سياق منديل أنه لم يمت بعضّ الإبهام ، وإنما مات جزعاً وقهراً، وقهر الرجال يقتل ، وقد استعاذ منه رسول الله ﷺ ٠

وحينئذٍ يكون عض إبهامه عضّاً عادياً لشدة الأسف ٠

وفي سياق الشيخ ابن خميس ذكرأن المطوع من أهل العلم ، فلعل سنده في ذلك كونه مطوعاً إذ لا أعرف للمطوع ترجمة ، وليس مشهوراً بين علماء نجد ٠

وأئمة العوام منهم ، فإذا حفظ العامي شيئاً من كتاب الله وتلا بقيته نظراً فهو مطوع عامي ! ٠

وقصائده تدل على أنه عامي ٠

ولقد حاول ابن خميس جر واقع القصيدة إلى هدف الأسطورة ، فَعَدّ ذهاب المطوع مع العقيليين لأجل تغييب شمسه حسب إيعاز

من الوهبة جماعة المطوع ٠

قال أبوعبدالرحمن : سياق القصيدة يدل على أنه ذهب من أشيقر في طلب العقيليين فأدركهم في الجو ، وأنه تذكر الحبيبة بسبب الغزال ، وأنه أشار إلى أن محبوبته في طريق العقيليين إلى دارهم ، فهو يخاطب العقيليين وهم في طريقهم إلى قصر محبوبته :

قلت أيها الركب الذين كلما
عنوا بان لكم من جانبيه بناه

وهذه الفتاة لم ينل وصلها ، فكيف تكون القصيدة شاهدة على جزعه عندما طلقت منه ٠

يقول :

سيره ممروع لغيري الى اهوى
وساقيه ما ينحي عليَّه ماه

وأما عض الإبهام ، وقرع السن ، والصفق على اليد فعلامات علىالأسف والجزع٠٠ ما ذُكرولاعُقل أن أحداً يموت من تلك الأفعال !!٠

وهو عض أنامله من أجل مصيبته :

وعضيت باطراف النواجذ اناملي
وقلت آه من حر المصيبة اه

وقد عين مصيبته وفسرها بأن سير محبوبه ممروع لغيره ، وأنه هجره ، وأقفى عنه :

من عافنا عفناه ولو كان غالي

نبيعه بزهد في حدود غلاه

فليس هناك قبيلي وخضيري ، وليس هناك إرغام على طلاق •

ولعله يشبه لأحد القراء بقول المطوع بعد عض الأنامل :

اذا جا حمام الموت ما ينفع الدوا

يموت الطبيب ولا يفيد دواه

قال أبوعبدالرحمن : هذه حكمة ينثرها الشعر العربي بتداعي الخواطر ، فالشاعر مصاب بهجر حبيبه ، والهجران يحدث علة ، ولهذا قال بعد التأوه بعض الأنامل مباشرة :

ولو ان بقولة آه تبرات علتي

لكان اكثِّر في ضميري آه

وحمام الموت يعقب العلة عادة فذكره •

قال أبوعبدالرحمن : والقصيدة في عمومها ليست لوعة ووجداً محرقاً ، وإنما هي أوصاف غزلية وخيالات لا تكون إلا مع فراغ بال كقوله :

خليلي ولو يبزق على الشري ريقه

غدا كالعسل كل يريد شراه

خليلي ولو يمشي بقاع تزخرف

وزهره ينور عند وقت مشاه

قال أبوعبدالرحمن : ولو كانت القصيدة في سياق وجد محرق لكانت

بعض المبالغات عن خيال ملتصق بواقع الشاعر غير مجرد كقوله :

خليلي ولـو يزرع زريـع سقيتـه

بدموع عيني لـو يشـح السحاب بماه

حينئذٍ نقول : رأى غزارة دمعه فتخيل ٠

وتوحي القصيدة بتناقض فهو في أول القصيدة متيم منقاد :

خليلي ولو حـال البحر عنـه دونـي

ذبيـت روحي فـوق لجـة مـاه

خليلي ولو ياطـا على حر جمـرة

آطـا بمـا ياطـا واصيـر حـذاه

ثم قال في آخر القصيدة :

من باعنـا بالهجـر بعناه بالنيـا

ومن جـذ حبلي ما وصلت رشـاه

الاقفا جزا الاقفـا ولا خير في فتى

يريـد هـوى من لا يريـد هـواه

ومن عافنا عفناه ولـو كان غالـي

نبيعـه بزهـد في حدود غـلاه

فإن كان هذا تناقضاً فهو دال على أن القصيدة مجرد تغزل وأوصاف دون تجربة غرامية تنظم أفكاره وعواطفه ٠

وإن كان غير تناقض فمخرجه أنه يقص حالة شعوره وتتيُّمه قبل أن يجفوه حبيبه ، ثم قص حالة شعوره بعد أن جفاه حبيبه ٠

إلا أن تعزز المطوع ، وسلوه ، ومقارضته الهجر بهجر ، وإضرابه بطلب السقيا لبلاده أشيقر يدل على أنه لم يمت غراماً بحبيبته فور قوله لهذه القصيدة ، وأن معه بقيا صبر لو كان فعلاً في غابة الوجد .

وفي القصيدة صنعة لفظية متكلفة لم أفهم معناها ولا أظن أن وراءها كبير معنى .

ولعلها من وضع بعض الرواة ليجعل من القصيدة شيئاً ، إذ كانت القصيدة عادية ، وقد أريد منها أن تكون شواهد لأسطورة .. وهذا هو المتكلف من القصيدة :

وطا ما وطا واللي وطا بعد ما وطا

غطا ما وطا واللي وطاه غطاه

محا ما محا واللي محا بعد ما نحا

محا ما محا واللي نحاه محاه

نصى ما عصى واللي عصى بعد ما نصى

نصى ما عطا واللي عطاه نصاه

قال أبوعبدالرحمن : وبإيجاز فموت المطوع صريع غرام ، وقصة دفنه في نقى المطوع ، وقصة الخضيرية والقبيلي كل ذلك أسطورة إن كان الشاهد القصيدة الهائية .

قال أبوعبدالرحمن : نقى المطوع معروف مشهور ، وقد يقول قائل : هذه الشهرة لا تأتي من فراغ ؟ ! .

والجواب : أن الشهرة قد تكون عن أسطورة ، فلما شهرت

الأسطورة وكان شاهدها القصيدة الهائية التي ذكرت فيها الدهناء عيَّن مكان مصرع المطوع في الدهناء ، أو مكان إنشاده ادعاء .

وقد يكون مكان صيد الظبي الذي حاول المطوع إطلاقه معروفاً يقيناً أو تخميناً .

وقد يكون المطوع هلك في الدهناء لعارض طبيعي بُعيد نظمه للقصيدة ، فكان موته من المقومات الواقعية للأسطورة .

وقد يكون هلك وجداً على حبيبته المذكورة في القصيدة الهائية - وهذا احتمال مستبعد لما مر من تعليل - ، وعلى هذا يكون القبيلي والخضيرية والموت بسبب الطلاق مجرد أسطورة إذا أريد ربطه بالقصيدة الهائية .

فإن كان المطوع أهلك في الدهناء بأية وسيلة بسبب زواجه من خضيرية فلاعلاقة لذلك بالقصيدة الهائية ، فيحتاج إلى نقل موثق أو شاهد غير القصيدة الهائية .

وقال الأستاذ سعود بن يوسف عن أخبار المطوع : « له قصة مشهورة يتردد صداها في نجد والخليج العربي ، وهي أن شاعرنا كان يعمل في بستانه المسمى بالنجيمي الشارب من بئر العلا شمال أشيقر حيث رأى فتاة جميلة من آل عزّام في أحد البساتين المجاورة لبستانه ، فأعجب بها ، وخطبها من والدها لتكون زوجة له ، ولكن والدها امتنع عن ذلك ، ورفض طلبه لأسباب اجتماعية ، حيث إن بعض العادات والتقاليد في نجد تمنع ذلك .

فألح عليه مراراً، وأقنعه بأن الزواج لا يتنافى مع الدين ٠٠ أما بخصوص أهله فإنه سيقوم بإقناعهم فيما بعد، فوافق والدها فتزوج ابن عبدالرحيم الفتاة سراً، وكانت صغيرة لا يتجاوز عمرها الرابعة عشرة ٠

وفي يوم الجمعة (وكان شاعرنا ذاهباً إلى الصلاة) دخلت الفتاة بستان زوجها أثناء ذهابه للمسجد لتأخذ بعض الخضروات ، وفي أثناء قطفها الثمار رأتها أخت الشاعر ، فاتهمتها بالسرقة ، فقالت الفتاة : أنا لم أسرق ، إنما أخذته حلالاً من بستان زوجي ٠٠ علماً بأن زوجها أكد عليها بكتمان السر ، ولكن لصغر سنها أباحت جميع أسرارها ، فلما سمعت أخت الشاعر كلامها انصدمت وقالت : هذه اكبر من تلك (تعني أن الزواج أعظم من السرقة) ٠

فذهبت أخته مسرعة إلى إخوتها وأخبرتهم عن زواج أخيها من بنت العزام ، فغضبوا ، وثاروا، وحاولوا إقناعه بتطليقها وإلا قتلوه ٠

ولكنه أصر على إبقائها زوجة له ، فكرروا ذلك مراراً ولكن دون جدوى ، فعقدوا العزم على أن يذهبوا به إلى الدهناء بهدف ترويعه وإيهامه بأنهم سوف يقتلونه لكي يعدل عن رأيه ، وفعلاً ذهبوا به إلى الدهناء ، فلما وصلوا إلى المكان الذي يسمى الآن باسمه نقا المطوّع اصطادوا ظبياً فقال : كأن هذا الظبي فلانه ٠٠ ثم ذهب بعيداً عن إخوته بحجة قضاء الحاجة ، فلما وصل أعلى الرمل أخذ يكتب قصيدة على عباءته بالدم الذي استخرجه من رأس الإبهام نظراً لعدم توفر مادة للكتابة ، وفور الانتهاء من كتابة

القصيدة أسلم الروح إلى بارئها ، حيث قال في قصيدته :

قال النميمي والذي عاش مترف
مدى العمر ماشا في زمانه جاه
أطرب لركب من عقيلٍ تقللوا
من نجد الى السِّيف المريف مداه

هذا هو الشائع عند عامة الناس إلا أن هناك من يرى أنه كتب القصيدة بدم الظبي الذي ذبحه إخوته • وهذا الرأي أسلم وأولى ، لأن الرأي السائد بأنه كتب القصيدة بدم إبهامه يعني عزمه على الانتحار ، وهذا يتنافى مع عقيدته الدينية •

وكان ابن عبدالرحيم ذات يوم جالساً في سوق أشيقر التجاري إذ جاءت فتاة بدوية اسمها سلمى إلىالسوق ، فشاهدها وتعلق بها وكانت جميلة ، فأعجب بها وأخذ يسارقها النظر ، فلما أخذت حوائجها رجعت مع الطريق الشرقي باب العقلة قاصدة مضارب أهلها القاطنين على جو أشيقر، فخرج يتبعها على الأثر حتى وصل إلى المضارب ، فرآه والدها فاستنكر منه ذلك التصرف ، وضربه ضرباً مبرحاً •

بعد ذلك رجع إلى البلد ، وبعد فترة أخذ يتردد على مضاربهم على موارد المياه ، ويتظاهر بأنه يبيع ويشتري ، وأخذ يقابل النساء ومن بينهن هذه الفتاة المسماة سلمى ، وينظم الأشعار، وأعجبت الفتاة به شعراً وأدباً وكرهت أن تبادله المشاعر، وحينما وجدته قد تعلق بها طلبت منه أن يمهلها ثلاثة أيام ، وكانت هذه الأيام الثلاثة هي فترة الاستعداد للرحيل ، وحينما خرج للقائها في اليوم الثالث وجد أن أهلها

يستعدون للرحيل ، فخرجت إليه وقالت : اجلس في البيت هذا اليوم ولا يراك أحد وصدّق كلامها لشدة تعلقه بها ، وفي آخر النهار رأى أن القوم أخذوا في الرحيل بالفعل حيث رآها وهي على جملها تشير له بكفها دليلاً على الوداع .

وسارت وسار خلف القافلة ، ولكنهم أخذوا في السير الحثيث ، وغابوا عنه وخيّم الليل ، وأخذ ينادي : يا سلمى .. ولكن لا جدوى من ذلك فرجع إلى البلد متأثراً وقلقاً ، وأنشد قصيدة مطلعها :

حورية العين حورا الجبين
من البدو من شافها يهبلي

إن غنت يم بدوٍ فيدنى لها
ظلة حس جرسانها تعولي

كما كانت هذه القصة دافعاً لقول قصيدة أخرى منها :

أبحت العزا يا شكر في راس مرقب
وجريت الحانٍ عليه عذاب

قال أبوعبدالرحمن : الذي أعرفه من شعر المطوع خمس قصائد ، فالأولى قوله (٨٨) :

---

(٨٨) القصيدة على البحر الطويل ، وزنها :

فعولن - مفاعيلن - فعولن - فعولن
فعولن - مفاعيلن - فعولن - فاع

ويكثر الخرم في هذه القصيدة في الصدر والعجز بحيث تكون فعولن فاعل .. والعروض مفاعلن تارة ، وفعولن تارة .

وهي مدونة في لباب الأفكار ٢/٧٣٤ - ٧٣٦ ، وأول من نشرها مطبوعة ابن سيحان في التحفة الرشيدية ٢/٧٩ - ٨٠ ثم نشرها الضويحي في كتابه الفنون الشعبية ص ١٧٠-١٧٤ ، والشيخ منديل في كتابه من آدابنا الشعبية ==

يقول التميـــمي الـذي شـــب متـــرف
مـدى العمـر ما شــا في زمانـه جـاه (٨٩)
أطلبـت ركـب مـن عقيـــل تقلـلـــوا
مـن نجـد الـى الريـف المريـف مـداه (٩٠)
شـدوا بنـا مـن جـو عكـل وقوضــوا
علـى كـل هبـــاع يمـــد خطـــــاه (٩١)

== ٢١٧/١ - ٢١٩ ويظهر أنـه أخذها من الشيخ ابن يحيى ، وابـن خميس فـي معجم اليمامة ٤٢٣/٢-٤٢٥ ، وابو بطين في كتابه من عيون الشعر الشعبي ص ٤٢٤-٤٢٥ ، والهطلاني في كتابه ديوان الدر الممتـاز ٩٣/٢ - ٩٦ ، ونشـرت بجريدة الرياض عدد ٧١٣٢ في ١٤٠٨/٥/١٣هـ ص ٨ .
قـال أبوعبدالرحمن : وهـي عندي صـورة مـن أصـل خطـي حديـث نـاولني صورته الأستاذ عبدالرحمن المانع في ١٤٠٩/٣/١٨هـ .

(٨٩) النطق الفصيح : ما شـاء جاءه ، لأنـه متـرف .
وعند ابن سيحان : والـذي .. ما جا في زمانـه ..

(٩٠) في رواية : اطرب ركب من عقيـل .. وعند ابن يوسف : أطـرب لركب .
ومعنى أطلبتهم لحقت بهم .
وربما قيـل : هـذه الروايـة يردها البيت الثـاني : شـدوا بنا من جـو عكـل .
فكيف يشـد معهم ثـم يكون لحق بهم ؟ ! .
قال أبو عبدالرحمن : يكونون حينئذٍ فاتوه في البلد ، فلحق بهم في الجو منيخين فشد معهم .
وعلى فرض أنهم لـم يفوتوه في البلد وأنـه خرج إليهم في الجو ، فـالتعبير عنـد العوام أن من ذهب للحاق بقوم فقد أطلبهم .. أي سـار في طلبهم .
وفي روايـة : الى السيف المريف .
وهي رواية محتملـة ، والأكثـر : روايـة الريف المريف .
ورواية « أطرب » لا معنى لها في هـذا السيــاق .

(٩١) الأكثـر روايـة حـدروا بنا من جـو .. أو تحدروا .. إلا أن كل ذلك مختل الـوزن .

علاكم تجـد السير لكـــن وصفهـــا

على قطعـة البيـدا وكثـــر ســـــراه(٩٢)

صريمـة ربـد حدهـــا جـــال تيمـــا

علـى الارض مـن عالـي البنـا بوطـاه (٩٣)

فلمـا جـوا الدهنـا والانســـان مالــــه

مــلاذ ومـــا يكتـــب عليـــه وطــــاه

لقـوا شــــادن فـي زربهـــا مستكنـــة

حماهـــا عـن اوهـــاج السمـــوم ذراه (٩٤)

---

(٩٢) عنـد ابن يوسـف : لكـن وضعهـــا ٠

(٩٣) تيمـا : تيماء وهي مطلق فلاة ، أو قفـرة مضلة مهلكة ، أو واسعـة ٠

وصريمة الربد القطعة من النعام ، أو نعامة صريمة أي سريعة٠٠وطاة : منخفضة ٠

قال أبوعبدالرحمن : هذا معنى المفردات ، وأما المعنى المجمل فغير واضـح ٠

وفي النسخة الخطية روايـة أخرى هـذا نصـها ٠

صليخـــة حـــزم هـدهـا جـــال نحـــا

مــن الأرض الـى عـال البنـا وطـاه

والشطر الأول منكسر ، ويستقيم إذا قيل : جـال تيمـا ٠

والمعنى غير واضـح ٠

وعنـد ابن يوسف : صميمة حزم حداهـا ٠٠ وطـاه ٠

وعنـد ابن يوسـف بعـد هـذا البيت :

قلــت ايهـــا الركـــب الذي كل ما عنـوا

يبيـن لكـــم من جانبيـــه نبـــــاه

(٩٤) عنـد ابن يوسف : لقـوا جادل ٠٠ واهـج ٠

قال أبوعبدالرحمن : الظبي لا تكـون جـــادلاً ٠

خذوهـــا بـــلا رمـــح ولا بالعصـــي
ولا حط لهـــا حبـل الشـرك تاطـــاه (٩٥)
غشـاها لذيـذ النوم والنــوم قـد غشـــا
من القــوم حــذر وابتـــلاه عـــداه (٩٦)
فقلـــــت لاخوانـي ومثـلي ومثلهـم
يشكـي الـىّ مـن الزمـــان وطـــــاه (٩٧)
دعوهـا سبيـل كـود من ذي فعالـــه
يجزى على فعلـه يشــوف منـــاه (٩٨)
بغيـت بفكتهـا وعيـــوا عليهـــــــا
واشكـــل بقلبي مـن عنـــاه بـــــلاه (٩٩)

---

(٩٥) يريـد أنهـم لـم يصيدوهـا برمـي أو حبالـة ، وبين في البيت بعـده أنهم صادوهـا لأنهـا كانـت نائمــة ٠
وعند ابن يوسـف : لا برمح زرق ٠

(٩٦) عند ابن يوسف : وابتلوه عداه ٠٠ وقبلـه عنــده :
غـزال يشابـه لخلي ومثلـــــــــــه
عنــق وعيــن والحلاحليــــــــــــاه
ويستقيـم وزنـــاً هكـــذا :
غـــزال كما خلـي ومثلـــه وصايـــف
بعنــق وعيـن والحلايـــا حــــــلاه

(٩٧) عند ابن يوسـف : اقول لاخواني ٠٠ يشكي همومه إلـى مـن الزمـان وطـاه ٠٠ وهـو منكسر ٠

(٩٨) عنـد ابن يوسـف :
دعـونـــا نخوض الغـي والغـي رادة
كـوده الـى رانـي يشـوف منــــاه
والبيت بهـذه الروايـة لا يناسب السيـــاق ٠

(٩٨) عنـد ابن يوسـف : طلبتهم فكتها ٠٠ واشغـل بقلبـي ٠

يا شمــل يا مامونــة الهجــن هــوذلي
الــى دار مــن صعــب علي لقـــــاه (١٠٠)

دقـاق الحجل والطوق يا ناق وان طرى
علـى القلـــب زاده مـــن عنـاه ولاه (١٠١)

دعونــا نخــوض الغــي والغــي رادة
كــوده الــى رانـــي يشــوف منـــــاه (١٠٢)

عطـا اللــه قصــر حـال بيني وبينـهـا
لنجـم مـــن المولـــى يهـــد بنـــاه (١٠٣)

---

(١٠٠) عنـد ابن يوسف : دار من عســر .
وقبـله :
واقفت مثل هرش من الرمـل موقف
تحايـد عن الماليـن حل ظمـــــــــاه
يشـــم مزاعيـج الحياض ويعافـــه
ليـن الجـم عن جـال القليب حـــداه
أقفـى وهـو يتلـي سنـا نوض بــارق
يصـعب علـى الريـدا سفايـح مـــاه
واقفيت يـم الطعـس ميس حيـاتـــي
ولا لـي بعـد خلـي من الـزاد شهـاه
عزي لعينـي عذبتني بالشقـــــــا
ودمعـي جـرى من ناظري واحفـــاه
وعند ابن يوسف : دقاق حجـل المواق ... شقـــا .

(١٠١) ولاه : ولاوه .
وقبلـه :
تلـفي لخلانـــي وخلـــي واهلهـــا
في حايـط العـزام بستـان ما حـــلاه

(١٠٢) رادة : إرادة .. رانـي : رآنـي .

(١٠٣) عند ابن يوسف : لعـل قصـــر .
يـــارب عطنــا رجفــة تجمـع المـــلا
حتـى بهـا خلـي يطيـــر غطــــاه

واطلب الى هند العلا من ركونها (١٠٤)
تذهل عطيرات الجيوب حياه (١٠٥)

يظهر خليلي سالم من ربوعها
هذي مطاليب الفتى ومناه (١٠٦)

قلت ايها الركب الذين كلما
عنوا بان لكم من جانبيه بناه (١٠٧)

خليلي يشادي خاتم العاج وسطه
تقول انفرج لولا البريم حواه (١٠٨)

خليلي خلا قلبي من الولف غيره
بعت الاخلا والخدون حذاه (١٠٩)

خليلي لو ان الله فيه يريدلي
بعت الاهل والعالمين فداه (١١٠)

خليلي فلو حال البحر عنه دوني
ذبيت روحي فوق لجة ماه (١١١)

ولو هو يسرح لي جراد رعيته
أبى هضّله من حشمته ورضاه (١١٢)

---

(١٠٤) العلا : العالي ٠
(١٠٥) حياه : حياءها ، وعند ابن يوسف : ابغي الى هد ٠٠ من مقصوره واذهلن عطرات ٠
(١٠٦) عند ابن يوسف : ربوعه ٠٠ هذاك مطلوب ٠
(١٠٧) عنوا : تقدموا في سيرهم إلى بلادهم ٠٠ بناه : بناء القصرالذي مرذكره٠
(١٠٨) عند ابن يوسف : غدا مزج لولا إن البريم طواه ٠
(١٠٩) عند ابن يوسف : الأخلاء والشجون ٠
(١١٠) عند ابن يوسف : فيه مطيعني ٠٠ بعت أهلي ٠
(١١١) عند ابن يوسف : خليلي لو حال البحر بيني وبينه ٠
(١١٢) عند ابن يوسف : خليلي لو يسرحني في جراد ٠٠ واهظله ٠

خليلي فلـو ياطـا علـى حر جمـرة
آطـا بمـا ياطـــا واصيـر حـــذاه (١١٣)

خليلي فلــو يـزرع زريـع سقيتــه
بدموع عيني لـو يشح السحاب بماه (١١٤)

خليلي فلو يبزق على الشري ريقه
غدا كالعســل كـل يريـد شـــراه (١١٥)

خليلي فلــو ياطـــا على قبر ميـت
تكلم دفيــن القبــر حيــن وطـــاه (١١٦)

خليلي فلــو يمشـي بقـــاع تزخـرف
وزهــره ينـــور عنـــد وقت مشاه (١١٧)

معسل ثـنـايـــا صاحبي فـــات عنـي
كمـا فـــات لقـــاي الدلـي رشـــاه (١١٨)

يارب عطنـــا رجفــة تجمع المـــلا
حتـى بهـــا خلـي يطيـــر غطـــاه

---

(١١٣) عند ابن يوسف : خليلي لو ياطـا على جمرة الغضا وطيت ما ياطـا ٠

(١١٤) عند ابن يوسف : خليلي لـو ٠٠ لـو زل السحـاب ٠
والفـاء قبل « لـــو » أثبتهـا دائمـا لأجـل الوزن ٠

(١١٥) عند ابن يوسف : غدا عسل واغنى التجار شـراه ٠

(١١٦) عند ابن يوسف : راعي القبــر ٠

(١١٧) عند ابن يوسف : لو ياطـا على قاع تزخرفت ٠٠ وصارت مثـل مسك يفوح شـذاه ٠

(١١٨) عند ابن يوسف : خليلي معسول الثنيات فاتني ٠

الا وا شقا روحي الى صار صاحبي

جضيع لغيري واحترمت لقاه (١١٩)

سيره ممروع لغيري الى اهتوى

وساقيه ما ينحي عليّه ماه (١٢٠)

من باعنا بالهجر بعناه بالغيا

ومن جذ حبلي ما وصلت رشاه

الاقفا جزا الاقفا ولا خير في فتى

يريد هوى من لا يريد هواه

ومن عافنا عفناه ولو كان غالي

نبيعه بزهد في حدود غلاه (١٢١)

كن عن صغير السن حذر ولا تكن

دنوع الى شفته بسن سفاه (١٢٢)

ان كان ما جاوز ثلاث مع اربع

وعشر فلا يشفي الفواد لقاه (١٢٣)

---

(١١٩) عند ابن يوسف : الا واشقاقلبي الى صار صاحبي .

(١٢٠) البيت كناية عن جفاء الحبيب ووصله لغيرالشاعر، ومرع السير دهنه ليسير، وعند ابن يوسف : ويهتوي ... عليه بماه .

(١٢١) لم يرد هذا البيت عند ابن يوسف .

(١٢٢) معنى دنوع هنا سريع الميل للحسناء الصغيرة .. سن : عمر .. سفاه : سفاهة كناية عن الصغر .

(١٢٣) عند ابن يوسف : الى صار ما تاخذ ثلاث مع اربع .

تعاديه ما يدري تصافيه ما درى

وما عطي من غالي الحديث حكاه

وعضيت باطراف النواجذ اناملي

وقلت آه من حر المصيبة آه (١٢٤)

ولو ان بقولة آه تبرات علتي

لكان أكثر في ضميري آه (١٢٥)

إذا جا حمام الموت ما ينفع الدوا

يموت الطبيب ولا يفيد دواه

والايام ما خلن حد ماكونه

ومن لا كونه عابيات عباه (١٢٦)

ولا صار ما يجفاك بالناس عالة

ولا خيّر نرجي السنوع وراه (١٢٧)

لا من محاملها ولا من ثقالها

فلك عن اراذيل الرجال غناه

---

(١٢٤) عند ابن يوسف : ايست من روحي وعضيت اناملي ٠

(١٢٥) عند ابن يوسف :

لو ان قولة آه تبري علتي

كان اكثر بالضماير قولة آه

(١٢٦) ما كونّه : ما كَوَّنه ٠٠ عابيات : معدات ٠٠ عباه : ما يعد له ٠

وعند ابن يوسف : الايام ما خلن من لا كونه ٠

(١٢٧) ما يجفاك : الذي يجفوك ٠

ولم يرد هذا البيت عند ابن يوسف ٠

ودع ذا وسل والي السما في محنتـم
سـرى يشعـق الظلمـا شعـاع سنــــاه (١٢٨)

لكـن بـراي اللــه يــوم اطلقـــت
عزاليــــه واضفـى بالسحــاب رداه (١٢٩)

حواريك تبـن بالزعازيـع زجهــــا
مـن الريـح زعـاج يـزج سفـــــاه (١٣٠)

وطا ما وطـا واللي وطا بعد ما وطـا
غطا ما وطا واللي وطـــاه غطـــاه (١٣١)

محا ما محـا واللي محا بعد ما نحـا
محـا مـا محـا واللي نحـــاه محـــاه (١٣٢)

نصى ماعصى واللي عصى بعد مانصى
نصى ما عطـا واللي عطـاه نصــاه (١٣٣)

---

(١٢٨) عنـد ابن يوسف : بنـور سنـــاه ٠

(١٢٩) عند ابن يوسف :
لكنـه بامـر اللـه يوم تطلق ركونـــــه
أزاليـه وصف السحـــــأب رداه

(١٣٠) حـوارك تبنى والـذراعين ترجهــــا
مـن الريــح زعـاج وطـار سفـــاه

(١٣١) عند ابن يوسف :
غطـا مـا وطـــا واللي وطـباه غطـــاه

(١٣٢) عند ابن يوسف :
ومحـا مانحـا واللي نحـــاه محـــاه
نحـا مـانحـا واللـي مانحـانحـــاه

(١٣٣) عند ابن يوسف :
عصى ما نصـا واللي عصــاه نصـاه
وبيـن اثــار اللـي درس مجــراه

قال أبوعبدالرحمن: هذه الأبيـات الثـلاثة مقحمـة متكلفة مكسرة غير مفهومة٠

وان كان لي ظن وفي الظن هاجس
فقد حال بين البازمين غثاه (١٣٤)
جاز وتحدر للرياض العشيبة
والمنحنى يزي الرعية ماه (١٣٥)
وصلوا على سيد البرايا محمد
عدد ما حنب رعد وناض سناه (١٣٦)

---

(١٣٤) البازمين : في الفصحي تأتي المادة للرعاة الذين يبزمون الإبل (أي يحلبونها بالسبابة والإبهام) ، واللصوص يبزمون الثوب بمعنى يسلبونه ، ٠٠ وتأتي يبزم بمعنى يعض ٠٠ كأنه عض أصابعه ندماً على تأخره عن دخول البلد قبل أن يحول دونه السيل ٠
قال ابن يوسف عن البازمين هنا : طريقان يفصل بينهما هضبة الحليلة جنوب شرق أشيقر ٠

(١٣٥) عند ابن يوسف :
سقا الله من عوصا إلى السهل رايح
والمنحنى يسقي الرعين بماه
والمنحنى يسقي رياضِ عشايب
رمحين والروضة مدبّ غثاه
إن كان لي ظن وفي الظن هاجس
قد حال بين البازمين غثاه
وبعد قول ابن عبدالرحيم : « الايام ما خلن حد ما كونه »ورد عند ابن يوسف :
لا تقطعون الحب مني وخلني
خلوا مجاري الحب يتبع هواه
يعل يومي بالملا قبل يومه
ويعل عمري للحبيب فداه
قطع الله من فرّق حبيب وحبيبة
واسقاه من طين الخبال بماه
خلي قضى مثبات موسى وضفدعت
خباريه واخضرّت عليه شباه

(١٣٦) عند ابن يوسف : ما حن رعاد وناض سناه ٠

وهذا نص قصيدته البائية الثانيـة (١٣٧) :

أبحت العزى يا شكر من فوق مرقب
وجريت الحـان عليه عجـاب (١٣٨)

على مثـل غصـن الموز غض شبابه
يقـود الهوى بيـن شفتيه عـذاب

وبايعتهـا والسوق بيـني وبينـها
وبيـع على بعض المـرار كـذاب (١٣٩)

وساومتهـا فـي السـوق والنـاس تنظر
والى من بغى يا طا الحبابيل هاب (١٤٠)

لحقتـه الى بـاب العطيفة ظاهـر
حتـى غـدا بيـن البيـوت ذهـاب (١٤١)

وانـا مـن حضر قاعد وهي بنت بادي
وطـرد الـ ـوادي للحضـور عـذاب (١٤٢)

---

(١٣٧) هذه القصيدة عن نسخة خطية حديثة ناولني صورتها الأستاذ عبدالرحمن المانع في ١٤٠٩/٣/١٨هـ ، وأصلها من مكتبة الشيخ عثمان بن عبدالرحمن أبا حسين الحميدي إمام مسجد الشمال بأشيقر ، وذكر في ـسخة أن المطوع قالها في شبابه ، وهي بلباب الأفكار للشيخ ابن يحيى ٢/٧١٧ - ٧١٨ .

(١٣٨) في الأصل : راس مرقب .. وعند ابن يوسف : براس مرقـب .

(١٣٩) في الأصل : والبيع في بعض .. المرار : المرات جمع مرة .

(١٤٠) في الأصل : وإذا بغي ياطا في الحبايل هاب .

(١٤١) عند ابن يوسف : ولحقته .. لينه غدا وقال : باب العطيفة هو بابـ ـائط جميلة شمال بئر الربيعية يلتقي سوق السديس المؤدي إلى خارج البلد .

(١٤٢) في الأصل : وهي بادي وانا مع الحضر قاعد .

فياليت زمـول البــــدو يــــوم شــدوا
تكـــون علـى هـــاك النهـــار ذهـــاب (١٤٣)
نطحنـي بغـب السيل بالـوادي الـــذي
إذا قلت أنـــا انحيت بمسيلـه يهـــــاب (١٤٤)
نشدتـه بمـــن تعزى عليـه وقـــال لـي
أنـــــا مـن عقيـل ما عليــــه طـــلاب (١٤٥)
وقـفـــى يخـوض المـــا بخمص النواعـم
وساقيـــن فيهـــن الحجـــول لبـــاب (١٤٦)
كشـــف لـي علـــى ردفيـــن لكنهـــا
أطاعيـــس رمـــل هـل عليه سحـــاب (١٤٧)
تبســـم علـى غـــرة لكنــــه بلولــــو
يــــردن مـــن عـــاف السفـــاه وتـــاب (١٤٨)
ويـا حلـو تقطيـف الثمــر مـن غصونـه
يزيـــد الفتـى ما دام فيـــــه شبـــاب (١٤٩)
الـى صـــار ما جـان جنـى من ثمـــاره
يخيـب ومـــن لاذاق جنيــــه يخــــاب (١٥٠)

---

(١٤٣) في الأصـل : تكـون هـاك النهـــار ٠
(١٤٤) في الأصـل : غـب ٠٠ إذا قلت أنـا انحنى في مسيله هـاب ٠
(١٤٥) في الأصـل : وقـال - بدون لـي - ٠٠ ما علي ٠
(١٤٦) عند ابن يوسف : واقفى ٠٠ بخمص نواعـم ٠
(١٤٧) في الأصـل : وكشـف ٠٠ عن ردفيـن ٠
(١٤٨) في الأصـل : وتبسم ٠٠ عن غـرة تقل لـو لـو ٠
(١٤٩) عنـد سعود اليوسف : اقول ما حـلا ٠
(١٥٠) وعند ابن يوسف : كما في الأصل ولكن بلفظ أثمار الهـوى ٠٠ جنيـه ٠

الا يا حمـامـات النجيمي وما حـــلا

غناكـن لـولا ان الضمير مصـــاب (١٥١)

مصــاب بعيـن ثـم خــد ومبســـــم

وجيــد ومجـدول زهــاه خضـــاب (١٥٢)

فيـا سـدرة الـوادي سقيتِ من الحيَا

عليـك غمام ثم عقبه سحــــــاب (١٥٣)

وصلوا على سيد البرايا محمــــــد

عـدد ما ينوض البرق مثـنى سحاب (١٥٤)

وأما القصيدة الثالثة فهذا نصها، وقد قالها في شبابه أيضاً: (١٥٥)

ألا يا حمامات بعالي وشيقــــــــر

وراكن فراق والحمام جمــــــوع (١٥٦)

ألا يا حمامات بليتـن بنــــــــادر

بحــرٍ وحطّـاب سطا بـه جـــــوع

---

(١٥١) النجيمي : قال ابن يوسف : نجيمي السبيل ، وهـو بستان نخيل يسقى من بئـر العلا في شمال أشيقــر ٠

(١٥٢) في الأصل : مصاب من عين وخـد ومبســم ٠

(١٥٣) في الأصل : عليك غمام وعقب الغمام ، وعند ابن يوسف : غمـام ومـن عقب - بـدون عليك قبل غمـام - ٠

(١٥٤) في الأصل : وصـلى الله ٠٠ ما ناض برق وهــل ٠ والشطر الثاني عند ابن يوسف كما هو في الأصـل ٠

(١٥٥) هي ضمن القصائد التـي نـاولني الأستاذ ابـن مـانع صورهـا كمـا مر ، وهـي مثبتـة بلباب الأفكار ٧٣٤/٢ ٠

(١٥٦) في الأصل : أشوف أن أفراد والحمام ربوع ٠ والتصحيح من صحيح الأخبـار ٢٠٩/٢ ، وعند ابن يوسف : وراكن افـراد ٠

أراكن تغنن فوق الاغصان سجع
ولا صابكن فرقا وليف طـــوع (١٥٧)

وراكن ما تبكن لخـل غـدا لي
تهلن من عين عليه دمـــوع (١٥٨)

الا واسفا بالجادل أم محمـــد
فارقتها واثـر الفـراق يـــروع

وشبهتها بالوصف يا جاهل بها
شحم الكلاوي في يده يمــوع (١٥٩)

بكيت عليها لين حرقت ناظري
ولا نـاب مـن أمر الا له جـزوع (١٦٠)

الا يا مشقيـن بدنياكم أرفضوا
وراكم حصايدها تحصد زروع

وأضاف الأستاذ سعود بن يوسف هذه الأبيات من روايتـه :

---

(١٥٧) عند ابن يوسف : وراكن ٠٠ ما صابكـن وعند ابن يوسف : حر خطوف صاطي ٠

(١٥٨) أورد ابن بليهد بيتين من القصيدة هما المطلع ، وقوله :

أنا ابكي وعيني حـرق الدمـع خدها
وتبكـن ولا يجـري لكـن دمـــوع

وعند ابن يوسف : خـل ٠٠ وتهلـن من أعيانكـن ٠

(١٥٩) في الأصل : شحم الكلى من اليدين يجوع ٠٠ وعند ابن يوسف : حليتها بالوصف ٠٠ شحم الكلا بين اليديـن ٠

(١٦٠) عند ابن يوسف : نواظري ولاني من ٠

منهـا عيوني كـل ما حـل ذكرهـــا

تهــل وتمــلا الوجنتيـن دمـــــــوع

ولاكـن كبـدي كـل ما زامهـا الطنى¹

عزّالهـا بعض المـرار تفـــــوع

ولاكـن قلبي كـل ما حـلّ ذكرهـــا

يحــق لـه بيـن الضلوع طلــــــوع

تمنيـت لا حافاني اللــه بالمنــــــى

إلى لـي من بواليــد الحديد ضلـوع

يـردّن قـلبٍ طـار من مستكنّــــــه

قـلبٍ علـى فرقــا الخليل جـــزوع

عليهــا سـلامٍ عـد ما ناض بـــارق

واعـداد ما هـل السحاب همــــوع

إلــى أن يقــــول :

ألا يا مشيحيــنِ بدنياكم أوقفـــــوا

ورا كـم حصاصيد تحصــد زروع

ولا يـد إلا ويـد اللـه فوقهـــــــــا

ولا طايـرات إلاّ وهـن وقــــــوع

ولا ضحك إلاّ والبكـا مردفٍ لــــه

ولا شبعــة إلاّ ومقـتفيهـا جـــــوع

ولا بـد عقـب الجـوع ياتيـه شبعــه

ولا بـد راعي فرحــــــةٍ من روع

وادٍ جـرى لا بـد يجري من الحيـا

من بارقٍ يوضـي سنـاه لمـوع

قال أبوعبدالرحمن : هذا تداخل مع عينية بني هلال ، وعينية الخلاوي ، وعينية الشويعر .

وأما القصيدة الرابعة ، فهي رواية الأستاذ سعود بن يوسف وهذا نصها :

يـا جانيات العصفر الغض بالضحى

عليكن يا نجـل العيـون سـلام (١٦١)

قالـن سـلام للمردان ولأهل اللحى

ومن لاح شيبه ما عليه سـلام (١٦٢)

يا عقـدة البـاب التي قد تهدمـت

بنـاياك من طـول السنيـن ثـلام (١٦٣)

يا نبتـة البـرني سقيت من الحيـا

سحـاب ومن عقب السحاب غمـام (١٦٤)

---

(١٦١) قال ابن يوسف : العصفر نوع من الأشجار لـه ثمـار كـالزعفران ، وبذرتـه كبذرة دوار الشمس .

(١٦٢) **قال أبوعبدالرحمن** : ورد هذا البيت في شعر لشايع الأمسح .

(١٦٣) قال ابن يوسف : عقدة الباب سور البلد الشمالي ويدل على تقادم العهد .

(١٦٤) قال ابن يوسف : نبتـة البرني النبتـة نوع من النخيل ، والبرني اسم للبستان الذي توجد بـه هـذه النخلـة ، وهـو يقـع أمام عقـدة الحريملي من الناحية الشماليـة .. والبرني في الأصل نوع من التمر يعدّ من أجود الأنـواع التي تشتهـر بها المدينة المنورة .

يا سـدرة الفـرغ الشمالي من العـلا

مقيـالهـا إلى خـار النهـار منـــــام (١٦٥)

وأمـا القصيدة الخامسة فهي بروايـة ابن يوسف أيضاً، وهذا نصـها:

حوريـة العين حـورا الجبيــــــن

مـن البـدو مِن شافها يهبـــــــلِ

إن عنـت يم بـدوٍ فيدنـى لهـــــا

ظلـةٍ حــس جرسانهـا يعــــولِ

وان عنـت يم حضـرٍ فيبنى لهـا

روشنٍ فـوق جمـع الملا معقلـــي

وسلمـى كمـا الريـم لولا بهــــا

خـط نـونٍ على واضـح الذبـــل

وطـق المطـوع ولا انـه صويـب

صوابـه خطيـرٍ علـى مقتـــــل

وطـق المطـوع ولا انـه طريـــح

طريــــحِ ولا خبّروا بـي هلـــي

وقلـب الهـوى عـادة ما يثـــوب

لـو تعذلـه عن الحـب ما يعـــذل

دخـلت الفريـق ومعـي مصمـــدي

أدوّر بــــه البيـــع والبــــدلِ

(١٦٥) قال ابن يوسف : سدرة الفرغ سدرة تقع شمال بئـر العلا بأشيقـر خـار .. اشتد حرّه أثناء تعامد الشمس في كبد السماء .

وقـالـت يمينـك نشـوف الحجـــول

جـــداد ضعهـــا ستـــادِ بلــي

وقـالت علامك تطيـل النظـــــر

تحـدد لي الشـوف ما تخجـــــــل

فقلـت لهـا من هـواك صويـــــب

فـر وفـي بحالـــي ولا تبخلـــــي

فقالـت لي أمهـل علينــــا ثـــلاث

وعقـب الثـــلاث فـلا تمهــــــلِ

مهلـت الكثيـر برجـوى القليــــل

ولا أمهـل اللـــــه مـــن يمهـــل

وكنيـت في البيـت ذاك النهـــــار

مــدارى، عــن الشـوق لا يزعــل

ولا راعني غيـر شـد الضعيــــــن

وصــوتٍ لابوهـا يقـول ارحــــلِ

فجابـوا لهـــا أملـــحِ كالغــــراب

عريض الفطيحـا مـــن البـــزل (١٦٦)

وعبـــده تسـوق وأخـرى تقـــود

برفــقٍ ولا بالعصـا يرغـــــــلِ

---

(١٦٦) البـزل : الفطـــر التي شـق نابهـــا ٠

وزمنّهـــا فوق عالـي قـــــــراه
وقـــام البليهـي بهـــا يهـــذل
وقَفت وهـي تدعـي بالســــــلام
وتومـي ولاكـن الاومـــاي لـــي
وشبهـت أصـابع حسين الـــدلال
حنابيز رمّــلِ سقـاهـــا الولـــي (١٦٧)
ورحـت اتـتبـع باثـر ساقتــــــه
علـى الشـوف كـود الغضـي ينـزل
وحــل الظــلام وبنّ النجــــــوم
بليـلِ سنـــا بــــدره منجلـــــي
وســار الدجـى بطريـق وانــــــا
بعيــد عن النـــزل والمنــــزل
وناديـت سلمـــــى ويا سلمتــــى
ورد الصــدى الصـوت ما ردّلـــي
ويبسـت شفـاي طـريح الغـــــرام
غــرام وظمــا واحتـراق وصلـــي
شـربت الحمـام قضيت النحيــــب
براس ابـــرقِ نايـفِ معتلـــــــي

* * *

(١٦٧) قال ابن يوسف : حنابيز مفردها حنبازة ، وهي نبتـة بريـة جذرها المنغمر فـي الرمـل يكون ذا لونين أحمـر خفيف مختلط باللون الأبيـض ٠

الفصل الثاني :

عشاق يطاولهم الضنى فيموتون جلداً على عظم

قال أبوعبدالرحمن : من القصص في هذا المجال - على مذهب الواقعية الأدبية - قصة أبي عفاس ، وهي من صنع المؤلف .

قال أبوعبدالرحمن : كان أبوعفاس من لداتي وأترابي في القرية .. إلا أنه بقي على أميته لم يلتحم معنا منذ التعليم الابتدائي المرحلي .

أما دراسته معنا قبل ذلك في الكتاتيب فقد كانت مجرد نزهة واسترواح ! .

وكان من الزكرت البارزين .. وميزة الزكرتي أنه يقضي أكثر الليل في الأنقاء يلعب أم غريبين في ضوء القمر تارة ، ويأخذ مكانه من الصف قائماً أو قاعداً تارة يردد مع السمار ألحان أهل قريته الشعبية .

وربما تحيفوا تيساً أو دجاجاً من بيت أهلهم أو صديقهم أو من لا يعرفهم ، فتقرموا بهن ليلتهم شواء أو على طبيخ .

وليس ذلك يُعدُّ سرقة ، ولكنه صعلكة وفتوة ! .

إلا أنه كان سيد الزكرت !! .

وميزة السيادة في الزكرت أنه فنان يأسر القلوب إذا ترنم ترنماً ساذجاً .

إذا ترنم خلته مزماراً يلعب بأوتار القلوب ٠٠ وإذا لاعب الربابة أنطقها بأفصح عبارة ، ورقصها بالعواطف ضاحكة أو باكيــة !! ٠

وكان شاعراً حاضر البديهة مليح المعشر ، وكـان ذا بسـطة فـي جسمه مع أناقــة ٠

وكان قويّاً مهيباً مع جسارة قلـب ونبـل خلـق ٠٠ جمـع اللـه فـي إهابه كل أريحية الصعاليك !! ٠

والتقينــا فـي المدينـة بعــد أن افترقنــا فـي القريـة ٠٠ كـان فــي حرفتــه ٠٠ وكنت في مواصلة دراستي ثم وظيفتي ٠

جاء إلى المدينة وقد أوشك على خلع رداء الخمسين ، ووخطـه الشيب وخطاً سويّاً ، وعوضـه الله بأولاد تفوقوا في تعليمهم ٠

وأصبح هو من سـواري المسجد (أسطواناتها) سـريع الدمعـة والتنهيدة ٠٠ مكسور الخاطر كلما ذكرت الجنة أو النار ٠

وقد نسخ كل آثار الزكرته نصاعـة القريـة وشموخها ، ونقــاوة المأكل والمشرب والملبس والكنّ ٠

ولم يفقـد شـيئاً مـن حيويـة الشـباب سـوى قتـير كأنـه مبدد علـى عارضيه ولحيته السوية بريشة فنان ! ٠

وكنت أتعهد زيارته في اليومين والثلاثـة إذا تأخر عن زيارتـي ٠

وبعد تمام خمسة أعوام مـن مجيئـي للمدينـة لاحظـت أن صحتـه في انحدار ، وأن الغضون تفتحت فـي جبينـه ووجناتـه إلا أنـه يزينهـا نور الحرفة والبراءة ٠

وكان يطرب إذا ذكرته منسي الهوى وإن كان عنه تائباً !! .

وربما جلجل صوته العذب الخلاب بالهجيني أو السامر أو المسحوب إذا استشهدت بشعر ابن سبيل ، أو ابن لعبون ، أو قول الوضيحي :

التايه اللي جاب بصري يقنِّه .

وأخذ منه النحول والتغير كل مأخذ ، فأصبح في لون الدبى الكتفان أو الجرادة الزعيرية .

وأصبح ينوء بحمل العباءة الخفيفة ! .

بل عجز بأخرة عن أداء رياضته اليومية المحببة قبيل شروق الشمس حينما يستدير على حديقة شمال المدينة ويقف وقفات مشدوهة عند منحنى شارع الحديقة الغربي حيث الفرّان ، وحيث ينقدُّ من ركنه الشمالي شويرع يتجه غرباً ويدك في بيوت شعبية .

وأخذ مني الهم والتفكير كل مأخذٍ في ظروف صديقي أبي عفاس ، فتذكرت أننا منذ سنة فقط خرجنا من الفران متباريين وهو يحمل كومة من الرغيف المستعر دون وقاية .. وفجأة توقف وهو يَلْخَص امتداد المنحنى العام إلى حيث الشويرع الشعبي ، فرمى بالخبز علي وهو يقول : اللهم صل على محمد !! .

وكان الخبز يتوقد ناراً ، فلففته في عمامتي ، وظننت أن الخبز أحرقه .. وإذا الذي أحرقه شيئ آخر !! .

لقد أسرع إلى قعر الشويرع من جهته الأخرى ليلتقي بعابرة كانت في أسبوع استعدادها للزواج ، وكان أهلها من معارفنا وجيراننا في القرية .

ولو لم يبد شيئ من زينتها المحجَّبة لكان في قسمات جسمها من خلال مشيتها ما يأخذ بتلابيب القلوب ؟ .

كيف وقد بدا لها كف ومعصم لا أشك أن امرأ القيس نظر إلى مثله عندما قال :

كلمع اليدين في حَبِيٍّ مكلل

فهو يشبه البرق باليدين !! .

فتذكرت أن إبليس همز أبا عفاس في ذلك المكان حتى أصبح التطواف به عادة ورياضة !! .

وتذكرت ما ترجمه لي من شكواه أنه فوق خمسين وهي بنت ثمانية عشر عاماً .. وأنها بعد يومين ستكون ذات بعل .

ولو لم تكن كذلك لما كان يطمع في شيئ إلا أن يكون فداءها وخادم أهلها ! .

فذلك هو المحبوب الممنوع حقّاً !! .

وما دار بخلدي أن تلك الهمزة ستصل به إلى هذه الحال .. وكنت أظن أن تلك الشكوى من لغو القول ومبالغاته !! .

فنهضت على عجل إلى بعلها ، وكان صديقي في الدراسة ، وقد حصل على شهادة الدكتوراه من مصر عن أريحية وهموم الشعراء العذريين .. وكان يرغب في الحصول على الدكتوراه أيضاً من فرنسا من جامعة طه حسين عن عذريي الخواجات من أمثال لامرتين .. كأن الدكتوراه من البلاد العربية لم تملأ عينه .. وكأنه يريد إجادة لغة خواجية .. !!

فشكوت عليه ما يلاقيه أبو عفاس - وكنا جميعاً زملاء في القرية أيام الأميّة - وذلك عندما همزه إبليس في هذا المكان أسبوع الزواج !.

فصاح بي : ويحك يا ابن عقيل !!.. وأي شيئ أعمله وأنا بعل ! ؟.

فقلت : تدعو أبا عفاس لنسمر عندكم للعشاء ، ولنجدد ذكريات القرية .. ثم نتبادل الزيارات ، ويكون لزيارتنا لكم عادة لا تنقطع في الأسبوع أو الأسبوعين .

قال : هذا سهل .

قلت : ويرد عليه حرمك السلام من وراء الباب ، ويحفون السؤال عنه وعن أهله ، ويسألونه سماع أشعاره وألحانه ! .

قال : هذا وربي سهل .

قلت : ويلقون عليَّ خمارهم بحاله غير مغسول فأصليه دفَّاية أو موقداً وأكمّده وأوهمه أن علاجه بالتكميد .

قال : هذه والله لا أطيقها .

قلت : الخمار كأي قطعة قماش لا يعلم مصدرها .. وإنما سأطلب أي قطعة قماش .

فإذا طلبت ذلك فلا تعطوني غير الخمار طريّاً .

وهل يسركم أن تتحملوا إثم عزيز شفاؤه بأبسط الأسباب ؟ .

وما عليكم في هذا غضاضة والمجلس محفوف مني ، ومنكم ، ومن أبي عفاس لا غير ! .

كيف لا وأنت بدراستك للدكتوراه خبير بأدواء العذريين ؟ ! .

قال : والله إنها قاصمة الظهر ، ولكنني أحتسب !! .

وخيِّل لأبي عفاس أن في الخمار سرّاً للعلاج ابتدعه الدكتور من خلال تعلمه الجامعي .. وعاد أبو عفاس إلى أجود من حاله الأولى .

إلا أن جلسة التكميد إذا تأخرت أسبوعين أو ثلاثة يصاب بقلق وضيق صدر !! .

وبعد عام واحد كان الدكتور وأهله على وشك السفر إلى باريس للدراسة في السربون ، ولم يعد الخمار ينفع إذا أَغبَّ !! .

وواصل الدكتور دراسته سبعة أعوام لم يقض من إجازته ربع يوم في بلد أبي عفاس ، فانتكست حاله حتى كان جلداً على عظم لا أكاد أسمع أنينه في فراشه ، وإنما كنت أستبين قوله إذا رآني : الله يجعلها على الشهادة والعبادة يا أخوي - ولكن بدون همزة - .. وكان يرفع سبابته .

فأرسلت البرقية تلو البرقية للدكتور بدل الخطابات الكثيرة أستعجله ، فجاء البشير بانتهاء مدة دراسته ، وبموعد استقبالي لهم في المطار ، فحملتهم بسيارتي ، وعندما حاذيت المنحنى بُعيد صلاة الظهر وجدت القوم زرافات ووحداناً قادمين من المقبرة مشيعين لأبي عفاس رحمه الله (١) .

---

(١) في هذه القصة رد السلام من وراء الباب ، والاحتفاء بالسؤال عن أبي عفاس !. فربما ثارت ثائرة أحد المتحمسين وقال : كيف يجوز لها أن تحادث أجنبيّاً ولو من وراء حجاب ؟ ! . ==

قال أبوعبدالرحمن : القصة نسيج أدبي ، ولكن لنا أن نتساءل واقعا : هل فيه قتالى من الحب حقيقة ؟ ! .

نعم فيه قتالى .. وقد ذكر ابن حزم منهم ابن قزمان أحمد بن كليب النحوي ، وجارية كان لها شاهد عيان ، وجارية أخيه أبي بكر ، وصديقه ابن الطبني التميمي ، وابن دحون .. ذكر ذلك في باب الموت من كتابه طوق الحمامة .

ولكن أبا محمد لم يذكر أنهم ماتوا بشهقة ، بل طاولهم السقام والنحول حتى أفضى إلى هلاكهم .

قال أبوعبدالرحمن : تخلل الفصل الذي قبل هذا عن عشاق يموتون بشهقة حديث عن أناس كانت شهقتهم بعد أن طاولهم الضنى .

== **قال أبوعبدالرحمن** : صحت الأحاديث الشرعية الشريفة عن أسماء بنت عميس رضي الله عنها ، فوصفها الراوي بأنها بيضاء موشومة اليدين . وابنة أبي ذر ، وهي سفعاء الخدين .

وحديث عمران بن الحصين عن فاطمة - رضي الله عنهما - وقد ذهب الدم من وجهها ثم غلب الدم على وجهها وذهبت الصفرة .

ورأى ابن مسعود - رضي الله عنه - الأسدية وجبينها يبرق .

والسياق عريض في كتب الحديث والتراجم من عهد الصحابة رضي الله عنهم إلى فواضل النساء اللاتي تلقين عن فحول العلماء وتلقوا عنهن منذ أحمد إلى ابن قدامة إلى ابن حجر والسخاوي .. إلخ .. ، وحادثن الرجال وحادثوهن في العلم وأمور الحياة العادية ، وانظروا أعلام النساء لكحالة .

وكانت سمراء بنت نهيك رضي الله عنها ذات درع غليظ ، وضمار غليظ بيدها سوط تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر .

وكتب ابن بكار وغيره عن الوافدات من النساء على الخلفاء والملوك .

وآخر من أدركهن جيلنا المريحية والبرازية .

وأم شريك - رضي الله عنها - قال عنها رسول الله ﷺ : تلك امرأة يغشاها أصحابي .

وكانت امرأة من الأنصار ثرية كثيرة النفقة في سبيل الله ينزل عندها الضيفان .

قال أبوعبدالرحمن : أفلا يكون في الأمر سعة للسؤال عن صحة أبي عفاس وأهله من وراء حجاب ؟ ! .

وفي كلام أبي محمد عن علامات الحب ذكر أنهم يسهرون ويبكون ٠

وفي فصلين آخرين ذكر آلام الهجر والبين ٠

إلا أن أبا محمد احتاط في باب ما يذكر عن النحول ، وعدّ بعض دعاوى النحول من أكاذيب الشعراء ٠٠ قال : أبو محمد ابن حزم : « ولم أمتنع أن أورد لك في هذه الرسالة أشياء يذكرها الشعراء ويكثرون القول فيها ، موفيات على وجوهها ، ومفردات في أبوابها ، ومنعمات التفسير ، مثل الإفراط في صفة النحول وتشبيه الدموع بالأمطار وأنها تروي السفار ، وعدم النوم ألبتة ، وانقطاع الغذاء جملة ، إلا أنها أشياء لا حقيقة لها ، وكذب لا وجه له ، ولكل شيئ حد ، وقد جعل الله لكل شيئ قدراً ٠ »

والنحول قد يعظم ، ولو صار حيث يصفونه لكان في قوام الذرة أو دونها ، ولخرج عن حد المعقول ٠

والسهر قد يتصل ليالي ، ولكن لو عدم الغذاء أسبوعين لهلك ٠

وإنما قلنا : « إن الصبر عن النوم أقل من الصبر عن الطعام » لأن النوم غذاء الروح ، والطعام غذاء الجسد ، وإن كانا يشتركان في كليهما ، ولكنا حكينا على الأغلب ٠

وأما الماء فقد رأيت أن ميسوراً البناء جارنا بقرطبة يصبر عن الماء أسبوعين في حمَّارة القيظ، ويكتفي بما في غذائه من رطوبة٠

وحدثني القاضي أبو عبدالرحمن ابن جحاف أنه كان يعرف من كان لا يشرب الماء شهراً ٠

وإنما اقتصرت في رسالتي على الحقائق المعلومة التي لا يمكن وجود سواها أصلاً ، وعلى أني قد أوردت من هذه الوجوه المذكورة أشياء كثيرة يُكتفى بها لئلا أخرج عن طريقة أهل الشعر ومذهبهم » (٢) .

قال أبو عبد الرحمن : وقد حاول الإمام محمد بن داوود الظاهري فلسفة النحول طبيّاً ، فقال : « أما الدلالة على صحة هذا القول من جهة

---

(٢) رسائل ابن حزم ١/٣٠٧ - ٣٠٨ .

قال أبو عبد الرحمن : إلا أن ابن خلدون قبل هذا المحال وفلسفه ، فقال في تاريخه ١/٩٧ : « وكذا من عود نفسه الصبر على الجوع والاستغناء عن الطعام كما ينقل عن أهل الرياضات ، فإنا نسمع عنهم في ذلك أخباراً غريبة يكاد ينكرها من لا يعرفها .

والسبب في ذلك العادة ، فإن النفس إذا ألفت شيئاً صار من جبلتها وطبيعتها لأنها كثيرة التلون ، فإذا حصل لها اعتياد الجوع بالتدريج والرياضة فقد حصل ذلك عادة طبيعية لها .

وما يتوهمه الأطباء من أن الجوع مهلك فليس على ما يتوهمونه إلا إذا حملت النفس عليه دفعة ، وقطع عنها الغذاء بالكلية ، فإنه حينئذٍ ينحسم المعى ويناله المرض الذي يخشى معه الهلاك .

وأما إذا كان ذلك القدر تدريجاً ورياضة بإقلال الغذاء شيئاً فشيئاً كما يفعله المتصوفة فهو بمعزل عن الهلاك .

وهذا التدريج ضروري حتى في الرجوع عن هذه الرياضة ، فإنه إذا رجع به إلى الغذاء الأول دفعة خيف عليه الهلاك ، وإنما يرجع به كما بدأ في الرياضة بالتدريج .

ولقد شاهدنا من يصبر على الجوع أربعين يوماً وصالاً وأكثر .

وحضر أشياخنا بمجلس السلطان أبي الحسن وقد رفع إليه امرأتان من أهل الجزيرة الخضراء ورندة حبستا أنفسهما عن الأكل جملة منذ سنين ، وشاع أمرهما ووقع اختبارهما فصح شأنهما ، واتصل على ذلك حالهما إلى أن ماتتا .

ورأينا كثيراً من أصحابنا أيضاً من يقتصر على حليب شاةٍ من المعز يلتقم ثديها في بعض النهار أو عند الإفطار ، ويكون ذلك غذاءه ، واستدام على ذلك خمس عشرة سنة وغيرهم كثير ، ولا يستنكر ذلك » .

الطب فهي أن الحرارة المتولدة من الحزن تنحاز إلى القلب من سائر أعضاء البدن،ثم تتصاعد إلى الدماغ فتتولد بخارات ردية،فإن طاقتها الطبيعة بالقوة الغريزية أذابتتلك البخارات الردية فأجرتها دموعاً •

وربما أضر كثرة جريانها بالمجاري فأدماها فجرى الدم مجرى الدمع •

وهكذا تذيب تلك القوى البخارات المتولدة في الدماغ في كمون الحرارة لما يعرض للرأس من حر وبرد ، فتجريه من الأنف زكاماً ، فتذهب غائلته •

ولو لم تذبه وتجره من الأنف صار كيموساً غليظاً ومادة منصبة إلى بعض الأعضاء الرئيسية ، فحينئذٍ تتلف أو تولد علة غليظة ، فكذلك الدموع إن لم تطق تذويبها القوى الطبيعية ، واشتغلت عنها بمدافعة ما هو أخوف على النفس منها ، صارت تلك البخارات كيموساً غليظاً فولد أمراً عظيماً •

وإما أن يستقر في الدماغ فيفسد ما جمع فيبطل الذكر ويفسد الفكر ، ويهيج التخييلات المستحيلات وذلك هو الجنون بعينه •

وربما فسدت منه كرة أو كرتين ، فيفسد بفسادها ما كان مستقيماً بصلاحها •

وربما انحدر ذلك الكيموس عن الدماغ إلى القلب فهتك بعض الحجب أو جميعها ، وكان منه حينئذٍ التلف لا محالة والله أعلم •

وربما انحدر إلى الكبد فمنع شهوة الطعام والشراب ، فحينئذٍ

يكون نحول الجسم وضعف القـــوة •

ومما ورد في النحول قول الأحـوص :

نفى نومـي وأسهرنـي غليـــــل
وهــم هاجـــه حـــزن طويــــل

وقـالــوا قــد نحلـت وكنـت جلـــداً
وأيســـر مـا منيــت بـــه النحـــول

فــإن يكـن العويــل يــــرد شيئــــاً
فقـــد أعولـــت إن نفـــع العويــــل

وكانــــت لا يلائمهــــا مبيــــت
عليهـــا إن عتبـــت ولا مقيــــل

وكنــا فـي الصفـــاء كمــاء مـــزن
تشــــاب بــــه معتقـــة شمــــول

وأعجــل عــن سؤال الركـب صحبـي
وأكــره أن يقــــال لهـــم أقيلـــوا

فقــد أصبحــت بعـــدك لا أبالـــي
أســار الركــب أم طـــال النــــزول

فمــن يــك بالقفــول قريــر عيـــن
فمــــا أمسيــــت يعجبنـي القفـــول

كأنــك لـم تــلاق الدهــر يومـــــاً
خليـــلاً حيـن يفـردك الخليــــــل

فصبراً للحوادث كل حي
سبيل الهالكين له سبيل » (٣)

قال أبوعبدالرحمن : ولا بن المرزبان كتاب بعنوان « الذهول والنحول » ينقل عنه مغلطاي وغيره .

وقال البقاعي : « وقال شيخنا حافظ عصره قاضي الشافعية بمصر أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر في تاريخه إنباء الغمر بأبناء العمر في من توفي سنة إحدى وعشرين وثماني مئة من الأعيان : محمد بن علي بن نجم الكيلاني غياث الدين بن خواجا علي التاجر ولد في حدود السبعين وكان أبوه من أعيان التجار، فنشأ ولده هذا في عز ونعمة طائلة ، ثم شغله أبوه بالعلم بحيث كان يشتري له الكتاب الواحد بمئة دينار وأزيد ، ويعطي معلميه فيفرط ، فمهر في أيام قلائل واشتهر بالفضل ونشأ متعاظماً ، ثم مات أبوه وتنقلت به الأحوال والتهى عن العلم بالتجارة ، فصعد وهبط وغرق وسلم وزاد ونقص إلى أن مات خاملاً .

مع أنه كان سيئ المعاملة ، عارفاً بالتجارة ، محظوظاً منها ، إلا أنه تزوج جارية من جواري الناصر (يعني فرج بن برقوق) يقال لها سمراء ، فهام بها وأتلف عليها ماله وروحه ، وأفرطت هي في بغضه إلى أن قيل : إنها سقته السم فتعلل مدة ولم تزل به حتى فارقها ، فتدله عقله من حبها إلى أن مات ولهاً بها .

---

(٣) الزهرة ١/٤٠٠ و ٤٠٧ - ٤٠٨ .

وبلغني أنها تزوجت بعده رجلاً من العوام فأذاقها الهوان ، وأحبته فأبغضها عكس ما جرى لها مع غياث الدين .

وبلغني أنها زارت غياث الدين في مرضه واستحللته فحللها من شدة حبه لها ، وكانت قد ألزمته بطلاق زوجته ابنة عمه فطلقها لأجلها .

وقد طارحني غياث الدين بمقاطيع عديدة وألغاز وترافقنا في السفر ومن شعره في سمراء قصيدة مطولة أولها :

سلوا سمراء عن حربي وحزني
وعن جفن حكى هطال مزن

سلوها [هل] عراها ما عراني
من الجن الهواتف بعد جني (٤)

سلوا هل هزت الأوتار بعدي
وهل غنت كما كانت تغني

يقول في آخرها :

سأشكوها إلى مولى حليم
ليعفو في الهوى عنها وعني

قال شيخنا : وهذا آخر من عرفنا خبره من المتيمين مات في سابع عشر شوال أي من سنة إحدى وعشرين المذكورة انتهى » (٥) .

---

(٤) هكذا في الأصل : ولعل الصواب : هل عراها ما عراني .
(٥) أسواق العشاق ص ١٣١ عن إنباء الغمر بأبناء العمر ٣٤٠/٧ - ٣٤١ .

ومن المولهين الذين شهد الشعر العامي بأنهم ماتوا قتالى غرام دخيل الله بن ناشي الدجيما العضياني، وقد مر ذكره في قول ابن سبيل :

أخاف من موت بليا حقيقة

مثل الدجيما ما طرد به ولا سيق

وقول الآخر :

الهوى قد ذبح له شمري

الدجيما على موته شهود

وقول ابن مقيبل :

والدجيما جدنا من هوى الزينات مات .

ولم أجد ترجمة للدجيما ، وذكر الأستاذ ابن حمدان أن اسمه دخيل الله بن مرضي الدجيما الروقي ، وأن عند مصلح العتيبي مزيداً من شعره وأخباره (٦) .

وذكر الهطلاني أن اسمه دخيل بن عبدالله العتيبي (٧) .

وقال الأستاذ محمد بن دخيل العصيمي : « هو دخيل الله ، ولقبه الدجيما .. من قبيلة الثعالية من الروقة من عتيبة .. وقد سماه شيخنا منديل الفهيد في كتاب آدابنا الشعبية دخيل بن عبدالله .. ولقبه الدجيما .. وقيل : دخيل الله بن مرضي الدجيما، وله ذرية يسمون الدجمان .. عشق سميحة العطاوية .. وفتيات ذوي عطية فيهن من الجمال ما يسلب الألباب .. ولسبب ما لم يوفق الدجيما في الزواج منها، وبلغ به الغرام حده، واشتهر

---

(٦) ديوان السامري والهجيني ص ٤٤ .

(٧) ديوان الدر الممتاز ١١٣/٢ .

أمره بين الناس ، وأخذ ينظم الأشعار ٠٠ ولانعرف بالضبط تاريخ مولده أو وفاته عشقاً ، ولكنه ولاشك قد عاصر وعاش بعد الشاعرمخلد القثامى الذي توفي حوالي ١٣٣٧هـ ؛ لورود شاهد في شعره على ذلك الشاعر ٠٠وكان الدجيما في بداية أمره لايعرف عنه أحد ، ولهذا فهو كثير التلميح ، واستعمل الرمزية في أشعاره ٠٠ شأنه شأن أمثاله في زمنه ، وشأن العرب في عدم ذكر الحبيب خوفاً من الحساد والرقباء ٠

والكثيرمن أشعارالدجيما ذهبت أدراج الرياح ؛ لعدم وجود من دوّنها ، ولولا ما حفظه الرواة لضاع شعره ٠٠ وقد ساهمت فنون الآداب الشعبية (وبالذات فن السامري) في حفظ قصيدته «يا جرقلبي» ؛ لأنها تغنى في أكثر المناسبات ، ويحفظها هواة هذا الفن ٠٠ كتب عنه بعض الرواة والمهتمون بالآداب الشعبية ، ومنهم الأستاذ عاتق بن غيث البلادي في الأدب الشعبي في الحجاز ، واستشهد له الأستاذ عبدالله ابن خميس في عدة مواقف ، وكتب عنه الشيخ منديل الفهيد في آدابنا الشعبية وكتب عنه الأستاذ إبراهيم اليوسف في مجلة اليمامة العدد رقم ٨٢٨ الأربعاء ٢١ صفر١٤٠٥هـ الأدب الشعبي)) (٨) ٠

أما ابن عمه حسن بن مقبيل فقد ذكر أنه دخيل الله بن ناشي العضياني ٠

وسلسلة نسب ابن مقبيل المعاصر تنتهي إلى ناشي والد الدجيما ، وهو الجد السابع ٠

---

(٨) شعراء عتيبة ٢٦٢/١ ٠٠ وقوله : «عاصروعاش » جاء في سياق لم يجعل لعاصرمفعولاً ٠

وبناء على قاعدة أهل النسب في إعطاء كل أب من سلسلة النسب ثلاثين عاماً يكون الدجيما من أعيان آخر القرن الثاني عشر وأول الثالث عشر الهجري •

ويشهد لذلك شعره ذو القافيتين من لحن المسحوب ، فكل ذلك حديث العهد ، ويشهد له تحديد زبن بن عمير بقوله :

يسمى دور محسن والدجيما وابن لعبون

مكنت اتلاه والا فاوله قد فات عني

وذكر ابن مقيبل أن من معاصري الدجيما المورقي الدعيس ساكن صفينة ، وكانا يتهاديان الشعر •• قال المورقي :

يا راكب حر يبذ المغيرة

سفايفه مثل الغرابين طفاح

تلفي الدجيما شوق ناسع جميره

اللي يسوى من حسينات الاقراح

وقد أجابه الدجيما بقصيدة تأتي آخر هذه النبذة عن الدجيما إن شاء الله •

وذكر ابن مقيبل أن الدجيما تولع بفتاة ، ولم يكن يجد غير ذلوله وبندقيته فطلبوا منه مهراً ثلاثين ناقة تعجيزاً له •

فاسترفد بقبيلته العضيان فجمعوا له المهر المطلوب غير أن أهل الفتاة ردوه كعادتهم في رد الخاطب إذا علم منه التغني بإيلاه •

فظل في غرامه وهيامه بقية عمره ، ووافاه أجله لم يَسْلُ •

وزعم الهطلاني أن الدجيما كان ينظر إلى أظعان أهل محبوبته من فوق تلٍّ وهم راحلون فقال قصيدته :

مديت انا بالجال – مع سرحة المال

وشفت الغبيط يشال – والمال ينقاد

فدخل بيته ومات ليومه (٩) .

قال أبوعبدالرحمن : الأسف يقتل ، ولا يستبعد موته على هذه الحال إذا كان ذلك عن عناء من الحب والهيام والذهول والنحول ، وإنما أنكرت موته شهقة عن غير صدمة أو معاناة طويلة عسيرة كما مر عن دعوى الجلاعيد والوليعي .

على أن الشاعر في القصيدة المذكورة يذكر الموت والنعش والقبر باعتبار ماسيكون ، وهذا كقول المؤمل بن جميل المعروف بقتيل الهوى :

أنا ميت من جوى الحب

(م) فيا طيب مماتي

اندبوني يا ثقاتي

واحضروا اليوم وفاتي

ثم قولوا عند قبري

يا قتيل الغانيات

ويذكر الدجيما أيضاً عن نفسه أنه عليل بالحب ، وهذا لا يداويه الطبيب الذي أحضروه إليه .

---

(٩) ديوان الدر الممتاز ١١٤/٢ .

ويظهر من شعره ومن حديث ابن مقيبل عنه أنه صاحب صيد ، وأنه تعاطى الزراعة بأخرة ، وأن دياره ضواحي المحاني وحيد البرك .

وعن المحاني قال البلادي : وادٍ فحل من أودية الحجاز الشرقية للروقة من عتيبة يأخذ من حرة الروقة ، ثم يدفع شرقاً في قاع النجيل ثم إلى السبخاء ، ويفترق في أعلاه إلى شعبتين .

وكان المحاني لقبيلة علوة من مطير حتى القرن الحادي عشر ، فاحتلته الروقة وجلت علوة إلى الساحل الشرقي بجزيرة العرب وشمال نجد .

وأشهر شعره الذي قاله في غرامه قصيدته الرائية النونية (١٠) :

يا جر قلبي جر لدن الغصون

وغصون سدر جره السيل جرا

---

(١٠) هذه القصيدة مما كنا نغنيه في الأنقاء بشقراء في الصغر ، وقد نشرت منها أبياتاً في صحيفة لي شعبية بجريدة الجزيرة ، ولعل ذلك في حدود عام١٣٨٦هـ ولا أحققه ، ونشر منها الشيخ منديل أبياتاً في كتابه من آدابنا الشعبية ١١٧/٣، ونشرها الأستاذ محمد بن عبدالله الحمدان في كتابه ديوان السامري والهجيني ص٤٤-٤٥، ومحمد بن إبراهيم الهطلاني في كتابه ديوان الدر الممتاز ١١٣/٢ ، والعصيمي في شعراء عتيبة ٢٦٥/١ - ٢٦٦ .

وسمعتها في شريط بصوت حسن بن مقيبل بن دخيل الله بن مرضي بن عبدالله بن سفر بن ناشي .

وذكر أن دخيل الله الدجيما ابن لجده ناشي ، فهو أخو سفر .

وسجلتها من رواية إبراهيم بن يوسف عن ابن مقيبل .

وسلسل ابن يوسف اسمه هكذا : دخيل الله بن ناشي بن رشيد بن ثعلي الدجيما . وذكر ابن مقيبل أن الدجيما لقب .

على الــذي مشيـــه تخط بهـــون

والعصـر من بيـــن الفريقيـن مــرا (١١)

واكثــر عــذاب القلـب يــوم سنحونـي

بيـح بصبـري لـــو بغيـــت اتـــدرى (١٢)

ياليتهـــم فـي الـــدرب ما واجهونــــي

وياليتهـــم مـــا زادوا الحــر حــــرا (١٣)

ياليتهـــــم بالحــــب ما ولعونــــــي

كـان ابعـــدوا عنــي بخيـر وشـــرا (١٤)

ياليتهــــم عــــن حاجتـــي سايلونــي

يـوم انــي اقعـــد عندهــم واتحــرى (١٥)

---

(١١) عند الهطلاني : تمد بهون ٠
وعند ابن مقيبل : عليك يا للي وان تمشى بهون ٠

(١٢) لم يرد هذا البيت عند الهطلاني ٠
سنحوني : تجاوزوني في مرورهم ، وأطلق على الكذب كناية كما في قول مبيلش:
غرنـي فـي لزومـي واحـــد مسنحانـي
مثل ماغر غيـري كبعـــة العارضيـة

(١٣) عند الهطلاني : بالــدرب ٠

(١٤) عند الهطلاني : ٠٠ ولعوني تنزحوا عني ٠
وأكثر الرواة يقول : « وياليتهم » إلا أن الواو هاهنا تخل بالوزن ، والسياق لغة يقتضيها ، وهم في النطق وفي الغناء يلتهمونها حتى لا تكاد تبين ٠
وقد حذفتها في أماكن كثيرة مراعاة للوزن ٠

(١٥) عند الهطلاني : يوم اني اقف ٠٠ وعند ابن مقيبل : اظني أقف ٠

يالیتهـــــم مـن زادهـــــم اطعمونـــي
انــــا علـــى زاد الحبيـــــب اتجــرى (١٦)

لا مبعـــــد عنهــــم ولا قربــونـــي
ولا عايـــف منهـــم ولانـــي مـورى (١٧)

ياليتهـــم عـــن رايهـــم علمونـــي
اما يطيـــب القلـــب والا استمــــرا (١٨)

والا انهـــم يـــوم انهـــم ولعونـــي
خلونـــي اقضـــي عازتـــي واتـــدرى (١٩)

لا واللـــه اللـــي بالهـــوى هوجــروني
هجــــر بـــه الحيـلايِ عيـت تسـرا (٢٠)

---

(١٦) عند الهطلاني : ذوقوني ٠٠ حيثي على زاد اليتامى مضرى ٠٠ وعند ابن حمدان : زاد الحبيب ٠٠ وعند ابن مقيبل : طعموني ٠
وعند ابن يوسف : طاعموني ٠

(١٧) عند الهطلاني : لا بعدوا عني ٠٠ ولا ني مورى : ولم يخيل إلي أنني بعيد أو قريب أو كاره لهم ٠
وورد مكرراً عند الحمدان هكذا : لا قربوا مني ولا بعدوني ٠٠ ولا ميس منهم ولا ني مورى ٠

(١٨) تفرد ابن يوسف برواية هذا البيت عن ابن مقيبل ٠

(١٩) عند الهطلاني : ياليتهم يوم انهم ولعوني ٠٠ اقضي حاجتي ٠
ولم يرد هذا البيت عند ابن مقيبل ولا عند ابن يوسف ٠

(٢٠) عند ابن مقيبل : هوجر بـه ٠

يا عزتـــا لـي مـــن تفـــرق شطـونـي

يعـــزى لـــي ارمـي بالسلـب واتعـــرى (٢١)

لاضـاق صـدري قمـت اباري الظعـون

كنـي غـريــــر بالدلوهـــــة مضـــرى (٢٢)

وانـــا مـــن اول منعـــــم للفنـــــون

علــى غـديــر تحتـــه المــا يقـــرا (٢٣)

---

(٢١) لم يرد هذا البيت عند الهطلاني .

شطوني : همومي ومآربي .. يعزى لي ... إلخ : أكاد أفعل ذلك فأكون في حكم من يعزى ، أو يتعزز له بمعنى التألم من أجله .

ولم يرد هذا البيت عند ابن مقيبل ولا عند ابن يوسف .

(٢٢) عند الهطلاني : وقفت عنده شايهات عيوني .. غرير بالهاوي .

وورد مكرراً عند الحمدان كرواية الهطلاني إلا أنه قال : شايحات عيوني.. باللهاوي .

وعند ابن مقيبل : تقافت الاظعان ما خبروني .. باللهاوي .

غرير : صغير .. الدلوهة .. ما يلعب به الطفل ليلهو ويسلو .

ولم يرد هذا البيت عند ابن يوسف .

(٢٣) لم يرد عند الهطلاني .. وعند الحمدان : واهله من أول بالورق يورقوني .

وما أثبته رواية ابن مقيبل .

ومعنى الشطر الأول أنه في رقة الفن ، أو في رغد منه .

وسمعت البيت بتلاوة أخرى عند ابن مقيبل هكذا : عن عمى للفنون .

وعند ابن يوسف : وهنه من أول ينعمن الفنون .

وقبلـي عليــــه اشفــق وتبكــي عيونــي
والحـال مــن ود الحبيــــب تبــــرى (٢٤)

ادعــج غنـــج يذبـــح بســود العيــون
يذبـــح الــى منــــه هنــف واستمـــــرا (٢٥)

الخـــد بــــرق في علــــو المـــزون
تقـــول بــــراق مــن الصيــف ســرى (٢٦)

ان مـــت في دافـــي حشـــاه ادفنوني
فـي مستكـن الـروح ما هــوب بـــرا (٢٧)

بيــن النهــود وقـــد روس القـــرون
عـــن الهبايــــب مستكـــن مـــــذرى (٢٨)

---

(٢٤) ولـم يـرد هـذا البيت عنـد الهطلاني ٠٠ وعند ابن مقيبل : وقلبي عليـه ٠
قبلي عليه اشفق : أشفق عليـه دائماً ٠ وقبلي – بكسر القاف وسكون الباء – عندهم بمعنى دائماً وباستمرار ٠٠ الحال ، هيئـة الجسم ٠٠ تبرى : تناقص وتنحل ٠

(٢٥) تفرد بهذا البيت الهطلاني ٠

(٢٦) لـم يرد هـذا البيت عنـد الهطلاني ٠
سـرى بالتشديد بمعنى سرى – بالتخفيف – مستمراً دون انقطاع ، أو كثر فـي تلك الليلة التي سرى فيهـا ٠

(٢٧) عند الهطلاني : لا مت في لاجي ٠٠ لا اموت بـرا ٠
وعند ابن مقيبل : ان مت في غالي ٠٠ في داخلي الجوف ما نيب بـرا ٠

(٢٨) عند الهطلاني : يضفي علي بخينقه والقرون ٠
وعند ابن مقيبـل : كاهب وعن صفق الهبايب مذرى ٠

ان مـــت فـي خـــد بعيـــد انقلونـي
على هـوى زمــــل بمشيــه تــدرى (٢٩)
ومن شعر الدجيما في غرامه المضني :
ولا وا سنيــات مضـت لـي وانا بـزر
وانا جاهــل في الــود ياللي تعرفونـه (٣٠)
الا يا وجـودي وجد من لا بلي صبر
صبور على الفرقا الى غاب مضنونه (٣١)

---

(٢٩) عند ابن حمدان والهطلاني : على هذى الزمل مشيه تدرى .
وعند الهطلاني : وان كنت في خد .
والخد الأرض .
ولم يرد عند ابن مقيبل .
قال أبوعبدالرحمن : وأورد منها عبدالله بن عبدالعزيز الدويش في كتابه الفن السامري أبياتاً برواية مختلفة هي من تصرف المغنين ، وانظر جريدة الجزيرة عدد ٧٦٨٠ ص ٢٥ في ١٤١٤/٤/٢٢هـ .

(٣٠) عند الحمدان :
سقى الله زماني يوم انا توني بـــزر
وانا داله ما ادري عن الغي وش لونه

قال في كتابه ديوان السامري والهجيني ص ١٠١ : « تنسب هذه القصيدة لشاعر من أهل القويعية .
وذكر مهنا بن إبراهيم ، وعبدالله بن خميس في برنامجه من القائل أنها للدجيما .
ويرى محمد اليحيا أنها لعويض النفيعي من سكان حوطة سدير » .
وفي الطبعة الثانية ص ١٠١ ذكر أن أحمد بن زيد العتيبي نشرها في جريدة اليوم في ١٤٠٩/١٢/٢٩هـ منسوبة إلى عويض بن علي بن مقبول النفيعي .
قال أبوعبدالرحمن : وأورد منها الشيخ ابن بليهد رحمه الله بيتين في صحيح الأخبار ١٩٩/٢ ونسبهما لخليف بن بليهد .
ووجدت منها في أوراقي ثلاثة أبيات منسوبة لعبدالرحمن البواردي ، وهي ليست له بقين .
قال أبوعبدالرحمن : عادة أهل القرى إذا غنى الشاعر لحناً مليحاً بشعر لغيره ظنوا الشعر له فنسبوه إليه .

(٣١) لم يرد عند ابن مقيبل .

ابو لبـــة عفــرا وطــوق علـى النحــر
الا ما اهبلــك يا عــاذل القلب من دونـه [٣٢]

. . . .

وعشـــر مـن الدكــان مــا تكسـي قـرونـه [٣٣]
ولا يمحـــي حـــب عليــه اللحم جبـــر
عليـه اللحـــم والـدم دونـــه صفــا لونـــه [٣٤]
عسـى اللـه يعينك يا عيونـي على السهر
وعســى اللـــه ييجـح كـل حـي بمظنونـــه
وانــا دمـــع عينـي كـل مـازل لـي شهـــر
همــاليـل واغضــي عـن هلي لا يشوفونـه [٣٥]
ونـــوج يجـي دمـــع ونـوج دم حمــــر
ويجهش كمـــا عـد هــل البـوش يردونـه [٣٦]
ولا وا هـل المجمـول ما عــاد بـي صـبر
وذي بندقـي فيمـا تقـولون مرهونـــــــه [٣٧]

---

(٣٢) تفـرد بـه الحمـــدان ٠

(٣٣) تفـرد بـه ابن حمـدان ولم يذكـر الشطـر الأول ٠

(٣٤) عند ابن مقيبل : صطا بالعظام وصـاقي الجلد من دونـه ٠

(٣٥) عند ابن بليهـد : كلما هـل من شهـر ٠
والبيت الـذي قـبل هـذا تفرد بـه ابن بليهـد ٠
وعنـد ابن مقـيبل : كـل ما هـل مـن شهـر ٠

(٣٦) أورد ابن حمـدان هـذه الروايـة ، وأورد روايـة أخرى ، وهي :
مر تهـل دموع ومر دم حمر وتجهش كما عد ٠

(٣٧) عند ابن حمدان : انا ياهـل المجمول ما في يـدي حمر ٠٠ فيما تريدون مرهونـة ٠
وفي مجلة اليمامة عـدد ١٢٠٩ في ١٤١٢/١٢/١٦هـ عـزت ص ٧٦ الجوهـرة عبدالله القصيدة إلى سالم بن يحيوي بن حمد الحميد ، وأوردت هـذا البيــت :
احـب الخضـر حيـث لـي صاحـب خضــر
يا حيـث الخضـر عند الدكاكين يغلونــــــــه
قال أبوعبدالرحمن : البيت مكسور وملفـق ٠
ونسبت إلى البواردي لأنه غنى بالقصيدة ، وأدخـل فيها أبياتـاً عن الخضـر الـذي اشتهر بالقـول فيــه ٠

وأما القصيدة التي زعم الهطلاني أنه مات في اليوم الذي قالها فيه فهي من المسحوب ، وإنما جعل في البيت الواحد زيادة قافيتين ليعطي لحناً نقازيّاً إضافة إلى ألحان المسحوب ٠

قال الدجيما (٣٨) :

هيض علي الحيد – في ربة الصيد
واطرى عليه زيد – بالسود لا زاد (٣٩)

عديت انا بالجال – مع سرحة المال
شفت الغبيط يشال – والمال ينقاد (٤٠)

جظ الضمير وجاظ – والدمع مني فاض
وحولت انا معتاض – وبديت الانشاد (٤١)

عيني لجاجة – والبكا له سماجة
ولها مية حاجة – وعدوه الاحساد (٤٢)

يا من يداويها – من الهزم فيها
قدام يعميها – ويخر لها ارماد (٤٣)

جرحي كبيرِ – بالضماير خطيرِ
لو هو بغيري – ما شرب ما وكل زاد (٤٤)

---

(٣٨) نشرها الهطلاني في كتاب ديوان الدر الممتاز ١١٤/٢ ، وسمعتها بصوت ابن مقيبل ٠

(٣٩) لم يرد هذا البيت عند الهطلاني ٠
ربة الصيد : مكان ارتياده وتردده ٠

(٤٠) لم يرد هذا البيت عند ابن مقيبل ٠

(٤١) لم يرد هذا البيت عند ابن مقيبل ٠

(٤٢) لم يرد هذا البيت عند الهطلاني ٠

(٤٣) لم يرد هذا البيت عند الهطلاني ٠
الهزم : المرض الذي يحدث فجوة ٠٠يخر لها ارماد : يخلف لها داء الرمد ٠

(٤٤) لم يرد هذا البيت عند ابن مقيبل ٠

صابن صخيف الروح – والقلب مجروح
واللي كتب باللوح – جاني بالاوكاد (٤٥)
ابو من فاج – عن غر الافلاج
مثل الحيا البهاج – في مزن الانضاد (٤٦)
ونهود مثل البيض – في مرجع الفيض
في وقت حتن القيظ – من قد الامهاد (٤٧)
مير اتصبر – عندهم واتجبر
مقدار اعبر – والوجع فيَّ يزداد (٤٨)
جوا بالطبيب – من تردي نصيبي
هو يحسب اللي بي – تداويه الاجواد (٤٩)
المغربي جوا به – علي وقفوا به
عطوه مطلوبه – وداوى ولا فاد (٥٠)

(٤٥) لم يرد هذا البيت عند ابن مقيبل .
(٤٦) لم يرد عند الهطلاني .
ابو : كلمةُ تعجُّب بمعنى : لله أبوه .. فاج : كشف .. الفلاج : الأسنان المفلجة .
(٤٧) لم يرد هذا البيت عند الهطلاني .
وتنطق الباض ، والفاض والقاظ حسب لهجة عتيبة .
وهم لا يفرقون بين الضاد والظاء فيردان قافية واحدة .. حتن : وقت ، ومظنة ، والأخير هو المراد هنا .
(٤٨) لم يرد هذا البيت عند ابن مقيبل .
(٤٩) لم يرد هذا البيت عند الهطلاني .
(٥٠) عند الهطلاني : وداووا .. وصادف أن تعاطى الطب في نجد واحد أو اثنان من أهل المغرب فصارت المغربي مرادف طبيب .
وكذا صادف أن تعاطى مغربي أو مغربيان الرقية ، فصارت المغربي بمرادف من يرقي ، وصارت قراءته رمز الغموض .
قال عبيد بن شريعيب :
اقرا قراية مغربي
ولا احد فهم لقرايتي

يحسـب بلايـه - علـة فـي شوايـه
وانـا بلايـه - ود مركـوز الانهـاد [٥١]

جـوا بالمخـرج - لعنبـوا ذا المهـرج
يـبي يفـرج - واللـه اخبر بمـا راد [٥٢]

قـالـوا لـه معنـى - طريـح يونـا
مـن هـن بن هنـا - تـولاه واجـاد [٥٣]

جـوني حناناتـي - وانـا فـي شكـاتـي
هـو حي هـو مـات - يسالـون الارواد [٥٤]

ابنـوا عليـه - رونـش فيـه فيَّـه
خـذوا شويَّـه - واجلسـوا فيـه يـا اولاد [٥٥]

خلـوا الصبـا تذري - بليـل وعصـري
واليـا بغيـت اسـري - ولـي فيـه بمـراد [٥٥]

---

(٥١) لم يرد هذا البيت عند الهطلاني ٠

(٥٢) عند الهطلاني : لعنبوا هـا المبـرج ما عاد فرج عن ضميري ولا هـاد ٠
وأفادني الأستاذ الغزي أن المخرج المتكهن ٠

(٥٣) لـم يـرد هـذا البيت عنـد الهطـلاني ٠
وعند ابن مقيبل : معنـى - يـون - هـن ٠

(٥٤) لم يرد هذا البيت عنـد الهطلاني ٠
الارواد : مـن يـرودون المكـان ٠

(٥٥) عند الهطلاني : حطوا عليـه روشن ٠٠ واهرجوا فيـه يـا اولاد ٠
قال أبوعبدالرحمن : لغـة الباديـة الرونش بزيادة نون قبل الشين ، وهـو الغرفـة للنوم وإيداع الملابس ٠

(٥٦) لم يرد هذا البيت عند الهطلاني ٠

حطـوه قـــد البيـر - يـم المصـاديـر

حطـوه فـي صـيـر - الحبيب الـى قـاد (٥٧)

القبـــر سـووه - وبباعيـن امـــدوه

والبرجلـــي حطـوه - ما بيـن الالحـــاد (٥٨)

فـوق الحفايـر - زينـوا لـه جـدايـر

والحـول دايـر - حطـوا البيـر ميـراد (٥٩)

جانـي من الرحمـان - وفـد لهـم شـان

يـوم الأجـل لـي حـان - والجسم بـاد (٦٠)

ثـم خـــدوا روحـي - وظليـت بروحـي

والمـــا يفـوح - قربـوا لـي الاعـــواد (٦١)

---

(٥٧) لم يرد هذا البيت عند الهطلاني ٠

(٥٨) لم يرد هذا البيت عند الهطلاني ٠

وعند ابن مقيبل : القبر ياللي سـووه باعيـن ٠

(٥٩) عند الهطلاني : على الحفاير حددوا لي جداير ٠٠ حطـوا العد ٠

(٦٠) لم يـرد هذا البيت عند ابن مقيبل ٠

وهـو عند الهطلاني إلا أنـه قال : والجسم مني بـاد ٠

وهـذا البيت والأبيات بعده تصورٌ من الشاعر لحال الموت وما بعده ٠

(٦١) لم يرد هذا البيت عند ابن مقيبل ، وهـو عنـد الهطلانـي وقـال : وظليـت فـي روحي ٠٠ من الأعـواد ٠

بروحـي : وحـدي ٠

لفّـوا عليّـه لــف – خـــام بـلا كـــف
صفـوا عليّه صـف – يدعـون يا اجـواد (٦٢)

ثـــم حملوني – بالنعـــش ودفنـــونـــي
واقفـــوا وخلونـي – وحيـــد بالالحـــاد (٦٣)

جونـــي – مناديـــب الولـــي واقـعدوني
بـه لقنـوني – كـــل الاركـان بعـــداد (٦٤)

يعطيـنـي الجنـــة – كمـا انـــه مظنـــه
مَنٍّ بـــلا منـــة – وهـــو سيـد الاسيـــاد (٦٥)

اطلـب عظيـم الشـان – عفـوه والاحسان
الواحـــد المنـــان – فعـــال مـــاراد (٦٦)

وروى لي الأستاذ إبراهيم اليوسف عن ابن مقيبل أن حاجّاً من أهل الشام يقال له ابن باخوت ماتت زوجته في عودتهم من الحج – ولعل ذلك قرب المحاني – فمات الزوج جنبها ٠

قال أبوعبدالرحمن : يحصل ذلك صدمة وأسفاً لا عشقاً ٠

---

(٦٢) لم يرد هذا البيت عند ابن مقيبل ٠٠ كف : خياط يكف الطرف إلى الطرف أو المثناة ، ويكف عن الإسبال ٠٠ يا اجواد : أيها الأجواد ٠

(٦٣) لم يرد هذا البيت عند ابن مقيبل ٠

(٦٤) لم يرد هذا البيت عند ابن مقيبل ٠

وإن صحت هذه الرواية فتجزئة البيت إلى أربعةأجزاء لم يحدث لحناً جديداً أراده الشاعر ، لأن القافية الأولى (جوني) أخذت جزء تفعيلة بخلاف القوافي الأولى في الأبيات السابقة ٠

(٦٥) لم يرد هذا البيت عند ابن مقيبل ٠
والمعنى : أنه من الله بلا منة من أحد غيره ، لأن المنة لله وحده ٠

(٦٦) لم يرد هذا البيت عند ابن مقيبل ٠

وقال الدجيما عن حبيبته من اللحن الشيباني :

انا لي موتة اغدى بها غدية ولد باخوت

على جال المنقى كل طرقية يمرونة (٦٧)

عقب انه تذكر في عشيره ثم جاه الموت

الا وا قرد عين في بلاد الشام يرجونه

وقال الدجيما من الرجز برواية ابن مقيل :

طبحت من راس الجذيبة منهزم

كله حشايم زيد ابا انظر في حلاه (٦٨)

والى ان نواني زيد في حيد الغنم

وقلت يا راع الغنم عينت شاه (٦٩)

وقال هاه وقلت يا فال الندم

لا والله الا ساع ما جت الوفاه (٧٠)

الزند خبه والفتيل من السلم

والله يا من جاني لمثنيها شواه (٧١)

قال أبوعبدالرحمن : لم أجد من يحقق لي قصة هذه الأبيات ومضمونها ، وزيد رمز محبوبته ، وعادة العوام الرمز بزيد للفتاة

---

(٦٧) رواية ابن يوسف : انا حالف لا اموت واغدى مثل ابن باخوت ·
وقد عدلت لأجل الوزن ·

(٦٨) طبحت : نزلت دفعة واحدة من مرتفع ·

(٦٩) نواني زيد : هينمته بغناء غير واضح ولا شائق ·

(٧٠) ساع : ساعة ·· جت : جاءت ·

(٧١) لمثنيها : لأمثنينها : أي أجعلها في مثناته يعني وسطه ·· خبه : دسه في خباء لإخفائه ·

كما في قول مغتر الرشيدي :

يا ابو رباح الحب بيح بحالي

ما قط جاني من عرب زيد رواد

وقول ابن شيحان :

ان كان فيك الشفع والنفع يا زيد (٧٢)

وكذلك يرمزون بثلاب (٧٣) .

وقال في بندقيته مثيبة برواية ابن مقيبل :

يا زربة عديت في قنتها

بين الحفاير والنهي والفاضة (٧٤)

معي مثيبة زينة حليتها

ما هيب لا قشرا ولا عضاضة (٧٥)

مضرب رصاصتها على نثلتها

تشدي لناب الولبة العضاضة (٧٦)

مشقاصها كنه على فطحتها

عود يبي يوفي جميع افراضه

---

(٧٢) ديوان ابن شيحان ص ١٠٩ .

(٧٣) انظر من آدابنا الشعبية ٧/٢٢٥ .

(٧٤) الزرب : المدخل ، وموضع الغنم ، وبئر يحتفرها الصائد يكمن فيها للصيد ، ومسيل الماء .
والمراد هنا الوادي . . والقنة إما جبل يشرف على الوادي ، وإما مرتفع على ضفته .

(٧٥) عضاضة : تغص برصاصتها .

(٧٦) الولبة : الذئبة ذات الجراء . . نثلتها : فريستها .

صنــع النصــارى كبــروا جـردتهـا

تشــدي لبرطــم قينــــة مغتـاظـــــة

اطيـب مـن المعــزى ومـن حوشتـهـــا

عقـص القـــرون وكبودهـــا حماضـــة (٧٧)

واطيـــب مــن البـل ما نبـى قـنيتهـا

لـو زولــت لابدهـــا مـــن غـاضـــة (٧٨)

مـع كـل ربـــع جابيـهــا قـذتهـــا

عــن الجـــواري مالهـــا حفاظـــة (٧٩)

واطيـب مـن القـلعـة ومـن زرعتهـــا

ومـن واحـد فيهـــايديـــر حياضـــه

ان جـــا الدهـــر ما سرتـــه قلعتـهـــا

وان جـــا الحيـــا طمـــه وفصخ باضـــه (٨٠)

وروي لـه هذه القصيـدة :

حنــتي حنّـــــة من الهجـن منتلّـــــة

في سمـوم الصيـف حفيـة ومردوفـة

---

(٧٧) عقـص القـرون : الظبـاء ٠٠ حماضـة : جزوعـة ٠٠ والحماض الممـرور بكبـده حموضـــة ٠

(٧٨) غاضـة : غيظـه : أي يجـري عليها ما يغيظ لسرقـة اللصوص لهـا ٠

(٧٩) لـم أحقـق المدلـول العـام للبيـت ٠

(٨٠) الدهــر : الجـدب والقحـط ٠٠ الحيـاء : المطـر ٠٠ طمــه : فاضت بثـره بالماء ، وأفسـد المطـر الزرع والنخـل ٠٠ باضــه : بيضـة : أي ثـمرتـه ٠

فوقهـا قَـرْمٍ رديفـة ابن آخي لـــه

هـم شريـدة سربـة تـّـو مصدوفــة

وارد عِــدْ بْعيـدٍ وْلا دَلّـه

ويتقلـب والظمـا محـرقٍ جوفـه

آه من عيـنٍ قضـى دمعهـا كلّـه

كنهـا عن لـذة النوم مشغوفـة !

يـا محجّـرة البنيّ ما لكم مِلّـة

ما بكـم رَجْـلٍ فهيـمٍ وعاروفـة ؟!

ما تخلـون المولّـع على حلّـه

لين يـروَى مـن هوى الزيـن بكفوفه !

بـو جديـلٍ فـوق دمـث النحـر فلّـه

اشـقـر يضفي علـى حدّ سرجوفـه (٨١)

وقـال الدجيمـا جوابـاً على قصيـدة الموروقي التـي لـم أجـد منهـا سوى البيتين المذكورين آنفـاً (٨٢) :

يـا راكـب حـر يبـذ المغيـرة

يسبـق هـل العيـدي الـى طـول الشـاح (٨٣)

---

(٨١) ديوان السامري والهجيني ص ١٧٧ - ١٧٨ .

(٨٢) روى القصيدة ابن مقيبل .

(٨٣) هل العيدى : هل الإبل العيدية .. الى طول الشاح : إذا طول الخطوة .

تلفـــي الدعيـــس وعلمــــه بالسـريـــرة
قـل لـه يجي فـي دارنــــا كـان فـلاح
ان كـان راعـي بيـــر يبتـاع بيــــره
وان كـان راعـي ماشية ينصـى الاسيـاح
الغـــرس عنـــدي ناعـــم فـي سفيتـــره
غـرس مجاهيـم تزيّـــد بالاصـــــلاح
والـى رقـى الراقـي لقـى فيـــه شيـــرة
يـرقـــى مشاهيــــر ثمرهـــــن دلاح
وليلـــــة قمـــر عشـريـن بايـــن سفيـــره
شـوفـي بخـط النيـل عـلـى شاعـة الضـاح (٨٤)
لا واهنـي الغـــرس مـا اسعـــد حظيـــره
واهلـــــه فـراحـى بــه الـى حد الافـراح (٨٥)
وامـس العشي طالعـت برقــــة نشيـــره
واخــذت لـي مـع رقـرق الخــد منفـاح
وأورد لـه العصيمي هذه الأبيات يصف سميحة :
الخـد بـرق لاح قـــدام الاصبــــــــاح
ونـهـد كمـا التفــــــاح والوسـط كاللـوح

---

(٨٤) في لغة عتيبة ينطقون ليلة لالة .. الضاح : الضوح وهوبداية نور الصبح ، وقمر ليلة عشرين يرى في هذا الوقت .. سفيره : وضوح التمر في الضوء .
(٨٥) فيه تكرار في فراحى وأفراح ، فلعل الرواية غير محققة .

ويـداوي الاجـراح ريحـه إلى فـــــاح

لا شك بالافـراح ما منـه مصلــــــوح

يــا مـــن خبر ذبــاح ما بيده سنـــلاح

لاهــو بنطــاح وانـا منـه مذبــــــــوح [86]

وذكـر شباب الزلامي هـذه القصيـدة للدجيمـا - ونسبها إلى ديوان السامري والهجيني - [87] :

اجـل يا ناثـر الدمعة تعبر خاطـرك مكســـور

وفيتة ما حصل منك تصرف ماعليك حيار

احب العشرة اللي ما بها شـك ولا محـــذور

واحب الندمـة اللي تجمـع الخيِّر مع الأخيار

فضحني دمعي الجاري على فرقاك يالمذكور

عساه يوسع الخاطر بمرسول يجيب اخبـار

الا يا نور من نورك تشعشع يا شبيه الحـور

عسـاك تغير السيرة بحسن رضاك والتذكـار

انا ما طعت عذال بحبك ما قبلت الشــــور

اعزك من مغزتنا ولا نبـدي لك الاعــذار

جلسنا مجلس العادة واكون بحضرتك مشكور

تبادلنا صداقـتـنا ولا تخفي لـك الاسـرار [88]

(٨٦) شعراء عتيبـة ١/٢٦٣ - ٢٦٤ .

(٨٧) انظر ديوان السامري والهجيني ص ٤٢ - ٤٣ .

(٨٨) جريـدة الجزيرة عدد ٧٦٨٠ ص ٢٥ في ١٤١٤/٤/٢٢هـ .

وروي عن الشاعر محمد الدرم احتمال كون هذه القصيدة :

قال الدجيما عند باب الحرم ون

يصرخ من الفرقا صريخ الدواليب

للدجيما ، أو مخلد القثامي (٨٩) .

وأورد له الأستاذ محمد دخيل العصيمي بضعة أبيات من هذه القصيدة ، وهي قوله :

يا مل قلب من هوي البيض يشطن

بمرسن حديد معلق له كواليب

يا لا يم قلب الهواوي الياحن

لا عاد كل بالهوى له مطاليب

ان مت يا مشعان من هن بن هن

(. . . . .)

وأعتقد أن عجز البيت مفقود ، لكن هذا ما أورده الأستاذ إبراهيم اليوسف ؛ لأن العجز الذي أورده لا يتفق والصدر والتكملة :

يشدن لريش مسرولات العراقيب

لاوا على طول النفس من رشفهن

قدام ما تركز علي النواصيب (٩٠)

وأورد الشيخ منديل هذه الأبيات للدجيما :

---

(٨٩) مجلة اليمامة عدد ١٢٠٩ ص ٧٥ في ١٤١٢/١٢/١٦هـ .

(٩٠) شعراء عتيبة ٢٦٣/١ .

شلفـــاه تشلــح ضرابيبها على اليمنـى
واما على لصوب الأيسرما لـه امثالي
خمسة وتسعين كاينـــةِ حسبناهـــــــا
ضــــرب بروس القناقـــز وحوالـــي
وفهيدِ اللـه يفكـــــه من بـلا الدنيـــا
اللي الى شاف شوف العــز هيالـــي (٩١)

قال أبوعبدالرحمن : هي لمخلد بيقين ، ومطلعها : يقول مخلد .

وذكر العصيمي قوله :

البارحـــة كنيت واليـــوم ونيـــــــــت
ونـــة حمـام البيت حـول المقـــــــامِ
واجـر قلبي جـر غـــرب تحـــــــدر
اقفـت تجـره جر عجفا سنـــــــــامِ
اقـنب قـنيب الذيـب عجل المهاذيـــب
اليــا قنــب قنيب جنـــح الظـــلامِ
علـى حسين الــــدل زيـن المعـــزل
عليه دمعي هـــل مثـل الغمــــامِ
وعيونها نجـلا بهـا المـوت عجـلى
يـالله تفــرج لي ســـواة القـثــامي
ريحــه زباد عقيـل في قهوةْ وْهيـــل
يـا ويل ويـلي ويـل جيعــان ظـامي

(٩١) من آدابنا الشعبية ٧/٦٠ .

وريقـه حليـب خلـوف وشعوفها وقـوف

بالـوادي المصيـوف والعشـب زامـي

قالـوا معـذب فيـه يا نـاس قلت ايـه

لا صـار مـالي فيـه بالحـظ لامي (٩٢)

وقال العصيمي : وقد أصبح الدجيما مضرب الأمثال فـي عشقه وهيامه وتضحيته ، وضرب به الشعراء المثل وبالذات الشعراء الفحول منهم المرحوم زبن بن عمير البراق في قوله :

شريت وبعت يوم ان الشرا والبيع مضمون

هـاك الحين البضايـع كلهـن يربحني

واخذت اللي قسم لي يوم درب الغي مسنون

زمان فات ياليـت الليالي مهلني

يسمي دور محسن والدجيما وابن لعبون

مكنت اتلاه وإلا ان اوله قد فـات عني

والشاعر ناصر العبدالله الفايز (أبو علي) يقول من قصيدة ينادم فيها زبن بن عمير:

تقول ان جرح الود بالقـلب قد مضي

ولـو عالجـوه بطبهـم مـا يفيـدونني

خفـا عنـك ما صـاب الدجيما ومغتـر

وراع الحريـق وما جرى لابن لعبـون

---

(٩٢) شعراء عتيبة ٢٦٤/١ .

جروح الهوى ما ينتداوى عليلهـــــا

واليا ما شفاك الله فلا النـــاس يشفوني

وموت الدجيما استشهد بـه الشاعر الشعبي عبدالمعين بن عقل بن ثعلي في قوله :

رمح الدجيمـــا اللي قـتل بـه قـتلنـي

لا احد دفع سوقه ولا احد طرد فيــــه

والشاعر الوجداني عبدالله بن سبيل يقول :

أخاف من مــوت بليـــا حقيقـــــة

مثل الدجيمـا لا طـرد بـه ولا سيـــق

وقول أحدهـــم :

الهـوى قـد ذبــح لـــه شمـــــري

والدجيمـــا على موتـــه شهـــــود [٩٣]

ومن قتلى الغرام الشاعر القطري محمد بن قاسم بن محمد بن عبدالوهاب الفيحاني السبيعي . قال محمد الهاجري: « مات من سبب حبه لمحبوبتـه ملكا التي يقال إنها ماتت في الحال عندما علمت بموته .

وكانت معشوقته ملكا لها عيال عم منعوه عن الزواج بها فمات عندما دب اليأس في نفسه ، وقد نقلت هذه المعلومات وشعره هذا من كتاب وجدته ممزقاً مطبوعاً في قطر ، وقد قمت بتسجيلها خوفاً عليها من الضياع رحمة الله على محمد ومعشوقته ملكا حيث إن حبهم حب شريف »[٩٤] .

(٩٣) شعراء عتيبة ١/٢٦٧ – ٢٦٨ .
(٩٤) ديوان شعراء من الجزيرة ١/٦٥ .

قال أبوعبدالرحمن : هو معاصر لسلطان بن فرزان ، وبينهما مقارضات ، وقد مر شيئ من شعره في المقدمة في الكلام عن قافلة العشاق .

وممن دل شعرهم على أن الضنى طاولهم مغتر الرشيدي ، وقد ذكر الأستاذ إبراهيم اليوسف أنه قال هذه القصيدة وهو على فراش الموت :

يا خوي يا غتران قم عز حالي
والا تراي لحفرة الموت وراد
وادي نفي من دمع الاعيان سال
واصبحت كني من عنا اليوم طراد
وابوك لا سقّاك وبل الخيال
ولا جال من نو المخاييل رعاد
يا بو رباح الحب بيح بحالي
ما قط جاني من عرب زيد رواد
اتلا العهد به يوم شد الـ ال
يـ م الجنوب وقال يا مال الابعاد
مرباه واد الحنو واسقم بحالي
يا عنك ما حبل الرجا فيه منقاد

ويذكر العوام من ضحايا الغرام ابن حماد راعي حرمة ، ولم أحقق شعره ولا أخباره ، وإنما وجدت هذه الإشارة عند الشيخ منديل . قال : من تبادل القصائد بين الشاعرين أحمد بن حماد راعي حرمة الذي ذكر أنه مات من الغرام وبين الشاعر زيد بن غيام المطيري هذه الأبيات لأحمد :

يا ونتي يا زيـــد واوجـــد روحــــــاه

القلـــب لاب وضـــاع واعزتـــى لــــــه

نقلت حمل وضامــن الحمــل ما أقـــواه

حمل ثقيــل الـــروز مـــال تعديلــــه

فأجابـه زيـد :

جالـي جـــوابٍ من رفيقـي وابـا اجـــزاه

فيمـا يقـول ابتـــاع لـــه واشتـري لـــه

حلفـت لـو ياطـــا على الداب لا طــــاه

وانـي لا اقـوم بلازمـــه واحتمـي لــــه

الـدرب يـا احمـــــد بـه ذنـوب ضربنـاه

كل عسـى اللـه يرحمـــه ويعفـي لــــه

بالـك تخفـى وانـت لــــك مـع قلـــولاة

اللـي بـراس الرجــــم ما ينجبـي لــــه (٩٥)

مـن لا طلـى مبدا الجـرب طـال ما ابراه

لـو قيــــل مـــا بـه شـــي ما ينكمي لــــه

والـــرس لوهـــو سايــــل لا تتصـــــاه

احـذرك عـــن ورد الـدحـــل والثميلـة (٩٦)

*   *   *

(٩٥) قلـولاه : مرتفـع .
(٩٦) من آدابنـا الشعبيـة في الجزيـرة العربيـة ١٥٠/٣ .

الفصل الثالث :

عشاق يقتلهم الأهل للأنفة :

قال البقاعي : « حدثنا أبو عمر بن حيويه (ونقلته من خطه) : أخبرنا محمد بن خلف : أخبرنا أبو بكر العامري قال : قال علي بن صالح : عن ابن داب قال : كان من حديث جارية كرز الربابي (والرباب بنو عبد مناة): أن أباه كان رجلاً من طابخة يقال له جناب ، وكان شجاعاً فاتكاً ، وأنه قتل رجلاً من بني حيان بن هبل بن كلب بن وبرة ، فرهنهم بالدية امرأته وابنه حية وهو صغير ٠

وخرج جناب في جمع الدية ، فهلك ، وبقيت امرأته وابنه في يدي كلب ، وشب ابنها حية ، فشب أحسن فتى من العرب وأضوأهم ، فعلق جارية من جواري الحي وعلقته ، وفسدت به وفسد بها فساداً شديداً حتى جلس نسوة من كلب ذات ليلة يلعبن ويتذاكرن للشراب ٠

ففطنت به وسمعت كلب بذلك ، وكان قد علق فتاة منهم ، فطلبته كلب ، فخرج هارباً ، فأدركه أخوها فرماه حية فقتله ، وانطلق فلحق بقوم من بلقين ، فاستجار بهم فأجاوره ، فعاث في نسائهم ، وعلقته امرأة منهم ، فطلبته بلقين ، فأعجزهم ، وهرب حتى أتى أمه ليلاً، فقالت له : ويلك إن القوم قاتلوك ٠ قال : والله ما أجد مذهباً ٠

قال : فأخفته وذكرت ذلك لظئرها (وهو أخو ابن لها أرضعته) فقالت : أرسليه ٠

فأرسلته إليها ، فأخذته فخاطت عليه عباءة جعلته كهيئة الكرز ، ثم طرحته بفناء بيتها حتى مر بها عدي بن أوس الكلبي ، فقالت : يا عدي إني قد أردت أن أظعن ، وإني أريد أن تجير لي كرزيي هذا وما فيه .

قال : أجرته ، وأمر به فحمل إلى بيته ، فلما نظر إلى الكرز فتشه وقد أنكره ، فإذا فيه حية ، فقال : لا أنعم الله بك عيناً ، فأجاره فبرز ، فقالت أمه : ويلك مهلاً عن نساء الحي ، فلم يلتفت إليها ، ورأته ابنة عدي فعلقته وعلقها ، فمكث بذلك مدة وعدي لا يعلم فقال :

ما زلت أطوي الحي اسمع حسهم
حتى وقعت على ربيبة هودج
فوضعت كفي عند مقطع خصرها
فتنفست نهداً ولما تنهج
وتناولت رأسي لتعلم مسه
بمخضب الأطراف غير مشنج
قالت : وعيش أبي ورحمة والدي
لأنبهن الحي إن لم تخرج
فخرجت خيفة أهلها فتبسمت
فعلمت أن يمينها لم تحرج

قالت : فلما بلغ عدي بن أوس الخبر وأنشد الشعر أمر به فربط ،

ثم أخرج إلى خارج البيوت فقتل » (١) .

وقال البقاعي أيضا : « قال الزبير : وحدثني موهوب بن رشيد الكلابي : عن أبي صالح الفقعسي قال : كان عبد بني الحسحاس شاعراً ، وكان يهوى ابنة مولاه أبي معبد ، فخرج مسافراً وخرج به معه ، وكان أبو معبد يتشوق إلى ابنته ويقول :

عميرة ودع إن تجهزت غاديا

كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا

ثم بنى عليها فأتمها قصيدة واشتهر بها فيها، وتحسر عليها فقال :

وبتنا وسادانا إلى علجانة

وحقف تهاداه الرياح تهاديا (٢)

توسدني كفاً وتثني بمعصم

علي وتحوي رجلها من ورائيا

وهبت شمال آخر الليل قرة

ولا ثوب إلا درعها وردائيا

فما زال ثوبي طيباً من نسيمها

إلى الحول حتى أنهج الثوب باليا

---

(١) أسواق العشاق ص ٢٢٤ - ٢٢٥ ، وانظر ديوان سحيم ٥ - ٦ و ١٦ - ٣٤ و ٥٩ - ٦٠ و ٦٢ - ٦٣ .

(٢) العلجانة : قال في تاج العروس ٧٦/٢ : « قال أبو حنيفة : العلج عند أهل نجد شجر لا ورق له إنما هو خيطان جرد في خضرتها غبرة تأكلها الحمير فتصفر أسنانها .. واحدته علجانة » .

فذهب به جندل أبو معبد إلى المدينة ليبيعه بها ، فقال بعد إخراجه يوماً :

وما كنت أخشى جندلا أن يبيعني
بشيئ ولو أمست أنامله صفرا

أخوكم ومولى ما لكم وربيبكم
ومن قد ثوى فيكم وعاشركم دهرا

أشوقاً ولما يمض بي غير ليلة
فكيف إذا سار المطي بنا عشرا

فرق عليه جندل فرده ، فجاءه قومه فلاموه ، وأرادوا قتل العبد ، وكان جندل يضن بالعبد ، فخرج به إلى السلطان بالمدينة فسجنه ، وضربه ثمانين سوطاً ، ثم خرج به راجعاً إلى بلاده ، فتغنى به سحيم فقال :

أبا معبد بئس العراضة للفتى
ثمانون لم تترك لحلفكم عبدا

كسوني غداة البين سمراً كأنها
شياطين لم تترك قراراً ولا عهدا

فما السجن إلا ظل بيت دخلته
وما السوط إلا جلدة خالطت جلدا

أبا معبد والله ما حل حبها
ثمانون سوطاً بل يزيد بها وجدا

فإن تقتلوني تقتلوا ابن وليدة
وإن تتركوني تتركوا أسدا وغدا
غدا يكثر الباكون منا ومنكم
وتزداد داري من ديارِكُمُ بعدا

قال: فأخبرني عبدالملك بن عبدالعزيز: أن ذا البيت الأخير للعرجي ·

قال الشيخ رحمه الله : وكان آخر أمر سحيم أنه أحب امرأة من بيت مولاه فأخذوه فأحرقوه » (٣) ·

قال أبوعبدالرحمن : ومن الأدب العامي قصة زيد والعامرية ·

قال الأستاذ عبدالله بن خميس : « هذان عاشقان هلاليان لانعرف عنهما سوى أن العاشق اسمه زيد والعاشقة اسمها العامرية ·· اتصل الحب بينهما حتى برح بهما ، فأقبل أهل العامرية ليقتلوا زيداً فأخذت الفتاة من دمه وكتبت :

أوصيك يا نقر الصفا لا تغرني
لاجوا عريب واردين هدانيه (٤)
ولوا عريب بدد الله شملكم
وش كاركم منا هويت وهوانيه ؟ (٥)
يا مدور زيد ترى زيد عندنا
قتيل لعامر في هوى كل غانية

---

(٣) أسواق العشاق ص ٢٢٦ ·

(٤) عند الضويحي : هزانية ·

(٥) وش كاركم : ما دخلكم ·· وهوانيه : وهواني : أي كنت هواه وعشقه ·

لا تاخـذون قضـاه مـن البـل والغنــم

خـذوا قضـاه مـن آل بيتـي ثـمانيـــة (٦)

أبـــوي واخوانـي مـــع أولاد عمـــي

ذبحـت دنايـه فـي عشـيري هنانيــه (٧)

الـى قطعوا رجلي فبا امشي على العصا

والـى قطعـوا أخـرى فللـوا عنـانيــه (٨)

والـى قطعـوا راسـي تدربيـت جثتـي

فـي قبـر زيـــد قلـت هـذا مكانيــه (٩)

حطــوه فوقــي دافنينـــه هـــو الاعلى

الـى مـن سقـاه الوبـل ريحـه سقـانيـه » (١٠)

وقال الضويحي عن القصة : « لا نعرف من هو زيد ، ولاندري من هي العامرية ، غيرأن الروايات تسوق لنا قصة طريفة محزنة ، وهي أن زيداً أحب العامرية وصاريلتقي معها في مكان ما ٠٠ والعرب من البادية لديهم الشيم ، فكثيراً مايجلس الحبيب مع محبوبته ، ويبث كل إلى صاحبه الشوق دون أن يكون بينهما وصال ٠٠ وربما تتعذرحتى القبلة ، فإن حصلت فهي آخر شيئ ! ٠

---

(٦) عند ابن خميس : ما البل ٠٠ اهل بيتي ٠

(٧) دنايه : دناياي : أي قرابتي الأدنون مني ٠٠ هنانيه : كانت هناء لي ٠

(٨) فبا : فأبغي ٠٠ وعند ابن خميس والضويحي : فلوا عنانيه ٠

وعند الضويحي : ايلا قطعوا ٠٠ لخرى ٠٠ فللوا : اجعلوه ملوباً ٠

(٩) عند الضويحي وابن خميس : تدربت ٠

(١٠) عند الضويحي وابن خميس : الى سقـاه ٠

انظر من القائل /٦٢١ – ٦٢٢ ، والفنون الشعبية ص ١٩٩ – ٢٠٠ ٠

وحينما علم أهلها صمموا على قتل الاثنين ، فأتوا إليهما وهما مجتمعان وقتلوا زيداً ، وفي أثناء قتله ودفنه كانت تكتب على الحجر الوصية ، ونفذها من جاء بعدهما ٠

وبعد أن أورد الأبيات قال : ويأتي أهل زيد يبحثون عنه ويقلبون الأرض حصاة حصاة يسألون كل غاد ورائح ، فتأتيهم الأخبار بأنه يجلس مع فلانة ، ويأتون إلى مكانهما ، فيقلبون الحصى واحدة واحدة حتى إذا قلبوا حصاة كبيرة وجدوا الوصية ، فهجموا على أسرتها وأبادوا الثمانية (١١) ٠

---

(١١) الفنون الشعبية ص ١٩٩-٢٠٠ ٠ وأوردت مجلة اليمامة عدد ٩٩٣ في ٢٩/٥/ ١٤٠٨هـ ص ٨٦ القصة عن الأستاذ أحمد العريفي بهذا النص : « يقال إنهما من بني هلال ، ويقال : من غيرهم ٠٠ عاشقان تعاهدا على الحب الطاهر العفيف ، وملك كل منهما قلب الآخر وشعوره ٠

وذات ليلة وهما في غفلة عن الناس هجم عليهما نفر من أهل غريسة فيهم أبوها وعمها وأخوتها ٠٠ وانتقاماً لشرفهم قتلوا زيداً قتلة شنيعة ٠

أما غريسة فكان جزاؤها أن قطعوا رجليها ، وطرحوها على الأرض ، وعادوا من حيث أتوا ٠

وتحاملت غريسة على جراحها وعمدت إلى صفاة كبيرة وكتبت عليها القصيدة التالية تذكر فيها قصتها ، وتدل أهل زيد على قاتليه وإن كانوا أقرب الناس إليها ٠

وحل أهل زيد بالمكان فوجدوا الحجر ، وعرفوا أن القوم قتلوا ابنهم ، فانتقموا له ولغريسة ٠

قالت غريسة زينة القول والبنـــا
فجاني زماني والمقدر دهانيـــه

تهاويت مع زيد وطابت ليالنـــا
ثمان سنين في طرابة وامانيـــه ==

ووردت عند الربيعي تسعة عشر بيتاً ، وذكر أن بطلي القصة زيد بنساير العنزي وغريسة من بني عامر [١٢] ٠

* * *

الفصل الرابع :

عشاق يهيمون أو يختلطون

قال أبوعبدالرحمن : الحب في ذاته جنون إذا وصل حد الشغف كما قال قيس بن الملوح :

قالت جننت على رأسي فقلت لها
الحب أعظم مما بالمجانين
الحب ليس يفيق الدهر صاحبه
وإنما يصرع المجنون في الحين

إذن فالهائمون والمختلطون من المحبين درجات تتناوش العشق وتبلغ الغاية بالشغف ٠

وقد سبق في هذا الباب من مات بشهقة ، ومن مات بالضنى ٠٠ والجنون أخوهما ٠

قال أبومحمد ابن حزم - رحمه الله تعالى - : « وحدثني أبوبكر

== هواني وهاويته على الانس والهوى
وقطفنا ثمر مالاق والنفس فانيه
سقاني شراب من ثمانه وانا بعد
سقيته شراب صافي من ثمانيه

قال أبوعبدالرحمن : ما أحرى أن تكون القصة أسطورة نسجت على الأسلوب الهلالي ؛ لبعد الأمد ، فلا يطالب المسامر بأسماء أعيان معروفين من قبيلة راهنة ٠

(١٢) البحر الزخار ص ٤١٧ - ٤١٨ ٠

محمد بن بقي الحجري (وكان حكيم الطبع عاقلاً فهيماً) : عن رجل من شيوخنا لا يمكن ذكره : أنه كان ببغداد في خان من خاناتها ، فرأى ابنة لوكيلة الخان ، فأحبها وتزوجها ، فلما خلا بها نظرت إليه وكانت بكراً ، وهو قد تكشف لبعض حاجته ، فراعها كبر إحليله ، ففرت إلى أمها وتفادت منه .

فرام بها كل من حواليها أن تُرَدَّ إليه، فأبت، وكادت أن تموت، ففارقها ، ثم ندم ، ورام أن يراجعها فلم يمكنه ، واستعان بالأبهري وغيره ، فلم يقدر أحد منهم على حيلة في أمره ، فاختلط عقله وأقام في المارستان يعاني مدة طويلة حتى نقه وسلا وما كاد ، ولقد كان إذا ذكرها يتنفس الصعداء » (١) .

وقال أبو محمد أيضاً : « وإني لأعرف جارية من ذوات المناصب والجمال والشرف من بنات القواد ، وقد بلغ بها حب فتى من إخواني من أبناء الكتاب مبلغ هيجان المرار الأسود ، وكادت تختلط ، واشتهر الأمر وشاع جداً حتى علمه الأباعد ، إلى أن تُدُورِكت بالعلاج .

وهذا إنما يتولد عن إدمان الفكر ، فإذا غلبت الفكرة وتمكن الخلط وتُرك التداوي خرج الأمر عن حد الحب إلى حد الوله والجنون ، وإذا أُغفل التداوي في أوائل المعاناة قوي جداً ، ولم

---

(١) طوق الحمامة / ضمن رسائل ابن حزم ٢٤١/١ .

يوجد له دواء سوى الوصال » (٢) .

وقال أبو محمد : « وحدثني جعفر مولى أحمد بن محمد بن حدير المعروف بالبليني : أن سبب اختلاط مروان بن يحيى بن أحمد ابن حديروذهاب عقله اعتلاقه بجارية لأخيه ، فمنعها وباعها لغيره ، وما كان في إخوته مثله ولا أتم أدباً منه .

وأخبرني أبوالعافية مولى محمد بن عباس بن أبي عبيدة أن سبب جنون يحيى بن محمد بن عباس بن أبي عبدة بيع جارية له كان يجد بها وجداً شديداً .. كانت أمه باعتها وذهبت إلى إنكاحه من بعض العامريات .

فهذان رجلان جليلان مشهوران فقدا عقولهما ، واختلطا ، وصارا في القيود والأغلال .. فأما مروان فأصابته ضربة مخطئة يوم دخول البربر قرطبة وانتهابهم لها ، فتوفي رحمه الله .

وأما يحيى بن محمد فهو حي على حالته المذكورة في حين كتابتي لرسالتي هذه ، وقد رأيته أنا مراراً ، وجالسته في القصر قبل أن يمتحن بهذه المحنة ، وكان أستاذي ، وأستاذه الفقيه أبو الخيار اللغوي ، وكان يحيى لعمري حلواً من الفتيان نبيلاً » (٣) .

وذكر السخاوي من مجانين الهوى أحمد بن عبدالله الدمياطي المعروف بشيخ حطيبة قال عنه : « قال شيخنا في أنبائه نقلاً عن خط

---

(٢) طوق الحمامة ٢٤٢/١ .
(٣) المصدر السابق ٢٤٢/١ - ٢٤٣ .

المقريزي : أحد المجاذيب الذين يعتقد فيهم العامة الولاية ٠٠ قيل : إنه كان متزوجاً محبّاً للمرأة (٤) ، فبلغه أنها اتصلت بغيره ، فحصل له من ذلك طرف خبال ، ثم تزايد به إلى أن اختل عقله ونزع ثيابه وصار عرياناً ٠٠ وله في حالته هذه أشعار منها مواليا :

سري فضحتي وأنتِ سركي قد صنتُ

قصدي رضاك وأنت تطلبي لي العنتُ

ذليت من بعد عزي في الهوى وهنتُ

ياليت في الخلق لا كنتي ولا أنا كنتُ

توفي رحمه الله سنة ٨٠٨ هـ » (٥) ٠

وفي جيل العوام ذكروا خليل بن عايد وابن عِمار ٠

أما الأول فقد رويت عن الأستاذ إبراهيم اليوسف أن خليل بن عايد كان إمام مسجد في عنيزة ، وأنه كان يهزأ بمن يقعون في حبائل الغرام ، وأنه بعد ذلك وقع في الحب حتى عشق وأصيب بالشغف ثم الاصطلام فاختلط عقله ٠

واستدل بقوله :

بالك تهزى، والبلاوي صدافات

ترى سبب ما بي تهزيت بالغير

---

(٤) هكذا في الأصل ، وفي إنباء الغمر ٣١٣/٥ : فأحب المرأة ٠
ولعل الصواب : فأحب امرأة ٠

(٥) الضوء اللامع ٣٧٣/١ ٠

قال أبوعبدالرحمن : القصيدة ستون بيتاً (٦) يخاطب بها جبر بن سيار ، وهي لوعة وشكاية من ألم الغرام من ضمنها قوله :

وقفت في غي الخشوف الربيبات

تلع الارقاب ابكار غر غراغير

ردَّنَّنِي في سن عصر الجهالات

قد هوجرني في هوى الغي تهجير

قال أبوعبدالرحمن : لعلهم أخذوا دعوى الاختلاط ودعوى أنه مطوع من قوله :

بقرايتي للحمد أقرا التحيات

والواجب ان القلب عندك الى دير

قال أبوعبدالرحمن : إن لم يصح بنقل موثق أن ابن عايد إمام بمسجد عنيزة ، وأنه اختلط بسبب العشق فالقصيدة وحدها لا تتعين فيها الدلالة على ذلك ، وإن كانت الدلالة محتملة ٠

ذلك أن كل مسلم يقرأ الفاتحة والتحيات في صلاته وإن لم يكن إماماً ٠

وكل متغزل يدعي الذهول ٠

وقال الشيخ منديل : « خليل بن عايد كان مطوعاً ، وإذا مرت به امرأة أو هو مر على نساء لا يلتفت ، وكثر الحديث بين النساء

---

(٦) القصيدة في خيار ما يلتقط ١/٢٣٢-٢٣٥ وديوان الدر الممتاز ٢/١١٠-١١٢ ٠

عن عفتـه ، وقالت إحداهن : سوف أكيد لـه كيداً ، فاوقعـه ، فجاءت لأهلـه ليلاً وكانت متطيبـة ومتجملـة ، وادعت أنها تشـتكي من مـرض حتى قرأ عليها ، فأخـذ يقـرأ عليها ، فمسكت يـده تمـر بهـا علـى مواضـع من جسدها حتى مدت بيده على مواضـع من الشك والريبة ٠٠ أخـذت تأتيـه ليلتين ، وانقطعت عنــه ، ففـتن بحبهـا ، ثـم عـاد إلـى الشعر، ووجه القصيدة الآتية إلى الشاعرجبربن سيار التميمي يخبـره بأنــه وقـع بمثـل ما ابتلى بـه جبـر من قبلـه ٠٠ حيـث كـان جبر بن سيار عنـد الحجر وهـو يطوف فصادف امرأة تريـد الحجـر فـأراد أن يقبلها فدعت عليه بالعمى فاستجاب الله دعوتها فأخذ بصـره ٠

وقد ذكر جبـربن سـيار هـذه القصـة التـي جـرت عليـه فـي عـدة قصايــــد ٠

أمـا خليل فقـد كان إماماً في مدينـة من مـدن القصيم وسمعه ليـلاً أحـد المارة (وقيل إنـه ابن بسام مـاراً) بالقرب من منزلـه فسمعـــه مـع النافـذة وهـو يردد القصيـدة ٠

وفي الصباح ذهـب ابن بسام إلى ابن خليـل ووصـاه ، وقـال لــه قل لأبيك البشـت الذي يصلي بـه غير طـاهـر فأدرك خليـل أن القصـة التي حصلت لـه انكشفت ، فغـادر المدينة إلى مدينـة أخرى » (٧) ٠

قال أبوعبدالرحمن : القصـة إذا صحـت لا تعـدو كونهـا قصـة

(٧) مـن آدابنــا الشعبيـــة ٢٠٤/٧ ٠

حب وشعر، وليست قصة عشق يفقد إحدى القدرتين ، أو يميت .

وأما ابن عمار فهو صاحب الألفية ، وقصة جنونه محققة ، ولكنني لا أحقق أن سببها العشق ، ولا أحقق له شعراً في جنونه .

والشعر الذي روي عنه غزل ، وليس فيه دليل على تميز بعشق أفقده القدرة العقلية ، أو أماته .

وأورد الهطلاني قصيدة ناهض بن عبدالعزيز الناهض من أهل البرود ووصفه بأنه مات من أجل الغرام .. وهذا نص القصيدة :

يا من لقلب فيه مثل السعيره

كنه على جمر الهشيم مختوم

عين تهل دموعها من نظيره

وكبدي عليها مثل حامي السموم

حالي نقصها الحب ما هوب غيره

باليوم تنقص تقل حال محموم

لو ان ما بي جا بغيري عشيره

ما كان يصبر له ولا ربع يوم

والله ما ناح الحمام بهديره

او هب نسناس الهوا بالنسوم

الا ودمع العين مثل المطيره

لين اودع الاوجان مثل الوسوم

بغيت اكنه كودها قَصنر سيـــــره

اظنها بي ما تبين الوهـــــــــوم

لا شـك بي شي محني يسيــــره

امـر من اللـه ما تثيب العلــــوم

وش حيلة اللي وجعته في ضميره

وعينـه مناهــا رعـي الازوال دوم

صبرت صبر حط بالقلب نيـــره

واليوم باح السد وافطرت صومي

يا تــل قلبي تــل تالي الكسيــــره

مقفـي بهـم قــوم وبديـار قـــوم

علـى هنوف عند اهلها غريـــــره

لعبـة بقلبي ما بقى لـه رســـــوم

بغيت من حسن النبا حسن جيـره

لا ينتحر بي مع زمـــان غشـــوم

والراي مثـل اللي يهرج صبيـره

قلبـه حجر ما هـوب قلبه رحــوم

رضيت عقب وقلت راضي مسيره

هـذا نصيبي حـد قسـم الســـوم

اخاف من هجـر يطول او مصيره

الموت اصيـر مولـع ومحـــروم

يا عاذليني تـركـة العذل خيـــــره

يا ناس كثـر العذل زود همومــي

الحب شين ومن شرب من غديره

ما عاد يقوى المنع مثـل مهمـوم

ولو ان قلبي خابر منـه غيـــــره

طويت حبل الـود لـو فيــه يومي

لا شك ما يخفى، علي السريــــره

صافي ومن الفرقا بعض البهــوم

غرو ملكني بالهوى صرت اسيره

امره عليّ مطاع حتم محتـــــوم

حديثـه احلى من حليب بثيـــــره

وابهج من القرهود عقب السمـوم

الى هرج يسبى، العقول الغريـره

وانا لـه اطوع من مرد الكمـــوم

لـه قذلـة تعمل بـورد نشيـــــره

يرتاح قلب نـــال منها شمـــوم

وعين كما عين الوحش مستديـره

صويبها بسهومهـــا مــا يقـــوم

ومبسم عـذب كما صب نيـــــره

وبيض كما نوار نبت الوســــوم

والعنــق عنــق ادميــة مستذيـــره

فزت بـدار ورايعـه للحـــــزوم

تتطـح نسانيس الهوى تبي ذيـــره

والا انها ما راعها كـود حـــــوم

ومرت تخوّع في مدامث نشيـــره

في مطـرح علـه هميل الغيـــوم

ونويهـــدات توهـــا مستديــــره

تتطح عن الخصر النحيل الهـدوم

وردفـه ايبيـح بالهدوم القصيـــره

يارد عليـه مجدلات الركــــــوم

والهـرج يكفي صاملـه عن كثيره

في بالـي انــــه بالبـــلاد معــدوم

هـو عندي اغلا من جميع الذخيره

ما سمع بـه الناصح واللي يلـــوم [٨]

ان ما حصل لي ما تعوضت غيره

بعت الهوى واقفيت بيـع الجـزوم [٩]

*　　*　　*

---

(٨) يستقيم هكـذا : ناصـح ولا اللي ٠
(٩) الـدر الممتــاز ٤٧/٥ - ٤٨ ٠

الفصل الخامس :

عشاق يموتون فرحاً بعد الوصل :

قال الشيخ منديل : « هذه قصة قديمة تدل على العشق البريء ، وعلى العفة ، وأن بعض النساء تعشق راعي المديح الذي تسمع عنه الشجاعة والكرم (ولو كان عنها بعيد الوطن ، أو من الأعداء لأهلها) ٠٠ ودائماً يدركونهن بالشيمة فيما بينهم ولو هم أعداء زوجوه ، وهكذا مع العموم ، والقصة على ماجد الحبيبي دوسري أمير جماعته ، وفيه واحد اسمه الدعيمي من أهل الخرج ، وقيل غيره ، وكان له بنت عليها جمال فائق ، وقيل إنها تسمع المديح عن ماجد الحبيبي ولكنها ما رأته ، وقيل : إنهم في وقت غزو وتقطع جيشهم من الهزل وتقدموا الغزو ، وبقي معه اثنان فضافوا عند والدها ، وسمعت الخبروالاسم ، وأنه واحد منهم ، ولكنها لاتعرفه ولا تقدرأن تبيح بالسرلأحد ، فأرادت أن تستنبط الخبر منهم لأنهم أقاموا عدة أيام طويلة يعلفون ركابهم ، وكل يوم يقنص اثنان منهم للبر ويبقى واحد عند الركايب ، وفي حوش حدرقصرهم وكانت تطل على الركايب وترمي عليها ثلاث حزم قت وثلاث أقراص أو مثلها ٠٠ قصدها تختبرهذا الشخص عن شيمته ، وكيف يعمل وهي تراه من النافذة ، وكل واحد منهم يرمي العلف لمطيته فقط ويحرسها حتى تأكل لوحدها ويأكل الأقراص ٠

أما ماجد فحط العلف لهن سواء والأقراص كل واحد أبقى له واحد ، فعلمت أن هذا المذكور صاحب هذه الشيمة والأنفة ، وأنها تثق فيه على نفسها إذا كلمته ، فحصلت المعرفة ، وكلمته محادثة نزيهة وعفة تبدي له رغبتها بالزواج إذا قبل ، وهو كذلك ٠٠ فكانوا على موعد حتى وصل أهله ليخطبها في ذاك الوقت ، وهو في تلك الحالة ، ولكنه حصل عليه ظروف حالت دون عودته عدة سنين ، وكل يخطبها وترفض على أمل فيه ٠

وبعدها أرسل رسولاً يظن أنها قد تزوجت ويأتيه بالخبر ومن ضمنها أبيات فوقع الكتاب في يد والدها ، وبعد اطلاعه أرسله لها كأنه ما رآه ، وفعل ذلك لأنه على ثقة منها ، ولم يبد له من الكتاب أنه زواج بعفة ، فتساهل ٠

والقصيدة كما يلي :

يا طوق يا مترحل فوق ضامر

يبوج الفيافي ناحلات خدايمه

لاسرتها يا طوق عشر كوامل

وطالعت من قصر الدعيمي علايمه

سلم على قصر الدعيمي ومن به

أجاويد ما داسوا بنا قط لايمه

سلم عدد ماهل وبل من السما

وما لعلع القمري بأصوات دايمه

ترى حبهم ياطوق كالنقر بالصفا

ونقر الصفا مهيب تمحا رسايمه

نقري الصفا لو هبت الريح منجلي

ولو جا الحيا ما خرب الما علايمه

وعندما جاءها الكتاب ردت عليه تعتب عليه :

يا طوق لا جيت الحبيبي ماجد

فتى بالمعادي بينات وسايمه

قليل اغتنام الزاد عن ربعة الخوي

ولو كان جيعان يلاحق حزايمه

قل من هاب ورد المانكس منه ما ارتوى

ولو كان بالما شارعات كضايمه

ومن كثر التصديد عمن يوده

على غير بغض مخطر ما يلايمه

ومن ظل يرجى بالعسى بات بالعسى

تلهيه غرات الصبا من سلايمه

عشقته وانا اللي كل شيخ يقول لي

الا واهني بالعمر منهو يلايمه

وده بنفسي عند طرياه جنة

ولا جنة الدنيا لحي بدايمه

كم ليلـة بتـنا ولا بات بيننـــــــا

غير التمني كلنـا الهـم ضايمــــــــه

ريحـه على أنفي وطريـاه بفمـــي

ورِيـاه توقظني ولـو كنت نايمــــــه

ونقـوم أطهر من حمامات مكــــة -

والا فـرط تلوى بالايـدي حزايمـــه

وفي روايـة أنـه حين وصلهم وتزوجها وقابلتـه في باب الروشـن التمـوا جميعاً من الفرح وأغمى عليهم من الحب وتدردحوا مع الـدرج إلى الأرض ومـاتـوا جميعاً على اشتباكهـم » (١٠) ٠

* * *

الفصل السادس :

شعراء يحبـون فحسـب :

قال إبراهيـم اليوسف : أحـب الدغيري بن غازي من قبيلة شـمر فتـاة يقـال إنهـا لـم تكن من بنات قبيلته ، وقـد أخـذ يسـتعرض أسـماء ضحايا العشق وأورد اسـم الزوبعـي والخريصـي ، والأول مـن زوبـع والثـاني من الخرصـة ، ولـم نقف على حقيقـة عشقهما وأخبارهما ٠٠ فقال الدغيري بهذه المناسبـة :

غديـــت بالمرقـــاب واومـي لطيـــري

وأصيــح للنـادر وأشـوح العلـف شـوح

(١٠) من آدابنـا الشعبيـة ٢/١٢١ – ١٢٣ ٠

غرايــــب تعـادلـــــن فــي ضميـــــري
عويـل خلــج البـدو بمصـافق الـــــروح
أول نهـــــاره بين عـــزب وصديـــــر
واتــلا نهـــاره تلحـق العـزب وسـروح
قلـب الخريصي تقـل بـه نـار كيـري
عسى يصيـر لهرجتـه عندهـم نــــوح
ذوي نباتـــة مثـــل زرع الشعيـــــر
ذوي نباتـــة والزرانيـــق بطيـــوح
على الذي صـارت لعقلـي خشيـــر
حطـت فراض الاصبـاع ذابـــــوح
يا حيـف كيـف الزوبعـي والدغيـــري
يلعـب بهـم غـرو تـلا جـل شرشوح

وفي هذا السياق حب شكر الشريف للجازية الهلالية ، وقد تقصيت ذلك في السفر الأول من المجموعة الكاملة للأعمال العامية والشعبية •

قال أبو عبد الرحمن : والحمد لله بدءاً وعوداً ، وصلى الله على محمد

الرياض / دارة داوود
آخر ليلة الثلاثاء ١٨/١٩/٦/١٤١٢هـ
ثم تم الفراغ من معاودته بالإضافة والتهذيب
بعد عصر يوم السبت الموافق ٣/٢/١٤١٦هـ في المكان المذكور
وفرغت مرة ثالثة من معاودته بالإضافة والتهذيب فجر يوم الأحد
الموافق ٢٧/٧/١٤١٧هـ في المكان المذكور
وتم تصحيحه فجريوم الأحد الموافق ٢/١٠/١٤١٧هـ
بفندق العامودي بجدة
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وسلام على المرسلين

٥ - ثبت بالمصادر والمراجع :

[غير الرواية الشفوية ، وأوراقي الخاصة من روايتي بخطي ، أوَ بخط غيري مناولة أو مكاتبة] .

١ - **إنبـــاء الغمـر بأبنـاء العمــــر ٠**
للحافظ ابن حجـر العسقلانـي ٠
الطبعة الأولى سنة ١٣٩٢هـ / ط م دائـرة المعـارف العثمانيـة بحيدر آبــاد الدكـن بالهنـــد ٠

٢ - **الأحوال السياسية في القصيم في عهد الدولة السعودية الثـانية ٠**
للدكتور محمد بن عبدالله بن سليمان السلمان ٠
ط م الوطنية للأوفست / الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧هـ ٠

٣ - **أساطير شعبيـة من قلب الجزيرة العربيـة ٠**
للأستاذ عبدالكريم الجهيمان ٠
ط دار أشبال العرب عام ١٤٠٠هـ الطبعة الثـانية ٠

٤ - **أسواق العشـاق** [١] ٠
لأبي الحسن إبراهيـم بن عمـر البقاعي ٠
صورة النسخة الخطية بالخزانة الملكية بالرباط رقم ٣٣٢٤ ٠

٥ - **الإصابـة في تمييز الصحابـة ٠**
للحافظ أبي الفضل شهاب الدين أحمـد ابن حجـر العسقلاني ٠
تحقيق طـه محمد الزيني ٠
الطبعة الأولى سنة ١٣٨٨ - ١٣٩٧هـ ط م الفجالـة الجديدة ٠

٦ - **الأعـــلام ٠**
لخيـر الدين الزركـلي ٠
الطبعـة الثـالثـة ٠

٧ - **الأمثـال العاميـة في نجــد ٠**
لمحمد بن ناصـر العبـودي ٠
نشر دار اليمامة سنة ١٣٩٩هـ ٠

٨ - **البـدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ٠**
لمحمد بن علي الشوكاني ٠
الطبعة الأولى سنة ١٣٤٨هـ ط م السعادة ٠

---

(١) وهناك مصادر أخر في معنـى هـذا الكتـاب لـم تـدرج فـي هـذا الثـبت لأنــه تـم التعريـف بها في المدخل الأول من الفصـل الأول ٠

٩ - **بذل الماعون في فضل الطاعون .**
للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني .
تحقيق أحمد عصام عبدالقادر الكاتب .
دار العاصمة بالرياض الطبعة الأولى سنة ١٤١١هـ .

١٠ - **بسط سامع المسامر في أخبار مجنون بني عامر .**
لأبي عبدالله شمس الدين محمد بن علي بن طولون .
شرح وتحقيق عبدالمتعال الصعيدي .
ط شركة الطباعة الفنية المتحدة بالقاهرة .

١١ - **البصائر والذخائر .**
لأبي حيان التوحيدي .
ط الإنشاء سنة ١٩٦٤م / نشر مكتبة أطلس .

١٢ - **بعض المتشابه من القصائد الشعبية .**
لأحمد بن فهد بن علي العريفي .
الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥هـ ط م الفرزدق .

١٣ - **بلاد القصيم .**
لمحمد بن ناصر العبودي .
نشر دار اليمامة الطبعة الأولى سنة ١٣٩٩هـ ط م نهضة مصر .
والطبعة الثانية ط م الأهلية للأوفست .

١٤ - **بين الغزل والهزل (من شعر هويشل) .**
جمع ودراسة وتحقيق الشيخ سعد الجنيدل .
نشر جمعية الثقافة والفنون بالرياض .

١٥ - **تاج العروس في جواهر القاموس .**
لمحب الدين أبي الفيض محمد مرتضى الحسيني الزبيدي .
مصور عن طبعة بولاق .
والطبعة الثانية ط م الكويت .

١٦ - **تاريخ الإسلام / الجزء الخاص بفترة ٢٣١ - ٢٤٠هـ .**
لشمس الدين الذهبي .
تحقيق الدكتور عمر عبدالسلام تدمري .
دار الكتاب العربي / الطبعة الأولى سنة ١٤١١هـ .

١٧ - **تاريخ بغداد ٠**
للخطيب البغدادي ٠
تصوير دار الكتب العلمية ببيروت للطبعة الأولى ٠

١٨ - **تاريخ سينا والعرب ٠**
لنعوم شقير ٠
لم تذكر هوية الطبعة وختام طبعه في ١٩١٦م بالقاهرة ٠

١٩ - **تاريخ المستبصر (أو صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز) ٠**
نسب لجمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد ابن المجاور الشيباني الدمشقي ، [وهو لغيره كما حققت ذلك في السفرالأول من كتابي المجموعة الكاملة للأعمال العامية والشعبية] ٠
تحقيق اوسكر لوفغرين ٠
طـ م بريل بليدن سنة ١٩٥١م ٠

٢٠ - **التحفة السنية في النوادر العربية ٠**
لابن القاسم (ابن سديرة) ٠
طبع بباريس سنة ١٩٤٢ م ٠

٢١ - **التحفة الرشيدية في الأشعار النبطية ٠**
لمسعود بن سند بن سيحان ٠
الجزء الأول طبع سنة ١٩٦٥م ولم يذكراسم المطبعة أو الناشر أو الموزع ٠
والجزء الثاني ط م الرسالة بالكويت عام ١٣٨٩هـ ٠
والجزء الثالث طبع سنة ١٩٨٤م ٠

٢٢ - **تراث الأجداد ٠**
لمحمد بن عبدالعزيزالقويعي ٠
الطبعة الأولى سنة ١٤٠٣ - ١٤٠٥هـ ٠

٢٣ - **تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق ٠**
للشيخ داوود الأنطاكي ٠
طبع بالقاهرة سنة ١٣٠٢هـ ٠

٢٤ - **تغريبة بني هلال ٠**
طـ م محمد علي صبيح ٠

٢٥ - **تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير .**
للحافظ ابن حجر العسقلاني .
تصوير إحدى المطابع الباكستانية لطبعة عام ١٣٨٤هـ صورتها للمكتبات المدرسية بوزارة المعارف .

٢٦ - **التيسير بشرح الجامع الصغير .**
لزين الدين عبدالرؤوف المناوي .
تصوير مكتبة الإمام الشافعي بالرياض لطبعة عام ١٢٨٦هـ .

٢٧ - **جريدة الجزيرة [لا تزال تصدر بالرياض] .**
جريدة الرياض [لا تزال تصدر بالرياض] .

٢٨ - **جمهرة أنساب العرب .**
للإمام أبي محمد ابن حزم .
ط دار المعارف عام ١٣٨٢ هـ .

٢٩ - **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي .**
لابن قيم الجوزية .
تحقيق سعيد محمد اللحام .
دار إحياء العلوم ببيروت .

٣٠ - **الحب الخالد قيس وليلى .**
سيرة شعبية .
ط م المجد التجارية .

٣١ - **خلاصة البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير للرافعي .**
للحافظ سراج الدين عمر بن علي بن الملقن .
تحقيق حمدي بن عبدالمجيد السلفي .
الطبعة الأولى سنة ١٤١٠هـ مكتبة الرشد ط م الوفاء بالمنصورة .

٣٢ - **خيار ما يلتقط من الشعر النبط .**
لعبدالله بن خالد الحاتم .
ط م العمومية بدمشق عام ١٣٧٢هـ .
والطبعة الثالثة سنة ١٣٨١هـ نشر ذات السلاسل بالكويت ط م الفرزدق التجارية .

٣٣ - **ديـوان ابن شيحـــان .**
طبـع بعنايـة الأستاذ راشـد الجعيثـن .

٣٤ - **ديوان أبي نـواس .**
تحقيق علي فاعور .
دار الكتب العلمية الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧هـ .

٣٥ - **ديوان الرشيـدي .**
حمـد فحيمـان الرشيـدي .
نشـرذات السلاسـل بالكويـت .

٣٦ - **ديوان سحيم عبد بني الحسحاس .**
تحقيق الأستاذ عبدالعزيز الميمني .
طـ الدار القوميـة للطباعة والنشر بالقـاهـرة .
عن طبعـة دار الكتب سنة ١٣٦٩هـ بطريـق التصويـر .

٣٧ - **ديوان السامري والهجيني .**
جمع وشرح محمد بن عبدالله الحمـدان .
عن دار قيس بالريـاض عام ١٤٠٩هـ.. والطبعة الثالثة عام١٤١٤هـ .

٣٨ - **ديـوان سويلـم .**
لسويلـم العلـي السـهلـي .
الطبعـة الأولى سنة ١٤٠٠هـ .

٣٩ - **ديـوان الشعـر العـامي بلهجـة أهـل نجد (تـاريخ نجـد فــي عصـور العاميـة) ١ - ٥ .**
لأبي عبدالرحمن ابن عقيل الظاهـري .
دار العلوم بالرياض / الطبعة الأولى ١٤٠٢ - ١٤٠٦هـ .

٤٠ - **ديـوان شعـراء من الجزيـرة العربيـة .**
لمحمـد الهاجـري .
لـم تذكر هويـة الطبعة ، وطبع الجزء الثـاني عام ١٩٧٧م .

٤١ - **ديوان عبدالله بن دويـرج .**
أعـده بندر الدوخي ، وقـدم لـه أبو عبدالرحمن ابن عقيل .
نشر النخيل طـ م الفرزدق / الطبعة الأولى سنة ١٤١٠هـ .

٤٢ - **ديوان الفرزدق ٠**
دار بيروت للطباعة سنة ١٤٠٤هـ ٠

٤٣ - **ديوان من الشعر النبطي المختار (الجزء الأول) ٠**
لإبراهيم بن سليمان آل طامي ٠
ط م القدس بالقصيم ٠

٤٤ - **ديوان نمر بن عدوان وقصة حياته ٠**
لأحمد شوحان ٠
مكتبة التراث بدير الزور / الطبعة الأولى ٠

٤٥ - **ذم الهوى ٠**
لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي ابن الجوزي ٠
تحقيق أحمد عبدالسلام عطا ٠
دار الكتب العلمية ببيروت / الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧هـ ٠

٤٦ - **ذيل الأمالي ٠**
لابي علي إسماعيل بن القاسم القالي ٠
طبع ببيروت / طبع مركز الموسوعات العالمية ٠

٤٧ - **روضة المحبين ونزهة المشتاقين ٠**
لابن قيم الجوزية ٠
دار الكتب العلمية ٠

٤٨ - **زاد المعاد في هدي خير العباد ٠**
لابن قيم الجوزية ٠
تحقيق شعيب الأرنؤوط ، وعبدالقادر الأرنؤوط ٠
مؤسسة الرسالة ومكتبة المنار الإسلامية / الطبعة الثالثة والعشرون سنة ١٤٠٩هـ ٠

٤٩ - **الزهرة ٠**
لأبي بكر محمد بن داوود الأصبهاني الظاهري ٠
تحقيق الدكتورين إبراهيم السامرائي ونوري حمود القيسي ٠
الطبعة الثانية سنة ١٤٠٦هـ مكتبة المنار بالزرقاء بالأردن ٠

٥٠ - **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ٠**
لمحمد ناصرالدين الألباني ٠
المكتب الإسلامي / الطبعة الخامسة سنة ١٤٠٥هـ ٠

٥١ - **سير أعلام النبلاء .**
لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي .
تحقيق عدد من الأساتذة .
ط مؤسسة الرسالة الطبعة الرابعة سنة ١٤٠٦هـ .

٥٢ - **السير والملاحم الشعبية العربية .**
لشوقي عبدالحكيم .
دار الحداثة ببيروت / الطبعة الأولى سنة ١٩٨٤م .

٥٣ - **شاعر من نجد .**
للأسمربن خلف الجويعان .
لم تذكر هوية الطبعة .

٥٤ - **شاعرات من البادية .**
لعبدالله بن محمد بن رداس .
صدر عن دار اليمامة بالرياض .

٥٥ - **شذرات الذهب في أخبار من ذهب .**
لعبدالحي بن العماد الحنبلي .
المكتب التجاري للطباعة ببيروت .

٥٦ - **شرح المقامات الحريرية .**
طبع بولاق سنة ١٣٠٠هـ .

٥٧ - **الشعر عند البدو .**
لشفيق الكمالي .
ط م الإرشاد ببغداد .

٥٨ - **شعراء الرس النبطيون .**
لفهد الرشيد .
ط م الهاشمية بدمشق عام ١٣٨٥هـ / الطبعة الأولى .
والطبعة الثالثة ط م النصر الحديثة بالرياض سنة ١٤٠٥هـ .

٥٩ - **شعراء عتيبة .**
لمحمد بن دخيل العصيمي .
ط م المدوخل بالدمام سنة ١٤١٦هـ / الطبعة الأولى .

٦٠ - **صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار .**
لمحمد بن عبدالله بن بليهد .
الطبعة الثانية سنة ١٣٩٢هـ .

٦١ - **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع .**
لشمس الدين محمد بن عبدالرحمن السخاوي .
دار مكتبة الحياة ببيروت .

٦٢ - **طرائف ونوادر من عيون التراث العربي .**
للدكتورنايف محمود معروف .
دارالنفائس / الطبعة الرابعة سنة ١٤١٠هـ .

٦٣ - **طوق الحمامة .**
للإمام أبي محمد ابن حزم الظاهري .
تحقيق الدكتورإحسان عباس .
ضمن رسائل ابن حزم .
المؤسسة العربية للدراسات والنشر / الطبعة الأولىسنة ١٤٠١هـ .

٦٤ - **عشاق العرب .**
للدكتورعبدالحميد زراقط .

٦٥ - **العلل المتناهية في الأحاديث الواهية .**
لأبي الفرج ابن الجوزي .
تحقيق إرشاد الحق الأثري .
إدارة العلوم الأثرية / فيصل آباد باكستان / ط جاويد رياض .

٦٦ - **الفصيح في لغة العوام .**
لأبي عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري .
يطبع الآن وسيصدر - بإذن الله - عن دار النخيل بالرياض .

٦٧ - **الفنون الشعبية في الجزيرة العربية .**
لمحمد بن أحمد الثميري .
رواية محمد بن عيد الضويحي .
ط م العربية بدمشق عام ١٣٩٢هـ .

٦٨ - **الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة ٠**
لمحمد بن علي الشوكاني ٠
دار الكتب العلمية ببيروت / طـ م السنة المحمدية ٠

٦٩ - **فوات الوفيات والذيل عليها ٠**
لمحمد بن شاكر الكتبي ٠
تحقيق الدكتور إحسان عباس ٠
طـ دار صادر ببيروت سنة ١٩٧٣م ٠

٧٠ - **فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف العامة في بغداد ٠**

٧١ - **فهرس مخطوطات قاسم الرجب ٠**
لقاسم الرجب صاحب مكتبة المثنى ببغداد ٠

٧٢ - **القصص الشعبي في قطر ٠**
للدكتورمحمد طالب سلمان الدويك ٠
عن مركزالتراث الشعبي لدول الخليج العربية /الطبعة الأولى سنة ١٩٨٤م - الدوحة - قطر ٠

٧٣ - **قصة وأبيات ٠**
لإبراهيم اليوسف ٠

٧٤ - **قطوف الأزهار ٠**
لعبدالله بن عبار العنزي ٠
طـ م الفرزدق بالرياض عام ١٤٠٥هـ / الطبعة الأولى ٠

٧٥ - **الكامل في ضعفاء الرجال ٠**
لأبي أحمد عبدالله بن عدي الجرجاني ٠
دار الفكر / الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤هـ ٠

٧٦ - **الكشف الإلهي عن شديد الضعف والموضوع والواهي ٠**
لمحمد بن محمد الحسيني الطرابلسي السندروسي ٠
تحقيق الدكتور محمد محمود أحمد بكار ٠
شركة الكتاب الحديث سنة ١٤٠٨هـ نشر مكتب الطالب الجامعي بمكة المكرمة ، ودار العليان ببريدة ٠

٧٧ - **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس .**
لإسماعيل بن محمد العجلوني .
مؤسسة الرسالة / الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ .

٧٨ - **كنز الأنساب ومجمع الآداب .**
لحمد بن إبراهيم الحقيل .
الطبعة الحادية عشرة سنة ١٤٠٨هـ ط م الفرزدق التجارية بالرياض .

٧٩ - **الكنوز الشعبية .**
لمحمد بن مشعي آل صالح الدوسري .
ط دار الجيل للطباعة عام ١٣٨١هـ .

٨٠ - **اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة (التذكرة في الأحاديث المشتهرة) .**
لبدر الدين أبي عبدالله محمد بن عبدالله الزركشي .
تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا .
دار الكتب العلمية ببيروت / الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .

٨١ - **لباب الأفكار في غرائب الأشعار .**
للشيخ محمد ابن يحيى .
صورة من نسخة بخط المؤلف .

٨٢ - **مجلة التراث الشعبي (تصدر في العراق) .**

٨٣ - **مجلة الدارة (لا تزال تصدر بالرياض) .**

٨٤ - **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية .**
لشيخ الإسلام ابن تيمية .
تصوير الطبعة الثانية سنة ١٣٩٨هـ ط م دار العربية ببيروت .

٨٥ - **مختصر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة .**
لمحمد بن عبدالباقي الزرقاني .
تحقيق الدكتور محمد بن لطفي الصباغ .
الطبعة الأولى سنة ١٤٠١هـ نشر مكتب التربية العربي .

٨٦ - **مداواة النفوس .**
لابن حزم .
ضمن رسائل ابن حزم / انظر طوق الحمامة .

٨٧ - **مشارق أنوار القلوب (مقدمة ناشره ريتر) .**
لابن الدباغ .
دار صادر ودار بيروت سنة ١٣٧٩هـ .

٨٨ - **مصارع العشاق .**
لأبي محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج القارئ .
دار بيروت ودار صادر سنة ١٣٧٨هـ .

٨٩ - **مظلوم (ديوان شعر) .**
لعلي العبدالرحمن أبو ماجد .
طـ م دمشق سنة ١٣٨١هـ .

٩٠ - **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة .**
لعمر رضا كحالة .
الطبعة الثانية عام ١٣٩٨هـ نشر مؤسسة الرسالة ببيروت .

٩١ - **معجم اليمامة .**
لعبدالله بن خميس .
طـ م الفرزدق عام ١٣٩٨هـ .

٩٢ - **المغني في تخريج أحاديث الإحياء .**
لزين الدين العراقي .
[بحاشية إحياء علوم الدين للغزالي] .
مكتبة عبدالوكيل الدروبي بدمشق .

٩٣ - **مفكرة شخصية .**
لعبدالله المحمد العبدالعزيز البسام .
ناولني صورتها الأستاذ ناصر العليوي .

٩٤ - **المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة .**
لشمس الدين أبي الخير محمد بن عبدالرحمن السخاوي .
دار الكتب العلمية / الطبعة الأولى سنة ١٣٩٩هـ .

٩٥ - **من أحاديث السمر .**
لعبدالله بن خميس .
طـ م شركة حنيفة للأوفست .

٩٦ - **من آدابنا الشعبية .**
لمنديل بن محمد آل فهيد .

الجـزء الأول نشـر دار اليمامــة عـام ١٣٩٨هـ / والطبعـة الثانيـة سـنة ١٤٠٤هـ طـ م الفرزدق ٠
والجزء الثاني طـ م الأهلية للأوفست بالرياض عام ١٤٠١هـ ٠
والجزء الثالث طـ م الفرزدق سنة ١٤٠٣هـ ٠
والجزء الرابع طـ م الفرزدق سنة ١٤٠٥هـ ٠
والجزء الخامس طـ م الفرزدق سنة ١٤١١هـ ٠

٩٧ - **من الباديــة ٠**
لعلي الصفراني ٠
الأول بعنوان (من الشعر النبطـي / أنـوار الأفكـار) طــ م دارالأصفهـاني وشركاه ٠
والثـاني لـم أطلع عليـه بعـد ٠
والثالث طـ م دار الثـقـافة بمكـة ٠
والرابع طـ م دار الكتاب العربي بمصر سنة ١٣٨٠هـ ٠
والخامس طـ م دار الكتاب العربي بمصـر ٠
والسادس طـ دار الثـقـافة بمكة المكرمـة ٠
والسابع تقـديم محمـد صـالـح الفريح ، ولم تذكـر هويـة الطبعة ٠

٩٨ - **مـن شيـم العـرب ٠**
لفهـد المـارك ٠
توزيع المكتبـة الأهليـة ببيـروت عام ١٩٦٤م ٠

٩٩ - **من عيون الشعر الشعبي (أو طرائف الكلام من شعر العوام) ٠**
لعبداللطيف السعـود أبا بطين ٠
طـ م الفرزدق بالرياض عام ١٤٠٨هـ الطبعة الأولى ٠

١٠٠- **مـن القـائـل ٠**
لعبدالله بن محمد بن خميس ٠
طـ م الفرزدق منـذ عام ١٤٠٥هـ ٠

١٠١- **من نـوادر الأشعـــار ٠**
لعبدالله بن سعود الصقـري ٠
طـ م الرياض عام ١٤٠١هـ ٠

١٠٢- **المنـار المنيف في الصحيح والضعيـف ٠**
لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزيـة ٠

تحقيق الشيخ عبدالفتاح أبو غدة .
الطبعة الأولى سنة ١٣٩٠هـ/نشر المطبوعات الإسلامية بحلب ط م دار القلم .

١٠٣- **نبذة تاريخية عن نجد .**
إملاء ضاري بن فهيد الرشيد كتابة وديع البستاني .
دار اليمامة بالرياض طـ م نهضة مصر .

١٠٤- **النجوم الزاهرة .**
ليوسف بن تغري بردي .
الطبعة الأولى / طـ م دار الكتب المصرية .

١٠٥- **نزهة النفس الأديبة في القصص والحكايات الغريبة (الجزء الأول) .**
لإبراهيم السليمان الطامي .
الطبعة الثانية .

١٠٦- **نشأة إمارة آل رشيد .**
للدكتور عبدالله الصالح العثيمين .
الطبعة الأولى طـ م الشرق الأوسط بالرياض عام ١٤٠١هـ نشر عمادة شؤون المكتبات / جامعة الرياض .
والطبعة الثانية سنة ١٤١١هـ طـ م الشريف .

١٠٧- **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب .**
لأحمد بن محمد المقري التلمساني .
تحقيق الدكتور إحسان عباس .
طـ دار صادر سنة ١٣٨٨هـ .

١٠٨- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان .**
لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان .
تحقيق الدكتور إحسان عباس .
دار صادر ببيروت .

١٠٩- **الوافي بالوفيات .**
لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي .
باعتناء س . ديد رينغ .
الطبعة الثانية غير المنقحة / دار النشر فرانز شتايز بفيسبادن ١٤٠١هـ .

٦ – فهرس تفصيلي

اسم الموضوع	رقم الصفحة
قد يكون شعر الأسطورة جيداً ولكن تقوم دلائل أخرى على أن القصة أسطورة .	٩٧ - ٩٨
النحل في الشعر العامي ونماذجه ومعنى ضُرِبَ تحت المقفزية ، والتصرف في رواية الشعر العامي ، ونماذج من الضرب تحت المقفزية شعراً وقصة .	٩٨ - ١٢٨
كلام عن المارك وأسطورة أبو هادي الرداح .	١٠١ - ١٠٣
عودة إلى ما ينشرفي الصفحات الشعبية من أساطير، وعودة إلى الأساطير الشعبية لابن جهيمان ، وقصيدة رشيد جد الرشايدة .	١٠٣ - ١٠٩
قصيدة ذات قافية واحدة على الحاء ركب عليها أسطورة .	١٠٩ - ١١٠
أسطورة السكوت وشاهدها قصيدة ذات قافية واحدة على اللام والهاء .	١١٠ - ١١١
أسطورة عنزي من السبعة عشق بالوصف .	١١٢ - ١١٤
أسطورة أبوبكر العنقري .	١١٤ - ١١٧
أسطورة بشر وحسن .	١١٧ - ١٢٠
أسطورة دويد أم الذبان .	١٢٠ - ١٢١
تحوير أسطورة الزيرسالم إلى شعرعامي .	١٢١ - ١٢٧
الدكتور عبدالمجيد زراقط يبين هدف الحكواتي .	١٢٧ - ١٢٨

* * *

اسم الموضـــوع	رقم الصفحة

* * *

اسم الموضـــوع	رقم الصفحة

اسم الموضـــوع	رقم الصفحة

اسم الموضـــوع	رقم الصفحة

اسم الموضـــوع	رقم الصفحة

* * *

اسم الموضـــوع	رقم الصفحة

والحمد لله رب العالمين وسلام على عباده المرسلين ،

الريـاض / دارة داوود
آخر نهار يوم السبت ١٤١٢/٨/٥هـ
ثم في جدة فجرالأحد الموافق ١٤١٧/١٠/٢هـ